تفسير

الثعالبي

الموسوم

بجواهر الحسان في تفسير القرآن

الجزء الرابع

منشورات
مؤسسة الأعلى للمطبوعات
بيروت - لبنان
ص.ب. ٧١٢٠



تفسير سورة يس وهي مكية باجماع

الا ان فرقة قالت ان قوله تعالى ونكتب ما قدموا وءاثارهم نزلت فى بنى سلمة حين ارادوا ان ينتقلوا الى جوار مسجد النبي صلى الله عليه وسلم وورد فى فضل يس ءاثار عديدة فعن معقل بن يسار ان النبي صلى الله عليه وسلم قال قلب القرءان يس لا يقرؤها رجل يريد الله والدار الآخرة الاغفر له اقرءوها على موتاكم رواه ابو داود والنساءي وابن ماجه والحاكم فى المستدرك وهذا لفظ النساءي وهو عند الباقين مختصر انتهى من السلاح

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله عز وجل يس والقرءان الحكيم انك لمن المرسلين قد تقدم الكلام فى الحروف المقطعة ويختص هذا الموضع باقوال منها ان ابن جبير قال يس اسم

من اسماء محمد عليه السلام وقال ابن عباس معناه يا انسان بالحبشية وقال ايضا هو بلغة طيء وقال قتادة يس قسم والصراط الطريق والمعنى انك على طريق هدى ومهيع رشاد واختلف المفسرون فى قوله تعالى ما انذر ءاباؤهم فقال عكرمة ما بمعنى الذى والتقدير الشيء الذى انذر ءاباؤهم من النار والعذاب ويحتمل ان تكون ما مصدرية على هذا القول ويكون الاباء هم الاقدمون على مر الدهر * وقوله فهم مع هذا التاويل بمعنى فانهم دخلت الفاء لقطع الجملة من الجملة وقال قتادة ما نافية فالآباء على هذا هم الاقربون منهم وهذه الآية كقوله تعالى وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير وهذه النذارة المنفية هي نذارة المباشرة كما قدمنا وحق القول معناه وجب العذاب وسبق القضاء به وهذا فيمن لم يومن من قريش كمن قتل ببدر وغيرهم * وقوله تعالى انا جعلنا فى اعناقهم اغلالا الآية قال مكي قيل هي حقيقة فى الآخرة اذا دخلوا النار وقال ابن عباس وغيره الآية استعارة لحال الكفرة الذين ارادوا النبي صلى الله عليه وسلم بسوء فجعل الله هذه مثلا لهم فى كفه اياهم عنه ومنعهم من اذايته حين بيتوه وقالت فرقة الآية مستعارة المعانى من منع الله تعالى اياهم من الايمان وحوله بينهم وبينه وهذا ارجح الاقوال والغل ما احاط بالعنق على معنى التثقيف والتضييق والتعذيب * وقوله فهي يحتمل ان تعود على الاغلال اي هي عريضة تبلغ بحرفها الاذقان والذقن مجتمع اللحيين فتضطر المغلول الى رفع وجهه نحو السماء وذلك هو الاقماح وهو نحو الاقناع فى الهيئة قال قتادة المقمح الرافع رأسه ويحتمل وهو قول الطبري ان تعود هي على الايدى وذلك ان الغل انما يكون فى العنق مع اليدين وروي ان فى مصحف ابن مسعود وابي انا جعلنا فى أيمانهم وفى بعضها فى ايديهم وارى الناس علي بن ابى طالب الاقماح فجعل يديه تحت لحيه والصقهما ورفع رأسه وقرأ الجمهور

سدا بضم السين فى الموضعين وقرأ حمزة والكسائي وغيرهما سدا بفتح السين فقيل هما بمعنى اي حائلا يسد طريقهم وقال عكرمة ما كان مما يفعله البشر فهو بالضم وما كان خلقة فهو بالفتح ومعنى الآية ان طريق الهدى سد دونهم * وقوله تعالى انما تنذر من اتبع الذكر الآية انما ليست للحصر هنا بل هي على جهة تخصيص من ينفعه الانذار واتباع الذكر هو العمل بما فى كتاب الله والاقتداء به قال قتادة الذكر القرءان * وقوله بالغيب اي بالخلوات عند مغيب الانسان عن اعين البشر ثم اخبر تعالى باحيائه الموتى ردا على الكفرة ثم توعدهم بذكر كتب الآثار واحصاء كل شيء وكل ما يصنعه الانسان فيدخل فيما قدم ويدخل فى ءاثاره لكنه سبحانه ذكر الامر من الجهتين ولينبه على الآثار التى تبقى وتذكر بعد الانسان من خير وشر وقال جابر بن عبد الله وابو سعيد ان هذه الآية نزلت فى بنى سلمة على ما تقدم وقول النبي عليه السلام لهم دياركم تكتب ءاثاركم والامام المبين قال قتادة وابن زيد هو اللوح المحفوظ وقالت فرقة اراد صحف الاعمال * وقوله تعالى واضرب لهم مثلا اصحاب القرية الآية روي عن ابن عباس والزهري وعكرمة ان القرية هنا هي انطاكية واختلف فى هؤلاء المرسلين فقال قتادة وغيره كانوا من الحواريين الذين بعثهم عيسى حين رفع وصلب الذى القي عليه شبهه فتفرق الحواريون فى الآفاق فقص الله تعالى هنا قصة الذين نهضوا الى انطاكية وقالت فرقة بل هؤلاء انبياء من قبل الله عز وجل قال (ع) وهذا يرجحه قول الكفرة ما انتم الا بشر مثلنا فانها محاورة انما تقال لمن ادعى الرسالة من الله تعالى والآخر محتمل وذكر المفسرون فى قصص الآية اشياء يطول ذكرها والصحة فيها غير متيقنة فاختصرته واللازم من الآية ان الله تعالى بعث اليها رسولين فدعيا اهل

القرية الى عبادة الله وتوحيده فكذبوهما فشدد الله امرهما بثالث وقامت الحجة على اهل القرية وءامن منهم الرجل الذى جاء يسعى وقتلوه فى ءاخر امره وكفروا واصابتهم صيحة من السماء فخمدوا وقرأ الجمهور فعززنا بشد الزاي عل معنى قوينا وشددنا وبهذا فسره مجاهد وغيره وهذه الامة انكرت النبوءات بقولها وما انزل الرحمن من شيئ قال بعض المتأولين لما كذب اهل القرية المرسلين اسرع فيهم الجذام وقال مقاتل احتبس عنهم المطر فلذلك قالوا انا تطيرنا بكم اي تشاءمنا بكم والاظهران تطير هؤلاء انما كان بسبب ما دخل قريتهم من اختلاف كلمتهم وافتتان الناس * وقوله ائن ذكرتم جوابه محذوف اي تطيرتم قاله ابو حيان وغيره انتهى وقولهم عليهم السلام طائركم معكم معناه حظكم وما صارلكم من خير وشر معكم اي من افعالكم ومن تكسباتكم ليس هو من اجلنا وقرأ حمزة والكساءي وابن عامر أإن ذكرتم بهمزتين الثانية مكسورة وقرأ نافع وغيره بتسهيل الثانية وردها ياء اين ذكرتم واخبر تعالى عن حال رجل جاء من اقصى المدينة يسعى سمع المرسلين وفهم عن الله تعالى فدعا عند ذلك قومه الى اتباعهم والايمان بهم اذهو الحق فروي عن ابن عباس وغيره ان اسم هذا الرجل حبيب وكان نجارا وكان فيما قال وهب بن منبه قد تجذم وقيل كان فى غار يعبد ربه فقال ياقوم اتبعوا المرسلين الآية وذكر الناس فى اسماء الرسل صادق وصدوق وشلوم وغير هذا والله اعلم بصحته واختلف المفسرون فى قوله فاسمعون فقال ابن عباس وغيره خاطب بها قومه اي على جهة المبالغة والتنبيه وقيل خاطب بها الرسل على جهة الاستشهاد بهم والاستحفاظ للامر عندهم قال (ع) وهنا محذوف تواترت به الاحاديث والروايات وهو انهم قتلوه فقيل له عند موته ادخل الجنة فلما أقر الله عينه بما رأى من الكرامة قال ياليت قومى يعلمون الآية

قيل اراد بذلك الاشفاق والنصح لهم اي لو علموا ذلك لآمنوا بالله تعالى وقيل اراد ان يعلموا ذلك فيندموا على فعلهم به ويحزنهم ذلك وهذا موجود فى جبلة البشر اذا نال الشخص عزا وخيرا فى ارض غربة ود ان يعلم ذلك جيرانه واترابه الذين نشأ فيهم كما قيل

العز مطلوب وملتمس * واحبه ما نيل فى الوطن

قال (ع) والتاويل الاول اشبه بهذا العبد الصالح وفى ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم نصح قومه حيا وميتا وقال قتادة نصحهم على حالة الغضب والرضا وكذلك لاتجد المومن الا ناصحا للناس * وقوله تعالى وما انزلنا على قومه من بعده من جند الآية مخاطبة للنبي صلى الله عليه وسلم فيها توعد لقريش وتحذير ان ينزل بهم من العذاب ما نزل بقوم حبيب النجار قال مجاهد لم ينزل الله عليهم من جند اراد انه لم يرسل اليهم رسولا ولا استعتبهم قال قتادة والله ما عاتب الله قومه بعد قتله حتى اهلكهم وقال ابن مسعود اراد لم يحتج فى تعذيبهم الى جند بل كانت صيحة واحدة لانهم كانوا ايسر واهون من ذلك واختلف فى قوله تعالى وما كنا منزلين فقالت فرقة ما نافية وقالت فرقة ما عطف على جند اي من جند ومن الذى كنا منزلين على الامم مثلهم قبل ذلك وخامدون اي ساكنون موتى * وقوله تعالى ياحسرة الحسرة التلهف وذلك ان طباع كل بشر توجب عند سماع حالهم وعذابهم على الكفر وتضييعهم امر الله ان يشفق ويتحسر على العباد وقال الثعلبي قال الضحاك انها حسرة الملائكة على العباد فى تكذيبهم الرسل وقال ابن عباس حلوا محل من يتحسر عليه انتهى وقرأ الاعرج وابو الزناد ومسلم بن جندب ياحسره بالوقف على الهاء وهو ابلغ فى معنى التحسر والتشفيق وهز النفس * وقوله تعالى ما ياتيهم من رسول الآية تمثيل لفعل قريش واياهم عنى بقوله الم يروا كم اهلكنا

وقرأ جمهور الناس لما جميع بتخفيف الميم وذلك على زيادة ما للتاكيد والمعنى لجميع وقرأ عاصم والحسن وابن جبير لما بشد الميم قالوا هي بمنزلة الا ومحضرون قال قتادة محشرون يوم القيامة * وقوله تعالى وءاية لهم الارض الميتة احييناها الآية وءاية معناه وعلامة على الحشر وبعث الاجساد والضمير فى لهم لكفار قريش والضمير فى ثمره قيل هو عائد على الماء الذى تضمنه ذكر العيون وقيل هو عائد على جميع ما تقدم مجملا كانه قال من ثمر ما ذكرنا وما فى قوله وما عملته ايديهم قال الطبري هي اسم معطوف على الثمر اي يقع الاكل من الثمر ومما عملته الايدى بالغرس والزراعة ونحوه وقالت فرقة هي مصدرية وقيل هي نافية والتقدير انهم ياكلون من ثمره وهو شيء لم تعمله ايديهم بل هي نعمة من الله تعالى عليهم والازواج الانواع من جميع الاشياء * وقوله ومما لا يعلمون نظير قوله تعالى ويخلق ما لا تعلمون * وقوله تعالى وءاية لهم الليل نسلخ منه النهار هذه الآيات جعلها الله عز وجل ادلة على قدرته ووجوب الالوهية له ونسلخ معناه نكشط ونقشر فهي استعارة (ت) قال الهروي قوله تعالى وءاية لهم الليل نسلخ منه النهار اي نخرجه منه اخراجا لا يبقى من ضوء النهار معه شيء انتهى ومظلمون داخلون فى الظلام ومستقر الشمس على ما فى الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم من طريق ابى ذر بين يدي العرش تسجد فيه كل ليلة بعد غروبها وهو فى البخاري وفى حديث آخر انها تسجد فى عين حمئة ومنازل منصوب على الظرف وهي المنازل المعروفة عند العرب وهي ثمانية وعشرون منزلة يقطع القمر منها كل ليلة منزلة وعودته هي استهلاله رقيقا وحينئذ يشبه العرجون وهو الغصن من النخلة الذى فيه شماريخ التمر فانه ينحنى ويصفر اذا قدم ويجيء اشبه شيء بالهلال قاله الحسن والوجود يشهد له والقديم معناه العتيق الذى قد مر عليه

زمن طويل وينبغى هنا مستعملة فيما لايمكن خلافه لانها لاقدرة لها على غير ذلك والفلك فيما روي عن ابن عباس متحرك مستدير كفلكة المغزل فيه جميع الكواكب ويسبحون معناه يجرون ويعومون * وقوله تعالى وءاية لهم انا حملنا ذرياتهم فى الفلك الآية ذكر الذرية لضعفهم عن السفر فالنعمة فيهم امكن والضمير المتصل بالذريات هو ضمير الجنس كانه قال ذريات جنسهم اونوعهم هذا اصح ما يتجه فى هذا واما معنى الآية فقال ابن عباس وجماعة يريد بالذريات المحمولين اصحاب نوح فى السفينة ويريد بقوله من مثله السفن الموجودة فى جنس بنى ءادم الى يوم القيامة واياها اراد بقوله وان نشأ نغرقهم وقال مجاهد وغيره المراد بقوله انا حملنا ذرياتهم فى الفلك المشحون السفن الموجودة فى بنى ءادم الى يوم القيامة ويريد بقوله وخلقنا لهم من مثله ما يركبون الابل وسائر ما يركب فتكون المماثلة فى انه مركوب مبلغ الى الاقطار فقط ويعود قوله وان نشأ نغرقهم على السفن الموجودة فى الناس والصريخ هنا بمعنى المصرخ المغيث * وقوله تعالى الارحمة منا قال الكسائي نصب رحمة على الاستثناء كانه قال الاان نرحمهم * وقوله الى حين يريد الى آجالهم المضروبة لهم ثم ابتدأ الاخبار عن عتو قريش بقوله واذا قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم قال قتادة ومقاتل ما بين ايديهم هو عذاب الامم الذى قد سبقهم فى الزمن وهذا هو النظر الجيد وقال الحسن خوفوا بما مضى من ذنوبهم وبما ياتى منها قال (ع) وهذا نحو الاول فى المعنى * وقوله تعالى واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله الآية الضمير فى قوله لهم لقريش وسبب الآية ان الكفار لما اسلم حواشيهم من الموالى وغيرهم والمستضعفين قطعوا عنهم نفقاتهم وصلاتهم وكان الامر بمكة اولا فيه بعض الاتصال فى وقت نزول ءايات الموادعة فندب اولائك المومنون قراباتهم من الكفار الى ان يصلوهم وينفقوا عليهم مما رزقهم

الله فقالوا عند ذلك انطعم من لويشاء الله اطعمه وقالت فرقة سبب الآية ان قريشا شحت بسبب ازمة على المساكين جميعا مومن وغير مومن فندبهم النبي صلى الله عليه وسلم الى النفقة على المساكين وقولهم يحتمل معنيين احدهما يخرج على اختيار لجهال العرب فقدروي ان اعرابيا كان يرعى ابله فيجعل السمان فى الخصب والمهازيل فى المكان الجدب فقيل له فى ذلك فقال اكرم ما اكرم الله واهين ما اهان الله فيخرج قول قريش على هذا المعنى ومن امثالهم كن مع الله على المدبر والتاويل الثانى ان يكون كلامهم بمعنى الاستهزاء بقول محمد عليه السلام ان ثم الها هو الرزاق فكانهم قالوا لم لا يرزقهم الهك الذى تزعم اي نحن لا نطعم من لويشاء هذا الاله الذى زعمت لاطعمه * وقوله تعالى ان انتم الا فى ضلال مبين يحتمل ان يكون من قول الكفرة للمومنين اي فى امركم لنا بالنفقة وفى غير ذلك من دينكم ويحتمل ان يكون من قول الله تعالى للكفرة وقولهم متى هذا الوعد اي متى يوم القيامة وقيل ارادوا متى هذا العذاب الذى تتهددنا به وما ينظرون اي ينتظرون ومانافية وهذه الصيحة هي صيحة القيامة وهي النفخة الاولى وفى حديث ابى هريرة ان بعدها نفخة الصعق ثم نفخة الحشر وهي التى تدوم فمالها من فواق واصل يخصمون يختصمون والمعنى وهم يتحاورون ويتراجعون الاقوال بينهم وفى مصحف ابي ابن كعب يختصمون ولا الى اهلهم يرجعون لاعجال الامر بل تفيض انفسهم حيث ما اخذتهم الصيحة * وقوله سبحانه ونفخ فى الصور فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون هذه نفخة البعث والاجداث القبور وينسلون اي يمشون مسرعين وفى قراءة ابن مسعود من اهبنا من مرقدنا وروي عن ابي بن كعب وغيره ان جميع البشر ينامون نومة قبل الحشر قال (ع) وهذا غير صحيح الاسناد وانما الوجه فى قولهم من مرقدنا انها استعارة كما تقول فى

قتيل هذا مرقده الى يوم القيامة * وقوله هذا ما وعد الرحمن جوز الزجاج ان يكون هذا اشارة الى المرقد ثم استانف ما وعد الرحمن ويضمر الخبر حق او نحوه وقال الجمهور ابتداء الكلام هذا ما وعد الرحمن واختلف فى هذه المقالة من قالها فقال ابن زيد هي من قول الكفرة وقال قتادة ومجاهد هي من قول المومنين للكفار وقال الفراء هي من قول الملائكة وقالت فرقة هي من قول الله تعالى على جهة التوبيخ وباقى الآية بين * وقوله تعالى ان اصحاب الجنة اليوم فى شغل قال ابن عباس وغيره هو افتضاض الابكار وقال ابن عباس ايضا هو سماع الاوتار وقال مجاهد معناه نعيم قد شغلهم قال (ع) وهذا هو القول الصحيح وتعيين شيء دون شيء لا قياس له * وقوله سبحانه هم وازواجهم فى ظلال جاء فى صحيح البخاري وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل الا ظله امام عادل وشاب نشأ فى عبادة ربه ورجل قلبه متعلق بالمسجد ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال فقال اني اخاف الله ورجل تصدق بصدقة فاخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ورجل ذكر الله تعالى خاليا ففاضت عيناه انتهى وهذا الظل المذكور فى الحديث هو فى المحشر قال الشيخ ابن ابى جمرة رضي الله عنه وظلال الآخرة ما فيها مباح بل كلها قد تملكت بالاعمال التى عملها العاملون الذين هداهم الله تعالى فليس هناك لصعلوك الاعمال ظل انتهى وهو كما قال فشمر عن ساق الجد ان اردت الفوز ايها الاخ والسلام والارائك السرر المفروشة قيل ومن شرطها ان تكون عليها حجلة والافليست باريكة وبذلك قيدها ابن عباس وغيره * وقوله ما يدعون بمنزلة ما يتمنون قال ابو عبيدة العرب تقول ادّع علي ماشئت بمعنى تمن علي * وقوله سلام قيل هي صفة اي مسلم لهم وخالص وقيل هو مبتدأ وقيل هو خبر

مبتدإ * وقوله تعالى وامتازوا اليوم فيه حذف تقديره ونقول للكفرة وامتازوا معناه انفصلوا وانحجزوا لان العالم فى الموقف انما هم مختلطون (ت) وهـذا يحتاج الى سنـد صحيح وفى الكلام اجمال ويوم القيامة هو مواطن ثم خاطبهم تعالى لما تميزوا توبيخا وتوقيفا على عهده اليهم ومخالفتهم له وعبادة الشيطان هي طاعتـه والانقياد لاغوائه * وقوله هذا صراط مستقيم اشارة الى الشرائع اذبعث الله ءادم الى ذريتـه ثم لم تخل الارض مـن شريعـة الى ختم الرسالة بسيدنا محمد خاتم النبيئين والجِبِل الامة العظيمة ثم اخبر سبحانـه نبيه محمدا عليه السلام اخبارا تشاركه فيـه امتـه بقوله اليوم نختم على افواههم وذلك ان الكفار يجحدون ويطلبون شهيـدا عليهم من انفسهم حسبما ورد فى الحديث الصحيح فعنـد ذلك يختم الله تعالى على افواههم ويامر جوارحهم بالشهادة فتشهد * وقوله سبحانه ولو نشاء لطمسنا على اعينهم الضمير فى اعينهم لكفار قريش ومعنى الآية تبيين انهم فى قبضـة القدرة وبمدرج العذاب قال الحسن وقتادة اراد الاعين حقيقة والمعنى لاعميناهم فلايرون كيف يمشون ويؤيد هذا مجانسـة المسخ للعمى الحقيقي * وقوله فاستبقـوا الصراط معناه على الفرض والتقدير كانه قال ولو شئنا لاعميناهم فاحسب او قدر انهم يستبقون الصراط وهو الطريق فانى لهم بالابصار وقـد اعميناهم وعبارة الثعلبي وقال الحسن والسدي ولو نشاء لتركناهم عميا يترددون فكيف يبصرون الطريق حينئذ انتهى وقال ابن عباس اراد اعين البصائر والمعنى لو شئنا لختمنا عليهم بالكفر فلم يهتد منهم احد ابدا وبين تعالى فى تنكيسه المعمرين وان ذلك مما لا يقدر عليه الا هو سبحانه وتنكيسه تحول خلقه من القوة الى الضعف ومن الفهم الى البله ونحو ذلك ثم اخبر تعالى عن حال نبيه محمد عليه السلام رادا على مـن قال من الكفرة انـه شاعر وان القرءان شعر بقوله وما علمناه الشعر الآيـة *

وقوله تعالى لتنذر من كان حيا اي حي القلب والبصيرة ولم يكن ميتا لكفره وهذه استعارة قال الضحاك من كان حيا معناه عاقلا ويحق القول معناه يحتم العذاب ويجب الخلود * وقوله تعالى اولم يروا انا خلقنا الآية مخاطبة لقريش ايضا * وقوله ايدينا عبارة عن القدرة والله تعالى منزه عن الجارحة * وقوله تعالى فهم لها مالكون تنبيه على النعمة * وقوله وهم لهم جند محضرون اي يحضرون لهم فى الآخرة على معنى التوبيخ والنقمة وسمى الاصنام جندا اذ هم عدة للنقمة من الكفرة ثم انس الله نبيه عليه السلام بقوله فلا يحزنك قولهم وتوعد الكفرة بقوله انا نعلم ما يسرون وما يعلنون * وقوله تعالى اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة الآية والصحيح فى سبب نزول الآية هو ما رواه ابن وهب عن مالك وقاله ابن اسحاق وغيره ان ابي بن خلف جاء بعظم رميم ففتته فى وجه النبي صلى الله عليه وسلم وحياله وقال من يحي هذا يامحمد ولابي هذا مع النبي صلى الله عليه وسلم مقامات ومقالات الى ان قتله النبي صلى الله عليه وسلم بيده يوم احد طعنه بحربة فى عنقه * وقوله ونسي خلقه يحتمل ان يكون نسيان الذهول ويحتمل ان يكون نسيان الترك والرميم البالى المتفتت وهو الرفات ثم دلهم سبحانه على الاعتبار بالنشأة الاولى ثم عقب تعالى بدليل ثالث فى ايجاد النار فى العود الاخضر المرتوى ماء وهذا هو زناد العرب والنار موجودة فى كل عود غير انها فى المتخلخل المفتوح المسام اوجد وكذلك هو المَرْخ والعَفار وجمع الضمير جمع من يعقل فى قوله مثلهم من حيث ان السموات والارض متضمنة من يعقل من الملائكة والثقلين هذا تاويل جماعة وقيل مثلهم عائد على الناس وباقى الآية بين

تفسير سورة والصافات وهي مكية

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله عز وجل والصافات صفا الآية اقسم تعالى فى هذه الآية باشياء من مخلوقاته قال ابن مسعود وغيره الصافات هي الملائكة تصف فى السماء فى عبادة الله عز وجل وقالت فرقة المراد صفوف بنى ءادم فى القتال فى سبيل الله قال (ع) واللفظ يحتمل ان يعم هذه المذكورات كلها قال مجاهد والزاجرات هي الملائكة ترجر السحاب وغير ذلك من مخلوقات الله تعالى وقال قتادة الزاجرات هي ءايات القرءان والتاليات ذكرا معناه القارئات قال مجاهد اراد الملائكة التى تتلو ذكره وقال قتادة اراد بنى ءادم الذين يتلون كتبه المنزلة وتسبيحه وتكبيره ونحو ذلك والمقسم عليه قوله ان الهكم لواحد * وقوله مارد قال العراقي مارد سخط عليه وهكذا مريد انتهى وهذا لفظه والملا الاعلى اهل السماء الدنيا فما فوقها وسمي الكل منهم اعلى بالاضافة الى ملإ الارض الذي هو اسفل والضمير فى يسعون للشياطين وقرأ حمزة وعاصم فى رواية حفص لايسمعون بشد السين والميم بمعنى لا يتسمعون فينتفى على قراءة الجمهور سماعهم وان كانوا يستمعون وهو المعنى الصحيح ويعضده قوله تعالى انهم عن السمع لمعزولون ويقذفون معناه يرجمون والدحور الاصفار والاهانة لان الدحر هو الدفع بعنف وقال البخاري ويقذفون يرمون ودحورا مطردين وقال ابن عباس مدحورا مطرودا انتهى والواصب الدائم قاله مجاهد وغيره وقال ابو صالح الواصب الموجع ومنه الوصب والمعنى هذه الحال هي

الغالبة على جميع الشياطين الا من شذ فخطف خبرا اونبأ فاتبعه شهاب فاحرقه والثاقب النافذ بضوءه وشعاعه المنير قاله قتادة وغيره ✲ وقوله تعالى فاستفتهم اهم اشد خلقا امن خلقنا اي فلا يمكنهم ان يقولوا الا ان خلق من سواهم من الامم والملائكة والجن والسموات والارض والمشارق والمغارب وغير ذلك هو اشد من هؤلاء المخاطبين وبان الضمير فى خلقنا يراد به ماتقدم ذكره قال مجاهد وقتادة وغيرهما ويؤيده مافى مصحف ابن مسعود ام من عددنا وكذلك قرأ الاعمش ✲ وقوله تعالى انا خلقناهم من طين اي خلق اصلهم وهو ءادم عليه السلام واللازب اللازم يلزم ماجاوره ويلصق به وهو الصلصال بل عجبت يامحمد من اعراضهم عن الحق وقرأ حمزة والكسائي بل عجبت بضم التاء وذلك على ان يكون تعالى هو المتعجب ومعنى ذلك من الله تعالى انه صفة فعل ونحوه قوله صلى الله عليه وسلم يعجب الله من الشاب ليست له صبوة فانما هي عبارة عما يظهره الله تعالى فى جانب المتعجب منه من التعظيم او التحقير حتى يصير الناس متعجبين منه قال الثعلبي قال الحسين ابن الفضل التعجب من الله انكار الشيء وتعظيمه وهو لغة العرب انتهى ✲ وقوله ويسخرون اي وهم يسخرون من نبوتك ✲ وقوله واذا رأوا آية يستسخرون يريد بالآية العلامة والدلالة وروي انها نزلت فى ركانة وهو رجل من المشركين من اهل مكة لقيه النبي صلى الله عليه وسلم فى جبل خال وهو يرعى غنما له وكان اقوى اهل زمانه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ياركانة ارأيت ان صرعتك اتومن بى قال نعم فصرعه النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثا ثم عرض عليه ءايات من دعاء شجرة واقبالها ونحو ذلك مما اختلفت فيه الفاظ الحديث فلما فرغ ذلك لم يومن وجاء الى مكة فقال يابنى هاشم ساحروا بصاحبكم اهل الارض فنزلت هذه الآية فيه وفى نظرائه ويستسخرون قال مجاهد وقتادة

معناه يسخرون ثم امر تعالى نبيه ان يجيب تقريرهم واستفهامهم عن البعث بنعم وان يزيدهم فى الجواب انهم مع البعث فى صَغار وذلة واستكانة والداخر الصاغر الذليل وقد تقدم بيانه غير ما مرة والزجرة الواحدة هي نفخة البعث قال العراقي الزجرة الصيحة بانتهار انتهى والدين الجزاء واجمع المفسرون على ان قوله تعالى هذا يوم الفصل الذى كنتم به تكذبون ليس هو من قول الكفرة وانما المعنى يقال لهم * وقوله وازواجهم معناه انواعهم وضرباؤهم قاله عمر وابن عباس وقتادة ومعهم ما كانوا يعبدون من دون الله من آدمي رضي بذلك ومن صنم ووثن توبيخا لهم واظهارا لسوء حالهم وقال الحسن ازواجهم نساؤهم المشركات وقاله ابن عباس ايضا * وقوله تعالى فاهدوهم معناه قدموهم واحملوهم على طريق الجحيم ثم يامر الله تعالى بوقوفهم على جهة التوبيخ لهم والسؤال قال جمهور المفسرين يسئلون عن اعمالهم ويوقفون على قبحها وقد تقدم قوله صلى الله عليه وسلم لا تزول قدما عبد الحديث قال (ع) ويحتمل عندى ان يكون المعنى على نحو ما فسره تعالى بقوله مالكم لا تناصرون اي انهم مسئولون عن امتناعهم عن التناصر وهذا على جهة التوبيخ وقرأ خالد لا تتناصرون (ت) قال عياض فى المدارك كان ابو اسحاق الجبنياني ظاهر الحزن كثير الدمعة يسرد الصيام قال ولده ابو الطاهر قال لى ابي ان انسانا بقي فى ءاية سنة لم يتجاوزها وهي قوله تعالى وقفوهم انهم مسئولون فقلت له انت هو فسكت فعلمت انه هو وكان اذا دخل فى الصلاة لو سقط البيت الذى هو فيه ما التفت اقبالا على صلاته واشتغالا بمناجاة ربه وكان رحمه الله من اشد الناس تضييقا على نفسه ثم على اهله وكان ياكل البقل البري والجراد اذا وجده ويطحن قوته بيده شعيرا ثم يجعله بنخالته دقيقا فى قدر مع ما وجد من بقل بري وغيره حتى انه ربما رمى بشيء منه لكلب او هر فلا ياكله

وكان لباسه يجمعه من خرق المزابل ويرقعه وكان يتوطأ الرمل وفى الشتاء ياخذ قفاف المعاصر الملقاة على المزابل يجعلها تحته قال ولده ابو الطاهر وكنا اذا بقينا بلا شيء نقتاته كنت اسمعه فى الليل يقول

ما لى تلاد ولا استطرفت من نشب * وما أأمل غير الله من احد
ان القنوع بحمد الله يمنعنى * من التعرض للمنانة النكد

انتهى * وقوله تعالى واقبل بعضهم على بعض يتساءلون هذه الجماعة التى يقبل بعضها على بعض هي جن وانس قاله قتادة وتساؤلهم هو على معنى التقريع واللوم والتسخط والقائلون انكم كنتم تاتوننا اما ان يكون الانس يقولونها للشياطين وهذا قول مجاهد وابن زيد واما ان يكون ضعفة الانس يقولونها للكبراء والقادة واضطرب المتأولون فى معنى قولهم عن اليمين فعبر ابن زيد وغيره عنه بطريق الجنة ونحو هذا من العبارات التى هي تفسير بالمعنى ولا يختص بنفس اللفظة والذى يخصها معان منها ان يريد باليمين القوة اي تحملوننا على طريق الضلالة بقوة ومنها ان يريد باليمين اليمن اي تاتوننا من جهة النصائح والعمل الذى يتيمن به ومن المعانى التى تحتملها الآية ان يريدوا انكم كنتم تجيئوننا من جهة الشهوات واكثر ما يتمكن هذا التاويل مع اغواء الشياطين وقيل المعنى تحلفون لنا فاليمين على هذا القسم وقد ذهب بعض العلماء فى ذكر ابليس جهات بنىءادم فى قوله من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم الى ما ذكرناه من جهة الشهوات ثم اخبر تعالى عن قول الجن المجيبين لهؤلاء بقولهم بل لم تكونوا مومنين اي ليس الامر كما ذكرتم بل كان لكم اكتساب الكفر وما كان لنا عليكم حجة وبنحو هذا فسر قتادة وغيره انه قول الجن الى غاوين ثم اخبر تعالى بانهم جميعا فى العذاب مشتركون وان هذا فعله باهل الجرم والكفر * وقوله سبحانه انهم كانوا اذا قيل لهم لااله الاالله

الآيـة (ت) جاء فى فضل لااله الاالله احاديث كثيرة فمنها ما رواه ابو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال قال موسى يارب علمنى شيأ اذكرك بـه وادعوك به قال قل ياموسى لااله الاالله قال يارب كل عبادك يقول هذا قال قل لااله الا الله قال انما اريد شيأ تخصنى به قال ياموسى لو ان السموات السبع والارضين السبع فى كفة ولااله الا الله فى كفـة مالت بهن لا اله الا الله رواه النساءي وابن حبان فى صحيحـه واللفظ لابن حبان وعنه صلى الله عليـه وسلم قال وقول لااله الا الله لا تتـرك ذنبا ولا يشبهها عمل رواه الحاكم فى المستـدرك عـلى الصحيحين وقال صحيـح الاسنـاد انتهـى مـن السـلاح والطائفـة التى قالت ائنا لتاركـوا ءالهتنا لشـاعر مجنون هي قريـش واشارتهم بالشاعر الى النبي صلى الله عليه وسلم فرد الله عليهم بقوله بل جاء بالحق وصـدق المرسلين الذين تقـدموه ثم اخبر تعالى مخاطبا لهم بقوله انكم لذائقوا العذاب الاليم الآيـة * وقوله تعالى الاعباد الله المخلصين استثناء منقـطع وهؤلاء المومنون * وقوله معلوم معناه عنـدهم * وقوله بيضـاء يحتمـل ان يعود على الكاس ويحتمل ان يعود على الخمر وهو اظهر قال الحسن خمر الجنـة اشد بياضا من اللبن وفى قراءة ابن مسعود صفراء فهذا وصف الخمر وحـدها والغول اسم عام فى الاذى وقال ابن عباس وغيره الغول وجع فى البطن وقال قتادة هو صداع فى الرأس وينزفون من قولك نزف الرجل اذا سكر وباذهاب العقل فسره ابن عباس وقرأ حمزة والكساءي ينزفون بكسـر الزاي مـن انزف وله معنيان احدهما سكر والثانى نفد شرابـه وهذا كله منفـي عـن اهل الجنة وقاصرات الطرف قال ابن عباس وغيره معناه على ازواجهن اي لاينظرن الى غيرهـم وعين جمع عيناء وهي الكبيرة العينين فى جمال * وقوله تعالى كانهن بيض مكنون قال ابن جبير والسدي شبـه الوانهن بلون قشر البيضـة

الداخلي وهو المكنون اي المصون ورجحه الطبري وقال الجمهور شبه الوانهن بلون قشر البيضة من النعام وهو بياض قد خالطته صفرة حسنة ومكنون اي بالريش وقال ابن عباس فيما حكى الطبري البيض المكنون اراد بـه الجوهـر المصون قال (ع) وهـذا يرده لفظ الآيـة فلا يصح عـن ابن عباس * وقوله تعالى فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون قال قائل منهم الآية هذا التساؤل الذى بين اهل الجنة هو تساؤل راحة وتنعم يتذاكرون امورهم فى الجنة وامر الدنيا وحال الطاعة والايمان فيها ثم اخبر تعالى عـن قول قائل منهم فى قصته وهو مثال لكل مـن له قرين سوء فيعطى هذا المثال التحفظ مـن قرناء السوء قال الثعلبي قوله انى كان لى قرين قال مجاهد كان شيطانا انتهى وقال ابن عباس وغيره كان هـذان من البشر مومن وكافر وقال فرات بن ثعلبة البَهراني فى قصص هـذين انهما كانا شريكين بثمانيـة ٠الاف دينار فكان احـدهما مشغولا بعبادة الله وكان الآخر كافرا مقبلا على ماله فحل الشركة مع المومن وبقي وحده لتقصير المومـن فى التجارة وجعل الكافر كلما اشترى شيأ مـن دار او جارية او بستان ونحوه عرضه على المومن وفخر عليه فيمضى المومن عند ذلك ويتصدق بنحو ذلك ليشتري به من الله تعالى فى الجنة فكان من امرهما فى الآخرة ما تضمنتـه هذه الآية وحكى السهيلي ان هذين الرجلين هما المذكوران فى قوله تعالى واضرب لهم مثلا رجلـين جعلنا لاحدهما جنتين مـن اعناب الآية انتهى ومـدينون معناه مجازون محاسبون قاله ابن عباس وغيره * وقوله تعالى قال هل انتم مطلعون الآية فى الكلام حذف تقديره فقال لهذا الرجل حاضروه من الملائكة ان قرينك هذا فى جهنم يعذب فقال عند ذلك هل انتم مطلعون يخاطب بانتم الملائكة او رفقاءه فى الجنة اوخدمتـه وكل هـذا حكى المهدوي وقـرأ ابو عمرو في روايـة حسين مطلعون بسكون الطاء وفتح

النون وقرئ شاذا مطلعون بسكون الطاء وكسر النون قال ابن عباس وغيره سواء الجحيم وسطه فقال له المومن عند ذلك تالله ان كدت لتردينى اي لتهلكنى باغوائك والردى الهلاك وقول المومن افما نحن بميتين الى قوله بمعذبين يحتمل ان تكون مخاطبة لرفقائه فى الجنة لما رأى مانزل بقرينه ونظر الى حاله فى الجنة وحال رفقائه قدر النعمة قدرها فقال لهم على جهة التوقيف على النعمة افما نحن بميتين ولا معذبين ويجيء على هذا التاويل قوله ان هذا لهو الفوز العظيم الى قوله العاملون متصلا بكلامه خطابا لرفقائه ويحتمل قوله افما نحن بميتين ان تكون مخاطبة لقرينه على جهة التوبيخ كانه يقول اين الذى كنت تقول من انا نموت وليس بعد الموت عقاب ولا عذاب ويكون قوله تعالى ان هذا لهو الفوز العظيم الى قوله العاملون يحتمل ان يكون من خطاب المومن لقرينه واليه ذهب قتادة ويحتمل ان يكون من خطاب الله تعالى لمحمد عليه السلام وامته ويقوى هذا قوله لمثل هذا فليعمل العاملون وهو حض على العمل والآخرة ليست بدار عمل * وقوله تعالى اذلك خير نزلا ام شجرة الزقوم المراد بالآية تقرير قريش والكفار قال (ع) وفى بعض البلاد الجدبة المجاورة للصحارى شجرة مرة مسمومة لها لبن ان مس جسم احد تورم ومات منه فى اغلب الامر تسمى شجرة الزقوم والتزقم فى كلام العرب البلع على شدة وجهد * وقوله تعالى انا جعلناها فتنة للظالمين قال قتادة ومجاهد والسدي يريد ابا جهل ونظراءه وقد تقدم بيان ذلك * وقوله تعالى كانه رءوس الشياطين اختلف فى معناه فقالت فرقة شبه طلعها بثمر شجرة معروفة يقال لها رءوس الشياطين وهي بناحية اليمن يقال لها الأَسْتَن وقالت فرقة شبه برءوس صنف من الحيات يقال لها الشياطين وهي ذوات اعراف وقالت فرقة شبه بما استقر فى النفوس من كراهة رءوس الشياطين وقبحها وان كانت لاترى

لان الناس اذا وصفوا شيأ بغاية القبح قالوا كانه شيطان ونحو هذا قول امرئ القيس

ايقتلني والمشرفي مضاجعي * ومسنونة زرق كانياب اغوال

فانما شبه بما استقر فى النفوس من هيئتها والشوب المزاج والخلط قاله ابن عباس وقتادة والحميم السخن جدا من الماء ونحوه فيريد به هاهنا شرابهم الذى هو طينة الخبال صديدهم وما ينماع منهم هذا قول جماعة من المفسرين * وقوله تعالى ثم ان مرجعهم لإلى الجحيم كقوله تعالى يطوفون بينها وبين حميم آن * وقوله سبحانه انهم الفوا آباءهم الآية تمثيل لقريش ويهرعون معناه يسرعون قاله قتادة وغيره وهذا تكسبهم للكفر وحرصهم عليه * وقوله تعالى فانظر كيف كان عاقبة المنذرين يقتضى الاخبار بانه عذبهم ولذلك حسن الاستثناء فى قوله الاعباد الله المخلصين ونداء نوح تضمن اشياء كطلب النصرة والدعاء على قومه وغير ذلك قال ابو حيان وقوله فلنعم المجيبون جواب قسم كقوله * يمينا لنعم السيدان وجدتما * والمخصوص بالمدح محذوف اي فلنعم المجيبون نحن انتهى * وقوله تعالى وجعلنا ذريته هم الباقين قال ابن عباس وقتادة اهل الارض كلهم من ذرية نوح وقالت فرقة ان الله تعالى ابقى ذرية نوح ومد نسله وليس الامر بان اهل الدنيا انحصروا الى نسله بل فى الامم من لا يرجع اليه والاول اشهر عن علماء الامة وقالوا نوح هو آدم الاصغر قال السهيلي ذكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال فى قوله عز وجل وجعلنا ذريته هم الباقين انهم سام وحام ويافث انتهى * وقوله تعالى وتركنا عليه فى الآخرين معناه ثناء حسنا جميلا باقيا آخر الدهر قاله ابن عباس وغيره وسلام رفع بالابتداء مستانف سلم الله به عليه ليقتدي بذلك البشر (ت) قال ابو عمر فى التمهيد قال سعيد يعنى ابن

عبد الرحمن الجمحي بلغني انه من قال حين يمسى سلام على نوح فى العالمين لم تلدغه عقرب ذكر هذا عند قول النبي صلى الله عليه وسلم للاسلمي الذى لدغته عقرب اما لو انك قلت حين امسيت اعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم تضرك ان شاء الله قال ابو عمر وروى ابن وهب هذا الحديث عن مالك يعني حديث اعوذ بكلمات الله التامات باسناده مثل ما فى الموطإ الا انه قال فى ءاخره لم يضرك شيء انتهى * وقوله تعالى ثم اغرقنا الآخرين قال جماعة من العلماء ان الغرق عم جميع الناس واسندوا فى ذلك احاديث قالوا ولم يكن الناس حينئذ بهذه الكثرة لان عهد ءادم كان قريبا وكانت دعوة نوح ونبوته قد بلغت جميعهم لطول المدة واللبث فيهم فتمادوا على كفرهم ولم يقبلوا ما دعاهم اليه من عبادة الرحمن فلذلك اغرق الله جميعهم * وقوله تعالى وان من شيعته قال ابن عباس وغيره الضمير عائد على نوح والمعنى فى الدين والتوحيد وقال الطبري وغيره عن الفراء الضمير عائد على محمد والاشارة اليه * وقوله ائفكا استفهام بمعنى التقرير اي اكذبا ومحالا ءالهة دون الله تريدون * وقوله فما ظنكم توبيخ وتحذير وتوعد * وقوله تعالى فنظر نظرة فى النجوم روي ان قومه كان لهم عيد يخرجون اليه فدعوا ابراهيم عليه السلام الى الخروج معهم فنظر حينئذ واعتذر بالسقم واراد البقاء ليخالفهم الى الاصنام وروي ان علم النجوم كان عندهم منظورا فيه مستعملا فاوهمهم هو من تلك الجهة قالت فرقة وقوله انى سقيم من المعاريض الجائزة * وقوله تعالى فراغ الى ءالهتهم راغ معناه مال * وقوله الا تاكلون هو على جهة الاستهزاء بعبدة تلك الاصنام ثم مال عند ذلك الى ضرب تلك الاصنام بفاس حتى جعلها جذاذا واختلف فى معنى قوله باليمين فقال ابن عباس اراد يمنى يديه وقيل اراد بقوته لانه كان يجمع يديه معا بالفاس وقيل اراد باليمين القسم فى قوله وتالله لاكيدن اصنامكم

والضمير فى اقبلوا لكفار قومه ويزفون معناه يسرعون واختلف المتأولون فى قوله وما تعملون فمذهب جماعة من المفسرين ان ما مصدرية والمعنى ان الله خلقكم واعمالكم وهذه الآية عندهم قاعدة فى خلق الله تعالى افعال العباد وهو مذهب اهل السنة وقالت فرقة ما بمعنى الذى والبنيان قيل كان فى موضع ايقاد النار وقيل بل كان للمنجنيق الذى رمي عنه والله اعلم * وقوله انى ذاهب الى ربى الآية قالت فرقة كان قوله هذا بعد خروجه من النار وانه اشار بذهابه الى هجرته من ارض بابل حيث كانت مملكة نمرود فخرج الى الشام وقالت فرقة قال هذه المقالة قبل ان يطرح فى النار وانما اراد لقاء الله لانه ظن ان النار سيموت فيها وقال سيهدين اي الى الجنة نحا الى هذا المعنى قتادة قال (ع) وللعارفين بهذا الذهاب تمسك واحتجاج فى الصفاء وهو محمل حسن فى انى ذاهب وحده والتاويل الاول اظهر فى نمط الآية بما ياتى بعد لان الهداية معه تترتب والدعاء فى الولد كذلك ولا يصح مع ذهاب الموت وباقى الآية تقدم قصصها وان الراجح ان الذبيح هو اسماعيل وذكر الطبري ان ابن عباس قال الذبيح اسماعيل وتزعم اليهود انه اسحاق وكذبت اليهود وذكر ايضا ان عمر بن عبد العزيز سأل عن ذلك رجلا يهوديا كان اسلم وحسن اسلامه فقال الذبيح هو اسماعيل وان اليهود لتعلم ذلك ولكنهم يحسدونكم معشر العرب ان تكون هذه الآيات والفضل والله فى ابيكم والسعي فى هذه الآية العمل والعبادة والمعونة قاله ابن عباس وغيره وقال قتادة السعي على القدم يريد سعيا متمكنا وهذا فى المعنى نحو الاول * وقوله انـي ارى فى المنام الآية يحتمل ان يكون رأى ذلك بعينه ورؤيا الانبياء وحي وعين له وقت الامتثال ويحتمل انه امر فى نومه بذبحه فعبر عن ذلك بقوله انى ارى اي ارى ما يوجب ان اذبحك قال ابن العربي فى احكامه

واعلم ان رؤيا الانبياء وحي فما القي اليهم ونفث به الملك فى روعهم وضرب المثل له عليهم فهو حق ولذلك قالت عائشة وما كنت اظن انه ينزل في قرءان يتلى ولكنى رجوت ان يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤيا يبرئنى الله بها وقد بينا حقيقة الرؤيا وان البارى تعالي يضربها مثلا للناس فمنها اسماء وكنى فمنها رؤيا تخرج بصفتها ومنها رؤيا تخرج بتاويل وهو كنيتها ولما استسلم ابراهيم وولده اسماعيل عليهما السلام لقضاء الله اعطي ابراهيم ذبيحا فداء وقيل له هذا فداء ولدك فامتثل فيه ما رأيت فانه حقيقة ما خطبناك فيه وهو كناية لا اسم وجعله مصدقا للرؤيا بمبادرة الامتثال انتهى * وقوله تعالى فلما اسلما اي اسلما انفسهما واستسلما لله عز وجل وقرأ ابن عباس وجماعة سلما والمعنى فوضا اليه فى قضائه وقدره سبحانه فاسلم ابراهيم ابنه واسلم الابن نفسه قال بعض البصريين جواب لما محذوف تقديره فلما اسلما وتله للجبين اجزل اجرهما ونحو هذا مما يقتضيه المعنى وتله معناه وضعه بقوة ومنه الحديث فى القدح فتله رسول الله صلى الله عليه وسلم فى يده اي وضعه بقوة وللجبين معناه لتلك الجهة وعليها كما يقولون فى المثل * وخر صريعا لليدين وللفم * وكما تقول سقط لشقه الايسر والجبينان ما اكتنف الجبهة من هاهنا ومن هاهنا وان من قوله ان يا ابراهيم مفسرة لاموضع لها من الاعراب وصدقت الرؤيا يحتمل ان يريد بقلبك اوبعملك والرؤيا اسم لما يرى من قبل الله تعالى والمنام والحلم اسم لما يرى من قبل الشيطان ومنه الحديث الصحيح الرؤيا من الله والحلم من الشيطان والبلاء الاختبار والذبح العظيم فى قول الجمهور كبش ابيض اعين وجده وراءه مربوطا بسمرة واهل السنة على ان هذه القصة نسخ فيها العزم على الفعل خلافا للمعتزلة قال احمد بن نصر الداودي وان نسخ الله اية قبل العمل بها فانما ينسخها بعد اعتقاد قبولها وهو عمل انتهى

من تفسيره عند قوله تعالى ما ننسخ من آية قال (ع) ولا خلاف ان ابراهيم امر الشفرة على حلق ابنه فلم تقطع والجمهور ان امر الذبح كان بمنى وقال الشعبي رأيت قرني كبش ابراهيم معلقتين فى الكعبة وروى عمران بن حصين ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يا فاطمة قومى لاضحيتك فاشهديها فانه يغفر لك عند اول قطرة من دمها كل ذنب عملتيه وقولي ان صلاتى ونسكى ومحياي ومماتي لله رب العالمين لاشريك له وبذلك امرت وانا من المسلمين قال عمران قلت يارسول الله هذا لك ولاهل بيتك خاصة ام للمسلمين عامة قال لا بل للمسلمين عامة رواه الحاكم فى المستدرك انتهى من السلاح * وقوله تعالى وظالم لنفسه توعد لمن كفر من اليهود بمحمد عليه السلام والكتاب المستبين هو التوراة قال قتادة وابن مسعود الياس هو ادريس عليه السلام وقالت فرقة هو من ولد هارون وقرأ نافع وابن عامر على ءال ياسين وقرأ الباقون على الياسين بالف مكسورة ولام ساكنة فوجهت الاولى على انها بمعنى اهل وياسين اسم لالياس وقيل هو اسم لمحمد عليه السلام ووجهت الثانية على انها جمع الياسي وقرأ ابن مسعود والاعمش وان ادريس لمن المرسلين وسلام على ادريسين قال السهيلي قال ابن جني العرب تتلاعب بالاسماء الاعجمية تلاعبا فياسين والياس والياسين شيء واحد انتهى (ت) وحكى الثعلبي هنا حكاية عن عبد العزيز بن ابي رواد عن رجل لقي الياس فى ايام مروان بن الحكم واخبره بعدد الابدال وعن الخضر فى حكاية طويلة لاينبغى انكار مثلها فاولياء الله يكاشفون بعجائب فلا يحرم الانسان التصديق بها جعلنا الله من زمرة اوليائه انتهى * وقوله اتدعون بعلا معناه اتعبدون قال الحسن والضحاك وابن زيد بعل اسم صنم كان لهم ويقال له بعلبك وذكر ابن اسحاق عن فرقة ان بعلا اسم امرأة كانت اتتهم بضلالة وقرأ حمزة والكساءي وعاصم الله ربكم

ورب ءابائكم كل ذلك بالنصب بدلا مـن قوله احسن الخالقين وقرأ الباقون كل ذلك بالرفع على القطع والاستيناف والضمير فى كـذبوه عائـد على قـوم الياس ومحضرون معناه مجموعون لعذاب الله * وقـوله تـعالى وانكم لتمـرون عليهم مخاطبة لقريش ثم وبخهم بـقوله افلا تـعقلون * وقوله تـعالى وان يونس الآيـة هو يونس بن متى صلى الله عليه وسلم وهو من بنى اسراءيل * وقـوله تعالى اذ ابق الآية وذلك انه لما اخبر قومه بوقت مجيء العذاب وغاب عنهم ثم ان قـومـه لما رأوا مخايـل العـذاب انابوا الى الله فـقبل توبتهم فلما مضى وقت العذاب ولم يـصبهم قال يـونس لاارجع اليهم بوجه كـذاب وروي انـه كان فى سيرتهم ان يقتلوا الكذاب فابق الى الفلك اي اراد الهـروب ودخـل فى البحر وعبر عن هروبه بالاباق من حيث انه فر عن غير اذن مـولاه فـروي عن ابن مسعود انه لما حصل فى السفينة وابعدت فى البحر ركدت ولم تجر وغيرها من السفن يجرى يـمينا وشمالا فقال اهلها ان فينا لصاحب ذنب وبـه يحبسنا الله تـعالى فـقالوا لنقترع فاخذوا لكل واحد سهما واقترعوا فوقـعت القـرعـة على يونــس ثلاث مرات فـطرح حنيـئذ نـفسه والتـقمـه الحـوت وروي ان الله تـعالى اوحى الى الحوت انى لم اجعل يونــس لك رزقا وانما جعلت بـطنك له حرزا وسجنا فهذا معنى فساهم والمدحض المغـلوب فى محاجـة او مساهمـة وعبارة ابن العربي فى الاحكام واوحى الله تـعالى الى الحوت انا لم نجعـل يونس لك رزقا وانما جعلنا بطنك له مسجدا الحديث انتهى ولفظة مسجـد احسـن من السجن فرحم الله عبدا لزم الادب لاسيما مع انبيائـه واصفيائـه والمـليم الذى اتى ما يـلام عليه وبذلك فسر مجاهد وابن زيـد * وقوله سبحانه فلـولا انه كان من المسبحين قيل المراد القائلين سبحان الله فى بـطـن الحوت قاله ابن جريج وقالت فرقة بـل التسبيـح هنا الصلاة قال ابن عباس وغيره صلاتـه فى

وقت الرخاء نفعته فى وقت الشدة وقال هذا جماعة من العلماء وقال الضحاك بن قيس على منبره اذكروا الله عباد الله فى الرخاء يذكركم فى الشدة ان يونس كان عبدا لله ذاكرا له فلما اصابته الشدة نفعه ذلك قال الله عز وجل فلولا انه كان من المسبحين للبث فى بطنه الى يوم يبعثون وان فرعون كان طاغيا باغيا فلما ادركه الغرق قال ءامنت فلم ينفعه ذلك فاذكروا الله فى الرخاء يذكركم فى الشدة وقال ابن جبير الاشارة بقوله من المسبحين الى قوله لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين * وقوله سبحانه فنبذناه بالعراء الآية العراء الارض الفيحاء التى لاشجر فيها ولا معلم قال ابن عباس وغيره فى قوله وهو سقيم انه كالطفل المنفوس بضعة لحم وقال بعضهم كاللحم النيء الا انه لم ينقص من خلقه شيء فانعشه الله فى ظل اليقطينة بلبن اُرْوِية كانت تغاديه وتراوحه وقيل بل كان يتغذى من اليقطينة ويجد منها الوان الطعام وانواع شهواته قال ابن عباس وابو هريرة وعمرو بن ميمون اليقطين القرع خاصة وقيل كل ما لا يقوم على ساق كالبقول والقرع والبطيخ ونحوه مما يموت من عامه ومشهور اللغة ان اليقطين هو القرع فنبت لحم يونس عليه السلام وصح وحسن لونه لان ورق القرع انفع شيء لمن تسلخ جلده وهو يجمع خصالا حميدة برد الظل ولين الملمس وان الذباب لا يقربها حكى النقاش ان ماء ورق القرع اذا رش به مكان لم يقربه ذباب وروي انه كان يوما نائما فايبس الله تلك اليقطينة وقيل بعث عليها الارضة فقطعت ورقها فانتبه يونس لحر الشمس فعز عليه شأنها وجزع له فاوحى الله اليه يا يونس جزعت ليبس اليقطينة ولم تجزع لا هلاك مائة الف او يزيدون تابوا فتبت عليهم * وقوله تعالى وارسلناه الى مائة الف او يزيدون قال الجمهور ان هذه الرسالة هي رسالته الاولى ذكرها الله فى ءاخر القصص وقال قتادة وغيره هذه رسالة اخرى

بعد ان نبذ بالعراء وهي الى اهل نينوى من ناحية الموصل وقرأ الجمهور او يزيدون فقال ابن عباس او بمعنى بل وروي عنه انه قرأ بل يزيدون وقالت فرقة او هنا بمعنى الواو وقرأ جعفر بن محمد ويزيدون وقال المبرد وكثير من البصريين قوله او يزيدون المعنى على نظر البشر وحزرهم اي من رءاهم قال مائة الف او يزيدون وروى ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم انهم كانوا مائة وعشرين الفا (ت) وعبارة احمد بن نصر الداودي وعن ابي بن كعب قال سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن الزيادتين الحسنى وزيادة وارسلناه الى مائة الف او يزيدون قال يزيدون عشرين الفا واحسبه قال الحسنى الجنة والزيادة النظر الى وجه الله عز وجل انتهى وفى قوله فءامنوا فمتعناهم الى حين مثال لقريش ان آمنوا ومن هنا حسن انتقال القول والمحاورة اليهم بقوله فاستفتهم فانما يعود على ضميرهم على ما فى المعنى من ذكرهم والاستفتاء السؤال وهو هنا بمعنى التقريع والتوبيخ فى جعلهم البنات لله تعالى الله عن قولهم ثم اخبر الله تعالى عن فرقة منهم بلغ بها الافك والكذب الى ان قالت ولد الله الملائكة لانه نكح فى سروات الجن تعالى الله عن قولهم وهذه فرقة من بنى مدلج فيما روي وقرأ الجمهور اصطفى البنات بهمزة الاستفهام على جهة التقريع والتوبيخ * وقوله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا الجنة هنا قيل هم الملائكة لانها مستجنة اي مستترة وقيل الجنة هم الشياطين والضمير فى جعلوا لفرقة من كفار قريش والعرب ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون اي ستحضر امر الله وثوابه وعقابه ثم نزه تعالى نفسه عما يصفه الكفرة ومن هذا استثنى عباده المخلصين لانهم يصفونه بصفاته العلى وقالت فرقة استثناهم من قوله لمحضرون وعبارة الثعلبي ولقد علمت الجنة اي الملائكة ان قائلى هذه المقالة من الكفرة لمحضرون فى النار وقيل للحساب والاول اولى لان الاحضارمتى

جاء فى هذه الصورة عني به المذاب الاعباد الله المخلصين فانهم ناجون من النار انتهى وفى البخاري لمحضرون اي سيحضرون للحساب انتهى * وقوله تعالى فانكم وما تعبدون بمنى قل لهم يامحمد انكم واصنامكم ما انتم بمضلين احدا بسببها وعليها الا من قد سبق عليه القضاء فانه يصلى الجحيم فى الآخرة وليس لكم اضلال من هدى الله تعالى وقالت فرقة عليه بمنى به والفاتن المضل فى هذا الموضع وكذلك فسره ابن عباس وغيره وحذفت الياء من صال للاضافة ثم حكى سبحانه قول الملائكة وما منا الاله مقام معلوم وهذا يؤيد ان الجنة اراد بها الملائكة وتقدير الكلام وما منا ملك وروت عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان السماء ما فيها موضع قدم الاوفيه ملك ساجد او واقف يصلى وعن ابن مسعود وغيره نحوه والصافون معناه الواقفون صفوفا والمسبحون يحتمل ان يريد به الصلاة ويحتمل ان يريد قول سبحان الله قال الزهراوي قيل ان المسلمين انما اصطفوا فى الصلاة مذ نزلت هذه الآية ولا يصصف احد من اهل الملل غير المسلمين ثم ذكر تعالى مقالة بعض الكفار قال قتادة وغيره فانهم قبل نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قالوا لو كان لنا كتاب او جاءنا رسول لكنا عباد الله المخلصين فلما جاءهم محمد كفروا به فسوف يعلمون وهذا وعيد محض ثم انس تعالى نبيه واولياءه بان القضاء قد سبق والكلمة قد حقت بان رسله سبحانه هم المنصورون على من ناواهم وجند الله هم الغزاة * وقوله تعالى فتول عنهم امر لنبيه بالموادعة ووعد جميل وحتى حين قيل هو يوم بدر وقيل يوم القيامة * وقوله تعالى وابصرهم فسوف يبصرون وعد للنبي صلى الله عليه وسلم ووعيد لهم ثم وبخهم على استعجال العذاب فاذا نزل اي العذاب بساحتهم فساء صباح المنذرين والساحة الفناء وسوء الصباح ايضا مستعمل فى ورود الغارات (ت) ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم لما اشرف على خيبر

الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين انتهى وقرأ
ابن مسعود فبيس صباح والعزة فى قوله رب العزة هي العزة المخلوقة الكائنة
للانبياء والمومنين وكذلك قال الفقهاء من اجل انها مربوبة قال محمد بن
سحنون وغيره من حلف بعزة الله فان كان اراد صفته الذاتية فهي يمين وان
كان اراد عزته التى خلق بين عباده وهي التى فى قوله رب العزة فليست بيمين
وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا سلمتم علي فسلموا على المرسلين
فانما انا احدهم صلى الله عليه وعلى ءاله وعلى جميع النبيئين وسلم

تفسير سورة ص وهي مكية باجماع

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قرأ ابي بن كعب والحسن وابن ابي اسحاق صاد بكسر الدال والمعنى ماثل
القرءان بعملك وقاربه بطاعتك وكذا فسره الحسن اي انظر اين عملك منه
وقال الجمهور انه حرف معجم يدخله ما يدخل اوائل السور من الاقوال
ويختص هذا بان قال بعض الناس معناه صدق محمد وقال الضحاك معناه
صدق الله وقال محمد بن كعب القرظي هو مفتاح اسماء الله صمد صادق
ونحوه * وقوله والقرءان ذى الذكر قسم قال ابن عباس وغيره معناه ذى
الشرف الباقى المخلد وقال قتادة ذى التذكرة للناس والهداية لهم وقالت فرقة
ذى الذكر للامم والقصص والغيوب (ت) ولا مانع من ان يراد الجميع قال
(ع) واما جواب القسم فاختلف فيه فقالت فرقة الجواب فى قوله ص اذ هو
بمعنى صدق الله او صدق محمد وقال الكوفيون والزجاج الجواب فى قوله ان

ذلك لحق تخاصم اهل النار وقال بعض البصريين ومنهم الاخفش الجواب فى قوله ان كل الا كذب الرسل قال (ع) وهذان القولان بعيدان وقال قتادة والطبري الجواب مقدر قبل بل وهذا هو الصحيح تقديره والقرءان ما الامر كما يزعمون ونحو هذا من التقدير فتدبره وقال ابو حيان الجواب انك لمن المرسلين وهو ما اثبت جوابا للقرءان حين اقسم به انتهى وهو حسن قال ابو حيان وقوله فى عزة هي قراءة الجمهور وعن الكساءي بالغين المعجمة والراءاي فى غفلة انتهى والعزة هنا المعازة والمغالبة والشقاق ونحوه اي هم فى شق والحق فى شق وكم للتكثير وهي خبر فيه مثال ووعيد وهي فى موضع نصب باهلكنا * وقوله فنادوا معناه مستغيثين والمعنى انهم فعلوا ذلك بعد المعاينة فلم ينفعهم ذلك ولم يكن فى وقت نفع ولات بمعنى ليس واسمها مقدر عند سيبويه تقديره ولات الحين حين مناص والمناص المفرناص ينوص اذا فروفات قال ابن عباس المعنى ليس بحين نزو ولا فرار ضبط القوم والضمير فى عجبوا لكفار قريش * قوله تعالى وانطلق الملأ منهم ان امشوا واصبروا على ءالهتكم الآية روي فى قصص هذه الآية ان اشراف قريش اجتمعوا عند مرض ابى طالب وقالوا ان من القبيح علينا ان يموت ابو طالب ونوذى محمدا بعده فتقول العرب تركوه مدة عمه فلما مات ءاذوه ولكن لنذهب الى ابى طالب فينصفنا منه ويربط بيننا وبينه ربطا فنهضوا اليه فقالوا ياابا طالب ان محمدا يسب ءالهتنا ويسفه ءاراءنا ونحن لا نقاره على ذلك ولكن افصل بيننا وبينه فى حياتك بان يقيم فى منزله يعبد ربه الذى يزعم ويدع ءالهتنا وسبها ولا يعرض لاحد منا بشيء من هذا فبعث ابو طالب الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يامحمد ان قومك قد دعوك الى النصفة وهي ان تدعهم وتعبد ربك وحدك فقال او غير ذلك ياعم قال وما هو قال يعطونني كلمة تدين لهم بها العرب

وتؤدى اليهم الجزيـة بها العجم قالوا وما هي فانا نبادر اليهـا قال لا اله الا الله فنفروا عند ذلك وقالوا ما يرضيك منا غير هذا قال والله لو اعطيتمونى الارض ذهبا ومالا وفى روايـة لو جعلتم الشمس فى يمينى والقمـر فى شمالى ما ارضانى منكم غيرها فقاموا عنـد ذلك وبعضهم يقول لبعض اجعل الآلهـة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب ويرددون هذا المعنى وعقبـة بن ابى معيط يقول امشوا واصبروا على الهتكم فقوله تعالى وانطلق الملأ عبارة عن خروجهم عن ابى طالب وانطلاقهم من ذلك الجمع هذا قول جماعة مـن المفسرين * وقوله ان امشوا نقل الامام الفخران انْ بمعـنى اي انتهى وقولهم ان هذا لشيء يراد يريدون ظهور محمد وعلوه اي يراد منا الانقياد له وان نكـون له اتباعا ويريـدون بالملة الآخرة ملة عيسى قاله ابن عبـاس وغيره وذلك انهـا ملة شهـر فيها التثليث ثم توعدهم سبحانـه بقوله بل لما يذوقوا عـذاب اي لو ذاقوه لتحققـوا ان هذه الرسالة حق * وقوله تعالى ام عندهم خزائن رحمة ربك الآية عبارة الثعلبي ام عندهم خزائن رحمة ربك يعنى مفاتيح النبوءة حتى يعطوا من اختاروا نظيرها اهم يقسمون رحمة ربك ام لهم ملك السموات والارض ومابينهما يعنى ان ذلك لله تعالى يصطفى من يشاء فليرتقوا فى الاسباب فليصعدوا فـيما يوصلهم الى السموات فليأتوا منها بالوحي الى من يختارون وهذا امر توبيخ وتعجيز انتهى ونحوه كلام (ع) ثم وعد الله نبيه النصر فقال جنـد ماهنالك مهزوم اي مغلوب ممنوع من الصعود الى السماء من الاحزاب اي من جملة الاحزاب قال (ع) وهذا تاويل قوي وقالت فرقـة الاشارة بهنالك الى حماية الاصنام وعضدها اي هؤلاء القوم جند مهزوم فى هذه السبيل وقال مجاهد الاشارة بهنالك الى يوم بدر وهي من الامور المغيبة اخبر بها عليه السلام وما فى قوله جند مازائدة موكدة وفيها تخصيص وباقى الآية بين وقال ابو حيان جند خبر مبتدإ محذوف اي هم جند ومازائدة اوصفة

اريد بها التعظيم على سبيل الهزء بهم اوالاستخفاف لان الصفة تستعمل على هذين المعنيين وهنا لك ظرف مكان يشار به الى البعيد فى موضع صفة لجند اي كائن هنا لك او متعلق بمهزوم انتهى * وقوله تعالى وما ينظر هؤلاء اي ينتظر الاصيحة واحدة قال قتادة توعدهم سبحانه بصيحة القيامة والنفخ فى الصور قال الثعلبي وقد روي هذا التفسير مرفوعا وقالت طائفة توعدهم الله بصيحة يهلكون بها فى الدنيا ما لها من فواق قرأ الجمهور بفتح الفاء وقرأ حمزة والكسائي فواق بضم الفاء قال ابن عباس هما بمعنى اي ما لها من انقطاع وعودة بل هي متصلة حتى تهلكهم ومنه فواق الحلب وهو المهلة التى بين الشخبين وقال ابن زيد وغيره المعنى مختلف فالضم كما تقدم من معنى فواق الناقة والفتح بمعنى الافاقة اي لا يفيقون فيها كما يفيق المريض والمغشي عليه والقط الحظ والنصيب والقط ايضا الصك والكتاب من السلطان بصلة ونحوه واختلف فى القط هنا ما ارادوا به فقال ابن جبير ارادوا به عجل لنا نصيبنا من الخير والنعيم فى دنيانا وقال ابو العالية ارادوا عجل لنا صحفنا بايماننا وذلك لما سمعوا فى القرءان ان الصحف تعطى يوم القيامة بالايمان والشمائل وقال ابن عباس وغيره ارادوا ضد هذا من العذاب ونحوه وهذا نظير قولهم فامطر علينا حجارة من السماء قال (ع) وعلى كل تاويل فكلامهم خرج على جهة الاستخفاف والهزء * واذكر عبدنا داود ذا الايد اي فتأس به ولا تلتفت الى هؤلاء والايد القوة فى الدين والشرع والصدع به والاواب الرجاع الى طاعة الله وقاله مجاهد وابن زيد وفسره السدي بالمسبح وتسبيح الجبال هنا حقيقة والاشراق ضياء الشمس وارتفاعها وفى هذين الوقتين كانت صلاة بنى اسراءيل قال الثعلبي وليس الاشراق طلوع الشمس وانما هو صفاؤها وضوءها انتهى قال ابن العربي فى احكامه قال ابن عباس ما كنت اعلم صلاة الضحى فى القرءان

حتى سمعت الله تعالى يقول يسبحن بالعشي والاشراق قال ابن العربي اما صلاة الضحى فهي فى هذه الآية نافلة مستحبة ولا ينبغى ان تصلى حتى تتبين الشمس طالعة قد اشرق نورها وفى صلاة الضحى احاديث اصولها ثلاثة الاول حديث ابى ذر وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يصبح على كل سلامى من ابن ءادم صدقة تسليمه على من لقي صدقة وامره بالمعروف صدقة ونهيه عن المنكر صدقة واماطته الاذى عن الطريق صدقة وبضعه اهله صدقة ويجزئ من ذلك كله ركعتان من الضحى الثانى حديث سهل بن معاذ بن انس الجهني عن ابيه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قعد فى مصلاه حين ينصرف من صلاة الصبح حتى يسبح ركعتي الضحى لا يقول الاخيرا غفرت خطاياه وان كانت اكثر من زبد البحر الثالث حديث ام هانئ ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى يوم الفتح ثماني ركعات انتهى (ت) وروى ابو عيسى الترمذي وغيره عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى الفجر فى جماعة ثم قعد يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين كانت له كاجر حجة وعمرة تامة قال الترمذي حديث حسن انتهى قال الشيخ ابو الحسن ابن بطال فى شرحه للبخاري وعن زيد بن اسلم قال سمعت عبد الله بن عمر يقول لابى ذر اوصنى ياعم قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سألتنى فقال من صلى الضحى ركعتين لم يكتب من الغافلين ومن صلى اربعا كتب من العابدين ومن صلى ستا لم يلحقه ذلك اليوم ذنب ومن صلى ثمانيا كتب من القانتين ومن صلى ثنتي عشرة ركعة بنى الله له بيتا فى الجنة انتهى والطير عطف على الجبال اي وسخرنا الطير ومحشورة معناه مجموعة والضمير فى له قالت فرقة هو عائد على الله عز وجل فكل على هذا يراد به داود والجبال والطير وقالت فرقة هو عائد على داود فكل على

هذا يراد به الجبال والطير * وقوله تعالى وشددنا ملكه عبارة عامـة لجميع ما وهبه الله تعالى من قوة وجند ونعمة وفصلُ الخطاب قال ابن عباس وغيره هو فصل القضاء بين الناس بالحق واصابته وفهمه وقال الشعبي اراد قول امابعد فانه اول مـن قالها قال (ع) والذى يعطيـه اللفظ انـه آتاه الله فصل الخطاب بمعنى انه اذا خاطب فى نازلة فصل المعنى واوضحه لا ياخذه فى ذلك حصَر ولا ضعف * وقوله تعالى وهل اتاك نبأ الخصم الآية مخاطبـة للنبي صلى الله عليـه وسلم واستفتحت بالاستفهام تعجيبا من القصة وتفخيما لها والخصم يوصف به الواحـد والاثنـان والجمع وتسوروا معنـاه علوا سوره وهو جمع سورة وهي القطعة من البناء وتحتمل هذه ـيـة ان يكون المتسورَ اثنان فقط فعبر عنهما بلفظ الجمع ويحتمل ان يكون مع كل واحد مـن الخصمين جماعـة والمحراب الموضع الارفع مـن القصر او المسجد وهو موضع التعبد وانما فزع منهم مـن حيث دخلوا مـن غير الباب ودون استيذان ولا خلاف بين اهل التاويل ان هذا الخصم انما كانوا ملائكـة بعثهم الله ضرب مثل لداود فاختصموا اليه فى نازلة قد وقع هو فى نحوها فافتاهم بفتيا هي واقعة عليه فى نازلته ولما شعروفهم المراد خر راكعا واناب واستغفر واما نازلته التى وقع فيها ففيها للقصاص تطويل فلم نر سوق جميع ذلك لعدم صحته وروي فى ذلك، عن ابن عباس ما معناه ان داود كان فى محرابه يتعبد اذ دخل عليه طائر حسن الهيـئة فمد يده اليه لياخذه فزال مطمعا له من موضع الى موضع حتى اطلع على امرأة لها منظر وجمال فخطر فى نفسه ان لو كانت مـن نسائـه وسأل عنها فاخبر انها امرأة اوريا وكان فى الجهاد فبلغه انه استشهد فخطب المرأة وتزوجها فكانت ام سليمان فيما روي عن قتادة فبعث الله الخصم ليفتي قالت فرقـة من العلماء وانما وقعت المعاتبـة على همه ولم يقع منـه شيء سوى الهم وكان لداود فيما روي تسع وتسعون امرأة

وفى كتب بنى اسراءيل فى هذه القصة صور لاتليق وقد قال علي بن ابى طالب من حدث بما قال هؤلاء القُصاص فى امر داود جلدته حدين لما ارتكب من حرمة من رفع الله قدره * وقوله خصمان تقديره نحن خصمان وبغى معناه اعتدى واستطال ولاتشطط معناه ولاتتعد فى حكمك وسواء الصراط معناه وسطه * وقوله ان هذا اخى اعراب اخى عطف بيان وذلك ان ما جرى من هذه الاشياء صفة كالخلق والخلق وسائر الاوصاف فانه نعت محض والعامل فيه هو العامل فى الموصوف وما كان منها مما ليس يوصف به بتة فهو بدل والعامل فيه مكرر اي تقديرا يقال جاءنى اخوك زيد فالتقدير جاءنى اخوك جاءنى زيد وما كان منها مما لايوصف به واحتيج الى ان يبين به ويجرى مجرى الصفة فهو عطف بيان والنعجة فى هذه الآية عبر بها عن المرأة والنعجة فى كلام العرب تقع على انثى بقر الوحش وعلى انثى الضأن وتعبر العرب بها عن المرأة * وقوله اكفلنيها اي ردها فى كفالتى وقال ابن كيسان المعنى اجعلها كفلى اي نصيبى وعزنى معناه غلبنى ومنه قول العرب من عز بز اي من غلب سلب ومعنى قوله فى الخطاب اي كان اوجه منى فاذا خاطبته كان كلامه اقوى من كلامى وقوته اعظم من قوتى ويروى انه لما قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك تبسما عند ذلك وذهبا ولم يرهما لحينه فشمر حينئذ للامر ويروى انهما ذهبا نحو السماء بمرأى منه والخلطاء الشركاء فى الاملاك والامور وهذا القول من داود وعظ وبسط لقاعدة حق ليحذر الخصم من الوقوع فى خلاف الحق * وقوله تعالى الا الذين ءامنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم قال ابو حيان وقليل خبر مقدم وما زائدة تفيد معنى التعظيم انتهى وروى ابن المبارك فى رقائقه بسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اشد الاعمال ذكر الله على كل حال والانصاف من نفسك ومواساة الاخ فى المال انتهى *

وقوله تعالى وظن داود انما فتناه معناه شعر للامر وعلمه وفتناه اي ابتليناه وامتحناه وقال البخاري قال ابن عباس فتناه اي اختبرناه واسند البخاري عن مجاهد قال سألت ابن عباس عن سجدة ص اين تسجد فقال او ما تقرأ ومن ذريته داود وسليمان الى قوله اولائك الذين هدى الله فبهداهم اقتده فكان داود ممن امر نبيكم ان يقتدي به فسجدها داود فسجدها رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى فتأمله وما فيه من الفقه وقرأ ابو عمرو فى رواية علي ابن نصر فتناه بتخفيف التاء والنون على اسناد الفعل للخصمين اي امتحناه عن امرنا قال ابو سعيد الخدري رأيتني فى النوم اكتب سورة ص فلما بلغت قوله وخر راكعا واناب سجد القلم ورأيتني فى منام آخر وشجرة تقرأ سورة ص فلما بلغت هذا سجدت وقالت اللهم اكتب لى بها اجرا وحط عنى بها وزرا وارزقني بها شكرا وتقبلها مني كما تقبلتها من عبدك داود فقال النبي صلى الله عليه وسلم وسجدت انت ياابا سعيد قلت لا قال انت كنت احق بالسجدة من الشجرة ثم تلا النبي الله الآيات حتى بلغ واناب فسجد وقال كما قالت الشجرة واناب معناه رجع (ت) وحديث سجود الشجرة رواه الترمذي وابن ماجه والحاكم وابن حبان فى صحيحيهما وقال الحاكم هو من شرط الصحة انتهى من السلاح والزلفى القربة والمكانة الرفيعة والمئاب المرجع فى الآخرة من آب يئوب اذا رجع * وقوله تعالى ياداود انا جعلناك خليفة فى الارض تقدير الكلام وقلنا له ياداود قال (ع) ولا يقال خليفة الله الا لرسوله واما الخلفاء فكل واحد خليفة للذى قبله وما يجيء فى الشعر من تسمية احدهم خليفة الله فذلك تجوز وغلو الاترى ان الصحابة رضي الله عنهم حرزوا هذا المعنى فقالوا لابى بكر خليفة رسول الله وبهذا كان يدعى مدة خلافته فلما ولي عمر قالوا ياخليفة خليفة رسول الله فطال الامر ورأوا انه فى المستقبل سيطول اكثر

فدعوه امير المومنين وقصر هذا الاسم على الخلفاء * وقوله فيضلك قال ابو
حيان منصوب فى جواب النهي (ص) ابو البقاء وقيل مجزوم عطفا على النهي
وفتحت اللام لالتقاء الساكنين انتهى * وقوله سبحانه ان الذين يضلون
عن سبيل الله الى قوله وليتذكر اولوا الالباب اعتراض فصيح بين الكلامين
من امر داود وسليمان وهو خطاب لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعظة لامته
ونسوا فى هذه الآية معناه تركوا ثم وقف تعالى على الفرق عنده بين المومنين
العاملين بالصالحات وبين المفسدين الكفرة وبين المتقين والفجار وفى هذا
التوقيف حض على الايمان والتقوى وترغيب فى عمل الصالحات قال ابن العربي
نفى الله تعالى المساواة بين المومنين والكافرين وبين المتقين والفجار فلا مساواة
بينهم فى الآخرة كما قاله المفسرون ولا فى الدنيا ايضا لان المومنين المتقين
معصومون دما ومالا وعرضا والمفسدون فى الارض والفجار مباحو الدم والمال
والعرض فلا وجه لتخصيص المفسرين بذلك فى الآخرة دون الدنيا انتهى
من الاحكام وهذا كما قال وقوله تعالى فى الآية الاخرى سواء محياهم ومماتهم
يشهد له وباقى الآية بين * وقوله تعالى كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا
ءاياته قال الغزالي فى الاحياء اعلم ان القرءان من اوله الى ءاخره تحذير وتخويف
لا يتفكر فيه متفكر الا ويطول حزنه ويعظم خوفه ان كان مومنا بما فيه وترى
الناس يهذونه هذا يخرجون الحروف من مخارجها ويتناظرون على خفضها
ورفعها ونصبها لا يهمهم الالتفات الى معانيها والعمل بما فيها وهل فى العلم غرور
يزيد على هذا انتهى من كتاب ذم الغرور واختلف المتأولون فى قصص هذه
الخيل المعروضة على سليمان عليه السلام فقال الجمهور ان سليمان عليه السلام
عرضت عليه ءالاف من الخيل تركها ابوه فاجريت بين يديه عشاء فتشاغل
بجريها ومحبتها حتى فاته وقت صلاة العشي فأسف لذلك وقال ردوا علي الخيل

فطفق يمسح سوقها واعناقها بالسيف قال الثعلبي وغيره وجعل ينحرها تقربا الى الله تعالى حيث اشتغل بها عن طاعته وكان ذلك مباحا لهم كما ابيح لنا بهيمة الانعام قال (ع) فروي ان الله تعالى ابدله منها اسرع منها وهي الريح قال ابن العربي فى احكامه والخير هنا هي الخيل وكذلك قرأها ابن مسعود اني احببت حب الخيل انتهى والصافن الذى يرفع احدى يديه وقد يفعل ذلك برجله وهي علامة الفراهية وانشد الزجاج

الف الصفون فما يزال كأنه * مما يقوم على الثلاث كسيرا

قال بعض العلماء الخير هنا اراد به الخيل والعرب تسمى الخيل الخير وفى مصحف ابن مسعود حب الخيل باللام والضمير فى توارت للشمس وان كان لم يتقدم لها ذكر لان المعنى يقتضيها وايضا فذكر العشي يتضمنها وقال بعض المفسرين حتى توارت بالحجاب اي الخيل دخلت اصطبلاتها وقال ابن عباس والزهري مسحه بالسوق والاعناق لم يكن بالسيف بل بيده تكريما لها ورجحه الطبري وفى البخاري فطفق مسحا يمسح اعراف الخيل وعراقيبها انتهى وعن بعض العلماء ان هذه القصة لم يكن فيها فوت صلاة وقالوا عرض على سليمان الخيل وهو فى الصلاة فاشار اليهم اي انى فى صلاة فازالوها عنه حتى ادخلوها فى الاصطبلات فقال هو لما فرغ من صلاته اني احببت حب الخير اي الذى عند الله فى الآخرة بسبب ذكر ربى كانه يقول فشغلني ذلك عن رؤية الخيل حتى ادخلت اصطبلاتها ردوها علي فطفق يمسح اعرافها وسوقها تكرمة لها اي لانها معدة للجهاد وهذا هو الراجح عند الفخر قال ولو كان معنى مسح السوق والاعناق قطعها لكان معنى قوله وامسحوا برءوسكم وارجلكم قطعها (ت) وهذا لا يلزم للقرينة فى الموضعين اه قال ابو حيان وحب الخير قال الفراء مفعول به واحببت مضمن معنى آثرت وقيل منصوب على المصدر التشبيهي اي حبا مثل حب

الخير انتهى * وقوله عن ذكر ربي عن على كل تاويل هنا للمجاوزة من شي؛ الى شي؛ وتدبره فانه مطرد * وقوله تعالي ولقد فتنا سليمان الآية (ت) اعلم رحمك الله ان الناس قد اكثروا فى قصص هذه الآية بما لا يوقف على صحته وحكى الثعلبي فى بعض الروايات ان سليمان عليه السلام لما فتن سقط الخاتم من يده وكان فيه ملكه فاعاده الى يده فسقط وايقن بالفتنة وان ءاصف بن برخيا قال له يانبي الله انك مفتون ولذلك لا يتماسك الخاتم فى يدك اربعة عشر يوما ففر الى الله تعالى تائبا من ذنبك وانا اقوم مقامك فى عالمك ان شاء الله تعالى الى ان يتوب الله تعالى عليك ففر سليمان هاربا الى ربه منفردا لعبادته واخذ ءاصف الخاتم فوضعه فى يده فثبت وقيل ان الجسد الذى قال الله تعالى والقينا على كرسيه جسدا هو ءاصف كاتب سليمان وهو الذى عنده علم من الكتاب واقام ءاصف فى ملك سليمان وعياله يسير بسيرته الحسنة ويعمل بعمله اربعة عشر يوما الى ان رجع سليمان الى منزله تائبا الى الله تعالى ورد الله تعالى عليه ملكه فاقام ءاصف عن مجلسه وجلس سليمان على كرسيه واعاد الخاتم وقال سعيد بن المسيب ان سليمان بن داود عليهما السلام احتجب عن الناس ثلاثة ايام فاوحى الله اليه ان ياسليمان احتجبت عن الناس ثلاثة ايام فلم تنظر فى امور عبادي ولم تنصف مظلوما من ظالم وذكر حديث الخاتم كما تقدم انتهى وهذا الذى نقلناه اشبه ما ذكر واقرب الى الصواب والله اعلم وقال عياض قوله تعالى ولقد فتنا سليمان معناه ابتليناه وابتلاؤه هو ما حكي فى الصحيح انه قال لاطوفن الليلة على مائة امرأة كلهن ياتين بفارس يجاهد فى سبيل الله ولم يقل ان شاء الله فلم تحمل منهن الا امرأة جاءت بشق رجل الحديث قال اصحاب المعانى والشق هو الجسد الذى القي على كرسيه حين عرض عليه وهي كانت عقوبته ومحنته وقيل بل مات والقي على كرسيه ميتا واما عدم استثنائه فاحسن

الاجوبة عنه ما روي في الحديث الصحيح انـه نسي ان يقول ان شاء الله ولا يصح ما نقله الاخباريون من تشبه الشيطان به وتسلطه على ملكه وتصرفه فى امته لان الشياطين لا يسلطون على مثل هذا وقد عصم الانبياء من مثله انتهى (ت) قال ابن العربي والقينا على كرسيه جسدا يعنى جسده لا اجساد الشياطين كما يقوله الضعفاء انتهى من كتاب تفسير الافعال له قال ابن العربي فى احكامه وما ذكره بعض المفسرين مـن ان الشيطان اخـذ خاتمـه وجلس مجلسه وحكم الخلق على لسانـه قول باطل قطعا لان الشياطين لا يتصورون بصور الانبياء ولا يمكنون من ذلك حتى يظن الناس انهم مع نبيهم فى حق وهم مع الشياطين فى باطل ولو شاء ربك لوهب من المعرفة والدين لمن قال هذا القول ما يزعه عن ذكره ويمنعه من ان يسطره فى ديوان من بعده انتهى * وقوله وهب لى ملكا لا ينبغي لاحد الآية قال (ع) من المقطوع بـه ان سليمان عليـه السلام انما قصد بذلك قصدا برا لان للانسان ان يرغب من فضل الله فيما لا يناله احد لا سيما بحسب المكانة والنبوءة * وقوله تعالى فسخرنا له الريح الآية كان لسليمان كرسي فيه جنوده وتاتى عليه الريح الاعصار فتنقله من الارض حتى يحصل فى الهواء ثم تتولاه الرخاء وهي اللينة القوية لا تاتى فيها دُفَع مفرطة فتحمله غدوها شهر ورواحها شهر وحيث اصاب معنـاه حيث اراد قاله وهب وغيره قال (ع) ويشبـه ان اصاب معدى صاب يصوب اي حيث وجه جنوده وقال الزجاج معناه قصد (ت) وعليه اقتصر ابو حيان فانه قال اصاب اي قصد وانشد الثعلبي

اصـاب الكـلام فلم يستطـع * فاخطـا الجواب لدى المِفْصَـل

انتهى * وقوله كل بناء بدل مـن الشياطين ومقرنين معناه موثقين قد قرن بعضهم ببعض والاصفاد القيود والاغلال قال الحسـن والاشارة بقوله هـذا عطاؤنا الآية الى جميع ما اعطاه الله سبحانه مـن الملك وامره بان يمن على مـن

يشاء ويمسك عن من يشاء فكانه وقفه على قدر النعمة ثم اباح له التصرف فيه بمشيئته وهذا اصح الاقوال واجمعها لتفسير الآية وتقدمت قصة ايوب فى سورة الانبياء * وقوله انى مسني الشيطان بنصب الآية النصب المشقة فيحتمل ان يشير الى مسه حين سلطه الله على اهلاك ماله وولده وجسمه حسبما روي فى ذلك وقيل اشار الى مسه اياه فى تعرضه لاهله وطلبه منها ان تشرك بالله فكان ايوب تشكى هذا الفصل وكان عليه اشد من مرضه وهنا فى الآية محذوف تقديره فاستجاب له وقال اركض برجلك فروي ان ايوب ركض الارض فنبعت له عين ماء صافية باردة فشرب منها فذهب كل مرض فى داخل جسده ثم اغتسل فذهب ما كان فى ظاهر بدنه وروي ان الله تعالى وهب له اهله وماله فى الدنيا ورد من مات منهم وما هلك من ماشيته وحاله ثم بارك له فى جميع ذلك وروي ان هذا كله وعد به فى الآخرة والاول اكثر فى قول المفسرين (ت) وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال عبد قط اذا اصابه هم او حزن اللهم انى عبدك وابن عبدك وابن امتك ناصيتى بيدك ماض فيحكمك عدل في قضاؤك اسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك او انزلته فى كتابك او علمته احدا من خلقك او استاثرت به فى علم الغيب عندك ان تجعل القرءان العظيم ربيع قلبى ونور صدرى وجلاء حزنى وذهاب همى الا اذهب الله غمه وابدله مكان حزنه فرحا قالوا يارسول الله ينبغى لنا ان نتعلم هذه الكلمات قال اجل ينبغى لمن سمعهن ان يتعلمهن قال صاحب السلاح رواه الحاكم فى المستدرك وابن حبان فى صحيحه (ت) ورويناه من طريق النووي عن ابن السني بسنده عن ابى موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم وفيه انا عبدك ابن عبدك ابن امتك فى قبضتك وفيه فقال رجل من القوم ان المغبون لمن غبن هؤلاء

الكلمات فقال اجل فقولوهن وعلموهن من قالهن التماس ما فيهن اذهب الله تعالى حزنه واطال فرحه انتهى * وقوله وذكرى معناه موعظة وتذكرة يعتبر بها اولوا العقول ويتأسون بصبره فى الشدائد ولاييئسون من رحمة الله على حال وروي ان ايوب عليه السلام كانت زوجته مدة مرضه تختلف اليه فيتلقاها الشيطان فى صورة طبيب ومرة فى هيئة ناصح وعلى غير ذلك فيقول لها لو سجد هذا المريض للصنم الفلاني لبرئ لو ذبح عَناقا للصنم الفلاني لبرئ ويعرض عليها وجوها من الكفر فكانت هي ربما عرضت شيأ من ذلك على ايوب فيقول لها لقيت عدو الله فى طريقك فلما اغضبته بهذا ونحوه حلف عليها لئن برئ من مرضه ليضربنها مائة سوط فلما برئ امره الله تعالى ان ياخذ ضغثا فيه مائة قضيب والضغث القبضة الكبيرة من القضبان ونحوها من الشجر الرطب قاله الضحاك واهل اللغة فيضرب به ضربة واحدة فتبر يمينه وهذا حكم قد ورد فى شرعنا عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله فى حد الزنا لرجل زمن فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بعذق نخلة فيه شماريخ مائة او نحوها فضرب ضربة ذكر الحديث ابو داود وقال بهذا بعض فقهاء الامة وليس يرى ذلك مالك بن انس واصحابه وكذلك جمهور العلماء على ترك القول به وان الحدود والبر فى الايمان لاتقع الا بتمام عدد الضربات وقرأ الجمهور اولى الايدى يعنى اولى القوة فى طاعة الله قاله ابن عباس ومجاهد وقالت فرقة معناه اولى الايدى والنعم التى اسداها الله اليهم من النبوءة والمكانة والابصار عبارة عن البصائر اي يبصرون الحقائق وينظرون بنور الله تعالى وقرأ نافع وحده بخالصة ذكرى الدار على الاضافة وقرأ الباقون بخالصة على تنوين خالصة فذكرى على هذه القراءة بدل من خالصة فيحتمل ان يكون معنى الآية انا اخلصناهم بان خلص لهم التذكير بالدار الآخرة ودعاء الناس اليها وهذا قول قتادة وقيل المعنى انا اخلصناهم

بان خلص لهم ذكرهم للدار الآخرة وخوفهم لها والعمل بحسب ذلك وهـذا
قول مجاهد وقال ابن زيد المعنى انا وهبناهم افضل ما فى الدار الآخرة واخلصناهم
بـه واعـطيناهم اياه ويحتمل ان يريـد بالدار دار الدنيا على معنى ذكـر الثنـاء
والتعظيم مـن الناس * وقوله تعالى هـذا ذكر يحتمـل معنيين احـد هما ان
يشير الى مدح من ذكر وابقاء الشرف له فيتأيد بهذا قول مـن قال ان الدار
يراد بها الدنيا والثانى ان يشير بهذا الى القرءان اي ذكر للعالم وجنات بدل من
حسن مـئاب ومفتحة نعت لجنات والابواب مفعول لم يسم فاعله وباقى الآيـة
بين * وقوله سبحانه هذا وان للطاغين لشر مـئاب الآية التقدير الامر هذا
ويحتمل ان يكون التقدير هذا واقع او نحوه والطغيان هنا فى الكفر * وقوله
تعالى هـذا فليذوقوه حميم وغساق قرأ الجمهور غساق بتخفيف السين وهو
اسم بمعنى السائل قال قتادة الغساق ما يسيل من صديد اهل النار قال(ص) الغساق
السائل وعن ابى عبيدة ايضا البارد المنتن بلغة الترك انتهى قال الفخر هـذا
فليذوقوه حميم وغساق فيه وجهان الاول على التقديم والتاخير والتقدير هـذا
حميم وغساق اي منه حميم وغساق انتهى (ت) والوجه الثانى ان الآيـة ليس
فيها تقديم ولاتاخير وهو واضح وقرأ الجمهور وءاخر بالافراد اي ولهم عذاب
آخر ومعنى من شكله اي من مثله وضربه وقرأ ابو عمرو وحده واخر على الجمع
وازواج معناه انواع والمعنى لهم حميم وغساق واغذية اخر من ضرب ماذكـر *
وقوله تعالى هذا فوج هو مما يقال لاهل النار اذا سيق عامة الكفار والاتباع
اليها لان رؤساءهم يدخلون النار اولا والاظهر ان قائل ذلك لهم ملائكـة
العذاب وهو الذى حكاه الثعلبي وغيره ويحتمـل ان يكون ذلك من قول
بعضهم لبعض فيقول البعض الآخر لامرحبا بهم اي لاسعة مكان ولا خير يلقونه *
وقوله بل انتم لاءمرحبابكم حكاية لقول الاتبـاع لرؤسائهم اي انتم قدمتموه

لنا باغوائكم واسلفتم لنامااوجب هذا قال العراقي

مقتحم اي داخـل بشـده * مجـاوز لمـا اقتحمْ بالشـده

انتهـى * وقوله تعـالى قالوا ربنـا من قدم لنـا هذا الآيـة هو حكايـة لقول الاتباع ايضا دعوا على رؤسائهم بان يكون عذابهم مضاعفا * وقوله تعالى وقالوا ما لنا لانرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار الآية الضمير فى قالوا لاشراف الكفار ورؤسائهم وهذا مطرد فى كل امة وروي ان قائلى هذه المقالة اهل القليب كابي جهل وامية بن خلف وعتبـة بن ربيعة ومن جـرى مجراهم وان الرجال الذين يشيرون اليهم هم كعمار بن ياسر وبلال وصهيب ومن جرى مجراهم قاله مجاهد وغيره والمعنى كنا فى الدنيا نعدهم اشـرارا وقرأ حمـزة والكسائي وابو عمـرو اتخذناهم بصلة الالف على ان يـكون ذلك فى موضع الصفـة لرجال وقرأ الباقـون اتخذناهم بـهمـزة الاستفهام ومعناها تـقـرير انفسهم على هذا على جهة التوبيخ لها والاسف اي اتخذناهم سخريا ولم يكونوا كذلك وقـرأ نافع وحمزة والكسائي سخريا بضم السين من السخرة والاستخدام وقـرأ الباقـون سخريا بكسر السين ومعناها المشهور من السخر الذى هو بمعنى الهزء وقولهم ام زاغت معادلة لما فى قولهم ما لنالا نرى والتقدير فى هذه الآيـة امفقـودون هم ام هم معنا ولكن زاغت عنهم ابصارنا فلا نراهم والزيغ الميل ثم اخبر تعالى نبيه بقوله ان ذلك لحق تخاصم اهل النار والاشارة بقوله تعالى قل هو نبأ عظيم الى التوحيـد والمعاد فهي الى القرءان وجميع ما تضمن وعظمه ان التصـديق به نجاة والتكذيب به هلكة ووبخهم بقوله انتم عنه معرضون ثم امر عليه السلام ان يقول محتجا على صحـة رسالتـه ما كان لى من علم بالملإ الاعلى لولا ان الله اخبرنى بذلك والملأ الاعلى اراد بـه الملائكـة واختلف فى الشيء الذى هـو اختصامهم فيه فقالت فرقة اختصامهم فى شأن ءادم كقولهم اتجعل فيها مـن

يفسد فيها ويدل على ذلك ما ياتى من الآيات وقالت فرقة بل اختصامهم فى الكفارات وغفر الذنوب ونحوه فان العبد اذا فعل حسنة اختلفت الملائكة فى قدر ثوابه فى ذلك حتى يقضي الله بما شاء وروي فى هذا حديث فسره ابن فورك يتضمن ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له ربه عز وجل فى نومه اتدرى فيم يختصم الملأ الاعلى قلت لا قال اختصموا فى الكفارات والدرجات فاما الكفارات فاسباغ الوضوء فى الغدوات الباردة ونقل الاقدام الى الجماعات وانتظار الصلاة بعد الصلاة واما الدرجات فافشاء السلام واطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام الحديث قال ابن العربي فى احكامه وقد رواه الترمذي صحيحا وفيه قال سل قال اللهم اني اسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين وان تغفرلى وترحمني واذا اردت فتنة فى قوم فتوفنى غير مفتون واسألك حبك وحب من يحبك وعملا يقرب الى حبك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها حق فارسموها ثم تعلموها انتهى * وقوله ان يوحى الي الا انما انا نذير مبين قال الفراء ان شئت جعلت انما فى موضع رفع كانه قال ما يوحى الي الا الانذار اوما يوحى الي الا انى نذير مبين انتهى وهكذا قال ابو حيان ان بمعنى ما وباقى الآية بين مما تقدم فى البقرة وغيرها * وقوله تعالى بيدي عبارة عن القدرة والقوة * وقوله استكبرت المعنى احدث لك الاستكبار آلآن ام كنت قديما ممن لا يليق ان تكاف مثل هذا لعلو مكانك وهذا على جهة التوبيخ له * وقوله تعالى قال فاخرج منها فانك رجيم وان عليك لعنتي الى يوم الدين قال رب فانظرنى الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم الآية الرجيم اي المرجوم بالقول السيء واللعنة الابعاد * وقوله سبحانه فالحق والحق اقول قال مجاهد المعنى فالحق انا وقرأ الجمهور فالحق والحق بنصب الاثنين فاما الثانى فمنصوب باقول واما الاول

فيحتمل ان ينتصب على الاغراء ويحتمل ان ينتصب على القسم على اسقاط حرف القسم كانه قال فوالحق ثم حذف الحرف كما تقول الله لافعلن تريد والله ويقوى ذلك قوله لاملأن وقد قال سيبويه قلت للخليل ما معنى لافعلن اذا جاءت مبتدأة فقال هي بتقدير قسم منوي وقالت فرقة الحق الاول منصوب بفعل مضمر وقرأ ابن عباس فالحق والحق برفع الاثنين وقرأ عاصم وحمزة فالحق بالرفع والحق بالنصب وهي قراءة مجاهد وغيره ثم امر تعالى نبيه ان يخبرهم بانه ليس بسائل منهم عليه اجرا وانه ليس ممن يتكلف ما لم يجعل اليه ولا يحتلى بغير ما هو فيه قال الزبير بن العوام نادى منادى النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر للذين لا يدعون ولا يتكلفون الا اني بريء من التكلف وصالحو امتى * وقوله ان هو يريد القرءان وذكر بمعنى تذكرة ثم توعدهم بقوله ولتعلمن نبأه بعد حين وهذا على حذف تقديره لتعلمن صدق نبإه بعد حين قال ابن زيد اشار الى يوم القيامة وقال قتادة والحسن اشار الى الآجال التى لهم لان كل واحد منهم يعرف الحقائق بعد موته

تفسير سورة الزمر وهي مكية باجماع

غير ثلاث ءايات نزلت فى شأن وحشي قاتل حمزة بن عبد المطلب وهي قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم الآيات وقالت فرقة الى ءاخر السورة هو مدني وقيل فيها مدني سبع ءايات

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله تعالى تنزيل الكتاب الآية تنزيل رفع بالابتداء والخبر قوله من الله وقالت

فرقـة تنزيل خبر مبتدإ محذوف تقديره هذا تنزيل والاشارة الى القرءان قاله المفسرون ويظهـر لى انـه اسم عام لجميع ما تنزل من عند الله فكانـه اخبر اخبارا مجردا ان الكتب الهادية الشارعـة انما تنزيـلها من الله تـعالى وجعـل هذا الاخبار تقدمة وتوطئة لقـوله انا انزلنا اليك الكتاب * وقـوله بالحـق معناه متضمنا الحق اي بالحق فيه وفى احكامه واخباره والدين هنا يعم المعتقدات واعمال الجوارح قال قتادة والدين الخالص لا اله الا الله * وقوله تـعالى والذين اتخذوا من دونـه اولياء الآيـة اي يقـولون ما نـعبدهم الا ليقـربونا الى الله زلفى وفى مصحف ابن مسعـود قالوا مانـعبدهم وهي قراءة ابن عباس وغيره وهذه المقالة شائعة فى العرب فى الجاهلية يـقولون فى معبوداتهم مـن الاصنام وغيرها ما نـعبدهم الا ليقربونا الى الله قال مجاهد وقد قال ذلك قوم من اليهود فى عزير وقوم من النصارى فى عيسى وزلـفى بمعنى قربـة وتوصلة كانـهم قالوا ليقربونا الى الله تـقريبا وكان هذه الطوائف كـلها ترى نفـوسها اقل من ان تتصل هي بالله فكانت ترى ان تـتصل بمخلوقاتـه وزلفى عند سيبويـة مصدر فى موضع الحال كانـه تنزل منزلة متزلفين والعامل فيه يـقربونا وقرأ الجحدري كـذاب كفار بالمبالغة فيهما وهذه المبالغة اشارة الى التوغل فى الكفر * وقوله تـعالى لو اراد الله ان يتخذ ولدا معناه اتخاذ التشريف والتبنى وعلى هذا يستقيم قـوله تـعالى لاصطـفى ممـا يخلق واما الاتـخـاذ المعهود فى الشاهد فمستحيل ان يتوهـم فى جهة الله تعالى ولا يستقيم عليه معنى قوله لاصطفى ممايخلق وقـوله تعالى وما يـنبغى للرحمـن ان يتخـذ ولدا لفظ يـعم اتخاذ النسل واتخـاذ الاصطفاء فاما الاول فمعقول واما الثانى فمعروف بخبر الشرع ومما يدل على ان معنى قوله ان يتخذ انما المقصـود بـه اتخاذ اصطفاء وتبيّن قوله ممـا يخلـق اي مـن موجوداتـه ومحدثاته ثم نزه سبحانه نفسـه تنزيها مطلقا عن كل مـا لا يـليق بـه

سبحانه * وقوله تعالى يكور الليل على النهار الآية معناه يعيد من هذا على هذا ومنه كور العمامة التي يلتوى بعضها على بعض فكان الذى يطول من النهار او الليل يصير منه على الآخر جزء فيستره وكأن الآخر الذى يقصر يلج فى الذى يطول فيستتر فيه * وقوله تعالى خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها قيل ثم هنا لترتيب الاخبار لا لترتيب الوجود وقيل قوله خلقكم من نفس واحدة هو اخذ الذرية من ظهر ءادم وذلك شيء كان قبل خلق حواء (ت) وهذا يحتاج الى سند قاطع * وقوله سبحانه فى ظلمات ثلاث قالت فرقة الاولى هي ظهر الاب ثم رحم الام ثم المشيمة فى البطن وقال مجاهد وغيره هي المشيمة والرحم والبطن وهذه الآيات كلها فيها عبر وتنبيه على توحيد الخالق الذى لا يستحق العبادة غيره وتوهين لامر الاصنام * وقوله سبحانه ان تكفروا فان الله غني عنكم الآية قال ابن عباس هذه الآية مخاطبة للكفار قال (ع) وتحتمل ان تكون مخاطبة لجميع الناس لان الله سبحانه غني عن جميع الناس وهم فقراء اليه واختلف المتأولون من اهل السنة فى تاويل قوله تعالى ولا يرضى لعباده الكفر فقالت فرقة الرضى بمعنى الارادة والكلام ظاهره العموم ومعناه الخصوص فيمن قضى الله له بالايمان وحتمه له فعباده على هذا ملائكته ومومنو الانس والجن وهذا يتركب على قول ابن عباس وقالت فرقة الكلام عموم صحيح والكفر يقع ممن يقع بارادة الله تعالى الا انه بعد وقوعه لا يرضاه دينا لهم ومعنى لا يرضاه لا يشكره لهم ولا يثيبهم به خيرا فالرضى على هذا هو صفة فعل بمعنى القبول ونحوه وتأمل الارادة فانما هي حقيقة فيما لم يقع بعد والرضى فانما هو حقيقة فيما قد وقع واعتبر هذا فى ءايات القرءان تجده وان كانت العرب قد تستعمل فى اشعارها على جهة التجوز هذا بدل هذا * وقوله تعالى وان تشكروا يرضه لكم عموم والشكر الحقيقي فى ضمنه الايمان قال النووي وروينا

فى سنن ابى داود عن ابى سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
من قال رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا وجبت
له الجنة انتهى * وقوله تعالى واذا مس الانسان ضر دعا ربه الآية الانسان
هنا الكافر وهذه الآية بين تعالى بها على الكفار انهم على كل حال يلجئون
اليه فى حال الضرورات وخوله معناه ملكه وحكمه فيها ابتداء من الله لامجازاة
ولا يقال فى الجزاء خول * وقوله تعالى نسي ما كان يدعوا اليه قالت فرقة
ما مصدرية والمعنى نسي دعاءه اليه فى حال الضرورة ورجع الى كفره وقالت
فرقة ما بمعنى الذى والمراد بها الله تعالى اي نسي الله وعبارة الثعلبي قوله نسي
ما كان يدعوا اليه من قبل اي ترك عبادة الله تعالى والتضرع اليه من قبل فى
حال الضر انتهى وباقى الآية بين * وقوله تعالى امن هو قانت بتخفيف الميم
هي قراءة نافع وابن كثير وحمزة والهمزة للتقرير والاستفهام وكانه يقول اهذا
القانت خير ام هذا المذكور الذى يتمتع بكفره قليلا وهو من اصحاب النار وقرأ
الباقون امن بتشديد الميم والمعنى اهذا الكافر خير امن هو قانت والقانت المطيع
وبهذا فسره ابن عباس رضي الله عنهما والقنوت فى الكلام يقع على القراءة
وعلى طول القيام فى الصلاة وبهذا فسره ابن عمر رضي الله عنهما قال الفخر
قيل ان المراد بقوله امن هو قانت آناء الليل عثمان بن عفان لانه كان يحيي
الليل والصحيح انها عامة فى كل من اتصف بهذه الصفة وفى هذه الآية
تنبيه على فضل قيام الليل انتهى وروي عن ابن عباس انه قال من احب ان
يهون الله عليه الوقوف يوم القيامة فليره الله فى سواد الليل ساجدا وقائما (ت)
قال الشيخ عبد الحق فى العاقبة وعن قبيصة بن سفيان قال رأيت سفيان
الثوري فى المنام بعد موته فقلت له ما فعل الله بك فقال

نظرت الى ربى عيانا فقال لى * هنيئا رضاى عنك يا ابن سعيد

لقد كنت قواما اذا الليل قد دجا * بعبرة محزون وقلب عميد
فدونك فاختر اي قصر تريده * وزرنى فانى منك غير بعيد

وكان شعبة بن الحجاج ومسعر بن كدام رجلين فاضلين وكانا من ثقات المحدثين وحفاظهم وكان شعبة اكبر فماتا قال ابو احمد اليزيدي فرأيتهما فى النوم وكنت الى شعبة اميل منى الى مسعر فقلت ياابا بسطام ما فعل الله بك فقال وفقك الله يابني احفظ ما اقول

حبانى الهى فى الجنان بقبة * لها الف باب من لجين وجوهرا
وقال لي الجبار ياشعبة الذى * تبحر فى جمع العلوم واكثرا
تمتع بقربى اننى عنك ذو رضى * وعن عبدَي القوام فى الليل مسعرا
كفى مسعرا عزا بان سيزورنى * واكشف عن وجهى ويدنو لينظرا
وهذا فعالى بالذين تنسكوا * ولم يالفوا فى سالف الدهر منكرا

انتهى والآناء الساعات واحدها انى كمعى ويقال اني بكسر الهمزة وسكون النون وانا على وزن قفا * وقوله سبحانه يحذر الآخرة ويرجوا رحمة ربه قال الجوزي فى المنتخب يقول الله تعالى لا اجمع على عبدى خوفين ولا امنين من خافنى فى الدنيا امنته فى الآخرة ومن امننى فى الدنيا خوفته فى الآخرة ياأخى امتطى القوم مطايا الدجى على مركب السهر * فما حلوا ولا حلوا رحالهم حتى السحر * درسوا القرءان فغرسوا بايدى الفكر ازكى الشجر * ومالوا الى النفوس باللوم فلا تسأل عما شجر * رجعوا بنيل القبول من ذلك السفر * ووقفوا على كنز النجاة وما عندك خبر * فاذا جاء النهار قدموا طعام الجوع وقالوا للنفس هذا الذى حضر * حذوا عزمات طاحت الارض بينها فصار سراهم فى ظهور العزائم * تراهم نجوم الليل ما يبتغونه على عاتق الشعرى وهام النعائم * مالت بالقوم ريح السحر ميل الشجر بالاغصان * وهز

الخوف افنان القلوب فانتشرت الافنان * فالقلب يخشع واللسان يضرع والعين تدمع والوقت بستان * خلوتهم بالحبيب تشغلهم عن نُعم ونَعمان * سرورهم اساورهم والخشوع تيجان * خضوعهم حلاهم وماء دمعهم در ومرجان * باعوا الحرص بالقناعة فما ملك انوشروان * فاذا وردوا القيامة تلقاهم بشر لولاكم ما طاب الجنان * يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان * اين انت منهم يانائم كيقظان * كم بينك وبينهم اين الشجاع من الجبان * ما للمواعظ فيك نجح موضع القلب باللهومنك ملئان * يااخى قف على باب النجاح ولكن وقوف لهفان * واركب سفن الصلاح فهذا الموت طوفان * اخوانى انما الليل والنهار مراحل * ومركب العمر قد قارب الساحل * فانتبه لنفسك وازدجر ياغافل * ياهذا انت مقيم فى مناخ الراحلين ويحك اغتنم ايام القدرة قبل صيحة الانتزاع فما اقرب ما ينتظر * وما اقل المكث فيما يزول ويتغير * انتهى * وقوله تعالى قل ياعباد الذين ءامنوا اتقوا ربكم يروى ان هذه الآية نزلت فى جعفر بن ابى طالب واصحابه حين عزموا على الهجرة الى ارض الحبشة ووعد سبحانه بقوله للذين احسنوا فى هذه الدنيا حسنة فقوله فى هذه الدنيا متعلق باحسنوا والمعنى ان الذين يحسنون فى الدنيا لهم حسنة فى الآخرة وهي الجنة والنعيم قاله مقاتل ويحتمل ان يريد ان الذين يحسنون لهم حسنة فى الدنيا وهي العافية والظهور وولاية الله تعالى قاله السدي والاول ارجح ان الحسنة هي فى الآخرة * وقوله سبحانه وارض الله واسعة حض على الهجرة ثم وعد تعالى على الصبر على المكاره والخروج من الوطن ونصرة الدين وجميع الطاعات بتوفية الاجور بغير حساب وهذا يحتمل معنيين احدهما ان الصابر يوتى اجره ولا يحاسب على نعيم ولا يتابع بذنوب ويكون فى جملة الذين يدخلون الجنة بغير حساب والثانى من المعنيين ان اجور

الصابرين توفى بغير حصر ولاعد بل جُزافا وهذه استعارة للكثرة التى لا تحصى والى هذا التاويل ذهب جمهور المفسرين حتى قال قتادة ليس ثم والله مكيال ولاميزان وفى الحديث انه لما نزلت والله يضاعف لمن يشاء قال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم زد امتى فنزلت بعد ذلك من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة فقال اللهم زد امتى حتى نزلت انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب قال رضيت يارب * وقوله تعالى قل اني اخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم من المعلوم انه عليه السلام معصوم من العصيان وانما الخطاب بالآية لامته يعمهم حكمه ويخفهم وعيده * وقوله فاعبدوا ما شئتم من دونه هذه صيغة امر على جهة التهديد وهذا فى القرءان كثير والظلة ما غشى وعم كالسحابة وسقف البيت ونحوه * وقوله سبحانه ذلك يخوف الله به عباده يريد جميع العالم * وقوله تعالى والذين اجتنبوا الطاغوت الآية قال ابن زيد ان سبب نزولها زيد بن عمرو بن نفيل وسلمان الفارسي وابو ذر الغفاري والاشارة اليهم (ت) سلمان انما اسلم بالمدينة فيلزم على هذا التاويل ان تكون الآية مدنية وقال ابن اسحاق الاشارة بها الى عبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابى وقاص وسعيد بن زيد والزبير وذلك انه لما اسلم ابو بكر سمعوا ذلك فجاءوه فقالوا ءاسامت قال نعم وذكرهم بالله سبحانه فءامنوا باجمعهم فنزلت فيهم هذه الآية وهي على كل حال عامة فى الناس الى يوم القيامة يتناولهم حكمها والطاغوت كل ما عبد من دون الله * وقوله سبحانه الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه كلام عام فى جميع الاقوال والمقصد الثناء على هؤلاء فى نفوذ بصائرهم وقوام نظرهم حتى انهم اذا سمعوا قولا ميزوه واتبعوا احسنه قال ابو حيان الذين يستمعون صفة لعباد وقيل الوقف على عباد والذين مبتدأ خبره اولائك وما بعده انتهى * وقوله تعالى افمن حق عليه كلمة العذاب افانت تنقذ من فى

النار قالت فرقة معنى الآية افمن حقت عليه كلمة العذاب فانت تنقذه لكنه زاد الهمزة الثانية توكيدا واظهر الضمير تشهيرا لهؤلاء القوم واظهارا لخسة منازلهم * وقوله تعالى لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف الآية معادلة وتحضيض على التقوى وعادلت غرف من فوقها غرف ما تقدم من الظلل فوقهم وتحتهم والاحاديث الصحيحة فى هذا الباب كثيرة ثم وقف تعالى نبيه عليه السلام وامته على معتبر من مخلوقاته فقال الم تر ان الله انزل من السماء ماء الآية قال الطبري الاشارة الى ماء المطر ونبع العيون منه وسلكه معناه اجراه وادخله فى الارض ويهيج معناه ييبس وهاج الزرع والنبات اذا يبس والحطام اليابس المتفتت ومعنى لذكرى اي للبعث من القبور واحياء الموتى على قياس هذا المثال المذكور * وقوله تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام الآية روي ان هذه الآية نزلت فى علي وحمزة وابى لهب وابنه وهما اللذان كانا من القاسية قلوبهم وفى الكلام محذوف يدل عليه الظاهر تقديره افمن شرح الله صدره كالقاسى القلب المعرض عن امر الله وشرح الصدر استعارة لتحصيله للنظر الجيد والايمان بالله والنور هداية الله تعالى وهي اشبه شيء بالضوء قال ابن مسعود قلنا يارسول الله كيف انشراح الصدر قال اذا دخل النور القلب انشرح وانفسح قلنا يارسول الله وما علامة ذلك قال الانابة الى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والتأهب للموت قبل نزول الموت والقسوة شدة القلب وهي ماخوذة من قسوة الحجر شبه قلب الكافر به فى صلابته وقلة انفعاله للوعظ وروى الترمذي عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فان كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة للقلب وان ابعد الناس من الله القلب القاسى قال الترمذي هذا حديث حسن غريب انتهى وقال مالك بن دينار ماضرب عبد بعقوبة اعظم من قسوة قلبه قال ابن هشام قوله تعالى فويل

للقاسية قلوبهم من ذكر الله من هنا مرادفة عن وقيل هي للتعليل اي من اجل ذكر الله لانه اذا ذكر الله قست قلوبهم عياذا بالله وقيل هي للابتداء انتهى من المغنى قال الفخر اعلم ان ذكر الله سبب لحصول النور والهداية وزيادة الاطمينان فى النفوس الطاهرة الروحانية وقد يوجب القسوة والبعد عن الحق فى النفوس الخبيثة الشيطانية فاذا عرفت هذا فنقول ان رأس الادوية التى تفيد الصحة الروحانية ورتبتها هو ذكر الله فاذا اتفق لبعض النفوس ان صار ذكر الله سببا لازدياد مرضها كان مرض تلك النفوس مرضا لا يرجى زواله ولا يتوقع علاجه وكانت فى نهاية الشر والرداءة فلهذا المعنى قال تعالى فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله اولائك فى ضلال مبين وهذا كلام كامل محقق انتهى * وقوله تعالى الله نزل احسن الحديث يريد القرءان وروي عن ابن عباس ان سبب هذه الآية ان قوما من الصحابة قالوا يارسول الله حدثنا باحاديث حسان واخبرنا باخبار الدهر فنزلت الآية * وقوله متشابها معناه مستويا لا تناقض فيه ولا تدافع بل يشبه بعضه بعضا فى رصف اللفظ ووثاقة البراهين وشرف المعانى اذ هي اليقين فى العقائد فى الله وصفاته وافعاله وشرعه ومثاني معناه موضع تثنية للقصص والاقضية والمواعظ تثنى فيه ولا تمل مع ذلك ولا يعرضها ما يعرض الحديث المعاد وقال ابن عباس ثني فيه الامر مرارا ولا ينصرف مثاني لانه جمع لا نظير له فى الواحد * وقوله تعالى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم عبارة عن قف شعر الانسان عند ما يداخله خوف ولين قلب عند سماع موعظة اوزجر قرءان ونحوه وهذه علامة وقوع المعنى المخشع فى قلب السامع وفى الحديث ان ابي بن كعب قرأ عند النبي صلى الله عليه وسلم فرقت القلوب فقال النبي صلى الله عليه وسلم اغتنموا الدعاء عند الرقة فانها رحمة وقال العباس ابن عبد المطلب قال النبي صلى الله عليه وسلم من اقشعر جلده من خشية الله تعالى

تحاتت عنه ذنوبه كما تتحات عن الشجرة اليابسة ورقها وقالت اسماء بنت ابي بكر كان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم تدمع اعينهم وتقشعر جلودهم عند سماع القرءان قيل لها ان اقواما اليوم اذا سمعوا القرءان خر احدهم مغشيا عليه فقالت اعوذ بالله من الشيطان وعن ابن عمر نحوه وقال ابن سيرين بيننا وبين هؤلاء الذين يصرعون عند قراءة القرءان ان يجمل احدهم على حائط مادا رجليه ثم يقرأ عليه القرءان كله فان رمى بنفسه فهو صادق (ت) وهذا كله تغليظ على المراءين والمتصنعين ولا خلاف اعلمه بين ارباب القلوب وائمة التصوف ان المتصنع عندهم بهذه الامور ممقوت واما من غلبه الحال لضعفه وقوي الوارد عليه حتى اذهبه عن حسه فهو ان شاء الله من السادة الاخيار والاولياء الابرار وقد وقع ذلك لكثير من الاخيار يطول تعدادهم كابن وهب واحمد بن معتب المالكيين ذكرهما عياض فى مداركه وانهما ما تا من ذلك وكذلك مالك بن دينار مات من ذلك ذكره عبد الحق فى العاقبة وغيرهم ممن لا يحصى كثرة ومن كلام عز الدين بن عبد السلام رحمه الله فى قواعده الصغرى قال وقد يصيح بعضهم لغلبة الحال عليه والجائها اياه الى الصياح وهو فى ذلك معذور ومن صاح لغير ذلك فمتصنع ليس من القوم فى شيء وكذلك من اظهر شيأ من الاحوال رياء او تسميعا فانه ملحق بالفجار دون الابرار انتهى * وقوله تعالى ذلك هدى الله يحتمل ان يشير الى القرءان ويحتمل ان يشير الى الخشية واقشعرار الجلود اي ذلك امارة هدى الله قال الغزالي فى الاحياء والمستحب من التالى للقرءان ان يتأثر قلبه بءاثار مختلفة بحسب اختلاف الآيات فيكون له بحسب كل فهم حال يتصف به قلبه من الحزن والخوف والرجاء وغير ذلك ومهما تمت معرفته كانت الخشية اغلب الاحوال على قلبه انتهى قال الشيخ الولي عبد الله بن ابي جمرة وكان النبي صلى الله عليه وسلم فى

قيامه يكسوه من كل ءاية يقرأها حال يناسب معنى تلك الآيـة وكذلك ينبغى ان تكون تلاوة القرءان وان لا يكون تاليه كمثل الحمار يحمل اسفارا انتهى * وقوله تعالى افمن يتقى بوجهه سوء العـذاب الآيـة تقرير بمعنى التعجب والمعنى افمن يتقى بوجهه سوء العذاب كالمنعمين فى الجنة قال مجاهد يتقى بوجهه اي يجر على وجهه فى النـار وقالت فرقـة ذلك لما روي ان الكافـر يلقى فى النار مكـتوفا مربوطة يداه الى رجليه مع عنقه ويكب على وجهه فليس له شيء يتقى به الاوجهه وقالت فرقـة المعنى فى ذلك صفة كثرة ما ينالهم من العذاب يتقيه بكل جارحة منـه حتى بوجهه الذى هو اشرف جوارحه وهذا المعنى ابين بلاغـة ثم مثـل لقريش بالامم الذين من قبلهم وما نالهم مـن العـذاب فى الدنيا المتصل بعذاب الآخرة الذى هو اكبر ونفى الله سبحانه عن القرءان العوج لانـه لا اختلاف فيـه ولا تناقض ولا مغمز بوجـه * وقوله سبحانـه ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون الآيـة هذا مثل ضربـه الله سبحانه فى التوحيد فمثل تعالى الكافر العابد للاوثان والشياطين بعبد لرجال عدة فى اخلاقهم شكاسة وعـدم مسامحة فهم لذلك يعذبون ذلك العبد بتضايقهم فى اوقاتهم ويضايقون العبد فى كثرة العمل فهو ابدا فى نصب منهم وعناء فكذلك عابد الاوثان الذى يعتقد ان ضره ونفعه عندها هو معذب الفكر بها وبحراسة حاله منها ومتى توهم انه ارضى صنما بالذبح له فى زعمه تفكر فيما يصنع مع الآخر فهو ابدا تعب فى ضلال وكذلك هو المصانع للناس الممتحن بخدمـة الملوك ومثل تعالى المومن بالله وحده بعبـد لرجل واحد يكلفه شغله فهو يعمله على تُؤَدة وقد ساس مولاه فالمولى يغفر زلته ويشكـره على اجادة عمله ومثـلا مفعول بضـرب ورجـلا نصب على البـدل ومتشاكسون معنـاه لا سمح فى اخلاقهم بل فيها لجاج وقرأ ابن كثير وابو عمرو سالما اي سالما من الشركـة ثم وقف تعالى الكـفار بقوله هـل يستويان مثـلا

ونصب مثلا على التمييز وهذا التوقيف لا يجيب عنه احد الا بانهما لا يستويان فلذلك عاملتهم العبارة الوجيزة على انهم قد اجابوا فقال الحمد لله اى على ظهور الحجة عليكم من اقوالكم وباقى الآية بين والاختصام فى الآية قيل عام فى المومنين والكافرين قال (ع) ومعنى الآية عندى ان الله تعالى توعدهم بانهم سيتخاصمون يوم القيامة فى معنى ردهم فى وجه الشريعة وتكذيبهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وروى الترمذي من حديث عبد الله بن الزبير قال لما نزلت ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون قال الزبير يارسول الله اتكرر علينا الخصومة بعد الذى كان بيننا فى الدنيا قال نعم قال ان الامر اذن لشديد انتهى * وقوله تعالى فمن اظلم ممن كذب على الله الآية الاشارة بهذا الكذب الى قولهم ان لله صاحبة وولدا وقولهم هذا حلال وهذا حرام افتراء على الله ونحو ذلك وكذبوا ايضا بالصدق وذلك تكذيبهم بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ثم توعدهم سبحانه توعدا فيه احتقارهم بقوله اليس فى جهنم مثوى للكافرين وقرأ ابن مسعود والذين جاءوا بالصدق وصدقوا به والصدق هنا القرءان والشرع بجملته وقالت فرقة الذى يراد به الذين وحذفت النون قال (ع) وهذا غير جيد وتركيب جاء عليه يرد ذلك بل الذى هاهنا هي للجنس والآية معادلة لقوله فمن اظلم قال قتادة وغيره الذى جاء بالصدق هو محمد عليه السلام والذى صدق به هم المومنون وهذا اصوب الاقوال وذهب قوم الى ان الذى صدق به ابو بكر وقيل علي وتعميم اللفظ اصوب * وقوله سبحانه اولائك هم المتقون قال ابن عباس اتقوا الشرك * وقوله تعالى ليكفر يحتمل ان يتعلق بقوله المحسنين اي الذين احسنوا لكي يكفر وقاله ابن زيد ويحتمل ان يتعلق بفعل مضمر مقطوع مما قبله تقديره يسرهم الله لذلك ليكفر لان التكفير لا يكون الا بعد التيسير للخير * وقوله تعالى اليس الله

بكاف عبده تقوية لنفس النبي صلى الله عليه وسلم وقرأ حمزة والكسائي عباده يريد الانبياء وانت يامحمد احدهم فيدخل فى ذلك المومنون المطيعون والمتوكلون على الله سبحانـه * وقوله سبحانـه ويخوفونك بالذين مـن دونـه اي بالذين يعبدون وباقى الآية بين وقد تقدم تفسير نظيره * وقوله تعالى فمن اهتدى فلنفسه اي فلنفسه عمل وسعى ومن ضل فعليها جنى ثم نبه تعالى على ءايـة من آياته الكبرى تدل الناظر على الوحدانية وان ذلك لا شركة فيه لصنم وهي حالة التوفى وذلك ان ما توفاه الله تعالى على الكمال فهو الذى يموت وما توفاه توفيا غير مكمل فهو الذى يكون فى النوم قال ابن زيـد النوم وفاة والموت وفاة وكثر الناس فى هذه الآيـة وفى الفـرق بين النفس والروح وفرق قوم بين نفس التمييز ونفس التخيل الى غير ذلك من الاقوال التى هي غلبة ظن وحقيقـة الامر فى هذا هي مما استاثر الله به وغيبه عن عباده فى قوله قل الروح من امر ربى ويكفيك ان فى هذه الآيـة يتوفى الانفس وفى الحديث الصحيح ان الله قبض ارواحنـا حين شاء وردها علينـا حين شاء وفى حديث بلال فى الوادى فقد نطقت الشريعة بقبض الروح والنفس وقد قال تعالى قل الروح من امر ربى والظاهر ان الخوض فى هذا كله عناء وان كان قد تعرض للقول فى هـذا ونحوه ائمة ذكر الثعلبي عن ابن عباس انه قال فى ابن ءادم نفس وروح بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس هي التى بها العقل والتمييز والروح هي التى بها النَفس والتحرك فاذا نام العبـد قبض الله تعالى نفسه ولم يقبض روحـه وجاء فى ءاداب النوم واذكار النائم احاديث صحيحة ينبغى للعبد ان لا يخلي نفسه منها وقـد روى جابر بن عبد الله عـن النبي صلى الله عليـه وسلم انـه قال اذا أوى الرجل الى فراشه ابتدره ملك وشيطان فيقول الملك اختم بخير ويقول الشيطان اختم بشر فان ذكر الله تعالى ثم نام بات الملك بكلؤه فان استيقظ قال

الملك افتح بخير وقال الشيطان افتح بشر فان قال الحمد لله الذى رد الي نفسي ولم يمتها فى منامها الحمد لله الذى يمسك السموات والارض ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده انه كان حليما غفورا الحمد لله الذى يمسك السماء ان تقع على الارض الا باذنه ان الله بالناس لرءوف رحيم فان وقع من سريره فمات دخل الجنة رواه النساءي واللفظ له والحاكم فى المستدرك وابن حبان فى صحيحه وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم وزاد ءاخره الحمد لله الذى يحي الموتى وهو على كل شيء قدير انتهى من السلاح وفيه عن ابى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قال حين ياوى الى فراشه لااله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر غفرت له ذنوبه اوخطاياه شك مسعر وان كانت مثل زبد البحر رواه ابن حبان فى صحيحه ورواه النساءي موقوفا انتهى وروى الترمذي عن ابى امامة قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من أوى الى فراشه طاهرا يذكر الله حتى يدركه النعاس لم ينقلب ساعة من الليل يسئل الله شيأ من خير الدنيا والآخرة الا اعطاه اياه انتهى والاجل المسمى فى هذه الآية هو عمر كل انسان والضمائر فى قوله تعالى اولوكانوا لا يملكون شيأ ولا يعقلون للاصنام * وقوله تعالى واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يومنون بالآخرة الآية قال مجاهد وغيره نزلت فى قراءة النبي صلى الله عليه وسلم سورة النجم عند الكعبة بمحضر من الكفار وقرأ افرأيتم اللات والعزى الآية والقى الشيطان يعنى فى اسماع الكفار تلك الغرانقة العلى على مامر فى سورة الحج فاستبشروا واشمأزت نفوسهم معناه تقبضت كبرا وانفة وكراهية ونفورا * وقوله تعالى قل اللهم فاطر السموات الآية امر لنبيه عليه السلام بالدعاء

اليه ورد الحكم الى عدله ومعنى هذا الامر تضمن الاجابة * وقوله تعالى
وبدالهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون قال الثعلبي قال السدي ظنوا اشياء انها
حسنات فبدت سيئات قال (ع) قال سفيان الثوري ويل لاهل الرياء من
هذه الآية وقال عكرمة بن عمار جزع محمد بن المنكدر عند الموت فقيل له ما
هذا فقال اخاف هذه الآية وبدالهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون * وقوله
تعالى ثم اذا خولناه نعمة منا الآية قال الزجاج التخويل العطاء عن غير مجازاة
والنعمة هنا عامة فى المال وغيره وتقوى الاشارة الى المال بقوله انما اوتيته على
علم قال قتادة يريد انما اوتيته على علم منى بوجه المكاسب والتجارات ويحتمل ان
يريد على علم من الله في واستحقاقٍ حزته عند الله فنى هذا التاويل اغترار بالله
وفى الاول اعجاب بالنفس ثم قال تعالى بل هي فتنة اي ليس الامر كما
قال بل هذه الفعلة به فتنة له وابتلاء ثم اخبر تعالى عمن سلف من
الكفرة انهم قد قالوا هذه المقالة كقارون وغيره فما اغنى عنهم ما كانوا
يكسبون من الاموال والذين ظلموا من هؤلاء المعاصرين لك يامحمد
سيصيبهم سيئات ما كسبوا قال ابو حيان فما اغنى يحتمل ان تكون ما نافية
او استفهامية فيها معنى النفي انتهى * وقوله تعالى قل ياعبادي الذين اسرفوا
على انفسهم لاتقنطوا من رحمة الله الآية هذه الآية عامة فى جميع الناس الى
يوم القيامة فتوبة الكافر تمحو ذنبه وتوبة العاصى تمحو ذنبه على ما تقدم تفصيله
واختلف فى سبب نزول هذه الآية فقال عطاء بن يسار نزلت فى وحشي قاتل
حمزة وقال ابن اسحاق وغيره نزلت فى قوم بمكة امنوا ولم يهاجروا وفتنتهم
قريش فافتتنوا ثم ندموا وظنوا انهم لا توبة لهم فنزلت الآية فيهم منهم
الوليد بن الوليد وهشام بن العاصى وهذا قول عمر بن الخطاب وانه كتبها
بيده الى هشام بن العاصى الحديث وقالت فرقة نزلت فى قوم كفار من

اهل الجاهلية قالوا وما ينفعنا الاسلام ونحن قد زنينا وقتلنا النفس واتينا كل كبيرة فنزلت الآية فيهم وقال علي بن ابي طالب وابن مسعود وابن عمر هذه ارجى ءاية فى القرءان وروى ثوبان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما احب ان لى الدنيا وما فيها بهذه الآية ياعبادي واسرفوا معناه افرطوا والقنط اعظم اليأس وقرأ نافع والجمهور تقنطوا بفتح النون قال ابو حاتم فيلزمهم ان يقرءوا من بعد ما قنطوا بكسرها ولم يقرأ به احد وقرأ ابو عمرو تقنطوا بالكسر * وقوله ان الله يغفر الذنوب جميعا عموم بمعنى الخصوص لان الشرك ليس بداخل فى الآية اجماعا وهي ايضا فى المعاصى مقيدة بالمشيئة وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ ان الله يغفر الذنوب جميعا ولا يبالى وقرأ ابن مسعود ان الله يغفر الذنوب جميعا لمن يشاء وانيبوا معناه ارجعوا * وقوله سبحانه واتبعوا احسن معناه ان القرءان العزيز تضمن عقائد نيرة واوامر ونواهي منجية وعدات على الطاعات والبر وتضمن ايضا حدودا على المعاصى ووعيدا على بعضها فالاحسن للمرء ان يسلك طريق الطاعة والانتهاء عن المعصية والعفو فى الامور ونحو ذلك من ان يسلك طريق الغفلة والمعصية فيحد او يقع تحت الوعيد فهذا المعنى هو المقصود باحسن وليس المعنى ان بعض القرءان احسن من بعض من حيث هو قرءان (ت) وروى ابو بكر بن الخطيب بسنده عن ابى سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قول الله عز وجل ياحسرتَى قال الحسرة ان يرى اهل النار منازلهم من الجنة قال فهي الحسرة انتهى * وقوله فرطت فى جنب الله اي فى جهة طاعته وتضييع شريعته والايمان به وقال مجاهد فى جنب الله اي فى امر الله وقول الكافر وان كنت لمن الساخرين ندامة على استهزائه بامر الله تعالى وكرة مصدر من كر يكر وهذا الكون فى هذه الآية داخل فى التمني وباقى الآية انواره لائحة وحججه واضحة ثم خاطب تعالى نبيه بخبر ما

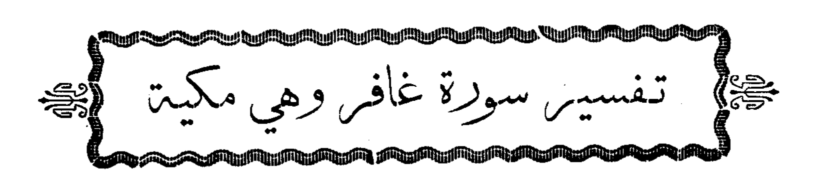
يراه يوم القيامة من حالة الكفار وفى ضمن هذا الخبر وعيد بين لمعاصريه عليه السلام فقال ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة ترى من رؤية العين وظاهر الآية ان وجوههم تسود حقيقة * وقوله سبحانه وينجى الله الذين اتقوا بمفازتهم الآية ذكر تعالى حالة المتقين ونجاتهم ليعادل بذلك ما تقدم من شقاوة الكافرين وفى ذلك ترغيب فى حالة المتقين لان الاشياء تتبين باضدادها ومفازتهم مصدر من الفوز وفى الكلام حذف مضاف تقديره وينجى الله الذين اتقوا باسباب مفازتهم والمقاليد المفاتيح وقاله ابن عباس واحدها مقلاد كمفتاح وقال عثمان بن عفان سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن مقاليد السموات والارض فقال هي لا اله الا الله والله اكبر وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة الا بالله هو الاول والآخر والظاهر والباطن يحي ويميت وهو على كل شيء قدير * وقوله تعالى ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك قالت فرقة المعنى ولقد اوحي الى كل نبيء لئن اشركت ليحبطن عملك (ت) قد تقدم غير ما مرة ان ما ورد من مثل هذا فهو محمول على ارادة الامة لعصمة النبي صلى الله عليه وسلم وانما المراد من يمكن ان يقع ذلك منه وخوطب هو صلى الله عليه وسلم تعظيما للامر قال (ص) ليحبطن جواب القسم وجواب الشرط محذوف لدلالة جواب القسم عليه انتهى * وقوله تعالى وما قدروا الله حق قدره معناه وما عظموا الله حق عظمته ولا وصفوه بصفاته ولا نفوا عنه ما لا يليق به قال ابن عباس نزلت هذه الآية فى كفار قريش الذين كانت هذه الآيات كلها محاورة لهم وردا عليهم وقالت فرقة نزلت فى قوم من اليهود تكلموا فى صفات الله تعالى فالحدوا وجسموا واتوا بكل تخليط * وقوله تعالى والارض جميعا قبضته معناه فى قبضته واليمين هنا والقبضة عبارة عن القدرة والقوة وما اختلج فى الصدور من غير ذلك باطل وصعق فى هذه الآية معناه خر ميتا

والصور القرن ولا يتصور هنا غير هذا ومن يقول الصور جمع صورة فانما يتوجه قوله فى نفخة البعث وقد تقدم بيان نظير هذه الآيـة فى غير هذا الموضع * وقوله تعالى ثم نفخ فيه اخرى هي نفخة البعث وفى الحديث ان بين النفختين اربعين لا يدرى ابو هريرة سنة او شهرا او يوما او ساعة (ت) ولفظ مسلم عن ابى هريرة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ما بين النفختين اربعون قالوا ياابا هريرة اربعون سنة قال ابيت قالوا اربعون شهرا قال ابيت قالوا اربعون يوما قال ابيت الحديث قال صاحب التذكرة فقيل معنى قوله ابيت اي امتنعت من بيان ذلك اذ ليس هومما تدعو اليه حاجة وعلى هذا كان عنده علم ذلك وقيـل المعنى ابيت ان اسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك وعلى هذا فلا علم عنده والاول اظهر وقد جاء ان ما بين النفختين اربعين عاما انتهى وقـد تقـدم ان الصحيح فى المستثنى فى الآيـة انهم الشهداء قال الشيخ ابو محمد بن بزيزة فى شرح الاحكام الصغرى لعبد الحق الذى تلقيناه من شيوخنا المحققين ان العوالم التى لا تفنى سبعة العرش والكرسي واللوح والقلم والجنة والنار والارواح انتهى واشرقت الارض بنور ربها معناه اضاءت وعظم نورها والارض فى هذه الآية الارض المبـدلة من الارض المعروفـة * وقوله بنور ربهـا اضافـة مخلوق الى خالق والكتاب كتاب حساب الخلائـق ووحده على اسم الجنس لان كل احد له كتاب على حدة وجيء بالنبيئين اي ليشهدوا على اممهم والشهداء قيل هو جمع شاهد وقيل هو جمع شهيد فى سبيـل الله والاول ابين فى معنى التوعـد والضمير فى قوله بينهم عائد على العالم باجمعه اذ الآيـة تدل عليهم وزمرا معنـاه جماعات متفرقـة واحدتهـا زمرة * وقوله فتحت جواب اذا والكلام هنـا يقتضى ان فتحهـا انما يكون بعـد مجيئهم وفى وقوفهم قبل فتحها مذلة لهم وهكـذا هي حال السجون ومواضع الثقاف والعذاب بخلاف قوله فى اهل

الجنة وفتحت فالواو موذنة بانهم يجدونها مفتوحة كمنازل الافراح والسرور * وقوله تعالى وقال لهم خزنتها الم ياتكم رسل منكم يتلون عليكم ءايات ربكم الآية فى قوله منكم اعظم فى الحجة اي رسل من جنسكم لا يصعب عليكم مرامهم ولافهم اقوالهم * وقوله تعالى وسيق الذين اتقوا ربهم لفظ يعم كل من يدخل الجنة من المومنين الذين اتقوا الشرك والواو فى قوله وفتحت موذنة بانها قد فتحت قبل وصولهم اليها وقالت فرقة هي زائدة وقال قوم اشار اليهم ابن الانباري وضعف قولهم هذه واو الثمانية وقد تقدم الكلام عليها وجواب اذا فتحت وعن المبرد جواب اذا محذوف تقديره بعد قوله خالدين سعدوا وسقطت هذه الواو فى مصحف ابن مسعود وسلام عليكم تحية وطبتم معناه اعمالا ومعتقدا ومسقرا وجزاء واورثنا الارض يريد ارض الجنة ونتبوأ معناه نتخذ امكنة ومساكن ثم وصف تعالى حالة الملائكة من العرش وحفوفهم به والحفوف الاحداق بالشيء وهذه اللفظة ماخوذة من الحفاف وهو الجانب قال ابن المبارك فى رقائقه اخبرنا معمر عن ابى اسحاق عن عاصم بن ضمرة عن علي انه تلا هذه الآية وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا جاءوها قال وجدوا عند باب الجنة شجرة يخرج من ساقها عينان فعمدوا الى احداهما كانما امروا بها فاغتسلوا بها فلم تشعث رءوسهم بعدها ابدا ولم تتغير جلودهم بعدها ابدا كانما دهنوا بالدهن ثم عمدوا الى الاخرى فشربوا منها فطهرت اجوافهم وغسلت كل قذر فيها وتتلقاهم على كل باب من ابواب الجنة ملائكة سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ثم تتلقاهم الولدان يطيفون بهم كما يطيف ولدان الدنيا بالحميم يجيء من الغيبة يقولون ابشر اعد الله لك كذا وكذا واعد الله لك كذا ثم يذهب الغلام منهم الى الزوجة من ازواجه فيقول قد جاء فلان باسمه الذى كان يدعى به فى الدنيا فتقول له انت رأيته فيستخفها الفرح حتى تقوم

على اسكفـة بابها ثم ترجع فيجيء فينظر الى تاسيس بنيانـه من جنـدل اللؤلؤ اخضر واصفر واحمر من كل لون ثم يجلس فينظـر فاذا زرابي مبثوثة واكـواب موضوعـة ثم يرفع رأسه فلولا ان الله قـدر ذلك لاذهب بصره انما هو مثـل البرق ثم يقول الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتـدي لولا ان هدانا الله انتهى * وقوله تعالى يسبحون بحمد ربهم قالت فرقة معناه ان تسبيحهم يتأتى بحمد الله وفضله وقالت فرقة تسبيحهم هو بترديد حمد الله وتكراره قال الثعلبي متلذذين لا متعبدين مكلفين * وقوله تعالى وقيـل الحمد لله رب العالمين ختم للامر وقول جزم عنـد فصل القضاء اي ان هـذا الملك الحاكم العادل ينبغى ان يحمد عند نفوذ حكمه واكمال قضائه بين عباده ومن هـذه الآيـة جعلت الحمد لله رب العالمين خاتمـة المجالس والمجتمعات فى العلم قال قتـادة فتح الله اول الخلق بالحمـد فقـال الحمـد لله الذى خلق السموات والارض وختم القيامـة بالحمد فى هذه الآيـة قال (ع) وجعل سبحانـه الحمد لله رب العالمين فاتحـة كتابـه فبه يبدأ كل امر وبـه يختم وحمد الله تعالى وتقديسه ينبغى ان يكون من المومن كما قيل

وءاخر شيء انت فى كل ضجعة * واول شيء انت عنـد هبـوب



تفسير سورة غافر وهي مكية

روى انس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الحواميم ديباج القرءان ومعنى هـذه العبارة انهـا خلت مـن الاحكام وقصرت على المواعظ والزجر وطرق

الآخرة محضا وعن ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من اراد ان يرتع فى رياض مونقة من الجنة فليقرإ الحواميم

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله تعالى حم تقدم القول فى الحروف المقطعة ويختص هذا الموضع بقول آخر قاله الضحاك والكسائي ان حم هجاء حم بضم الحاء وتشديد الميم المفتوحة كانه يقول حم الامر ووقع تنزيل الكتاب من الله وقال ابن عباس الرحم ون هي حروف الرحمن مقطعة فى سور وسأل اعرابي النبي صلى الله عليه وسلم عن حم ما هو فقال بدْأ اسماء وفواتح سور وذى الطول معناه ذى التطول والمن بكل نعمة فلا خير الامنه سبحانه فترتب فى هذه الآية وعيد بين وعدين وهكذا رحمته سبحانه تغلب غضبه قال (ع) سمعت هذه النزعة من ابى رحمه الله وهو نحو من قول عمر رضي الله عنه لن يغلب عسر يسرين (ت) هو حديث والطول الانعام وعبارة البخاري الطول التفضل وحكى الثعلبي عن اهل الاشارة انه تعالى غافر الذنب فضلا وقابل التوب وعدا شديد العقاب عدلا لا اله الا هو اليه المصير فردا وقال ابن عباس الطول السعة والغنى وتقلب الذين كفروا فى البلاد عبارة عن تمتعهم بالمساكن والمزارع والاسفار وغير ذلك وهمت كل امة برسولهم لياخذوه اي ليهلكوه كما قال تعالى فاخذتهم والعرب تقول للقتيل اخيذ وللاسير كذلك قال قتادة لياخذوه معناه ليقتلوه وليدحضوا معناه ليزلقوا ويذهبوا والمدحضة المزلة والمزلقة * وقوله فكيف كان عقاب تعجيب وتعظيم وليس باستفهام عن كيفية وقوع الامر * وقوله سبحانه وكذلك حقت كلمات ربك على الذين كفروا الآية فى مصحف ابن مسعود وكذلك سبقت كلمة ربك والمعنى وكما اخذت اولائك المذكورين

فاهلكتهم فكذلك حقت كلماتى على جميع الكفار من تقدم منهم ومن تأخر انهم اصحاب النار * وقوله تعالى الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويومنون به الآية اخبر الله سبحانه بخبر يتضمن تشريف المومنين ويعظم الرجاء لهم وهو ان الملائكة الحاملين للعرش والذين حول العرش وهؤلاء افضل الملائكة يستغفرون للمومنين ويسئلون الله لهم الرحمة والجنة وهذا معنى قوله تعالى فى غير هذه الآية كان على ربك وعدا مسئولا اي سألته الملائكة قال (ع) وفسر فى هذه الآية المجمل الذى فى قوله تعالى ويستغفرون لمن فى الارض لان الملائكة لا تستغفر لكافر وقد يجوز ان يقال ان استغفارهم لهم بمعنى طلب هدايتهم وبلغنى ان رجلا قال لبعض الصالحين ادع لى واستغفر لى فقال له تب واتبع سبيل الله يستغفر لك من هو خير منى وتلا هذه الآية وقال مطرف بن الشخير وجدنا انصح العباد للعباد الملائكة واغش العباد للعباد الشياطين وتلا هذه الآية وروى جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذن لى ان احدث عن ملك من حملة العرش ما بين شحمة اذنه وعاتقه مسيرة سبعمائة سنة قال الداودي وعن هارون بن رياب قال حملة العرش ثمانية يتجاوبون بصوت حسن فاربعة يقولون سبحانك وبحمدك على حلمك بعد علمك واربعة يقولون سبحانك وبحمدك على عفوك بعد قدرتك انتهى وروى ابو داود عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذن لى ان احدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش ان ما بين شحمة اذنه الى عاتقه مسيرة سبعمائة عام انتهى وقد تقدم * وقولهم ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما معناه وسعت رحمتك وعلمك كل شيء * وقوله ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم روي عن سعيد بن جبير فى ذلك ان الرجل يدخل الجنة قبل قرابته فيقول اين ابي اين امي اين ابنى اين زوجي فيلحقون به

لصلاحهم ولتنبيهه عليهم وطلبه اياهم وهذه دعوة الملائكة * وقولهم وقهم السيئات معناه اجعل لهم وقاية تقيهم السيئات واللفظ يحتمل ان يكون الدعاء فى ان يدفع الله عنهم انفس السيئات حتى لا ينالهم عذاب من اجلها ويحتمل ان يكون الدعاء فى دفع العذاب اللاحق من السيئات فيكون فى اللفظ على هذا حذف مضاف كانه قال وقهم جزاء السيئات قال الفخر وقوله تعالى ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته يعنى من تق السيئات فى الدنيا فقد رحمته فى يوم القيامة انتهى وهذا راجع الى التاويل الاول * وقوله تعالى ان الذين كفروا ينادون لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم الآية روي ان هذه الحال تكون للكفار عند دخولهم النار فانهم اذا دخلوا فيها مقتوا انفسهم وتناديهم ملائكة العذاب على جهة التوبيخ لمقت الله اياكم فى الدنيا اذ كنتم تدعون الى الايمان فتكفرون اكبر من مقتكم انفسكم اليوم هذا هو معنى الآية وبه فسر مجاهد وقتادة وابن زيد واللام فى قوله لمقت يحتمل ان تكون لام ابتداء ويحتمل ان تكون لام قسم وهو اصوب واكبر خبر الابتداء واختلف فى معنى قولهم امتنا اثنتين الآية فقال ابن عباس وغيره ارادوا موتة كونهم فى الاصلاب ثم احياءهم فى الدنيا ثم اماتتهم الموت المعروف ثم احياءهم يوم القيامة وهي كالتى فى سورة البقرة كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا الآية وقال السدي ارادوا انه احياهم فى الدنيا ثم اماتهم ثم احياهم فى القبر وقت السؤال ثم اماتهم فيه ثم احياهم فى الحشر قال ... وهذا فيه الاحياء ثلاث مرار والاول اثبت وهذه الآية متصلة المعنى بالتى قبلها وبعد قولهم فهل الى خروج من سبيل محذوف يدل عليه الظاهر تقديره لا اسعاف لطلبتكم اونحو هذا من الرد * وقوله تعالى ذلكم يحتمل ان يكون اشارة الى العذاب الذى هم فيه اوالى مقتهم انفسهم اوالى المنع والزجر والاهانة * وقوله تعالى ذلكم بانه اذا دعي

الله وحده معناه بحالة توحيد ونفي لما سواه كفرتم وان يشرك به اللات والعزى وغيرهما صدقتم فالحكم اليوم بعذابكم وتخليدكم فى النار لله لا لتلك التى كنتم تشركونها معه فى الالوهية * وقوله سبحانه فادعوا الله مخلصين له الدين الآية مخاطبة للمومنين اصحاب نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وادعوا معناه اعبدوا * وقوله تعالى رفيع الدرجات يحتمل ان يريد بالدرجات صفاته العلى وعبر بما يقرب من افهام السامعين ويحتمل ان يريد رفيع الدرجات التى يعطيها للمومنين ويتفضل بها على عباده المخلصين فى جنته والعرش هو الجسم المخلوق الاعظم الذى السموات السبع والكرسي والارضون فيه كالدنانير فى الفلاة من الارض * وقوله تعالى يلقى الروح من امره على من يشاء من عباده قال الضحاك الروح هنا هو الوحي القرءان وغيره مما لم يتل وقال قتادة والسدي الروح النبوءة ومكانتها كما قال تعالى روحا من امرنا وسمي هذا روحا لانه تحي به الامم والازمان كما يحي الجسد بروحه ويحتمل ان يكون القاء الروح عاما لكل ما ينعم الله به على عباده المهتدين فى تفهيمه الايمان والمعقولات الشريفة والمنذر بيوم التلاق على هذا التاويل هو الله تعالى قال الزجاج الروح كل ما فيه حياة الناس وكل مهتد حي وكل ضال كالميت * وقوله من امره ان جعلته جنسا للامور فمن للتبعيض او لابتداء الغاية وان جعلت الامر من معنى الكلام فمن اما لابتداء الغاية واما بمعنى الباء ولا تكون للتبعيض بتة وقرأ الجمهور لتنذر بالتاء على مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم وقرأ ابي بن كعب وجماعة لينذر بالياء ويوم التلاق معناه تلاقى جميع العالم بعضهم بعضا وذلك امر لم يتفق قط قبل ذلك اليوم * وقوله يوم هم بارزون معناه فى براز من الارض يسمعهم الداعى وينفذهم البصر * وقوله تعالى لمن الملك اليوم روي ان الله تعالى يقرر هذا التقرير ويسكت العالم هيبة وجزعا فيجيب

سبحانه هو نفسه بقوله لله الواحد القهار ثم يعلم الله تعالى اهل الموقف بان اليوم تجزى كل نفس بما كسبت وباقى الآية تكرر معناه فانظره فى مواضعه ثم امر الله تعالى نبيه عليه السلام بانذار العالم وتحذيرهم من يوم القيامة واهواله والآزفة القريبة من ازف الشيء اذا قرب والآزفة فى الآية صفة لمحذوف قد علم واستقر فى النفوس هوله والتقدير يوم الساعة الآزفة او الطامة الآزفة ونحو هذا * وقوله سبحانه اذ القلوب لدى الحناجر معناه عند الحناجر اي قد صعدت من شدة الهول والجزع والكاظم الذي يرد غيظه وجزعه فى صدره فمعنى الآية انهم يطمعون فى رد ما يجدونه فى الحناجر والحال تغالبهم ويطاع فى موضع الصفة لشفيع لان التقدير ولا شفيع مطاع قال ابو حيان يطاع فى موضع صفة لشفيع فيحتمل ان يكون فى موضع خفض على اللفظ او فى موضع رفع على الموضع ثم يحتمل النفي ان يكون منسحبا على الوصف فقط فيكون ثم شفيع ولكنه لا يطاع ويحتمل ان ينسحب على الموصوف وصفته اي لا شفيع فيطاع انتهى وهذا الاحتمال الاخير هو الصواب قال (ع) وهذه الآية كلها عندى اعتراض فى الكلام بليغ * وقوله يعلم خائنة الاعين متصل بقوله سريع الحساب وقالت فرقة يعلم متصل بقوله لا يخفى على الله منهم شيء وهذا قول حسن يقويه تناسب المعنيين ويضعفه بعد الآية من الآية وكثرة الحائل والخائنة مصدر كالخيانة ويحتمل ان تكون خائنة اسم فاعل اي يعلم الاعين اذا خانت فى نظرها قال ابو حيان والظاهر ان خائنة الاعين من اضافة الصفة الى الموصوف اي الاعين الخائنة كقوله * وان سقيت كرام الناس فاسقينا * اي الناس الكرام وجوزوا ان يكون خائنة مصدرا كالعافية اي يعلم خيانة الاعين انتهى وهذه الآية عبارة عن علم الله تعالى بجميع الخفيات فمن ذلك كسر الجفون والغمز بالعين او النظرة التى تفهم معنى

ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه فى شأن رجل ارتد ثم جاء ليسلم هلا قام اليه رجل منكم حين تلكأت عنه فضرب عنقه فقالوا يارسول الله الا اومأت الينا فقال صلى الله عليه وسلم ما ينبغى لنبيء ان تكون له خائنة الاعين وفى بعض الكتب المنزلة من قول الله عز وجل انا مرصاد الهمم انا العالم بمجال الفكر وكسر الجفون وقال مجاهد خائنة الاعين مسارقة النظر الى ما لا يجوز ثم قوى تعالى هذا الاخبار بقوله وما تخفى الصدور مما لم يظهر على عين ولا غيرها واسند ابو بكر بن الخطيب عن مولى ام معبد الخزاعية عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يدعو اللهم طهر قلبى من النفاق وعملى من الرياء ولسانى من الكذب وعيني من الخيانة فانك تعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور انتهى قال القشيري فى التحبير ومن علم اطلاع الحق تعالى عليه يكون مراقبا لربه وعلامته ان يكون محاسبا لنفسه ومن لم تصح محاسبته لم تصح مراقبته وسئل بعضهم عما يستعين به العبد على حفظ البصر فقال يستعين عليه بعلمه ان نظر الله اليه سابق على نظره الى ما ينظر اليه انتهى * وقوله سبحانه والله يقضى بالحق اي يجازى الحسنة بعشر والسيئة بمثلها وينصف المظلوم من الظالم الى غير ذلك من اقضية الحق والعدل والاصنامُ لا تقضى بشيء ولا تنفذ امرا ويدعون معناه يعبدون * وقوله سبحانه اولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم اشد منهم قوة وءاثارا فى الارض فاخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق الضمير فى يسيروا لكفار قريش والآثار فى الارض هى المبانى والمآثر والصيت الدنيوي وذنوبهم كانت تكذيب الانبياء والواقى الساتر المانع ماخوذ من الوقاية وباقى الآية بين وخص تعالى هامان وقارون بالذكر تنبيها على مكانهما من الكفر ولكونهما اشهر رجال فرعون وقيل ان قارون هذا ليس بقارون بنى اسراءيل وقيل هو ذلك ولكنه كان

منقطعا الى فرعون خادما له مستغنيا معه * وقوله ساحراي فى امر العصا وكذاب فى قوله انى رسول الله ثم اخبر تعالى عنهم انهم لما جاءهم موسى بالنبوءة والحق من عند الله قال هؤلاء الثلاثة واجمع رأيهم على ان يُقتل ابناء بنى اسرائيل اتباع موسى وشبانهم واهل القوة منهم وان يستحيى النساء للخدمة والاسترقاق وهذا رجوع منهم الى نحو القتل الاول الذى كان قبل ميلاد موسى ولكن هذا الاخير لم تتم لهم فيه عزمة ولا اعانهم الله تعالى على شيء منه قال قتادة هذا قتل غير الاول الذى كان حذر المولود وسموا من ذكرنا من بنى اسرائيل ابناء كما تقول لانجاد القبيلة او المدينة واهل الظهور فيها هؤلاء ابناء فلانة * وقوله تعالى وما كيد الكافرين الا فى ضلال عبارة وجيزة تعطى قوتها ان هؤلاء الثلاثة لم يقدرهم الله تعالى على قتل احد من بنى اسرائيل ولا نجحت لهم فيهم سعاية * وقوله تعالى وقال فرعون ذرونى اقتل موسى الآية الظاهر من امر فرعون انه لما بهرتهم ءايات موسى عليه السلام انهد ركنه واضطربت معتقدات اصحابه ولم يفقد منهم من يجاذبه الخلاف فى امره وذلك بين من غير ما موضع من قصتهما وفى هذه الآية على ذلك دليلان احدهما قوله ذرونى فليست هذه من الفاظ الجبابرة المتمكنين من انفاذ اوامرهم والدليل الثانى مقالة المومن وما صدع به وان مكاشفته لفرعون اكثر من مساترته وحكمه بنبوءة موسى اظهر من توريته فى امره واما فرعون فانما نحا الى المخرقة والتمويه والاضطراب ومن ذلك قوله ذرونى اقتل موسى وليدع ربه اي انى لا ابالى برب موسى ثم رجع الى قومه يريهم النصيحة والحماية لهم فقال انى اخاف ان يبدل دينكم والدين السلطان ومنه قول زهير

لئن حللت بجي فى بنى اسد * فى دين عمرو وحالت بيننا فدك

وقرأ حمزة والكسائي وعاصم او ان يظهر وقرأ الباقون وان يظهر فعلى القراءة

الاولى خاف فرعون احد امرين وعلى الثانيـة خاف الامرين معا ولما سمع موسى مقالة فرعون دعا وقال انى عذت بربى وربكم الآية ثم حكى الله سبحانـه مقالة رجل مومن من آل فرعون شرفه بالذكر وخلد ثناءه فى الامم غابر الدهر قال (ع) سمعت ابى رحمه الله يقول سمعت ابا الفضل ابن الجوهري على المنبر يقول وقد سئل ان يتكلم فى شيء من فضائل الصحابة فاطرق قليلا ثم رفع رأسه وانشد

عن المرء لاتسئل وسل عن قرينه * فكل قـرين بالمقارن مقتـد

ماذا تريد من قوم قرنهم الله بنبيه وخصهم بمشاهدة وحيه. وقد اثنى الله تعالى على رجل مومن من آل فرعون كتم ايمانه واسره فجعله تعالى فى كتابه واثبت ذكره فى المصاحف لكلام قاله فى مجلس من مجالس الكفر واين هو من عمر بن الخطاب رضي الله عنه اذ جرد سيفه بمكة وقال والله لا اعبد الله سرا بعد اليوم قال مقاتل كان هذا المومن ابن عم فرعون قال الفخر قيل انه كان ابن عم لفرعون وكان جاريا مجرى ولي العهد له ومجرى صاحب السر له وقيل كان قبطيا من قوم فرعون وقيل انه كان من بنى اسراءيل والقول الاول اقرب لان لفظ الآل يقع على القرابة والعشيرة انتهى قال الثعلبي قال ابن عباس واكثر العلماء كان اسمه حزقيل وقيل حزبقال وقيل غير هذا انتهى * وقوله يصبكم بعض الذى يعدكم قال ابو عبيدة وغيره بعض هنا بمعنى كل وقال الزجاج هو الزام الحجة بايسر ما فى الامر وليس فيه نفى اصابة الكل قال (ع) ويظهر لى ان المعنى يصبكم القسم الواحد مما يعدبه لانه عليه السلام وعدهم ان آمنوا بالنعيم وان كفروا بالعذاب الاليم فان كان صادقا فالعذاب بعض ما وعد به وقول المومن ياقوم لكم الملك اليوم ظاهرين فى الارض استنزال لهم ووعظ * وقوله فى الارض يريد ارض مصر وهذه الاقوال تقتضى زوال هيبة فرعون

ولذلك استكان هو وراجع بقوله ما اريكم الا ما ارى واختلف الناس من المراد بقوله تعالى وقال الذى ءامن فقال الجمهور هو المومن المذكور قص الله تعالى اقاويله الى ءاخر الآيات وقالت فرقة بل كلام ذلك المومن قد تم وانما اراد تعالى بالذى ءامن موسى عليه السلام محتجين بقوة كلامه وذكر عذاب الآخرة وغير ذلك ولم يكن كلام الاول الا بملاينة لهم * وقوله مثل يوم الاحزاب اي مثل يوم من ايامهم لان عذابهم لم يكن فى عصر واحد والمراد بالاحزاب المتحزبون على الانبياء ومثل الثانى بدل من الاول والدأب العادة ويوم التنادى معناه يوم ينادى قوم قوما ويناديهم الآخرون واختلف فى التنادى المشار اليه فقال قتادة هو نداء اهل الجنة اهل النار فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا وقيل هو النداء الذى يتضمنه قوله تعالى يوم ندعوا كل اناس بامامهم قال (ع) ويحتمل ان يكون المراد التذكير بكل نداء فى القيامة فيه مشقة على الكفار والعصاة وذلك كثير وقرأ ابن عباس والضحاك وابو صالح يوم التناد بشد الدال وهذا معنى آخر ليس من النداء بل هو من ند البعير اذا هرب وبهذا المعنى فسر ابن عباس والسدي هذه الآية وروت هذه الفرقة فى هذا المعنى حديثا ان الله تعالى اذا طوى السموات نزلت ملائكة كل سماء فكانت صفا بعد صف مستديرة بالارض التى عليها الناس للحساب فاذا رأى الخلق هول القيامة واخرجت جهنم عنقا الى اصحابها فر الكفار وندوا مدبرين الى كل جهة فتردهم الملائكة الى المحشر لا عاصم لهم والعاصم المنجى * وقوله ولقد جاءكم يوسف الآية قالت فرقة منهم الطبري يوسف المذكور هنا هو يوسف بن يعقوب عليهما السلام وروي عن وهب بن منبه ان فرعون موسى هو فرعون يوسف عمر الى زمن موسى وروى اشهب عن مالك انه بلغه ان فرعون عمر اربعمائة سنة واربعين سنة وقالت فرقة بل هو فرعون

ءاخر * وقوله كبر مقتا اي كبر مقتا جدالهم عند الله فاختصر ذكر الجدال لدلالة تقدم ذكره عليه وقرأ ابو عمرو وحده على كل قلب بالتنوين وقرأ الباقون بغير تنوين وفى مصحف ابن مسعود على قلب كل متكبر جبار ثم ان فرعون لما اعيته الحيل فى مقاومة موسى نحا الى المخرقة ونادى هامان وزيره ان يبنى له صرحا فيروى انه طبخ الآجر لهذا الصرح ولم يطبخ قبله وبناه ارتفاع اربعمائة ذراع فبعث الله جبريل فمسحه بجناحه فكسره ثلاث كسر تفرقت اثنتان ووقعت ثالثة فى البحر والاسباب الطرق قاله السدي وقال قتادة اراد الابواب وقيل عنى لعله يجد مع قربه من السماء سببا يتعلق به وقرأ حمزة والكسائي وعاصم وصد عن السبيل بضم الصاد وفتح الدال عطفا على زين والباقون بفتح الصاد والتباب الخسران ومنه تبت يدا ابى لهب وبه فسرها مجاهد وقتادة ثم وعظهم الذى ءامن فدعا الى اتباع امر الله * وقوله اتبعون اهدكم يقوى ان المتكلم موسى وان كان الآخر يحتمل ان يقول ذلك اي اتبعونى فى اتباع موسى ثم زهدهم فى الدنيا وانها شيء يتمتع به قليلا ورغب فى الآخرة اذ هي دار الاستقرار قال الغزالي فى الاحياء من اراد ان يدخل الجنة بغير حساب فليستغرق اوقاته فى التلاوة والذكر والتفكر فى حسن المئاب ومن اراد ان ترجح كفة حسناته وتثقل موازين خيراته فليستوعب فى الطاعة اكثر اوقاته فان خلط عملا صالحا وءاخر سيئا فامره فى خطر لكن الرجاء غير منقطع والعفو من كرم الله منتظر انتهى * وقوله تعالى وياقوم مالي ادعوكم الى النجاة الآية قد تقدم ذكر الخلاف هل هذه المقالات لموسى او لمومن ءال فرعون والدعاء الى النجاة هو الدعاء الى سببها وهو توحيد الله تعالى وطاعته وباقى الآية بين * وقوله ان ما تدعوننى المعنى وان الذى تدعوننى اليه من عبادة غير الله ليس له دعوة اي قدر وحق يجب ان يدعى احد اليه ثم توعدهم

بانهم سيذكرون قوله عند حلول العذاب بهم والضمير فى وقاه يحتمل ان يعود على موسى او على مومن ءال فرعون على ما تقدم من الخلاف وقال القائلون بانه مومن ءال فرعون ان ذلك المومن نجا مع موسى عليه السلام فى البحر وفر فى جملة من فر معه من المتبعين * وقوله تعالى فى ءال فرعون النار يعرضون عليها غدوا وعشيا الآية قوله النار رفع على البدل من قوله سوء وقيل رفع بالابتداء وخبره يعرضون قالت فرقة هذا الغدو والعشي هو فى الدنيا اي فى كل غدو وعشي من ايام الدنيا يعرض ءال فرعون على النار قال القرطبي فى التذكرة وهذا هو عذاب القبر فى البرزخ انتهى وكذا قال الامام الفخر وروي فى ذلك ان ارواحهم فى اجواف طير سود تروح بهم وتغدو الى النار وقاله الاوزاعي عافانا الله من عذابه وخرج البخاري ومسلم عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان احدكم اذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي ان كان من اهل الجنة فمن اهل الجنة وان كان من اهل النار فمن اهل النار يقال له هذا مقعدك حتى يبعثك الله اليه يوم القيامة انتهى * وقوله تعالى ويوم تقوم الساعة اي ويوم القيامة يقال ادخلوا ءال فرعون اشد العذاب وءال فرعون اتباعه واهل دينه والضمير فى قوله يتحاجون لجميع كفار الامم وهذا ابتداء قصص لا يختص بءال فرعون والعامل فى اذ فعل مضمر تقديره اذكر ثم قال جميع من فى النار لخزنتها ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب فراجعتهم الخزنة على معنى التوبيخ والتقرير اولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات فاقر الكفار عند ذلك وقالوا بلى اى قد كان ذلك فقال لهم الخزنة عند ذلك ادعوا انتم اذن وهذا على معنى الهزء بهم * وقوله تعالى وما دعاء الكافرين الا فى ضلال قيل هو من قول الخزنة وقيل هو من قول الله تعالى اخبارا منه لمحمد عليه السلام ثم اخبر تعالى انه ينصر رسله والمومنين فى الدنيا والآخرة ونصر المومنين داخل

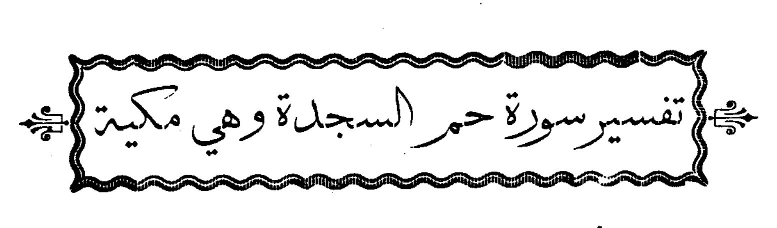
فى نصر الرسل وايضا فقد جعل الله للمومنين الفضلاء ودا ووهبهم نصرا اذا ظلموا وحضت الشريعة على نصرهم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم من رد عن اخيه فى عرضه كان حقا على الله ان يرد عنه نارجهنم وقوله عليه السلام من حمى مومنا من منافق يغتابه بعث الله ملكا يحميه يوم القيامة * وقوله تعالى ويوم يقوم الاشهاد يريد يوم القيامة قال الزجاج والاشهاد جمع شاهد وقال الطبري جمع شهيد كشريف واشراف ويوم لا ينفع بدل من الاول والمعذرة مصدر كالعذر ثم اخبر تعالى بقصة موسى وما ءاتاه من النبوءة تانيسا لمحمد وضرب اسوة وتذكيرا بما كانت العرب تعرفه من امر موسى فبين ذلك ان محمدا ليس ببدع من الرسل والهدى النبوءة والحكمة والتوراة تعم جميع ذلك * وقوله تعالى واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار قال الطبري الابكار من طلوع الفجر الى طلوع الشمس وقيل من طلوع الشمس الى ارتفاع الضحى وقال الحسن بالعشي يريد صلاة العصر والابكار يريد صلاة الصبح * وقوله تعالى ان فى صدورهم الاكبر اي ليسوا على شيء بل فى صدورهم كبر وانفة عليك ثم نفى ان يكونوا يبلغون ءامالهم بحسب ذلك الكبر ثم امره تعالى بالاستعاذة بالله فى كل امره من كل مستعاذ منه * وقوله تعالى لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس فيه توبيخ لهؤلاء الكفرة المتكبرين كانه قال مخلوقات الله اكبر واجل قدرا من خلق البشر فما لاحد منهم يتكبر على خالقه ويحتمل ان يكون الكلام فى معنى البعث وان الذى خلق السموات والارض قادر على خلق الناس تارة اخرى والخلق هنا مصدر مضاف الى المفعول والذين ءامنوا وعملوا الصالحات يعادلهم قوله ولا المسيء وهو اسم جنس يعم المسيئين * وقوله تعالى وقال ربكم ادعونى استجب لكم ءاية تفضل ونعمة ووعد لامة محمد صلى الله عليه وسلم بالاجابة عند الدعاء قال

النووي وروينا فى كتاب الترمذي عن عبادة بن الصامت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما على الارض مسلم يدعو الله تعالى بدعوة الا ءاتاه الله اياها او صرف عنه من السوء مثلها ما لم يدع باثم او قطيعة رحم فقال رجل من القوم اذن نكثر قال الله اكثر قال الترمذي حديث حسن صحيح ورواه الحاكم فى المستدرك من رواية ابي سعيد الخدري وزاد فيه او يدخر له من الاجر مثلها انتهى قال ابن عطاء الله لا يكن تأخر امد العطاء مع الالحاح فى الدعاء موجبا ليأسك فهو ضمن لك الاجابة فيما يختار لك لا فيما تختار لنفسك وفى الوقت الذى يريد لا فى الوقت الذى تريد انتهى وعن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل انا عند ظن عبدى بى وانا معه اذا دعانى رواه الجماعة الا ابا داود واللفظ لمسلم انتهى من السلاح وقالت فرقة معنى ادعونى اعبدونى واستجب معناه بالنصر والثواب ويدل على هذا قوله ان الذين يستكبرون عن عبادتى الآية (ت) وهذا التاويل غير صحيح والاول هو الصواب ان شاء الله للحديث الصحيح فقد روى النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الدعاء هو العبادة وقرأ وقال ربكم ادعونى استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين رواه ابو داود والترمذي والنساءي وابن ماجه والحاكم وابن حبان فى صحيحيهما وقال الترمذي واللفظ له حديث حسن صحيح وقال الحاكم صحيح الاسناد انتهى من السلاح والداخر الصاغر الذليل * وقوله تعالى الله الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه الآيات هذا تنبيه على ءايات الله وعبره متى تأملها العاقل ادته الى توحيد الله سبحانه والاقرار بربوبيته وتوفكون معناه تصرفون عن طريق النظر والهدى كذلك يوفك اي على هذه الهيئة وبهذه الصفة صرف الله تعالى الكفار الجاحدين بئايات الله من الامم المتقدمة عن طريق الهدى * وقوله تعالى

هو الذى خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا اشدكم ثم لتكونوا شيوخا ومنكم من يتوفى من قبل الآية تنبيه على الوحدانية بالعبرة فى ابن ءادم وتدريج خلقه * وقوله سبحانه ومنكم من يتوفى من قبل عبارة تردد فى الادراج المذكورة فمن الناس من يموت قبل ان يخرج طفلا وءاخرون قبل الاشد وءاخرون قبل الشيخوخة ولتبلغوا اجلا مسمى اي ليبلغ كل واحد اجلا مسمى لا يتعداه ولعلكم تعقلون الحقائق اذا نظرتم فى هذا وتدبرتم حكمة الله تعالى * وقوله تعالى الم تر الى الذين يجادلون فى ءايات الله الآية فى الكفار المجادلين فى رسالة نبينا محمد عليه السلام ويسحبون معناه يجرون والسحب الجر والحميم الذائب الشديد الحر من النار ويسجرون قال مجاهد معناه توقد النار بهم والعرب تقول سجرت التنور اذا ملأته نارا وقال السدي يسجرون يحرقون ثم اخبر تعالى انهم يقال لهم اين الاصنام التى كنتم تعبدون فى الدنيا فيقولون ضلوا اي تلفوا لنا وغابوا ثم تضطرب اقوالهم ويفزعون الى الكذب فيقولون بل لم نكن ندعوا من قبل شيأ ثم يقال لهؤلاء الكفار المعذبين ذلكم العذاب الذى انتم فيه بما كنتم تفرحون فى الدنيا بالمعاصى والكفر وتمرحون قال مجاهد معناه الاشر والبطر * وقوله تعالى ادخلوا ابواب جهنم معناه يقال لهم قبل هذه المحاورة فى اول الامر ادخلوا لان هذه المخاطبة انما هي بعد دخولهم ثم انس تعالى نبيه ووعده بقوله فاصبر ان وعد الله حق اي فى نصرك واظهار امرك فان ذلك امر اما ان ترى بعضه فى حياتك فتقر عينك به واما ان تموت قبل ذلك فالى امرنا وتعذيبنا يصيرون ويرجعون قال ابو حيان ومافى اما زائدة لتاكيد معنى الشرط انتهى * وقوله تعالى ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك هذه الآية رد على العرب الذين استبعدوا ان يبعث الله بشرا رسولا * وقوله تعالى

فاذا جاء امر الله قضي بالحق الآية يحتمل ان يريد بامر الله القيامة فتكون الآية توعدا لهم بالآخرة ويحتمل ان يريد بامر الله ارسال رسول وبعثة نبيء قضى ذلك وانفذه بالحق وخسر كل مبطل (ت) والاول ابين * وقوله تعالى الله الذى جعل لكم الانعام لتركبوا منها الآية هذه ءايات فيها عبر وتعديد نعم والانعام الازواج الثمانية ومنها الاولى للتبعيض وقال الطبري فى هذه الآية الانعام تعم الابل والبقر والغنم والخيل والبغال والحمير وغير ذلك مما ينتفع به من البهائم فمنها فى الموضعين على هذا للتبعيض * وقوله تعالى افلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اكثر منهم واشد قوة وءاثارا فى الارض فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون الآية هذا احتجاج على قريش بما اظهر سبحانه فى الامم السالفة من نقماته فى الكفار الذين كانوا اكثر منهم واشد قوة قال ابو حيان فما اغنى ما نافية اواستفهامية بمعنى النفي انتهى * وقوله سبحانه فلما جاءتهم رسلهم بالبينات الآية الضمير فى جاءتهم عائد على الامم المذكورة واختلف المفسرون فى الضمير فى فرحوا على من يعود فقال مجاهد وغيره هو عائد على الامم المذكورين اي فرحوا بما عندهم من العلم فى ظنهم ومعتقدهم من انهم لا يبعثون ولا يحاسبون قال ابن زيد واغتروا بعلمهم بالدنيا والمعاش وظنوا انه لا ءاخرة ففرحوا وهذا كقوله تعالى يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وقالت فرقة الضمير فى فرحوا عائد على الرسل وفى هذا التاويل حذف وتقديره فلما جاءتهم رسلهم بالبينات كذبوهم ففرح الرسل بما عندهم من العلم بالله والثقة به وبانه سينصرهم والضمير فى بهم عائد على الكفار بلا خلاف ثم حكى سبحانه حالة بعضهم ممن آمن بعد تلبس العذاب بهم فلم ينفعهم ذلك وفى ذكر هذا حض على المبادرة وسنة نصب على المصدر (ت) وقيل المعنى احذروا سنة الله كقوله ناقة الله قال الفخر وقوله هنالك اسم مكان

مستعار للزمـان اي وخسروا وقت رؤية البـاس انتهى وصلى الله على سيـدنا محمد وعلى ءاله وصحبه وسلم تسليما



☆ بسم الله الـرحمن الرحيم ☆

روي ان عتبة بن ربيعة ذهب الى النبي صلى الله عليه وسلم ليحتج عليه ويبين له امر مخالفته لقومه فلما فرغ عتبة من كلامه قال النبي صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته الى قوله فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقـة مثل صاعقة عاد وثمود فارعد الشيخ وقف شعـره وامسك على فم النبي صلى الله عليـه وسلم وناشـده بالرحم ان يمسك وقال حين فارقه والله لقد سمعت شيأ ما هو بالشعر ولا هو بالكهانـة ولا هو بالسحر ولقد ظننت ان صاعقـة العذاب على رأسي والرحمن الرحيـم صفتارجـاء ورحمة لله عز وجل وفصلت معناه بينت ءاياته اي فسرت معانيـه ففصل بـين حلاله وحرامه ووعده ووعيده وقيل فصلت فى التنزيل اي نزل نجوما ولم ينزل مرة واحدة وقيل فصلت بالمواقف وانواع اواخر الآي ولم يكن يرجع الى قافية ونحوها كالسجع والشعر ☆ وقوله تعالى لقوم يعلمون قالت فرقة يعلمون الاشياء ويعقلون الدلائل فكانّ القرءان فصلت آياته لهؤلاء اذهم اهل الانتفاع بها فخصوا بالذكر تشريفا وقالت فرقة يعلمون متعلق فى المعنى بقوله عربيا اي لقوم يعلمون الفاظه ويتحققون انها لم يخرج شيء منها عن كلام

العرب وكانّ الآيـة على هـذا التاويل رادة على من زعم ان فى كتاب الله ما ليس فى كلام العرب والتاويل الاول ابين واشرف معنى وبين انـه ليس فى القرءان الا ما هو من كلام العرب اما من اصل لغتها واما مما عربتـه من لغة غيرهـا ثم ذكـر فى القرءان وهو معرب مستعمـل * وقوله تعالى فهم لا يسمعون نفي لسماعهم النافع الذى يعتدبـه ثم حكى عنهم مقالتهم التى باعـدوا فيها كل المباعدة وارادوا ان يأيسوه من قبولهم ما جاء بـه وهي قلوبنا فى اكنة مما تدعونا اليه واكنة جمع كنان والوقر الثقل فى الاذن الذى يمنع السمع * وقوله تعالى وويل للمشركين الذين لا يوتون الزكوة الآيـة قال الحسن المراد بالزكاة زكاة المال وقال ابن عباس والجمهور الزكاة فى هـذه الآيـة لا اله الا الله التوحيد كما قال موسى لفرعون هل لك الى ان تزكى ويرجح هـذا التاويل ان الآية مكية وزكاة المال انما نزلت بالمدينـة وانما هـذه زكاة القلب والبدن اي تطهيره من المعاصى وقاله مجاهـد والربيع وقال الضحاك ومقاتل معنى الزكاة هنا النفقـة فى الطاعـة وغير ممنون قال ابن عباس معناه غير منقوص وقالت فرقة معناه غير مقطوع يقال مننت الحبل اذا قطعته وقال مجاهـد معناه غير محسوب قال (ع) ويظهر فى الآية انه وصفه بعدم المن والاذى من حيث هو من جهة الله تعالى فهو شريف لا من فيـه واعطيات البشر هي التى يـدخلها المن والانداد الاشباه والامثال وهي اشارة الى كل ما عبد من دون الله * وقوله تعالى وبارك فيهـا اي جعلها منبتـة للطيبات والاطعمة وجعلهـا طهورا الى غير ذلك من وجوه البركة وفى قراءة ابن مسعود وقسم فيها اقواتها واختلف فى معنى قوله اقواتها فقال السدي هي اقوات البشر وارزاقهم واضافها الى الارض من حيث هي فيها وعنها وقال قتادة هي اقوات الارض من الجبال والانهار والاشجار والصخور والمعادن والاشياء التى بها قوام الارض ومصالحها وروى

ابن عباس فى هذا حديثا مرفوعا فشبهها بالقوت الذى به قوام الحيوان وقال مجاهد اراد اقواتها من المطر والمياه وقال الضحاك وغيره اراد بقوله اقواتها خصائصها التى قسمها فى البلاد من الملبوس والمطعوم فجعل فى بلد وفى قطر ما ليس فى الآخر ليحتاج بعضهم الى بعض ويتقوت من هذه فى هذه وهذا قريب من الاول * وقوله تعالى فى اربعة ايام يريد باليومين الاولين وقرأ الجمهور سواء بالنصب على الحال اي سواء هي وما انقضى فيها وقرأ ابو جعفر ابن القعقاع سواء بالرفع اي هي سواء وقرأ الحسن سواء بالخفض على نعت الايام واختلف فى معنى للسائلين فقال قتادة معناه سواء لمن سأل واستفهم عن الامر وحقيقة وقوعه واراد العبرة فيه فانه يجده كما قال تعالى وقال ابن زيد وجماعة معناه مستو مهيأ امر هذه المخلوقات ونفعها للمحتاجين اليها من البشر فعبر عنهم بالسائلين بمعنى الطالبين لانه من شأنهم ولابد طلب ما ينتفعون به فهم فى حكم من سأل هذه الاشياء اذ هم اهل حاجة اليها ولفظة سواء تجرى مجرى عدل وزور فى ان ترد على المفرد والجمع والمذكر والمؤنث * وقوله سبحانه ثم استوى الى السماء معناه بقدرته واختراعه الى خلق السماء وايجادها * وقوله تعالى وهي دخان روي انها كانت جسما رخوا كالدخان او البخار وروي انه مما امره الله تعالى ان يصعد من الماء وهنا محذوف تقديره فاوجدها واتقنها واكمل امرها وحينئذ قال لها وللارض ايتيا بمعنى ايتيا امرى وارادتى فيكما وقرأ ابن عباس آتيا بمعنى اعطيا من انفسكما من الطاعة ما اردته منكما والاشارة بهذا كله الى تسخيرهما وما قدره الله من اعمالهما * وقوله اوكرها فيه محذوف تقديره ايتيا طوعا والا اتيتما كرها * وقوله سبحانه قالتا اراد الفرقتين جعل السموات سماء والارضين ارضا واختلف فى هذه المقالة من السموات والارض هل هو نطق حقيقة او هو مجاز لما ظهر عليهما من التذلل والخضوع والانقياد

الذى يتنزل منزلة النطق قال (ع) والقول الاول انه نطق حقيقة احسن لانه لاشيء يدفعه وان العبرة بـه اتم والقدرة فيه اظهـر * وقوله تعالى فقضاهن معناه فصنعهن واوجدهن ومنـه قول ابى ذؤيب

وعليهما مسـرودتان قضـاهما * داود او صنع السوابغ تبـع

* وقوله تعالى واوحى فى كل سماء امرها قال مجاهد وقتادة اوحى الى سكانها وعمرتها من الملائكة واليها هي فى نفسها ما شاء تعالى من الامور التى بها قوامها وصلاحها * وقوله ذلك اشارة الى جميع ما ذكر اي اوجده بقدرته واحكمه بعلمه * وقوله تعالى فان اعرضوا يعنى قريشا والعرب الذين دعوتهم الى عبادة الله تعالى عن هذه الآيات البينات فقل انذرتكم صاعقـة مثل صاعقـة عاد وثمود وقرأ النخعي وغيره صعقة فيهما وهـذه قراءة بينـة المعنى لان الصعقـة الهلاك الوَحِيّ واما الاولى فهي تشبيه بالصاعقة وهي الوقعـة الشديـدة من صوت الرعد فشبهت هنا وقعة العذاب بها لان عادا لم تعذب الا بريح وانما هذا تشبيه واستعارة وعبارة الثعلبي صاعقة اي واقعة وعقوبة مثل صاعقة عاد وثمود انتهى قال (ع) وخص عادا وثمودا بالذكر لوقوف قريش على بلادها فى اليمن وفى الحجـر فى طريـق الشام قال الثعلبي ومـن بين ايديهم ومن خلفهم يعنى قبلهم وبعدهم وقامت الحجة عليهم فى ان الرسالة والنذارة عمتهم خبرا ومباشرة وقال (ع) قوله ومن خلفهم اي جاءهم رسول بعد اكتمال اعمارهم وبعد تقدم وجودهم فى الزمـن فلذلك قال ومن خلفهم ولا يتوجـه ان يجعل ومن خلفهم عبارة عما اتى بعدهم لان ذلك لا يلحقهم منـه تقصير (ت) وما تقدم للثعلبي وغيره احسن لان مقصد الآية اتصال النذارة بهم وبين قبلهم وبين بعدهم اذ ما من امة الا وفيها نذير وكما قال تعالى رسلنا تترا وايضا فانه جمع فى اللفظ عادا وثمودا وبالضرورة ان الرسول الذى ارسل الى ثمود هو بعد عاد فليس لرد (ع) وجـه

فتأمله * وقوله تعالى فارسلنا عليهم ريحا الآية تقدم قصص هؤلاء وقرأ نافع وابو عمرو وابن كثير نحسات بسكون الحاء وهي جمع نحس وقرأ الباقون نحسات بكسر الحاء جمع نحس على وزن حذر والمعنى فى هذه اللفظة مشائيم من النحس المعروف قاله مجاهد وغيره وقال ابن عباس نحسات معناه متتابعات وقيل معناه شديدة اي شديدة البرد * وقوله تعالى فهديناهم معناه بينا لهم قاله ابن عباس وغيره وهذا كما هي الآن شريعة الاسلام مبينة لليهود والنصارى المختلطين بنا ولكنهم يعرضون ويشتغلون بالضد فذلك استحباب العمى على الهدى والعذاب الهون هو الذى معه هوان واذلال قال ابو حيان الهون مصدر بمعنى الهوان وصف به العذاب انتهى واعداء الله هم الكفار المخالفون لامر الله سبحانه ويوزعون معناه يكف اولهم حبسا على ءاخرهم قاله قتادة والسدي واهل اللغة وهذا وصف حال من احوال الكفرة فى بعض اوقات القيامة وذلك عند وصولهم الى جهنم فانه سبحانه يستقرهم عند ذلك على انفسهم ويسئلون سؤال توبيخ عن كفرهم فيجحدون ويحسبون ان لاشاهد عليهم ويطلبون شهيدا عليهم من انفسهم وفى الحديث الصحيح ان العبد يعنى الكافر يقول يارب اليس وعدتني ان لاتظلمني قال فان ذلك لك قال فاني لا اقبل علي شاهدا الا من نفسي قال فيختم على فيه وتتكلم اركانه بما كان يعمل قال فيقول لهن بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت ادافع الحديث قال ابو حيان حتى اذا ما جاءوها ما بعد اذا زائدة للتوكيد انتهى * وقوله تعالى وما كنتم تستترون يحتمل ان يكون من كلام الجلود ويحتمل ان يكون من كلام الله عز وجل وجمهور الناس على ان المراد بالجلود الجلود المعروفة واما معنى الآية فيحتمل وجهين احدهما ان يريد وما كنتم تتصاونون وتحجزون انفسكم عن المعاصي والكفر خوف ان يشهد اولاجل ان يشهد عليكم سمعكم الآية وهذا هو منحى مجاهد والمعنى

الثانى ان يريد وما يمكنكم ولا يسعكم الاختفاء عن اعضائكم والاستتار عنها بكفركم ومعاصيكم وهذا هو منحى السدي وعن ابن مسعود قال انى لمستتر باستار الكعبة اذ دخل ثلاثة نفر قرشيان وثقفي او ثقفيان وقرشي قليل فقه قلوبهم كثير شحم بطونهم فتحدثوا بحديث فقال احدهم اترى الله يسمع ما قلنا فقال الآخر يسمع اذا رفعنا ولا يسمع اذا اخفينا وقال الاخر ان كان يسمع منه شيأ فانه يسمعه كله فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته بذلك فنزلت هذه الآية وما كنتم تستترون وقرأ حتى بلغ وان يستعتبوا فما هم من المعتبين قال الشيخ ابو محمد بن ابي زيد فى ءاخر مختصر المدونة له واعلم ان الاجساد التى اطاعت او عصت هي التى تبعث يوم القيامة لتجازى والجلود التى كانت فى الدنيا والالسنة والايدى والارجل هي التى تشهد عليهم يوم القيامة على من تشهد انتهى قال القرطبي فى تذكرته واعلم ان عند اهل السنة ان تلك الاجساد الدنيوية تعاد باعيانها واعراضها بلاخلاف بينهم فى ذلك انتهى ومعنى اردا كم اهلككم والردى الهلاك وفى صحيح البخاري ومسلم عن جابر قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول قبل وفاته بثلاث لا يموتن احدكم الاوهو يحسن الظن بالله عز وجل وذكره ابن ابى الدنيا فى كتاب حسن الظن بالله عز وجل وزاد فيه فان قوما قد ارداهم سوء ظنهم بالله فقال لهم الله تبارك وتعالى وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم ارداكم فاصبحتم من الخاسرين انتهى ونقله ايضا صاحب التذكرة * وقوله تعالى فان يصبروا مخاطبة للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى فان يصبروا اولا يصبروا واقتصر لدلالة الظاهر على ما ترك * وقوله تعالى وان يستعتبوا معناه وان طلبوا العتبى وهي الرضا فما هم ممن يعطاها ويستوجبها قال ابو حيان قراءة الجمهور وان يستعتبوا مبنيا للفاعل ومن المعتبين مبنيا للمفعول اي وان يعتذروا فما هم من المعذورين انتهى ثم وصف تعالى

حالهم فى الدنيا وما اصابهم به حين اعرضوا لختم عليهم فقال وقيضنا لهم قرناء
اي يسرنا لهم قرناء سوء من الشياطين وغواة الانس * وقوله فزينوا لهم ما بين
ايديهم اي علموهم وقرروا لهم فى نفوسهم معتقدات سوء فى الامور التى
تقدمتهم من امر الرسل والنبوءات ومدح عبادة الاصنام واتباع فعل الآباء الى
غير ذلك مما يقال انه بين ايديهم وذلك كل ما تقدمهم فى الزمن واتصل اليهم
اثره او خبره وكذلك اعطوهم معتقدات سوء فيما خلفهم وهو كل ما يأتى
بعدهم من القيامة والبعث ونحو ذلك وحق عليهم القول اي سبق عليهم
القضاء الحتم وامر الله بتعذيبهم فى جملة امم معذبين كفار من الجن والانس
وقالت فرقة فى بمعنى مع اي مع امم قال (ع) والمعنى يتأدى بالحرفين ولا نحتاج
ان نجعل حرفا بمعنى حرف اذ قد ابى ذلك رؤساء البصريين * وقوله تعالى
وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرءان الآية حكاية لما فعله بعض كفار
قريش كابى جهل وغيره لما خافوا استمالة القلوب بالقرءان قالوا متى قرأ محمد
فالغطوا بالصفير والصياح وانشاد الشعر حتى يخفى صوته فهذا الفعل منهم هو
اللغو وقال ابو العالية ارادوا قعوا فيه وعيبوه وقولهم لعلكم تغلبون اي تطمسون
امر محمد وتميتون ذكره وتصرفون عنه القلوب فهذه الغاية التى تمنوها ويابى الله
الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون * وقوله تعالى فلنذيقن الذين كفروا عذابا
شديدا الآية قوله فلنذيقن الفاء دخلت على لام القسم وهي ءاية وعيد لقريش
والعذاب الشديد هو عذاب الدنيا فى بدر وغيرها والجزاء باسوإ اعمالهم هو
عذاب الآخرة (ت) حدث ابو عمر فى كتاب التمهيد قال حدثنا احمد بن
قاسم قال حدثنا محمد بن معاوية قال حدثنا ابراهيم بن موسى بن جميل قال
حدثنا عبد الله بن محمد بن ابى الدنيا قال حدثنا العَتَكي قال حدثنا خالد ابو يزيد
الرقي عن يحي المدني عن سالم بن عبد الله عن ابيه قال خرجت مرة فمررت

بقبر من قبور الجاهلية فاذا رجل قد خرج من القبر يتأجج نارا فى عنقه سلسلة ومعى اداوة من ماء فلما رءانى قال ياعبد الله اسقنى قال فقلت عرفنى فدعانى باسمى او كلمة تقولها العرب ياعبد الله اذ خرج على اثره رجل من القبر فقال ياعبد الله لا تسقه فانه كافر ثم اخذ السلسلة فاجتذبه فادخله القبر قال ثم اضافنى الليل الى بيت عجوز الى جانبها قبر فسمعت من القبر صوتا يقول بول ومابول شن وما شن فقلت للعجوز ما هذا قالت كان زوجا لى وكان اذا بال لم يتق البول وكنت اقول له ويحك ان الجمل اذا بال تفاجّ وكان يابى فهو ينادى من يوم مات بول وما بول قلت فما الشن قالت جاء رجل عطشان فقال اسقنى فقال دونك الشن فاذا ليس فيه شيء فخر الرجل ميتا فهو ينادى منذ مات شن وما شن فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبرته فنهى ان يسافر الرجل وحده قال ابو عمر هذا الحديث فى اسناده مجهولون ولم نورده للاحتجاج به ولكن للاعتبار وما لم يكن حكم فقد تسامح الناس فى روايته عن الضعفاء انتهى من ترجمة عبدالرحمن بن حرملة وكلامه على قول النبي صلى الله عليه وسلم الشيطان يهم بالواحد والاثنين فاذا كانوا ثلاثة لم يهم بهم وقد ذكرنا الحكاية الاولى عن الوائلي فى سورة اقرأ باسم ربك بغير هذا السند وان الرجل الاول هو ابو جهل انتهى ثم ذكر تعالى مقالة كفار يوم القيامة اذا دخلوا النار فانهم يرون عظيم ما حل بهم وسوء منقلبهم فتجول افكارهم فيمن كان سبب غوايتهم ومبادي ضلالتهم فيعظم غيظهم وحنقهم عليه ويودون ان يحصل فى اشد عذاب فحينئذ يقولون ربنا ارنا اللذين اضلانا وظاهر اللفظ يقتضى ان الذى فى قولهم اللذين انما هو للجنس اي ارنا كل مغو من الجن والانس وهذا قول جماعة من المفسرين * وقيل طلبوا ولد ءادم الذى سن القتل والمعصية من البشر وابليس الابالسة من الجن وهذا قول لا يخفى ضعفه

والاول هو القوي وقولهم نجعلهما تحت اقدامنا يريدون فى اسفل طبقة فى
النار وهي اشد عذابا * وقوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل
عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا قال سفيان بن عبد الله الثقفي قلت يارسول
الله اخبرنى بامر اعتصم به قال قل ربي الله ثم استقم (ت) هذا الحديث
خرجه مسلم فى صحيحه قال صاحب المفهم جوابه صلى الله عليه وسلم من جوامع
الكلم وكانه منتزع من قول الله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا الآية
وتلخيصه اعتدلوا على طاعته قولا وفعلا وعقدا انتهى من شرح الاربعين حديثا
لابن الفاكهاني قال (ع) واختلف الناس فى مقتضى قوله ثم استقاموا فذهب
الحسن وجماعة الى ان معناه استقاموا بالطاعات واجتناب المعاصى وتلا عمر
رضي الله عنه هذه الآية على المنبر ثم قال استقاموا والله بطاعته ولم يروغوا
روغان الثعالب قال (ع) فذهب رحمه الله الى حمل الناس على الاتم الافضل
والا فيلزم على هذا التاويل من دليل الخطاب ان لا تتنزل الملائكة عند
الموت عل غير مستقيم على الطاعة وذهب ابوبكر رضي الله عنه وجماعة معه
الى ان المعنى ثم استقاموا على قولهم ربنا الله فلم يختل توحيدهم ولا اضطرب
ايمانهم قال (ع) وفى الحديث الصحيح من كان ءاخر كلامه لا اله الا الله دخل
الجنة وهذا هو المعتقد ان شاء الله وذلك ان العصاة من امة محمد وغيرها
فرقتان فاما من غفر الله له وترك تعذيبه فلا محالة انه ممن تتنزل عليهم الملائكة
بالبشارة وهو انما استقام على توحيده فقط واما من قضى الله بتعذيبه مدة ثم
يامر بادخاله الجنة فلا محالة انه يلقى جميع ذلك عند موته ويعلمه وليس يصح
ان تكون حاله كحالة الكافر واليائس من رحمة الله واذا كان هذا فقد حصلت
له بشارة بان لا يخاف الخلود ولا يحزن منه ويدخل فيمن يقال لهم ابشروا بالجنة
التى كنتم توعدون ومع هذا كله فلا يختلف فى ان الموحد المستقيم على الطاعة

اتم حالا واكمل بشارة وهو مقصد امير المومين عمر رضي الله عنه وبالجملة فكلما كان المرء اشد استعدادا كان اسرع فوزا بفضل الله تعالى قال الثعلبي قوله تعالى تتنزل عليهم الملائكة اي عند الموت ان لا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا قال وكيع والبشرى فى ثلاثة مواطن عند الموت وفى القبر وعند البعث وفى البخاري تتنزل عليهم الملائكة اي عند الموت انتهى قال ابن العربي فى احكامه تتنزل عليهم الملائكة قال المفسرون عند الموت وانا اقول كل يوم واوكد الايام يوم الموت وحين القبر ويوم الفزع الاكبر وفى ذلك ءاثار بيناها فى موضعها انتهى قال (ع) قوله تعالى ان لا تخافوا ولا تحزنوا امنة عامة فى كل هم مستانف وتسلية تامة عن كل فائت ماض وقال مجاهد المعنى لا تخافون ما تقدمون عليه ولا تحزنوا على ما خلفتم من دنياكم (ت) وذكر ابو نعيم عن ثابت البناني انه قرأ حم السجدة حتى بلغ ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة فوقف وقال بلغنا ان العبد المومن حين يبعث من قبره يتلقاه الملكان اللذان كانا معه فى الدنيا فيقولان له لا تخف ولا تحزن وابشر بالجنة التى كنت توعد قال فامن الله خوفه واقر عينه الحديث انتهى قال ابن المبارك فى رقائقه سمعت سفيان يقول فى قوله تعالى تتنزل عليهم الملائكة اي عند الموت ان لا تخافوا ما امامكم ولا تحزنوا على ما خلفتم من ضيعاتكم وابشروا بالجنة التى كنتم توعدون قال يبشر بثلاث بشارات عند الموت واذا خرج من القبر واذا فزع نحن اولياؤكم فى الحيوة الدنيا قال كانوا معهم قال ابن المبارك واخبرنا رجل عن منصور عن مجاهد فى قوله تعالى نحن اولياؤكم فى الحيوة الدنيا قال قرناؤهم يلقونهم يوم القيامة فيقولون لا نفارقكم حتى تدخلوا الجنة اه * وقوله تعالى نحن اولياؤكم فى الحيوة الدنيا وفى الآخرة المتكلم بنحن اولياؤكم هم الملائكة القائلون لا تخافوا ولا تحزنوا اي يقولون للمومنين عند الموت وعند مشاهدة الحق نحن

كنا اولياءكم فى الدنيا ونحن هم اولياؤكم فى الآخرة قال السدي المعنى نحن حفظتكم فى الدنيا واولياؤكم فى الآخرة والضمير فى قوله فيها عائد على الآخرة وتدعون معناه تطلبون قال الفخر ومعنى كونهم اولياء للمومنين اشارة الى ان للملائكة تاثيرات فى الارواح البشرية بالالهامات والمكاشفات اليقينية والمناجات الخفية كما ان للشاطين تاثيرات فى الارواح بالقاء الوساوس وبالجملة فكون الملائكة اولياء للارواح الطيبة الطاهرة حاصل من جهات كثيرة معلومة لارباب المكاشفات والمشاهدات فهم يقولون كما ان تلك الولايات حاصلة فى الدنيا فهي تكون باقية فى الآخرة فان تلك العلائق ذاتية لازمة غير مائلة الى الزوال بل تصير بعد الموت اقوى وابقى وذلك لان جوهر النفس من جنس الملائكة وهي كالشعلة بالنسبة الى الشمس والقطرة بالنسبة الى البحر وانما التعلقات الجسدانية والتدبيرات البدنية هي الحائلة بينها وبين الملائكة فاذا زالت تلك العلائق فقد زال الغطاء واتصل الاثر بالمؤثر والقطرة بالبحر والشعلة بالشمس انتهى (ت) وقد نقل الثعلبي من كلام ارباب المعانى هنا كلاما كثيرا حسنا جدا موقظا لارباب الهمم فانظره ان شئت وروى ابن المبارك فى رقائقه بسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا فنيت ايام الدنيا عن هذا العبد المومن بعث الله الى نفسه من يتوفاها قال فقال صاحباه اللذان يحفظان عليه عمله ان هذا قد كان لنا اخا وصاحبا وقد حان اليوم منه فراق فاذنوا لنا او قال دعونا نثن على اخينا فيقال اثنيا عليه فيقولان جزاك الله خيرا ورضي عنك وغفر لك وادخلك الجنة فنعم الاخ كنت والصاحب ما كان ايسر مؤونتك واحسن معونتك على نفسك ما كانت خطاياك تمنعنا ان نصعد الى ربنا فنسبح بحمده ونقدس له ونسجد له ويقول الذى يتوفى نفسه اخرج ايها الروح الطيب الى خير يوم مر عليك فنعم ما قدمت لنفسك اخرج الى الروح

والريحان وجنـات النعيم ورب عليك غير غضبـان واذا فنيت ايام الدنيـا عن العبد الكافر بعث الله الى نفسه من يتوفاها فيقول صاحباه اللذان كانا يحفظان عليه عمله ان هـذا قد كان لنا صاحبا وقد حان منه فراق فاذنوا لنا ودعونا نثن على صاحبنـا فيقال اثنيا عليه فيقولان لعنة الله وغضبه عليه ولا غفر له وادخله النار فبيس الصاحب ما كان اشد مـؤنته وما كان يعين على نفسه ان كانت خطاياه وذنوبه لتمنعنا ان نصعد الى ربنا فنسبح له ونقدس له ونسجد له ويقول الذى يتوفى نفسه اخرج ايهـا الروح الخبيث الى شـر يوم مر عليك فبيس ما قدمت لنفسك اخرج الى الحميم وتصلية الجحيم ورب عليك غضبان انتهى *
وقوله تعالى ومن احسن قولا ممن دعا الى الله الآيـة ابتداء توصية لنبيـه عليه السلام وهو لفظ يعم كل من دعا قديما وحديثـا الى الله عز وجل من الانبياء والمومنين والمعنى لاحد احسن قولا ممن هـذه حاله والى العموم ذهب الحسن ومقاتل وجماعة وقيل ان الآية نزلت فى المؤذنين وهذا ضعيف لان الآية مكية والاذان شرع بالمدينة قال ابو حيان ولا السيئة لا زائدة للتوكيد انتهى *
وقوله تعالى ادفع بالتى هي احسن ٠ايـة جمعت مكارم الاخلاق وانواع الحلم والمعنى ادفع ما يعرض لك مـع الناس فى مخالطتهم بالفعلة او بالسيرة التى هي احسن قال ابن عباس امره الله تعالى فى هذه الآية بالصبر عند الغضب والحلم عند الجهل والعفو عند الاساءة فاذا فعل المومنون ذلك عصمهم الله من الشيطان وخضع لهم عدوهم كانه ولي حميم البخاري ولي حميم اي قريب انتهى وفسر مجاهد وعطاء هـذه الآيـة بالسلام عند اللقاء قال (ع) ولاشك ان السلام هو مبدأ الدفع بالتى هي احسن وهو جزء منه والضمير فى قوله يلقاها عائد على هذه الخلق التى يقتضيهـا قوله ادفع بالتى هي احسن وقالت فرقة المراد وما يلقى لا اله الا الله وهـذا تفسير لا يقتضيه اللفظ * وقوله سبحانـه الا الذين صبروا مدح بليغ

للصابرين وذلـك بين للمتـأمل لان الصبر على الطاعات وعن الشهوات جامع لخصال الخير كلها والحظ العظيم يحتمل ان يريد من العقل والفضل فتكون الاية مدحا للمتصف بذلك ويحتمل ان يريـد ذوحظ عظيم من الجنة وثواب الآخرة فتكون الآية وعدا وبالجنة فسر قتادة الحظ هنا * وقوله تعالى واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله اما شرط وجواب الشرط قوله فاستعذ والنزغ فعـل الشيطان فى قلب او يد من القـاء غضب او حقـد او بطش فى اليد فمن الغضب هـذه الايـة ومن الحقد قوله نزغ الشيطان بينى وبين اخوتى ومن البطش قول النبي صلى الله عليـه وسلم لا يشر احدكم على اخيـه بالسلاح لا ينزغ الشيطان فى يـده فيلقيه فى حفرة من حفر النار ومن دعاء الشيخ الولي العـارف بالله سبحانـه محمد بن مسرة القرطبي اللهم لا تجعل صدرى للشيطان مَراغا ولا تصير قلبى له مجالا ولا تجعلنى ممن استفزه بصوتـه واجاب عليه بخيله ورجله وكن لى من حبائله منجيا ومن مصائده منقـذا ومن غواياته مبعدا اللهم انه وسوس فى القلب والقى فى النفس ما لا يطيق اللسان ذكره ولا تستطيع النفس نشره مما نزهك عنه علو عزك وسمو مجدك فازل ياسيدى ما سطر وامح ما زور بوابل من سحائب عظمتك وطوفان من بحار نصرتك واسلل عليه سيف ابعادك وارشقه بسهام اقصائك واحرقـه بنار انتقامك واجعل خلاصى منه زائدا فى حزنه وموكدا لاسفه ثم قال رحمه الله اعلم انه ربما كان العبد فى خلوته مشتغلا بتلاوته ويجد فى نفسه من الوسوسة ما يحول بينه وبين ربـه حتى لا يجد لطعم الذكـر حلاوة ويجد فى قلبه قساوة وربما اعتراه ذلك مع الاجتهاد فى قراءته وعلة ذلك ان الذكر ذكران ذكر خوف ورهبة وذكـر امن وغفلة فاذا كان الذكر بالخوف والرهبة خنس الشيطان ولم يحتمل الحملة واذهب الوسوسة لان الذكر اذا كان باجتماع القلب وصدق النية لم يكن للشيطان قوة عند ذلك

وانقطعت علائق حيله وانما قوتـه ووسوستـه مع الغفلة واذا كان الذكر بالامن والغفلة لم تفارقه الوسوسة وان استدام العبد الذكر والقراءة لان على قلب الغافل غشاوة ولا يجد صاحبها لطعم الذكر حلاوة فتحفظ على دينك من هذا العدو وليس لك ان تزيله عـن مرتبته ولا ان تزيحه عـن وطنه وانما ابيح لك مجاهدته فاستعن بالله يعنك وثق بالله فانه لا يخذلك قال تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين انتهى من تصنيفـه رحمه الله وندب سبحانه فى الآيـة المتقدمة الى الاخـذ بمكارم الاخلاق ووعـد على ذلك وعلم سبحانه ان خلقة البشر تغلب احيانا وتثور بهم سَورة الغضب ونزغ الشيطان فدلهم فى هذه الآية على ما يذهب ذلك وهي الاستعاذة به عز وجل ثم عدد سبحانه ءاياته ليعتبر فيها فقال ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر ثم قال تعالى لا تسجدوا للشمس ولا للقمر وان كانت لكم فيهما منافع لان النفع منهما انما هو بتسخير الله اياهما فهو الذى ينبغى ان يسجد له والضمير فى خلقهن قيل هو عائد على الآيات المتقدم ذكرها وقيل عائـد على الشمس والقمر والاثنان جمع وايضا جمع ما لا يعقل يؤنث فلذلك قال خلقهن ومن حيث يقال شموس واقمار لاختلافهما بالايام ساغ ان يعود الضمير مجموعا وقيل هو عائد على الاربعة المذكورة (ت) ومن كتاب المستغيثين بالله لابى القاسم بن بشكـوال حـدث بسنده الى انس بن مالك قال تقرأ حم السجدة وتسجد عند السجدة وتدعو فانه يستجاب لك قال الراوى وجربته فوجدته مستجابا انتهى ثم خاطب جل وعلا نبيه عليه السلام بما يتضمن وعيدهم وحقارة امرهم وانه سبحانه غني عن عبادتهم بقوله فان استكبروا الآية وقوله فالذين يعنى بهم الملائكة هم صافون يسبحون وعند هنا ليست بظرف مكان وانما هي بمعنى المنزلة والقربة كما تقول زيد عنـد الملك جليل ويروى ان تسبيح الملائكة قـد صارلهم كالنفس لبنى

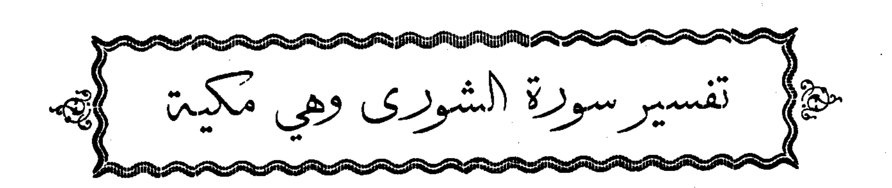
ءادم ولا يسئمون معناه لا يملون ثم ذكر تعالى ءاية منصوبة ليعتبر بها فى امر البعث من القبور ويستدل بما شوهد من هـذه على ما لم يشاهـد فقال ومن آياته انك ترى الارض خاشعة الآية وخشوع الارض هو ما يظهر عليها من استكانة وشعث بالجدب فهي عابسة كما الخاشع عابس يكاد يبكي واهتزاز الارض هو تخلخل اجزائها وتشققها للنبات وربوها هو انتفاخها بالماء وعلو سطحها به وعبارة البخاري اهتزت بالنبات وربت ارتفعت اه ثم ذكر تعالى بالامر الذى ينبغي ان يقاس على هذه الآية والعبرة وذلك احياء الموتى فقال ان الذى احياها لمحي الموتى وهو على كل شيء قدير والشيء فى اللغة الموجود * وقوله تعالى ان الذين يلحدون فى ءاياتنا لا يخفون علينا الآيـة ءايـة وعيد والالحاد الميل وهو هنا ميل عن الحق ومنه لحد الميت لانه فى جانب يقال لحد الرجل والحد بمعنى واختلف فى الحادهم هـذا ما هو فقال قتادة وغيره هو الحاد بالتكذيب وقال مجاهد وغيره هو بالمكاء والصفير واللغو الذى ذهبوا اليه وقال ابن عباس الحادهم وضعهم للكلام غير موضعه ولفظة الالحاد تعم هذا كله وباقى الآيـة بين * وقوله تعالى اعملوا ما شئتم وعيد فى صيغة الامر باجماع من اهل العلم * وقوله تعالى ان الذين كفروا بالذكر الآية يريد بالذين كفروا قريشا والذكر القرءان باجماع واختلف فى الخبر عنهم اين هو فقالت فرقة هو فى قوله اولائك ينادون من مكان بعيد ورد بكثرة الحائل وان هنالك قوما قد ذكروا يحسن رد قوله اولائك ينادون عليهم وقالت فرقة الخبر مضمر تقديره ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم هلكوا اوضلوا وقيل الخبر فى قوله وانه لكتاب عزيز وهـذا ضعيف لا يتجه وقال عمرو بن عبيد معناه فى التفسير ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم كفروا به وانه لكتاب عزيز قال (ع) والذى يحسن فى هذا هو اضمار الخبر ولكنه عند قوم فى غير هذا الموضع الذى قدره هؤلاء فيـه وانما هو بعد حكيم حميد

وهو اشد اظهارا لمذمة الكفار به وذلك لان قوله وانـه لكتاب داخل فى صفة الذكر المكذب به فلم يتم ذكر المخبر عنه الا بعد استيفاء وصفه ووصف الله تعالى الكتاب بالعزة لانـه بصحة معانيه ممتنع الطعن فيه والازراء عليه وهو محفوظ من الله تعالى قال ابن عباس معناه كريم على الله تعالى * وقوله تعالى لاياتيه الباطل قال قتادة والسدي يريد الشيطان وظاهر اللفظ يعم الشيطان وان يجيء امر يبطل منـه شيأ * وقوله من بين يديـه معناه ليس فيما تقدم من الكتب ما يبطل شيأ منه * وقوله ولا من خلفه اي ليس ياتى بعده من نظر ناظر وفكرة عاقل ما يبطل شيأ منه والمراد باللفظة على الجملة لا ياتيه الباطل من جهة من الجهات * وقوله تنزيل خبر مبتـدإ اي هو تنزيل * وقوله تعالى ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك يحتمل معنيين احدهما ان يكون تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم عن مقالات قومه وما يلقاه من المكروه منهم والثانى ان يكون المعنى ما يقال لك من الوحي وتخاطب به من جهة الله تعالى الا ما قد قيل للرسل من قبلك * وقوله تعالى ولوجعلناه قرءانا اعجميا الآيـة الاعجمي هو الذى لا يفصح عربيـا كان او غير عربي والعجمي الذى ليس من العرب فصيحا كان او غير فصيح والمعنى ولوجعلنا هذا القرءان اعجميا لا يبين لقالوا واعترضوا لولا بينت آياته وهذه الآية نزلت بسبب تخليط كان من قريش فى اقوالهم من اجل حروف وقعت فى القرءان وهي مما عرب من كلام العجم كسجين واستبرق ونحوه وقرأ الجمهور ءاعجمي وعربي على الاستفهام وهمزة ممدودة قبل الالف وقرأ حمزة والكسائي وحفص أأعجمي بهمزتين وكانهم ينكرون ذلك ويقولون أأعجمي وعربي مختلط هذا لا يحسن ثم قال تعالى قل هو يعنى القرءان للذين ءامنوا هدى وشفاء واختلف الناس فى قوله وهو عليهم عمى فقالت فرقة يريد بهو القرءان وقالت فرقة يريد بهو الوقر وهذه كلها استعارات

والمعنى انهم كالاعمى وصاحب الوقر وهو الثقل فى الاذن المانـع مـن السمع وكذلك قوله تعالى اولائك ينادون من مكان بعيد يحتمل معنيين وكلاهما مقول للمفسرين احدهما انها استعارة لقلة فهمهم شبههم بالرجل ينادَى على بعد يَسمع منه الصوتَ ولا يفهم تفاصيلَه ولا معانيه وهذا تاويل مجاهد والآخر ان الكلام على الحقيقـة وان معناه انهم يوم القيامة ينادون بكفرهم وقبيح اعمالهم من بعد حتى يسمع ذلك اهل الموقف ليفضحوا على رءوس الخلائق ويكون اعظم لتوبيخهم وهذا تاويل الضحاك قال ابو حيان عمى بفتح الميم مصدر عمي انتهى ثم ضرب الله تعالى امر موسى مثلا للنبي عليه السلام ولقريش اي فعل اولائك كافعال هؤلاء حين جاءهم مثل ما جاء هؤلاء والكلمة السابقة هي حتم الله تعالى بتاخير عذابهم الى يوم القيامـة والضمير فى قوله لفى شك منـه يحتمل ان يعود على موسى او على كتابه * وقوله تعالى من عمل صالحا فلنفسه الآيـة نصيحة بليغة للعالم وتحذير وترجية * وقوله تعالى اليه يرد علم الساعة الآية المعنى ان علم الساعـة ووقت مجيئها يرده كل مومن متكلم فيه الى الله عـز وجل * وقوله تعالى ويوم يناديهم اين شركاءى الآية التقدير واذكر يوم يناديهم والضمير فى يناديهم الاظهر والاسبق فيه للفهم انه يريد الكفار عبدة الاوثان ويحتمل ان يريد كل من عبد من دون الله من انسان وغيره وفى هـذا ضعف واما الضمير فى قوله وضل عنهم فلا احتمال لعودتـه الا على الكفار وءاذناك قال ابن عباس وغيره معناه اعلمناك ما منا من يشهد ولا من شهد بان لك شريكا وضل عنهم اي نسوا ما كانوا يقولون فى الدنيا ويدعون من الآلهة والاصنام ويحتمل ان يريد وضل عنهم الاصنام اي تلفت فلم يجدوا منها نصرا وتلاشى لهم امرها * وقوله وظنوا يحتمل ان يكون متصلا بما قبله ويكون الوقف عليه ويكون قوله ما لهم من محيص استيناف نفي ان يكون لهم ملجـأ او موضع روغان تقول

حاص الرجل اذا راغ لطلب النجاة من شيء ومنه الحديث فحاصوا حيصة حمر الوحش الى الابواب ويكون الظن على هذا التاويل على بابه اي ظنوا ان هذه المقالة مامنا من شهيد منجاة لهم او امر يموهون بـه ويحتمل ان يكون الوقف فى قوله من قبل ويكون وظنوا متصلا بقوله ما لهم من محيص اي ظنوا ذلك ويكون الظن على هذا التاويل بمعنى اليقين وقد تقدم البحث فى اطلاق الظن على اليقين (ت) وهذا التاويل هو الظاهر والاول بعيد جدا * وقوله تعالى لا يسأم الانسان من دعاء الخير هذه ءايات نزلت فى كفار قيل فى الوليد بن المغيرة وقيل فى عتبة بن ربيعة وجل الآيـة يعطى انها نزلت فى كفار وان كان اولها يتضمن خُلقا ربما شارك فيهـا بعض المومنين ودعاء الخير اضافتـه اضافـة المصدر الى المفعول وفى مصحف ابن مسعود من دعاء بالخير والخير فى هذه الآية المال والصحة وبذلك تايق الآية بالكفار * وقوله تعالى ليقولن هذا لى اي بعملى وبما سعيت ولا يرى ان النعم انما هي فضل من الله تعالى قال (ص) ليقولن قال ابو البقاء هو جواب الشرط والفاء محذوفة وقيل هو جواب قسم محذوف قال (ص) قلت هذا هو الحق والاول غلط لان القسم قد تقدم فى قوله ولئن فالجواب له ولان حذف الفاء فى الجواب لا يجوز انتهى وفى تغليط الصَفاقُسي لابى البقاء نظر * وقوله وما اظن الساعة قائمة قول بين فيه الجحد والكفر ثم يقول هذا الكافر ولئن رجعت الى ربي كما تقولون ان لى عنده للحسنى اي حالا ترضينى من مال وبنين وغير ذلك قال (ع) والاماني على الله تعالى وترك الجد فى الطاعة مذموم لكل احد فقد قال عليه السلام الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله * وقوله تعالى واذا انعمنا على الانسان اعرض ونـا بجانبه الآية ذكر سبحانه الخلق الذميمة من الانسان جملة وهي فى الكافر بينة متمكنة واما المومن ففى الاغلب يشكر على النعمة

وكثيرا ما يصبر عند الشدة ونئا معناه بعد ولم يمل الى شكر ولاطاعة *
وقوله فذو دعاء عريض اي وطويل ايضا وعبارة الثعلبي عريض اي كثير
والعرب تستعمل الطول والعرض كليهما فى الكثرة من الكلام انتهى ثم امر
تعالى نبيه ان يوقف قريشا على هذا الاحتجاج وموضع تغريرهم بانفسهم فقال
قل ارأيتم ان كان من عند الله وخالفتموه الستم على هلكة فمن اضل ممن يبقى
على مثل هذا الغرر مع الله وهذا هو الشقاق ثم وعد تعالى نبيه عليه السلام
بانه سيرى الكفار ءاياته واختلف فى معنى قوله سبحانه فى الآفاق وفى انفسهم
فقال المنهال والسدي وجماعة هو وعد بما يفتحه الله على رسوله من الاقطار حول
مكة وفى غير ذلك من الارض كخيبر ونحوها وفى انفسهم اراد به فتح مكة
قال (ع) وهذا تاويل حسن يتضمن الاعلام بغيب ظهر بعد ذلك وقال قتادة
والضحاك سنريهم ءاياتنا فى الآفاق هو ما اصاب الامم المكذبة فى اقطار
الارض قديما وفى انفسهم يوم بدر والتاويل الاول ارجح والله اعلم والضمير فى
قوله تعالى انه الحق عائد على الشرع والقرءان فباظهار الله نبيه وفتح البلاد
عليه يتبين لهم انه الحق * وقوله بربك قال ابو حيان الباء زائدة وهو فاعل
يكف اي اولم يكفهم ربك انتهى وباقى الآية بين



تفسير سورة الشورى وهي مكية

وقال مقاتل فيها مدني قوله تعالى ذلك الذى يبشر الله عباده الى الصدور

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله تعالى حم عسق قال الثعلبي قال ابن عباس ان حم عسق هذه الحروف باعيانها نزلت فى كل كتب الله المنزلة على كل نبيء انزل عليه كتاب ولذلك قال تعالى كذلك يوحى اليك والى الذين من قبلك وقرأ الجمهور يوحى باسناد الفعل الى الله تعالى وقرأ ابن كثير وحده يوحى بفتح الحاء على بناء الفعل للمفعول والتقدير يوحى اليك القرءان * وقوله تعالى والى الذين من قبلك يريد من الانبياء الذين نزل عليهم الكتاب وقرأ نافع والكسائي يتفطرن وقرأ ابو عمرو وعاصم ينفطرن والمعنى فيهما يتصدعن ويتشققن خضوعا و خشية من الله تعالى وتعظيما وطاعة * وقوله من فوقهن اى من اعلاهن وقال الاخفش علي بن سليمان الضمير فى من فوقهن للكفار اي من فوق الجماعات الكافرة والفرق الملحدة من اجل اقوالها يكاد السموات يتفطرن فهذه الآية على هذا كالتى فى كهيعص يكاد السموات يتفطرن منه الآية وقالت فرقة معناه من فوق الارضين اذ قد جرى ذكر الارض * وقوله تعالى ويستغفرون لمن فى الارض قالت فرقة هذا منسوخ بقوله تعالى ويستغفرون للذين ءامنوا قال (ع) وهذا قول ضعيف لان النسخ فى الاخبار لا يتصور وقال السدي ما معناه ان ظاهر الآية العموم ومعناها الخصوص فى المومنين فكانه قال ويستغفرون لمن فى الارض من المومنين وقالت فرقة بل هي على عمومها لكن استغفار الملائكة ليس بطلب غفران للكفرة مع بقائهم على كفرهم وانما استغفارهم لهم بمعنى طلب الهداية التى تؤدى الى الغفران لهم وتاويل السدي ارجح * وقوله تعالى والذين اتخذوا من دونه اولياء الله حفيظ عليهم وما انت عليهم بوكيل هذه ءاية تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم ووعيد للكافرين

والمعنى ليس لك الا البلاغ فقط فلا تهتم بعدم ايمان قريش وغيرهم الله هو الحفيظ عليهم كفرهم المحصى لاعمالهم المجازى عليها وانت لست بوكيل عليهم وما فى هذه الالفاظ من موادعة فمنسوخ قال الامام الفخر فى شرحه لاسماء الله الحسنى عند كلامه على اسمه سبحانه الحفيظ قال بعضهم ما من عبد حفظ جوارحه الاحفظ الله عليه قلبه وما من عبد حفظ الله عليه قلبه الاجعله حجة على عباده انتهى ثم قال تعالى وكذلك اوحينا اليك قرءانا عربيا المعنى وكما قضينا امرك هكذا وامضيناه فى هذه السورة كذلك اوحينا اليك قرءانا عربيا مبينا لهم لا يحتاجون الى ءاخر سواه اذ فهمه متأت لهم ولم نكلفك الا انذار من ذكر وام القرى هي مكة ويوم الجمع هو يوم القيامة اي تخوفهم اياه * وقوله فريق مرتفع على خبر الابتداء المضمر كانه قال هم فريق فى الجنة وفريق فى السعير ثم قوى تعالى تسلية نبيه بان عرفه ان الامر موقوف على مشيئة الله من ايمانهم اوكفرهم وانه لواراد كونهم امة واحدة على دين واحد لجمعهم عليه ولكنه سبحانه يدخل من سبقت له السعادة عنده فى رحمته وييسره فى الدنيا لعمل اهل السعادة وان الظالمين بالكفر الميسرين لعمل الشقاوة ما لهم من ولي ولا نصير قال عبد الحق رحمه الله فى العاقبة وقد علمت رحمك الله ان الناس يوم القيامة صنفان * صنف مقرب مصان * وءاخر مبعد مهان * صنف نصبت لهم الاسرة والحجال * والارائك والكِلال * وجمعت لهم الرغائب والآمال * وءاخرون اعدت لهم الاراقم والصلال * والمقامع والاغلال * وضروب الاهوال والانكال * وانت لا تعلم من ايهما انت * ولا فى اي الفريقين كنت *

نزلوا بمكة فى قبائل نوفل * ونزلت بالبيداء ابعد منزل

وتقلبوا فرحين تحت ظلالها * وطرحت بالصحراء غير مظلل

وسقوا من الصافى المعتق ريهم * وسقيت دمعة واله متململ
بكى سفيان الثوري رحمه الله ليلة الى الصباح فقيل له ابكاؤك هذا على الذنوب فاخذ تبنة من الارض وقال الذنوب اهون من هذا انما ابكى خوف الخاتمة وبكى غير سفيان وغير سفيان وانه للامر يبكى عليه * ويصرف الاهتمام كله اليه * وقد قيل لا تكف دمعك * حتى ترى فى المعاد ربعك * وقيل ياابن ءادم الاقلام عليك تجرى * وانت فى غفلة لا تدرى * ياابن ءادم دع التنافس فى هذه الدار * حتى ترى ما فعلت فى امرك الاقدار * سمع بعض الصالحين منشدا ينشد * ايا راهبى نجران ما فعلت هند * فبكى ليلة الى الصباح فسئل عن ذلك فقال قلت فى نفسى ما فعلت الاقدار في * وماذا جرت به علي * انتهى * وقوله تعالى ام اتخذوا من دونه اولياء فالله هو الولي الآية قوله ام اتخذوا كلام مقطوع مما قبله وليست بمادلة ولكن الكلام كانه اضرب عن حجة لهم او مقالة مقررة فقال بل اتخذوا هذا مشهور قول النحويين فى مثل هذا وذهب بعضهم الى ان ام هذه هى بمنزلة الف الاستفهام دون تقدير اضراب ثم اثبت الحكم بانه عز وجل هو الولي الذى تنفع ولا يته * وقوله تعالى وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله الآية المعنى قل لهم يامحمد وما اختلفتم فيه ايها الناس من تكذيب وتصديق وايمان وكفر وغير ذلك فالحكم فيه والمجازاة عنه ليست الي ولا بيدى وانما ذلك الى الله تعالى الذى صفاته ما ذكر من احياء الموتى والقدرة على كل شيء * وقوله تعالى جعل لكم من انفسكم ازواجا يريد زوج الانسان الانثى وبهذه النعمة اتفق الذرء وليست الازواج هاهنا الانواع * وقوله ومن الانعام ازواجا الظاهر ايضا فيه والمتسق انه يريد اناث الذكران ويحتمل ان يريد الانواع والاول اظهر * وقوله يذرؤكم اي يخلقكم نسلا بعد نسل وقرنا بعد قرن قاله مجاهد والناس فلفظة ذرأ تزيد على لفظة خلق

معنى آخر ليس فى خلق وهو توالى طبقات على مر الزمان * وقوله فيه الضمير عائد على الجعل الذى يتضمنه قوله جعل لكم وهذا كما تقول كلمت زيدا كلاما اكرمته فيه وقال القُتَبي الضمير للتزويج ولفظة فى مشتركة على معان وان كان اصلها الوعاء واليه يردها النظر فى كل وجه * وقوله تعالى ليس كمثله شيء الكاف موكدة للتشبيه فنفي التشبيه اوكد ما يكون وذلك انك تقول زيد كعمرو وزيد مثل عمرو فاذا اردت المبالغة التامة قلت زيد كمثل عمرو وجرت الآية فى هذا الموضع على عرف كلام العرب وعلى هذا المعنى شواهد كثيرة وذهب الطبري وغيره الى ان المعنى ليس كهو شيء وقالوا لفظة مثل فى الآية توكيد وواقعة موقع هو والمقاليد المفاتيح قاله ابن عباس وغيره وقال مجاهد هذا اصلها بالفارسية وهي هاهنا استعارة لوقوع كل امر تحت قدرته سبحانه وقال السدي المقاليد الخزائن وفى اللفظ على هذا حذف مضاف قال قتادة من ملك مقاليد خزائن فالخزائن فى ملكه * وقوله سبحانه شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا الآية المعنى شرع لكم وبين من المعتقدات والتوحيد ما وصى به نوحا قبل * وقوله والذى عطف على ما وكذلك ما ذكر بعد من اقامة الدين مشروع اتفقت النبوءات فيه وذلك فى المعتقدات واما الاحكام بانفرادها فهي فى الشرائع مختلفة وهي المراد فى قوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا واقامة الدين هو توحيد الله ورفض سواه * وقوله تعالى ولا تتفرقوا نهي عن المهلك من تفرق الانحاء والمذاهب والخير كله فى الالفة واجتماع الكلمة ثم قال تعالى لنبيه عليه السلام كبر على المشركين ما تدعوهم اليه من توحيد الله ورفض الاوثان قال قتادة كبر عليهم لا اله الا الله وابى الله الا نصرها ثم سلاه تعالى عنهم بقوله الله يجتبي اليه من يشاء الآية اي يختار ويصطفى قاله مجاهد وغيره وينيب معناه يرجع عن الكفر ويحرص على

الخير ويطلبه وما تفرقوا يعنى اوائـل اليهود والنصارى الا من بعـد ما جاءهم العلم * وقوله بغيا بينهم اي بغى بعضهم على بعض واداهم ذلك الى اختلاف الرأي وافتراق الكلمة والكلمة السابقة قال المفسرون هي حتمه تعالى القضاء بان مجازاتهم انما تقع فى الآخرة ولولا ذلك لفصل بينهم فى الدنيا وغلب المحق على المبطل * وقوله تعالى وان الذين اورثوا الكتاب اشارة الى معاصرى نبينا محمد عليه السلام من اليهود والنصارى وقيل هو اشارة الى العرب والكتاب على هذا هو القرءان والضمير فى قوله لفى شك منه يحتمل ان يعود على الكتاب او على محمد او على الاجل المسمى اي فى شك من البعث على قول من رأى ان الاشارة الى العرب ووصف الشك بمريب مبالغـة فيه واللام فى قوله تعالى فلذلك فادع قالت فرقة هي بمنزلة الى كانه قال فالى ما وصى به الانبياء من التوحيد فادع وقالت فرقة بل هي بمعنى من اجل كانه قال من اجل ان الامر كذا وكذا ولكونه كذا فادع انت الى ربك وبلغ ما ارسلت به وقال الفخر يعنى فلاجل ذلك التفرق ولاجل ما حدث من الاختلافات الكثيرة فى الدين فادع الى الاتفاق على الملة الحنيفية واستقم عليها وعلى الدعوة اليها كما امرك الله ولا تتبع اهواءهم الباطلة انتهى وخوطب عليه السلام بالاستقامة وهو قـد كان مستقيما بمعنى دم على استقامتك وهكذا الشأن فى كل مامور بشيء هو متلبس بـه انما معناه الدوام وهذه الآيـة ونحوها كانت نصب عيني النبي عليه السلام وكانت شديدة الموقع من نفسه اعنى قوله تعالى واستقم كما امرت لانها جملة تحتها جميع الطاعات وتكاليف النبوءة وفى هذا المعنى قال عليه السلام شيبتنى هود واخواتها فقيل له لم ذلك يانبي الله فقال لان فيها فاستقم كما امرت وهذا الخطاب له عليه السلام بحسب قوته فى امر الله عـز وجـل وقال هو لامته بحسب ضعفهم استقيموا ولن تحصوا * وقوله تعالى ولاتتبع اهواءهم يعنى

قريشا (ت) وفرض الفخر هذه القضيـة فى اهل الكتاب وذكر ما وقع من اليهود ومحاجتهم فى دفع الحق وجحد الرسالة وعلى هذا فالضمير فى اهوائهم عائد عليهم والله اعلم اه ثم امره تعالى ان يقول ءامنت بما انزل الله من كتاب وهو امر يعم سائر امته * وقوله وامرت لاعدل بينكم قالت فرقة اللام فى لاعدل بمعنى ان اعدل بينكم وقالت فرقة المعنى وامرت بما امرت به من التبليغ والشرع لكي اعـدل بينكم * وقوله لنا اعمالنا ولكم اعمالكم الى ءاخر الآيـة ما فيه من موادعة منسوخ بـآية السيف * وقوله لاحجة بيننا وبينكم اي لا جدال ولا مناظرة قد وضح الحق وانتم تعاندون وفى قوله الله يجمع بيننـا وعيدبين * وقوله تعالى والذين يحاجون فى الله الآية قال ابن عباس ومجاهد نزلت فى طائفة من بنى اسراءيل همت برد الناس عن الاسلام واضلالهم وقيل نزلت فى قريش لانها كانت ابدا تحاول هذا المعنى ويحاجون فى الله معناه فى دين الله او توحيـد الله اي يحاجون فيـه بالابطال والالحاد وما اشبهه والضمير فى له يحتمل ان يعود على الله تبارك وتعالى ويحتمل ان يعود على الدين والشرع ويحتمـل ان يعود على النبي عليه السلام وداحضة معناه زاهقة والدحض الزهق وباقى الآية بين * وقوله سبحانه الله الذى انزل الكتاب بالحق معناه مضمنـا الحق اي بالحق فى احكامه واوامره ونواهيـه واخباره والميزان هنـا العدل قاله ابن عباس ومجاهد والناس وحكى الثعلبي عن مجاهد انـه قال هو هنا الميزان الذى بايـدى الناس قال (ع) ولاشك انه داخل فى العدل وجزء منه * وقوله تعالى وما يدريك لعل الساعة قريب وعيد للمشركين وجاء لفظ قريب مذكـرا من حيث تانيث الساعـة غير حقيقي واذ هي بمعنى الوقت (ت) ينبغى للمومن العاقل ان يتدبر هـذه الآيـة ونظائرها ويقدر فى نفسه انه المقصود بها

لاه بـدنيـاه والايام تنعـاه * والقبر غايتـه واللحـد مأواه

يلهو فلو كان يدرى ما اعِدله * اذن لاحزنـه ما كان الهـاه
قال الغزالي فى الاحياء قال ابو زكرياء التيمي بينما سليمان بن عبد الملك فى المسجد الحرام اذ اوتي بحجر منقوش فطلب من يقرأه فاوتي بوهب بن منبه فاذا فيه * ابن ءادم انك لورأيت قرب ما بقي من اجلك * لزهدت فى طول املك * ولرغبت فى الزيادة من عملك * ولقصرت من حرصك وحيلك * وانما يلقاك غدا ندمك * لوقدزلت بك قدمك * واسلمك اهلك وحشمك * ففارقك الولد والقريب * ورفضك الوالد والنسيب * فلا انت الى دنياك عائد * ولا فى حسناتك زائد * فاعمل ليوم القيامة * قبل الحسرة والندامة * فبكى سليمان بكاء شديدا انتهى وباقى الآيـة بين ثم رجى تبارك وتعالى عباده بقوله الله لطيف بعباده ولطيف هنا بمعنى رفيق مُتَحَفٍّ والعباد هنا المومنون * وقوله تعالى من كان يريد حرث الآخرة معناه ارادة مستعد عامل لا ارادة متمن مسوف والحرث فى هذه الآية عبارة عن السعي والتكسب والاعداد * وقوله تعالى نزد له فى حرثه وعد متنجز قال الفخر وفى تفسير قوله نزد له فى حرثه قولان الاول نزد له فى توفيقه واعانتـه وتسهيل سبيل الخيرات والطاعات عليه وقال مقاتل نزد له فى حرثـه بتضعيف الثواب قال تعالى ليوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله انتهى وقوله ومن كان يريد حرث الدنيا نوته منها معناه ما شئنا منها ولمن شئنا فرب ممتحن مضيق عليه حريص على حرث الدنيا مريد له لا يحس بغيره نعوذ بالله من ذلك وهذا الذى لا يعقل غير الدنيا هو الذى نفى ان يكون له نصيب فى الآخرة * وقوله تعالى ام لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم ياذن به الله ام هذه منقطعة لا معادلة وهي بتقدير بل والف الاستفهام والشركاء فى هذه الآية يحتمل ان يكون المراد بهم الشياطين والمغوين من اسلافهم ويكون الضمير فى لهم للكفار المعاصرين لمحمد عليه السلام فالاشتراك هاهنا هو

فى الكفر والغواية وليس بشركة الاشراك بالله ويحتمل ان يكون المراد بالشركاء الاصنام والاوثان على معنى ام لهم اصنام جعلوها شركاء لله فى الوهيته ويكون الضمير فى شرعوا لهؤلاء المعاصرين من الكفار ولآبائهم والضمير فى لهم للاصنام الشركاء وشرعوا معناه اثبتوا ونهجوا ورسموا والدين هنا العوائد والاحكام والسيرة ويدخل فى ذلك ايضا المعتقدات السوء لانهم فى جميع ذلك وضعوا اوضاعا فاسدة وكلمة الفصل هي ما سبق من قضاء الله تعالى بانه يوخر عقابهم للدار الآخرة والقضاء بينهم هو عذابهم فى الدنيا ومجازاتهم * وقوله تعالى ترى الظالمين هي رؤية بصر ومشفقين حال وليس لهم فى هذا الاشفاق مدح لانهم انما اشفقوا حين نزل بهم وليسوا كالمومنين الذين هم فى الدنيا مشفقون من امر الساعة كما تقدم وهو واقع بهم ابو حيان ضمير هو عائد على العذاب او على ما كسبوا بحذف مضاف اي وبال ما كسبوا انتهى والروضات المواضع المونقة النضِرة * وقوله تعالى ذلك الذى يبشر الله عباده اشارة الى قوله تعالى فى الآية الاخرى وبشر المومنين بان لهم من الله فضلا كبيرا * وقوله تعالى قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة فى القربى اختلف الناس فى معناه فقال ابن عباس وغيره هي ءاية مكية نزلت فى صدر الاسلام ومعناها استكفاف شر الكفار ودفع اذاهم اي ما اسألكم على القرءان الا ان تودونى لقرابة بينى وبينكم فتكفوا عنى اذاكم قال ابن عباس وابن اسحاق وقتادة ولم يكن فى قريش بطن الا وللنبي صلى الله عليه وسلم فيه نسب او صهر فالآية على هذا فيها استعطاف ما ودفع اذى وطلب سلامة منهم وذلك كله منسوخ بآية السيف ويحتمل هذا التاويل ان يكون معنى الكلام استدعاء نصرهم اي لا اسألكم غرامة ولا شيأ الا ان تودونى لقرابتى منكم وان تكونوا اولى بى من غيركم قال (ع) وقريش كلها عندى قربى وان كانت تتفاضل وقد روي عن النبي صلى الله عليه

وسلم انه قال من مات على حب ءال محمد مات شهيدا ومن مات على بغضهم لم يشم رائحة الجنة وقال ابن عباس ايضا ما يقتضى ان الآية مدنية وان الانصار جمعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم مالا وساقته اليه فرده عليهم ونزلت الآية فى ذلك وقيل غير هذا وعلى كل قول فالاستثناء منقطع والا بمنى لكن ويقترف معناه يكتسب ورجل قُرَفَة اذا كان محتالا كسوبا وغفور معناه ساتر عيوب عباده وشكور معناه مجاز على الدقيقة من الخير لا يضيع عنده لعامل عمل * وقوله تعالى ام يقولون افترى على الله كذبا ام هذه مقطوعة مضمنة اضرابا عن كلام متقدم وتقريرا على هذه المقالة منهم * وقوله تعالى فان يشإ الله يختم على قلبك معناه فى قول قتادة وفرقة من المفسرين ينسيك القرءان والمراد الرد على مقالة الكفار وبيان ابطالها كانه يقول وكيف يصح ان تكون مفتريا وانت من الله بمرأى ومسمع وهو قادر لو شاء ان يختم على قلبك فلا تعقل ولا تنطق ولا يستمر افتراؤك فمقصد اللفظ هذا المعنى وحذف ما يدل عليه الظاهر اختصارا واقتصارا وقال مجاهد المعنى فان يشإ الله يختم على قلبك بالصبر لاذى الكفار ويربط عليك بالجلد فهذا تاويل لا يتضمن الرد على مقالتهم قال ابو حيان وذكر القشيري ان الخطاب للكفار اي يختم على قلبك ايها القائل فيكون انتقالا من الغيبة للخطاب ويمح استيناف اخبار لا داخل فى الجواب وتسقط الواو من اللفظ لالتقاء الساكنين ومن المصحف حملا على اللفظ انتهى * وقوله تعالى ويمح فعل مستقبل خبر من الله تعالى انه يمحو الباطل ولا بد اما فى الدنيا واما فى الآخرة وهذا بحسب نازلة نازلة وكتب يمح فى المصحف بحاء مرسلة كما كتبوا ويدع الانسان الى غير ذلك مما ذهبوا فيه الى الحذف والاختصار * وقوله بكلماته معناه بما سبق فى قديم علمه وارادته من كون الاشياء فالكلمات المعانى القائمة القديمة التى لا تبديل لها ثم ذكر تعالى النعمة فى تفضله

بقبول التوبة من عباده وقبول التوبة فيما يستانف العبد من زمانه واعماله مقطوع
بـه بهذه الآية واما ما سلف من اعماله فينقسم فاما التوبة من الكفر فماحية
كل ما تقدمها من مظالم العباد الفائتة وغير ذلك واما التوبة من المعاصى
فلاهل السنة فيها قولان هل تذهب المعاصي السالفة للعبد بينه وبين خالقه
فقالت فرقة هي مذهبة لها وقالت فرقة هي فى مشيئة الله تعالى واجمعوا انها
لا تذهب مظالم العباد وحقيقة التوبة الاقلاع عن المعاصى والاقبال والرجوع
الى الطاعات * ويلزمها الندم على ما فات * والعزم على ملازمة الخيرات *
وقال سري السقطي التوبة العزم على ترك الذنوب * والاقبال بالقلب على
علام الغيوب * وقال يحيى بن معاذ التائب من كسر شبابه على رأسه وكسر
الدنيا على رأس الشيطان ولزم الفطام * حتى اتاه الحمام * وقوله تعالى عن عباده
بمعنى من عباده وكانه قال التوبة الصادرة عن عباده وقرأ الجمهور يفعلون بالياء
على الغيبة وقرأ حمزة والكسائي تفعلون بالتاء على المخاطبة وفى الآية توعد *
وقوله تعالى ويستجيب قال الزجاج وغيره معناه يجيب والعرب تقول اجاب
واستجاب بمعنى والذين على هذا التاويل مفعول يستجيب وروي هذا المعنى
عن معاذ بن جبل ونحوه عن ابن عباس وقالت فرقة المعنى ويستدعى الذين
امنوا الاجابة من ربهم بالاعمال الصالحات ودل قوله ويزيدهم من فضله على
ان المعنى فيجيبهم والذين على هذا القول فاعل يستجيب وقالت فرقة المعنى
ويجيب المومنون ربهم فالذين فاعل بمعنى يجيبون دعوة شرعه ورسالته والزيادة
من فضله هي تضعيف الحسنات وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
هي قبول الشفاعات فى المذنبين والرضوان * وقوله تعالى ولو بسط الله الرزق
لعباده لبغوا فى الارض ولكن ينزل بقدر ما يشاء انه بعباده خبير بصير قال عمرو
ابن حُرَيْث وغيره انها نزلت لان قوما من اهل الصفة طلبوا من رسول الله

صلى الله عليه وسلم ان يغنيهم الله ويبسط لهم الاموال والارزاق فاعلمهم الله تعالى انه لو جاء الرزق على اختيار البشر واقتراحهم لكان سبب بغيهم وافسادهم ولكنه عز وجل اعلم بالمصلحة فى كل احد انه بعباده خبير بصير بمصالحهم فهو ينزل لهم من الرزق القدر الذى به صلاحهم فرب انسان لا يصلح وتنكف عاديته الا بالفقر (ت) وقد ذكرنا فى هذا المختصر احاديث كثيرة مختارة فى فضل الفقراء الصابرين ما فيه كفاية لمن وفق وقد روى ابن المبارك فى رقائقه عن سعيد بن المسيب قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اخبرنى يارسول الله بجلساء الله يوم القيامة قال هم الخائفون الخاضعون المتواضعون الذاكرون الله كثيرا قال يا رسول الله فهم اول الناس يدخلون الجنة قال لا قال فمن اول الناس يدخل الجنة قال الفقراء يسبقون الناس الى الجنة فتخرج اليهم منها ملائكة فيقولون ارجعوا الى الحساب فيقولون على م نحاسب والله ما افيضت علينا الاموال فى الدنيا فنقبض فيها ونبسط وما كنا امراء نعدل ونجور ولكنا جاءنا امر الله فعبدناه حتى اتانا اليقين انتهى * وقوله عز وجل وهو الذى ينزل الغيث من بعد ما قنطوا الآية تعديد نعم الله الدالة على وحدانيته وانه المولى الذى يستحق ان يعبد دون ما سواه من الانداد وقرأ الجمهور قنطوا بفتح النون وقرأ الاعمش قنطوا بكسرها وهما لغتان وروي ان عمر رضي الله عنه قيل له اجدبت الارض وقنط الناس فقال مطروا اذن بمعنى ان الفرج عند الشدة * وقوله تعالى وينشر رحمته قيل اراد بالرحمة المطر وقيل اراد بالرحمة هنا الشمس فذلك تعديد نعمة غير الاولى وذلك ان المطر اذا الم بعد القنط حسن موقعه فاذا دام سئم فتجيء الشمس بعده عظيمة الموقع * وقوله تعالى وهو الولي الحميد اي من هذه افعاله هو الذى ينفع اذا والى وتحمد افعاله ونعمه قال القشيري اسمه تعالى الولي اي هو المتولى لاحوال عباده وقيل هو من الوالى

وهو الناصر فاولياء الله انصار دينه واشياع طاعته والولي فى صفة العبد من يواظب على طاعة ربه ومن علامات من يكون الحق سبحانه وليه ان يصونه ويكفيه فى جميع الاحوال ويومنه فيغار على قلبه ان يتعلق بمخلوق فى دفع شر اوجاب نفع بل يكون سبحانه هو القائم على قلبه فى كل نفس فيحقق ءاماله عند اشاراته ويعجل مـآربه عند خطراته ومن امارات ولايته لعبده ان يديم توفيقه حتى لو اراد سوءا او قصد محظورا عصمه عن ارتكابه اولو جنح الى تقصير فى طاعة ابى الا توفيقا وتاييدا وهذا من امارات السعادة وعكس هذا من امارات الشقاوة ومن امارات ولايته ايضا ان يرزقه مودة فى قلوب اوليائه انتهى من التحبير ثم ذكر تعالى الآية الكبرى الدالة على الصانع وذلك خلق السموات والارض * وقوله تعالى وما بث فيهما من دابة يتخرج على وجوه منها ان يريد احداهما وهو ما بث فى الارض دون السموات ومنها ان يكون تعالى قد خلق فى السموات وبث دواب لانعلمها نحن ومنها ان يريد الحيوانات التى توجد فى السحاب وقد تقع احيانا كالضفادع ونحوها فان السحاب داخل فى اسم السماء * وقوله تعالى وهو على جمعهم يريد يوم القيامة عند الحشر من القبور * وقوله تعالى وما اصابكم من مصيبة قرأ جمهور القراء فبما بفاء وكذلك هي فى جل المصاحف وقرأ نافع وابن عامر بما دون فاء قال ابو علي الفارسي اصاب من قوله وما اصابكم يحتمل ان يكون فى موضع جزم وتكون ما شرطية وعلى هذا لايجوز حذف الفاء عند سيبويه وجوز حذفها ابو الحسن الاخفش وبعض البغداديين على انها مرادة فى المعنى ويحتمل ان يكون اصاب صلة لما وتكون ما بمعنى الذى وعلى هذا يتجه حذف الفاء وثبوتها لكن معنى الكلام مع ثبوتها التلازم اي لولا كسبكم ما اصابتكم مصيبة والمصيبة انما هي بكسب الايدى ومعنى الكلام مع حذفها يجوز ان يكون التلازم ويجوز ان يعرى منه قال (ع) واما

فى هذه الآية فالتلازم مطرد مع الثبوت والحذف واما معنى الآية فاختلف الناس فيه فقالت فرقة هو اخبار من الله تعالى بان الرزايا والمصائب فى الدنيا انما هي مجازات من الله تعالى على ذنوب المرء وخطاياه وان الله تعالى يعفو عن كثير فلا يعاقب عليه بمصيبة وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يصيب ابن ءادم خدش عود اوعثرة قدم ولا اختلاج عرق الابذنب وما يعفو عنه اكثر وقال مرة الهمداني رأيت على ظهر كف شريح قرحة فقلت ما هذا فقال هذا بما كسبت يدى ويعفو الله عن كثير وقيل لابى سليمان الداراني ما بال الفضلاء لا يلومون من اساء اليهم فقال لانهم يعلمون ان الله تعالى هو الذى ابتلاهم بذنوبهم وروى علي بن ابى طالب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما اصابكم من مرض او عقوبة او بلاء فى الدنيا فبما كسبت ايديكم والله اكرم من ان يثني عليكم العقوبة فى الآخرة وما عفا الله عنه فى الدنيا فالله احلم من ان يعود فيه بعدعفوه وقال الحسن معنى الآية فى الحدود اي ما اصابكم من حد من حدود الله فبما كسبت ايديكم ويعفوالله عن كثير فيستره على العبد حتى لا يحد عليه ثم اخبر تعالى عن قصور ابن ءادم وضعفه وانه فى قبضة القدرة لا يعجز طلب ربه ولايمكنه الفرار منه والجوارى جمع جارية وهي السفينة والاعلام الجبال وباقى الآية بين فيه الموعظة وتشريف الصبار الشكور * وقوله تعالى او يوبقهن بما كسبوا اوبقت الرجل اذا انشبته فى امر يهلك فيه وهو فى السفن تغريقها وبما كسبوا اي بذنوب ركابها وقرأ نافع وابن عامر ويعلم بالرفع على القطع والاستيناف وقرأ الباقون والجمهور ويعلم بالنصب على تقدير ان والمحيص المنجى وموضع الروغان ثم وعظ سبحانه عباده وحقر عندهم امرالدنيا وشأنها ورغبهم فيما عنده من النعيم والمنزلة الرفيعة لديه وعظم قدر ذلك فى قوله فما اوتيتم من شيء فمتاع الحيوة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وابقى للذين ءامنوا

وعلى ربهم يتوكلون وقرأ الجمهور كبائر على الجمع قال الحسن هي كل ما توعد فيه بالنار وقد تقدم ما ذكره الناس فى الكبائر فى سورة النساء وغيرها والفواحش قال السدي الزنا وقال مقاتل موجبات الحدود * وقوله تعالى واذا ما غضبوا هم يغفرون حض على كسر الغضب والتدرب فى اطفائه اذ هو جمرة من جهنم وباب من ابوابها وقال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم اوصنى قال لا تغضب قال زدنى قال لا تغضب قال زدنى قال لا تغضب ومن جاهد هذا العارض من نفسه حتى غلبه فقد كفي هما عظيما فى دنياه واخرته (ت) وروى مالك فى الموطإ ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله علمنى كلمات اعيش بهن ولا تكثر علي فانسى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تغضب قال ابو عمر بن عبد البر اراد علمنى ما ينفعنى بكلمات قليلة لئلا انسى ان اكثرت علي ثم اسند ابو عمر من طرق عن الاحنف بن قيس عن عمه جارية بن قدامة انه قال يارسول الله قل لى قولا ينفعنى الله به واقلل لى لعلي اعقله قال لا تغضب فاعاد عليه مرارا كلها يرجع اليه رسول الله لا تغضب انتهى من التمهيد واسند ابو عمر فى التمهيد ايضا عن عبد الله بن ابى الهذيل قال لما رأى يحيى ان عيسى مفارقه قال له اوصنى قال لا تغضب قال لا استطيع قال لا تقتن مالا قال عسى انتهى وروى ابن المبارك فى رقائقه بسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من كف لسانه عن اعراض المسلمين اقاله الله عثرته يوم القيامة ومن كف غضبه عنهم وقاه الله عذابه يوم القيامة قال ابن المبارك واخبرنا ثور بن يزيد عن خالد بن معدان قال ان الله تبارك وتعالى يقول من ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ومن ذكرنى فى ملإ ذكرته فى ملإ خير منهم ومن ذكرنى حين يغضب ذكرته حين اغضب فلم امحقه فيمن امحق انتهى * وقوله تعالى والذين استجابوا مدح لكل

من آمن بالله وقبل شرعه ومدح الله تعالى القوم الذين امرهم شورى بينهم لان في ذلك اجتماع الكلمة والتحاب واتصال الايدى والتعاضد على الخير وفى الحديث ما تشاور قوم قط الا هدوا لاحسن ما بحضرتهم * وقوله تعالى ومما رزقناهم ينفقون معناه فى سبيل الله وبرسم الشرع وقال ابن زيد قوله تعالى والذين استجابوا لربهم الآية نزلت فى الانصار والظاهر ان الله تعالى مدح كل من انصف بهذه الصفة كائنا من كان وهل حصل الانصار فى هذه الصفة الابعد سبق المهاجرين اليها رضي الله عن جميعهم بمنه * وقوله عز وجل والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون مدح سبحانه فى هذه الآية قوما بالانتصار ممن بغى عليهم ورجح ذلك قوم من العلماء وقالوا الانتصار بالواجب تغيير منكر قال الثعلبي قال ابراهيم النخعي فى هذه الآية كانوا يكرهون ان يستذلوا فاذا قدروا عفوا انتهى * وقوله سبحانه وجزاء سيئة سيئة مثلها قيل سمي الجزاء باسم الابتداء وان لم يكن سيئة لتشابههما فى الصورة قال (ع) وان اخذنا السيئة هنا بمعنى المصيبة فى حق البشر اي يسوء هذا هذا ويسوءه الآخر فلسنا نحتاج الى ان نقول سمى العقوبة باسم الذنب بل الفعل الاول والآخر سيئة قال الفخر اعلم انه تعالى لما قال والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون اردفه بما يدل على ان ذلك الانتصار يجب ان يكون مقيدا بالمثل فان النقصان حيف والزيادة ظلم والمساواة هو العدل فلهذا السبب قال تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها انتهى ويدل على ذلك قوله تعالى وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ماعوقبتم به ونحوه من الآي واللام فى قوله ولمن انتصر بعد ظلمه لام التقاء القسم * وقوله من سبيل يريد من سبيل حرج ولا سبيل حكم وهذا ابلاغ فى اباحة الانتصار والخلاف فيه هل هو بين المومن والمشرك او بين المومنين * وقوله تعالى انما السبيل على الذين يظلمون الناس الآية المعنى انما سبيل الحكم والاثم على الذين

يظلمون الناس روى الترمذي عن كعب بن عجرة قال قال لى النبي صلى الله عليه وسلم اعيذك بالله يا كعب من امراء يكونون فمن غشي ابوابهم فصدقهم فى كذبهم واعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه ولا يرد علي الحوض يا كعب الصلاة برهان والصبر جنة حصينة والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار يا كعب انه لا يربو لحم نبت من سحت الا كانت النار اولى به قال ابو عيسى هذا حديث حسن وخرجه ايضا فى كتاب الفتن وصححه انتهى * وقوله تعالى انما السبيل الى قوله اليم اعتراض بين الكلامين ثم عاد فى قوله ولمن صبر الى الكلام الاول كانه قال ولمن انتصر بعد ظلمه فاولائك ما عليهم من سبيل ولمن صبر وغفر الآية واللام فى قوله ولمن صبر يصح ان تكون لام قسم ويصح ان تكون لام الابتداء وعزم الامور محكمها ومتقنها والحميد العاقبة منها فمن رأى ان هذه الآية هي فيما بين المومنين والمشركين وان الصبر للمشركين كان افضل قال ان الآية نسخت بآية السيف ومن رأى ان الآية بين المومنين قال هي محكمة والصبر والغفران افضل اجماعا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة نادى مناد من كان له على الله اجر فليقم فيقوم عنق من الناس كبير فيقال ما اجركم فيقولون نحن الذين عفونا عمن ظلمنا فى الدنيا * وقوله تعالى ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده تحقير لامر الكفرة اي فلا يبالى بهم احد من المومنين لانهم صائرون الى ما لا فلاح لهم معه ثم وصف تعالى لنبيه حالهم فى القيامة عند رؤيتهم العذاب وقولهم هل الى مرد من سبيل ومرادهم الرد الى الدنيا والرؤية هنا رؤية عين والضمير فى قوله عليها عائد على النار وان لم يتقدم لها ذكر من حيث دل عليها قوله رأوا العذاب * وقوله من الذل يتعلق بخاشعين * وقوله تعالى ينظرون من طرف خفي قال قتادة والسدي المعنى يسارقون النظر لما كانوا فيه

من الهم وسوء الحال لا يستطيمون النظر بجميع العين وانما ينظرون ببعضها قال الثعلبي قال يونس من بمعنى الباء اي ينظرون بطرف خفي اي ضعيف من اجل الذل والخوف ونحوُه عن الاخفش انتهى وفى البخاري من طرف خفي اي ذليل * وقوله تعالى وقال الذين ءامنوا ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم يوم القيامة الآية وقول الذين ءامنوا هو فى يوم القيامة عند ما عاينوا حال الكفار وسوء منقلبهم * وقوله تعالى الا ان الظالمين فى عذاب مقيم يحتمل ان يكون من قول المومنين يومئـذ حكاه الله عنهم ويحتمل ان يكون استينافا من قول الله عز وجل واخباره لنبيـه محمد عليـه السلام * وقوله تعالى وما كان لهم من اولياء ينصرونهم من دون الله الآية انحاء على الاصنام والاوثان التى اظهر الكفار ولايتها واعتقدت ذلك دينا ثم امر تعالى نبيـه ان يامرهم بالاستجابة لدعوة الله وشريعته من قبل اتيان يوم القيامـة الذى لا يرد احـد بعـده الى عمل قال (ع) فى الآيـة الاخرى فى سورة الم غلبت الروم ويحتمل ان يريـد لايرده راد حتى لا يقع وهـذا ظاهر بحسب اللفظ والنكير مصدر بمعنى الانكار قال الثعلبي مـا لكم من ملجإ اي معقل وما لـكم من نكير اي من انكار على ما ينزل بكم من العذاب يغير ما بكم انتهى * وقوله تعالى فان اعرضوا الآيـة تسليـة للنبي صلى الله عليـه وسلم والانسان هنـا اسم جنس وجمع الضمير فى قوله تصبهم وهو عائد على لفظ الانسان من حيث هو اسم جنس * وقوله تعالى لله ملك السموات والارض يخلق ما يشاء الآية هذه ءاية اعتبار دال على القدرة والملك المحيط بالجميع وان مشيئته تعالى نافذة فى جميع خلقـه وفى كل امرهم وهذا لا مدخل لصنم فيـه فان الذى يخلق ما يشـاء هو الله تبارك وتعالى وهو الذى يقسم الخلق فيهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الاولاد الذكور او يزوجهم اي ينوعهم ذكرانا واناثا وقال محمد بن الحنفية يريـد بقوله تعالى او يزوجهم التَوأم

اي يجعل فى بطن زوجا من الذرية ذكرا وانثى والعقيم الذى لايولد له وهذا كله مدبر بالعلم والقدرة وبدأ فى هذه الآية بذكر الاناث تانيسا بهن ليتهمم بصونهن والاحسان اليهن وقال النبي عليه السلام من ابتلي من هذه البنات بشيء فاحسن اليهن كن له حجابا من النار وقال واثلة بن الاسقع من يمن المرأة تبكيرها بالانثى قبل الذكر لان الله تعالى بدأ بذكر الاناث حكاه عنه الثعلبي قال وقال اسحاق بن بشر نزلت هذه الآية فى الانبياء ثم عمت فيهب لمن يشاء اناثا يعنى لوطا عليه السلام ويهب لمن يشاء الذكور يعنى ابرهيم عليه السلام او يزوجهم ذكرانا واناثا يعنى نبينا محمدا عليه السلام ويجعل من يشاء عقيما يعني يحيى بن زكرياء عليهما السلام * وقوله تعالى وماكان لبشر ان يكلمه الله الاوحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا الآية نزلت بسبب خوض كان للكفار فى معنى تكليم الله موسى ونحو ذلك ذهب قريش واليهود فى ذلك الى تجسيم ونحوه فنزلت الآية مبينة صورة تكليم الله عباده كيف هو فبين الله تعالى انه لا يكون لاحد من الانبياء ولا ينبغى له ولايمكن فيه ان يكلمه الله الا بان يوحي اليه احد وجوه الوحي من الالهام قال مجاهد او النفث فى القلب او وحي فى منام قال النخعي وكان من الانبياء من يخط له فى الارض ونحو هذا اوبان يسمعه كلامه دون ان يعرف هو للمتكلم جهة ولا حيزا كموسى عليه السلام وهذا معنى من وراء حجاب اي من خفاء عن المكلَّم لا يحده ولا يتسور بذهنه عليه وليس كالحجاب فى الشاهد اوبان يرسل اليه ملكا يشافهه بوحي الله عز وجل قال الفخر قوله فيوحى باذنه ما يشاء اي فيوحى ذلك الملك باذن الله ما يشاء الله انتهى وقرأ جمهور القراء والناس او يرسل بالنصب فيوحي بالنصب ايضا وقرأ نافع وابن عامر وابن عباس واهل المدينة او يرسل بالرفع فيوحى بسكون الياء وقوله او من وراء حجاب من متعلقة بفعل يدل ظاهر الكلام

عليه تقديره او يكلمه من وراء حجاب وفى هذه الآية دليل على ان الرسالة من
انواع التكليم وان من حلف لا يكلم فلانا وهو لم ينو المشافهة ثم ارسل رسولا
حنث * وقوله تعالى وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا الآية المعنى وبهذه
الطرق ومن هذا الجنس او حينا اليك اي بالرسول والروحُ فى هذه الآية
القرءان وهدى الشريعة سماه روحا من حيث يحي به البشر والعالم كما يحيى
الجسد بالروح فهذا على جهة التشبيه * وقوله تعالى من امرنا اي واحد من
امورنا ويحتمل ان يكون الامر بمعنى الكلام ومن لابتداء الغاية * وقوله تعالى
ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان توقيف على مقدار النعمة والضمير فى
جعلناه عائد على الكتاب ونهدى بمعنى نرشد وقرأ جمهور الناس وانك لتهدى
بفتح التاء وكسر الدال وقرأ حوشب لتهدى بضم التاء وفتح الدال وقرأ
عاصم لتهدى بضم التاء وكسر الدال * وقوله صراط الله يعنى صراط شرع
الله ثم استفتح سبحانه القول فى الاخبار بصيرورة الامور اليه سبحانه مبالغة
وتحقيقا وتثبيتا فقال الا الى الله تصير الامور قال الشيخ العارف بالله ابو
الحسن الشاذلي رحمه الله ان اردت ان تغلب الشر كله وتلحق الخير كله ولا
يسبقك سابق وان عمل ما عمل فقل يامن له الخير كله اسألك الخير كله
واعوذبك من الشر كله فانك انت الله الغني الغفور الرحيم اسألك بالهادى
محمد صلى الله عليه وسلم الى صراط مستقيم صراط الله الذى له ما فى السموات
وما فى الارض الا الى الله تصير الامور مغفرة تشرح بها صدرى وتضع بها
وزرى وترفع بها ذكرى وتيسر بها امرى وتنزه بها فكرى وتقدس بها سرى
وتكشف بها ضرى وترفع بها قدرى انك على كل شيء قدير اه (ت) قوله تعالى
ما كنت تدرى ما الكتاب هذا بين وقوله ولا الايمان فيه تاويلات قيل معناه
ولا شرائع الايمان ومعالمه قال ابو العالية يعنى الدعوة الى الايمان وقال الحسين

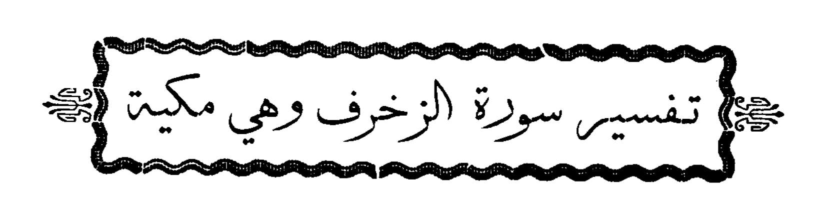
ابن الفضل يعنى اهل الايمان من يومن ومن لا يومن وقال ابن خزيمة الايمان هنا الصلاة دليله وما كان الله ليضيع ايمانكم قال ابن ابى الجعد وغيره احترق مصحف فلم يبق منه الا الا الى الله تصير الامور وغرق مصحف فامتحى كله الا قوله الا الى الله تصير الامور نقله الثعلبي وغيره انتهى

قال العبد الفقير الى الله تعالى عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي لطف الله به فى الدارين قد يسر الله عز وجل فى تحرير هذا المختصر * وقد اودعته بحمد الله جزيلا من الدرر * قد استوعبت فيه بحمد الله مهمات ابن عطية وزدته فوائد جليلة من غيره وليس الخبر كالعيان توخيت فيه بحمد الله الصواب * وجعلته ذخيرة عند الله ليوم المآب * لا يستغنى عنه المنتهى * وفيه كفاية للمبتدى * يستغنى به عن المطولات اذ قد حصل منها لبابها * وكشف عن الحقائق حجابها *

﴿ التعريف برحلة المؤلف ﴾

رحلت فى طلب العلم فى اواخر القرن الثامن ودخلت بجاية فى اوائل القرن التاسع فلقيت بها الائمة المقتدى بهم اصحاب سيدى عبد الرحمن الوغليسي متوافرين فحضرت مجالسهم وكانت عمدة قراءتى بها على سيدى علي بن عثمان المانجلاتي رحمه الله بمسجد عين البربر ثم ارتحلت الى تونس فلقيت بها سيدى عيسى الغبريني والابي والبرزلي وغيرهم واخذت عنهم ثم ارتحلت الى المشرق فلقيت بمصر الشيخ ولي الدين العراقي فاخذت عنه علوما جمة معظمها علم الحديث وفتح الله لى فيه فتحا عظيما وكتب لى واجازنى جميع ما حضرته عليه واطلق فى غيره ثم لقيت بمكة بعض المحدثين ثم رجعت الى الديار المصرية والى تونس وشاركت من بها ولقيت

بها شيخنا ابا عبد الله محمد بن مرزوق قادما لارادة الحج فاخذت عنه
كثيرا واجازنى التدريس فى انواع الفنون الاسلامية وحرضنى على اتمام تقييد
وضعته على ابن الحاجب الفرعي (ت) ولما فرغت من تحرير هذا المختصر وافق
قدوم شيخنا ابى عبد الله محمد بن مرزوق علينا فى سفرة سافرها من تلمسان
متوجها الى تونس ليصلح بين سلطانها وبين صاحب تلمسان فاوقفته على
هذا الكتاب فنظر فيه وامعن النظر فسر به سرورا كثيرا ودعا لنا بخير والله
الموفق بفضله



تفسير سورة الزخرف وهي مكية

* بسم الله الرحمن الرحيم *

حم والكتاب المبين والكتاب خفض بواو القسم والضمير فى جعلناه عائد على
الكتاب وانه عطف على جعلناه وهذا الاخبار الثانى واقع ايضا تحت القسم وام
الكتاب اللوح المحفوظ وهذا فيه تشريف للقرءان وترفيع واختلف المتأولون
كيف هو فى ام الكتاب فقال قتادة وغيره القرءان باجمعه فيه منسوخ ومنه
كان جبريل ينزل وهنالك هو علي حكيم وقال جمهور الناس انما فى اللوح
المحفوظ ذكره ودرجته ومكانته من العلو والحكمة * وقوله سبحانه افنضرب
بمعنى افنترك تقول العرب اضربت عن كذا وضربت اذا اعرضت عنه وتركته
والذكر هو الدعاء الى الله والتذكير بعذابه والتخويف من عقابه وقال ابو صالح
الذكر هنا اراد به العذاب نفسه وقال الضحاك ومجاهد الذكر القرءان * وقوله

صفحا يحتمل ان يكون بمعنى العفو والغفر للذنوب فكانه يقول افنترك تذكيركم وتخويفكم عفوا عنكم وغفرا لاجرامكم من اجل ان كنتم قوما مسرفين اي هذا لا يصلح وهذا قول ابن عباس ومجاهد ويحتمل قوله صفحا ان يكون بمعنى مغفولا عنه اي نتركه يمر لا توخذون بقبوله ولا بتدبره فكان المعنى افنترككم سدى وهذا هو منحى قتادة وغيره وقرأ نافع وحمزة والكسائي ان كنتم بكسر الهمزة وهو جزاء دل ما تقدمه على جوابه وقرأ الباقون بفتحها بمعنى من اجل ان والاسراف فى الآية هو كفرهم * وكم ارسلنا من نبيء فى الاولين اي فى الامم الماضية كقوم نوح وعاد وثمود وغيرهم * وما ياتيهم من نبيء الا كانوا به يستهزءون اي كما يستهزئ قومك بك وهذه الآية تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وتهديد بان يصيب قريشا ما اصاب من هو اشد بطشا منهم * ومضى مثل الاولين اي سلف امرهم وسنتهم وصاروا عبرة غابر الدهر انشد صاحب عنوان الدراية لشيخه ابى عبد الله التميمي

ياويح من غره دهر فسربه * لم يخلص الصفو الاشيب بالكدر
هو الحمام فلا تبعدْ زيارته * ولا تقل ليتنى منه على حذر
انظر لمن باد تنظر اية عجبا * وعبرة لاولى الالباب والعبر
اين الالى جَنبوا خيلا مسومة * وشيدوا ارما خوفا من القدر
لم تغنهم خيلهم يوما وان كثرت * ولم تفد ارم للحادث النكر
بادوا فعادوا حديثا ان ذا عجب * ما اوضح الرشد لولا سيئ النظر
تنافس الناس فى الدنيا وقد علموا * ان المقام بها كاللمح بالبصر

انتهى * وقوله سبحانه ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم الآية ابتداء احتجاج على قريش يوجب عليهم التناقض من حيث اقروا بالخالق وعبدوا غيره وجاءت العبارة عن الله بالعزيز العليم ليكون ذلك

توطئة لما عدد سبحانه من اوصافه التى ابتدأ الاخبار بها وقطعها من الكلام الذى حكى معناه عن قريش * وقوله تعالى الذى جعل لكم الارض مهادا وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون الآيـة هذه اوصاف فعل وهي نعم من الله سبحانه على البشر تقوم بها الحجة على كل مشرك * وقوله الذى جعل لكم ليس هو من قول المسئولين بل هو ابتداء اخبار من الله تعالى * وقوله سبحانـه والذى نزل من السماء ماء بقدر قيل معناه بقدر فى الكفاية للصلاح لا اكثار فيفسد ولا قلة فيقصر بل غيثا مغيثا وقيل بقدر اي بقضاء وحتم وقالت فرقة معناه بتقدير وتحرير اي قدر ماء معلوما ثم اختلف قائلو هـذه المقالة فقال بعضهم ينزل فى كل عام ماء قدرا واحدا لا يفضل عام عاما لكن يكثر مرة هاهنا ومرة هاهنا وقال بعضهم بل ينزل تقديرا ما فى عام وينزل فى ءاخر تقديرا ما وينزل فى ءاخر تقديرا آخر بحسب ما سبق بـه قضاؤه لا اله الا هو (ت) وبعض هذه الاقوال لا تقال من جهة الرأي بل لا بد لها من سند وانشرنا معناه احيينـا يقال نشر الميت وانشره الله والازواج هنـا الانواع من كل شيء ومن فى قوله من الفلك والانعام للتبعيض والضمير فى ظهوره عائـد على النوع المركوب الذى وقعت عليه ما وقد بينت ءاية اخرى ما يقال عند ركوب الفلك وهو بسم الله مجراها ومرساها ان ربى لغفور رحيم وانما هـذه خاصة فيما يركب من الحيوان وان قدرنا ان ذكر النعمة هو بالقلب والتذكر بدأ الراكب بسبحان الذى سخر لنا هـذا وهو يرى نعمة الله فى ذلك وفى سواه ومقرنين اي مطيقين وقال ابو حيان مقرنين خبر كان ومعناه غالبين ضابطين انتهى وهو بمعنى الاول وانا الى ربنا لمنقلبون امر بالاقرار بالبعث (ت) وعن حمزة بن عمرو الاسلمي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم على ظهر كل بعير شيطان فاذا ركبتموها فسموا الله رواه ابن حبان فى صحيحه انتهى من السلاح وينبغى لمن ملكه الله

شيأ من هـذا الحيوان ان يرفق به ويحسن اليه لينال بذلك رضا الله تعالى قال القشيري فى التحبير وينبغي للعبد ان يكون معظما لربه نفاعا لخلقه خيرا فى قومه مشفقا على عباده فان رأس المعرفة تعظيم امر الله سبحانه والشفقة على خلق الله انتهى وروى مالك فى الموطإ عن النبي صلى الله عليه وسلم انـه قال بينما رجل يمشى بطريق اذا اشتد عليه العطش فوجد بيرا فنزل فيهـا فشرب فخرج فاذا كلب يلهث يا كل الثرى من العطش فقال الرجل لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذى بلغ منى فنزل البـير فملأ خفه ثم امسكه بفيه حتى رقى فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له فقالوا يا رسول الله وان لنا فى البهائم اجرا فقال فى كل كبـد رطبـة اجر قال ابو عمر فى التمهيـد وكذا فى الاساءة الى الحيوان اثم وقد روى مالك عن نافع عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال دخلت امرأة النار فى هرة ربطتها فلا هي اطعمتها ولا هي اطلقتها تاكل من خشاش الارض ثم اسنـد ابو عمر ان النبي صلى الله عليـه وسلم دخل حائطا من حيطان الانصار فاذا جمل قد اتى فجرجر وذرَفت عيناه فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم سراته وذفراه فسكن فقال من صاحب الجمل فجاء فتى من الانصار فقال هو لى يا رسول الله فقال اما تتقى الله فى هذه البهيمة التى ملكك الله انه شكا الي انك تجيعه وتُدئِبه ومعنى ذرفت عيناه اي قطرت دموعهما قطرا ضعيفا والسَراة الظهر والذِفْرَى ماوراء الاذنـين عن يمين النُقْرة وشمالها انتهى * وقوله سبحانه وجعلوا له من عباده جزءا اي جعلت كفار قريش والعرب لله جزءا اي نصيبا وحظا وهو قول العرب الملائكة بنات الله هذا قول كثير من المتأولين وقال قتادة المراد بالجزء الاصنام وغيرها فجزءا معناه ندا (ت) وباقى الآيـة يرجح تاويل الاكثر * وقوله ام اتخذوا اضراب وتقرير وتوبيخ اذ المحمود المحبوب من الاولاد قد خوله الله بنى ءادم فكيف يتخذ هو لنفسه

النصيب الادنى وباقى الآية بين مما ذكر فى سورة النحل وغيرها ثم زاد سبحانه فى توبيخهم وافساد رأيهم بقوله او من ينشأ فى الحلية التقدير او من ينشأ فى الحلية هو الذى خصصتم به الله عز وجل والحلية الحلي من الذهب والفضة والاحجار وينشأ معناه ينبت ويكبر والخصام المحاجة ومجاذبة المحاورة وقل ما تجد امرأة الا تفسد الكلام وتخلط المعاني وفى مصحف ابن مسعود وهو فى الكلام غير مبين والتقدير غير مبين غرضا اومنزعا ونحو هذا وقال ابن زيد المراد بمن ينشأ فى الحلية الاصنام والاوثان لانهم كانوا يجعلون الحلي على كثير منها ويتخذون كثيرا منها من الذهب والفضة وقرأ اكثر السبعة وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا وقرأ الحرميان وابن عامر عند الرحمن اناثا وهذه القراءة ادل على رفع المنزلة * وقوله تعالى أأشهدوا خلقهم معناه احضروا خلقهم وفى قوله تعالى ستكتب شهادتهم ويسئلون وعيد مفصح واسند ابن المبارك عن سليمان ابن راشد انه بلغه ان امرأ لا يشهد شهادة فى الدنيا الا شهد بها يوم القيامة على رءوس الاشهاد ولا يمتدح عبدا فى الدنيا الا امتدحه يوم القيامة على رءوس الاشهاد قال القرطبي فى تذكرته وهذا صحيح يدل على صحته قوله تعالى ستكتب شهادتهم ويسئلون وقوله ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد انتهى * وقوله سبحانه وقالوا لو شاء الرحمن ماعبدناهم الآية اي ما عبدنا الاصنام (ت) وقال قتادة وغيره يعنى ما عبدنا الملائكة وجعل الكفار امهال الله لهم دليلا على رضاه عنهم وان ذلك كالامر به ثم نفى سبحانه علمهم بهذا وليس عندهم كتاب منزل يقتضى ذلك وانما هم يظنون ويحدسون ويخمنون وهذا هو الخرص والتخرص والامة هنا بمعنى الملة والديانة والآية على هذا تعيب عليهم التقليد وذكر الطبري عن قوم ان الامة الطريقة ثم ضرب الله المثل لنبيه محمد عليه السلام وجعل له الاسوة فيمن مضى من النذر والرسل وذلك ان

المترفين من قومهم وهم اهل التنعم والمال قد قابلوهم بمثل هـذه المقالة وفى قوله عز وجل فانتقمنا منهم الآية وعيد لقريش وضرب مثل لهم بمن سلف من الامم المعذبة المكذبة لانبيائها * وقوله سبحانه واذ قال ابراهيم المعنى واذكر اذ قال ابراهيم لابيه وقومه اننى براء مما تعبدون اي فافعل انت فعله وتجلد جلده وبراء صفة تجرى على الواحد والاثنين والجمع كعدل وزور وقرأ ابن مسعود بري‌ء * وقوله الا الذى فطرنى قالت فرقة الاستثناء متصل وكانوا يعرفون الله ويعظمونه الا انهم كانوا يشركون معه اصنامهم فكان ابراهيم قال لهم انا لا اوافقكم الا على عبادة الله الذى فطرنى وقالت فرقة الاستثناء منقطع والمعنى لكن الذى فطرنى هو معبودى الهادى المنجى من العذاب وفى هذا استدعاء لهم وترغيب فى طاعة الله وتطميع فى رحمته والضمير فى قوله وجعلها كلمة الآية قالت فرقة هو عائد على كلمته بالتوحيد فى قوله اننى براء وقال مجاهد وغيره المراد بالكلمة لا اله الا الله وعاد عليها الضمير وان كان لم يجر لها ذكر لان اللفظ يتضمنها والعقب الذرية وولد الولد ما امتد فرعهم * وقوله بل متعت هؤلاء يعنى قريشا حتى جاءهم الحق ورسول وذلك هو شرع الاسلام والرسول هو محمد صلى الله عليه وسلم ومبين اي يبين لهم الاحكام والمعنى فى الآية بل امهلت هؤلاء ومتعتهم بالنعمة ولما جاءهم الحق يعنى القرءان قالوا هذا سحر وقالوا يعنى قريشا لولا نزل هذا القرءان على رجل من القريتين يعنى من احدى القريتين وهما مكة والطائف ورجل مكة هو الوليد بن المغيرة فى قول ابن عباس وغيره وقال مجاهد هو عتبة بن ربيعة وقيل غير هذا ورجل الطائف قال قتادة هو عروة بن مسعود وقيل غير هذا قال (ع) وانما قصدوا الى من عظم ذكره بالسن والا فرسول الله صلى الله عليه وسلم كان اعظم من هؤلاء اذ كان المسمى عندهم الامين ثم وبخهم سبحانه بقوله اهم يقسمون رحمت ربك والرحمة اسم

عام يشمل النبوءة وغيرها وفى قوله تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم تزهيد فى السعايات وعون على التوكل على الله عز وجل ولله در القائل

كم جاهل يملك دورا وقرى * وعالم يسكن بيتا بالكرا
لما سمعنا قوله سبحانه * نحن قسمنا بينهم زال المرا

وروى ابن المبارك فى رقائقه بسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا اراد الله بعبد خيرا ارضاه بما قسم له وبارك له فيه واذا لم يرد به خيرا لم يرضه بما قسم له ولم يبارك له فيه انتهى وسخريا بمعني التسخير ولا مدخل لمعنى الهزء فى هذه الآية * وقوله تعالى ورحمة ربك خير مما يجمعون قال قتادة والسدي يعنى الجنة قال (ع) ولا شك ان الجنة هي الغاية ورحمة الله فى الدنيا بالهداية والايمان خير من كل مال وفى هذا اللفظ تحقيرللدنيا وتزهيد فيها ثم استمر القول فى تحقيرها بقوله سبحانه ولولا ان يكون الناس امة واحدة الآية وذلك ان معنى الآية ان الله سبحانه ابقى على عباده وانعم عليهم بمراعاة بقاء الخير والايمان وشاء حفظه على طائفة منهم بقية الدهر ولولا كراهية ان يكون الناس كفارا كلهم واهل حب فى الدنيا وتجرد لها لوسع الله على الكفار غاية التوسعة ومكنهم من الدنيا وذلك لحقارتها عنده سبحانه وانها لا قدر لها ولاوزن لفنائها وذهاب رسومها فقوله امة واحدة معناه فى الكفر قاله ابن عباس وغيره ومن هذا المعنى قوله صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء وروى ابن المبارك فى رقائقه بسنده عن علقمة عن عبد الله قال اضطجع رسول الله صلى الله عليه وسلم على حصير فاثر الحصير فى جنبه فلما استيقظ جعلت امسح عنه واقول يا رسول الله الا اذنتني قبل ان تنام على هذا الحصير فابسط لك عليه شيأ يقيك منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مالى وللدنيا وما للدنيا ومالى ما انا والدنيا الا كراكب استظل

فى فيء اوظل شجرة ثم راح وتركها انتهى وقد خرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وسقفا جمع سقف والمعارج الادراج التى يطلع عليها قاله ابن عباس وغيره ويظهرون معناه يعلون ومنه حديث عائشة رضي الله عنها والشمس فى حجرتها لم تظهر بعد والسرر جمع سرير والزخرف قال ابن عباس والحسن وقتادة والسدي هو الذهب وقالت فرقة الزخرف التزاويق والنقش ونحوه وشاهده حتى اذا اخذت الارض زخرفها وقرأ الجمهور وان كل ذلك لما بتخفيف الميم من لما فان مخففة من الثقيلة واللام فى لما داخلة لتفصل بين النفي والايجاب وقرأ عاصم وحمزة وهشام بخلاف عنه بتشديد الميم من لما فان نافية بمعنى ما ولما بمعنى الا اي وما كل ذلك الامتاع الحياة الدنيا وفى قوله سبحانه والآخرة عند ربك للمتقين وعد كريم وتحريض على لزوم التقوى اذ فى الآخرة هو التباين الحقيقي فى المنازل قال الفخر بين تعالى ان كل ذلك متاع الحياة الدنيا واما الآخرة فهي باقية دائمة وهي عند الله وفى حكمه للمتقين المعرضين عن حب الدنيا المقبلين على حب المولى انتهى * وقوله عز وجل ومن يعش عن ذكر الرحمن الآية وعشا يعشو معناه قل الابصار منه ويقال ايضا عشِي الرجل يعشى اذا فسد بصره فلم ير اولم ير الا قليلا فالمعنى فى الآية ومن يقل بصره فى شرع الله ويغمض جفونه عن النظر فى ذكر الرحمن اي فيما ذكر به عباده اي فيما انزله من كتابه واوحاه الى نبيه * وقوله نقيض له شيطانا اي نيسر له ونعد وهذا هو العقاب على الكفر بالحتم وعدم الفلاح وهذا كما يقال ان الله تعالى يعاقب على المعصية بالتزيد فى المعاصي ويجازى على الحسنة بالتزيد من الحسنات وقد روي هذا المعنى مرفوعا قال (ص) ومن يعش الجمهور بضم الشين اي يتعام ويتجاهل فمن شرطية ويعش مجزوم بها ونقيض جواب من انتهى والضمير فى قوله وانهم عائد على الشياطين وفيما بعده عائد على الكفار وقرأ نافع وغيره حتى اذا جاءانا على

التثنية يريـد العاشي والقرين قاله قتادة وغيره وقرأ ابو عمرو وغيره جاءنا يريـد العاشي وحده وفاعل قال هو العاشى قال الفخر وروي ان الكافر اذا بعث يوم القيامة من قبره اخذ شيطان بيده فلم يفارقه حتى يصيرهما الله الى النار فذلك حيث يقول يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين انتهى * وقوله بعد المشرقين يحتمل معانيا احدها ان يريد بعد المشرق من المغرب فسماهما مشرقين كما يقال القمران والعمران والثانى ان يريد مشرق الشمس فى اطول يوم ومشرقها فى اقصر يوم والثالث ان يريد بعد المشرقين من المغربين فاكتفى بذكر المشرقين (ت) واستبعد الفخر التاويل الثانى قال لان المقصود من قوله يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين المبالغة فى حصول البعد وهذه المبالغة انما تحصل عند ذكر بعد لا يمكن وجود بعد ازيد منه والبعد بين مشرق الشتاء ومشرق الصيف ليس كذلك فيبعد حمل اللفظ عليه قال والاكثرون على التاويل الاول انتهى * وقوله تعالى ولن ينفعكم اليوم الآية حكاية عن مقالة تقال لهم يوم القيامة وهي مقالة موحشة فيها زيادة تعذيب لهم ويأس من كل خير وفاعل ينفعكم الاشتراك ويجوز ان يكون فاعل ينفعكم التبرى الذى يدل عليه قوله يا ليت * وقوله سبحانه افأنت تسمع الصم الآية خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وباقى الآية تكرر معناه غير ما مرة * وقوله تعالى فاستمسك بالذى اوحي اليك اي بما جاءك من عند الله من الوحي المتلو وغيره * وقوله وانه لذكر لك يحتمل ان يريد وانه لشرف فى الدنيا لك ولقومك يعنى قريشا قاله ابن عباس وغيره ويحتمل ان يريد وانه لتذكرة وموعظة فالقوم على هذا امته باجمعها وهذا قول الحسن بن ابي الحسن * وقوله وسوف تسئلون قال ابن عباس وغيره معناه عن اوامر القرءان ونواهيه وقال الحسن معناه عن شكر النعمة فيه واللفظ يحتمل هذا كله ويعمه * وقوله تعالى واسئل من ارسلنا من قبلك من رسلنا الآية قال ابن زيد والزهري

اما ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يسئل الرسل ليلة الاسراء عن هذا لانه كان اثبت يقينا من ذلك ولم يكن فى شك وقال ابن عباس وغيره اراد واسئل اتباع من ارسلنا وحملة شرائعهم وفى قراءة ابن مسعود وابي واسئل الذين ارسلنا اليهم (ت) قال عياض قوله تعالى واسئل من ارسلنا من قبلك الآية الخطاب مواجهة للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد المشركون قاله القتبي ثم قال عياض والمراد بهذا الاعلام بان الله عز وجل لم ياذن فى عبادة غيره لاحد ردا على مشركي العرب وغيرهم فى قولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى انتهى * وقوله سبحانه ولقد ارسلنا موسى بآياتنا الآية ضرب مثل واسوة للنبي صلى الله عليه وسلم بموسى عليه السلام ولكفار قريش بقوم فرعون * وقوله واخذناهم بالعذاب اي كالطوفان والجراد والقمل والضفادع وغير ذلك لعلهم يرجعون اي يتوبون ويرجعون عن كفرهم وقالوا لما عاينوا العذاب لموسى يا ايه الساحر اي العالم وانما قالوا هذا على جهة التعظيم والتوقير لان علم السحر عندهم كان علما عظيما وقيل انما قالوا ذلك على جهة الاستهزاء والاول ارجح وقولهم ادع لنا ربك بما عهد عندك اننا لمهتدون اي ان نفعتنا دعوتك * وقوله اليس لى ملك مصر الآية مصر من بحر الاسكندرية الى أسوان بطول النيل والانهار التى اشار اليها هي الخلجان الكبار الخارجة من النيل * وقوله ام انا خير قال سيبويه ام هذه المعادلة والمعنى افانتم لا تبصرون ام تبصرون وقالت فرقة ام بمعنى بل وقرأ بعض الناس اما انا خير حكاه الفراء وفى مصحف ابي بن كعب ام انا خير ام هذا ومهين معناه ضعيف ولا يكاد يبين اشارة الى ما بقي فى لسان موسى من اثر الجمرة وكانت احدثت فى لسانه عقدة فلما دعا فى ان تحل ليفقه قوله اجيبت دعوته لكنه بقي اثر كان البيان يقع معه فميره فرعون به * وقوله ولا يكاد يبين يقتضي

انه كان يبين * وقوله فلولا القي عليه يريد من السماء على معنى التكرمة وقرأ الجمهور اساورة وقرأ حفص عن عاصم أَسْوِرة وهو ما يجعل فى الذراع من الحلي وكانت عادة الرجال يومئذ لبس ذلك والتزين به (ت) وذكر بعض المفسرين عن مجاهد انهم كانوا اذا سودوا رجلا سوروه بسوار وطوقوه بطوق من ذهب علامة لسيادته فقال فرعون هلا القى رب موسى على موسى اساورة من ذهب او جاء معه الملائكة مقترنين متتابعين يقارن بعضهم بعضا يمشون معه شاهدين له انتهى وقال (ع) قوله مقترنين اي يحمونه ويشهدون له ويقيمون حجته (ت) وما تقدم لغيره احسن ولا يُشك ان فرعون شاهد من حماية الله لموسى امورا لم يبق معه شك فى ان الله قد منعه منه * وقوله سبحانه ءاسفونا معناه اغضبونا بلا خلاف * وقوله فجعلناهم سلفا السلف الفارط المتقدم اي جعلناهم متقدمين فى الهلاك ليتعظ بهم من بعدهم الى يوم القيامة وقال البخاري قال قتادة مثلا للآخرين عظة انتهى * وقوله سبحانه ولما ضرب ابن مريم مثلا الآية روي عن ابن عباس وغيره فى تفسيرها انه لما نزلت ان مثل عيسى عند الله كمثل ءادم الآية وكون عيسى من غير فحل قالت قريش ما يريد محمد من ذكر عيسى الا ان نعبده نحن كما عبدت النصارى عيسى فهذا كان صدودهم * وقوله تعالى وقالوا أآلهتنا خير ام هو هذا ابتداء معنى ثان وذلك انه لما نزل انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم الآية قال ابن الزبعرى ونظراؤه يا محمد أآلهتنا خير ام عيسى فنحن نرضى ان تكون ءالهتنا مع عيسى اذ هو خير منها واذ قد عبد فهو من الحصب اذن فقال الله تعالى ما ضربوه لك الاجدلا ومغالطة ونسوا ان عيسى لم يعبد برضى منه وقالت فرقة المراد بهو محمد صلى الله عليه وسلم وهو قول قتادة وفى مصحف ابي خير ام هذا فالاشارة الى نبينا محمد عليه السلام وقال ابن زيد وغيره المراد بهو عيسى وهذا هو

الراجح ثم اخبر تعالى عنهم انهم اهل خصام ولدد واخبر عن عيسى بقوله ان هو الاعبد انعمنا عليه اي بالنبوءة والمنزلة العالية (ت) وروينا فى جامع الترمذي عن ابى امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا اوتوا الجدل ثم تلا هذه الآية ما ضربوه لك الاجدلا بل هم قوم خصمون قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح انتهى * وقوله وجعلناه مثلا اي عبرة وءاية لبنى اسراءيل والمعنى لا تستغربوا ان يخلق عيسى من غير فحل فان القدرة تقتضى ذلك واكثر منه * وقوله ولو نشاء لجعلنا منكم معناه لجعلنا بدلا منكم اي لو شاء الله لجعل بدلا من بنى ءادم ملائكة يسكنون الارض ويخلفون بنى ءادم فيها وقال ابن عباس ومجاهد يخلف بعضهم بعضا والضمير فى قوله وانه لعلم قال ابن عباس وغيره الاشارة به الى عيسى وقالت فرقة الى محمد وقال قتادة وغيره الى القرءان (ت) وكذا نقل ابو حيان هذه الاقوال الثلاثة ولو قيل انه ضمير الامر والشان استعظاما واستهوالا لامر الآخرة ما بَعُدَ بل هو المتبادر الى الذهن يدل عليه فلا تمترن بها والله اعلم وقرأ ابن عباس وجماعة لعلم بفتح العين واللام اي امارة وقرأ عكرمة للعلم بلامين الاولى مفتوحة وقرأ ابي لذكر للساعة فمن قال ان الاشارة الى عيسى حسن مع تاويله علم وعلم اي هو اشعار بالساعة وشرط من اشراطها يعنى خروجه فى آخر الزمان وكذلك من قال الاشارة الى النبي صلى الله عليه وسلم اي هو ءاخر الانبياء وقد قال بعثت انا والساعة كهاتين يعنى السبابة والوسطى ومن قال الاشارة الى القرءان حسن قوله مع قراءة الجمهور اي يعلمكم بها وباهوالها * وقوله هذا صراط مستقيم اشارة الى الشرع * وقوله تعالى ولما جاء عيسى بالبينات يعنى احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وغير ذلك وباقى الآية تكرر معناه * وقوله هذا صراط مستقيم حكاية عن عيسى عليه السلام اذ اشار الى شرعه * وقوله سبحانه هل ينظرون يعنى

قريشا والمعنى ينتظرون وبغتة معناه فجأة ثم وصف سبحانه بعض حال القيامة فقال الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو وذلك لهول مطلعها والخوف المطيف بالناس فيها يتعادى ويتباغض كل خليل كان فى الدنيا على غير تقى لانه يرى ان الضرر دخل عليه من قبل خليله واما المتقون فيرون ان النفع دخل من بعضهم على بعض هذا معنى كلام علي رضي الله عنه وخرج البزار عن ابن عباس قال قيل يا رسول الله اي جلسائنا خير قال من ذكركم بالله رؤيته وزادكم فى علمكم منطقه وذكركم بالله عمله اه فمن مثل هؤلاء تصلح الاخوة الحقيقية والله المستعان ومن كلام الشيخ ابى مدين رضي الله عنه دليل تخليطك صحبتك للمخلطين * ودليل انقطاعك صحبتك للمنقطعين * وقال ابن عطاء الله فى التنوير قل ما تصفو لك الطاعات * او تسلم من المخالفات * مع الدخول فى الاسباب لاستلزامها لمعاشرة الاضداد * ومخالطة اهل الغفلة والبعاد * واكثر ما يعينك على الطاعات رؤية المطيعين * واكثر ما يدخلك فى الذنب رؤية المذنبين * كما قال عليه السلام المرء على دين خليله فلينظر احدكم من يخالل والنفس من شأنها التشبه والمحاكاة بصفات من قارنها فصحبة الغافلين معينة لها على وجود الغفلة انتهى وفى الحكم الفارقية من ناسب شيأ انجذب اليه * وظهر وصفه عليه * وفى سماع العتبية قال مالك لا تصحب فاجرا ليلا تتعلم من فجوره قال ابن رشد لا ينبغى ان يصحب الا من يقتدى به فى دينه وخيره لان قرين السوء يردى قال الحكيم

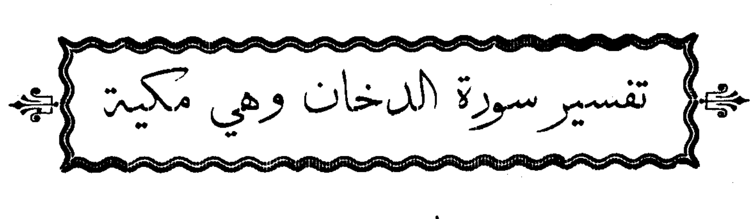
اذا كنت فى قوم فصاحب خيارهم * ولا تصحب الاردى فتردى مع الردِى
عن المرء لا تسئل وسل عن قرينه * فكل قرين بالمقارن يقتدى

انتهى (ت) وحديث المرء على دين خليله اخرجه ابو داود وابو بكر بن الخطيب وغيرهما وفى الموطإ من حديث معاذ بن جبل قال سمعت رسول الله

صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى وجبت محبتي للمتحابين في والمتجالسين في والمتباذلين في والمتزاوين في قال ابو عمر اسناده صحيح عن ابى ادريس الخولاني عن معاذ وقد رواه جماعة عن معاذ ثم اسند ابو عمر من طريق ابى مسلم الخولاني عن معاذ قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول المتحابون فى الله على منابر من نور فى ظل العرش يوم لا ظل الا ظله قال ابو مسلم فخرجت فلقيت عبادة بن الصامت فذكرت له حديث معاذ فقال وانا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكى عن ربه قال حقت محبتي على المتحابين في وحقت محبتي على المتزاورين في وحقت محبتي على المتباذلين في والمتحابون فى الله على منابر من نور فى ظل العرش يوم لا ظل الا ظله انتهى من التمهيد * وقوله تعالى يا عبادى المعنى يقال لهم اي للمتقين وذكر الطبري عن المعتمر عن ابيه انه قال سمعت ان الناس حين يبعثون ليس منهم احد الا فزع فينادى مناد ياعبادى لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون فيرجوها الناس كلهم فيتبعها الذين ءامنوا بـٔاياتنا وكانوا مسلمين قال فييأس منها جميع الكفار * وقوله الذين ءامنوا نعت للعباد وتحبرون معناه تنعمون وتسرون والحبرة السرور والاكواب ضرب من الاوانى كالاباريق الا انها لا آذان لها ولا مقابض * وقوله تعالى ان المجرمين يعنى الكفار والمبلس المبعد اليائس من الخير قاله قتادة وغيره وقولهم ليقض علينا ربك اي ليمتنا ربك فنستريح فالقضاء فى هذه الآية الموت كما فى قوله تعالى فوكزه موسى فقضى عليه وروي فى تفسير هذه الآية عن ابن عباس ان مالكا يقيم بعد سؤالهم الف سنة ثم حينئذ يقول لهم انكم ما كثون * وقوله سبحانه لقد جئناكم يحتمل ان يكون من تمام قول مالك لهم ويحتمل ان يكون من قول الله تعالى لقريش فيكون فيه تخويف فصيح بمعنى انظروا كيف يكون حالكم * وقوله تعالى ام ابرموا امرا اي احكموا

امرا فى المكر بالنبي صلى الله عليه وسلم فانا مبرمون اي محكمون امرا فى نصره ومجازاتهم والمراد بالرسل هنا الحفظة من الملائكة يكتبون اعمال العباد وتعد للجزاء يوم القيامة واختلف فى قوله تعالى قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين فقال مجاهد المعنى ان كان لله ولد فى قولكم فانا اول من عبد الله ووحده وكذبكم وقال ابن زيد وغيره ان نافية بمعنى ما فكانه قال قل ماكان للرحمن ولد وهنا هو الوقف على هذا التاويل ثم يبتدئ قوله فانا اول العابدين قال ابو حاتم قالت فرقة العابدون فى الآية من عبد الرجل اذا انف وانكر والمعنى ان كان للرحمن ولد فى قولكم فانا اول الآنفين المنكرين لذلك وقرأ ابو عبد الرحمن فانا اول العبدين قال ابو حاتم العبد بكسر الباء الشديد الغضب وقال ابو عبيدة معناه اول الجاحدين والعرب تقول عبدنى حق اي جحدنى وباقى الآية تنزيه لله سبحانه ووعيد للكافرين ويومهم الذى يوعدون هو يوم القيامة هذا قول الجمهور وقال عكرمة وغيره هو يوم بدر * وقوله جلت عظمته وهو الذى فى السماء اله الآية ءاية تعظيم واخبار بالوهيته سبحانه اي هو النافذ امره فى كل شيء وقرأ عمر بن الخطاب وابي وابن مسعود وغيرهم وهو الذى فى السماء الله وفى الارض الله وباقى الآية بين ثم اعلم سبحانه ان من عبد من دون الله لايملك شفاعة يوم القيامة الا من شهد بالحق وهم الملائكة وعيسى وعزير فانهم يملكون الشفاعة بان يملكها الله اياهم اذ هم ممن شهد بالحق وهم يعلمونه فالاستثناء على هذا التاويل متصل وهو تاويل قتادة وقال مجاهد وغيره الاستثناء فى المشفوع فيهم فكانه قال لا يشفع هؤلاء الملائكة وعيسى وعزير الافيمن شهد بالحق اي بالتوحيد فـامن على علم وبصيرة فالاستثناء على هذا التاويل منفصل كانه قال لكن من شهد بالحق فيشفع فيهم هؤلاء والتاويل الاول اصوب وقرأ الجمهور وقيله بالنصب وهو مصدر كالقول والضمير فيه لنبينا محمد

صلى الله عليه وسلم واختلف فى الناصب له فقالت فرقة هو معطوف على قوله سرهم ونجواهم ولفظ البخاري وقيله يارب تفسيره ايحسبون انا لا نسمع سرهم ونجواهم ولا نسمع قيله يا رب انتهى وقيل العامل فيه يكتبون ونزل قوله تعالى وقيله يا رب بمنزلة شكوى محمد عليه السلام واستغاثته من كفرهم وعتوهم وقرأ حمزة وعاصم وقيله بالخفض عطفا على الساعة * وقوله سبحانه فاصفح عنهم موادعة منسوخة وقل سلام تقديره امرى سلام اي مسالمة فسوف تعلمون



تفسير سورة الدخان وهي مكية

* بسم الله الرحمن الرحيم *

حم والكتاب المبين انا انزلناه فى ليلة مباركة الآية قوله والكتاب المبين قسم اقسم الله تعالى به وقوله انا انزلناه يحتمل ان يقع القسم عليه ويحتمل ان يكون وصفا للكتاب ويكون الذى وقع القسم عليه انا كنا منذرين واختلف فى تعيين الليلة المباركة فقال قتادة والحسن وابن زيد هي ليلة القدر ومعنى هذا النزول ان ابتداء نزوله كان فى ليلة القدر وهذا قول الجمهور وقال عكرمة الليلة المباركة هي ليلة النصف من شعبان قال القرطبي والصحيح ان الليلة التى يفرق فيها كل امر حكيم ليلة القدر من شهر رمضان وهي الليلة المباركة انتهى من التذكرة ونحوه لابن العربي * وقوله تعالى فيها يفرق كل امر حكيم معناه يفصل من غيره ويتخلص فعن عكرمة ان الله تعالى يفصل ذلك للملائكة فى ليلة النصف من شعبان وفى بعض الاحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم

انـه قال تقطع الآجـال من شعبان الى شعبان حتى ان الرجل لينكح ويولد له ولقـد خرج اسمه فى الموتى وقال قتادة والحسن ومجاهـد يفصل فى ليلة القدر كل ما فى العام المقبل من الاقدار والارزاق والآجال وغير ذلك وامرا نصب على المصدر * وقوله انا كنا مرسلين يحتمل ان يريـد الرسل والاشياء ويحتمل ان يريد الرحمة التى ذكر بعد واختلف الناس فى الدخان الذى امر الله تعالى بارتقابـه فقالت فرقـة منها علي وابن عباس وابن عمر والحسن بن ابى الحسن وابو سعيـد الخدري هو دخان يجيء قبل يوم القيامة يصيب المومن منه مثل الزكام وينضح رءوس المنافقين والكافرين حتى تكون كانها مصلية حنيذة وقالت فرقة منها ابن مسعود هذا الدخان قدرأته قريش حين دعا عليهم النبي صلى الله عليه وسلم بسبع كسبع يوسف فكان الرجل يرى من الجوع دخانا بينه وبين السماء وما ياتى من الآيات يؤيد هـذا التاويل وقولهم انا مومنون كان ذلك منهم من غير حقيقة ثم قال تعالى انى لهم الذكرى اي من اين لهم التذكر والاتعاظ بعـد حلول العذاب وقـد جاءهم رسول مبين يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم فتولوا عنه اي اعرضوا وقالوا معلم مجنون * وقوله انكم عائدون اي الى الكفر واختلف فى يوم البطشة الكبرى فقالت فرقة هو يوم القيامة وقال ابن مسعود وغيره هو يوم بدر * وقوله ان ادوا ماخوذ من الاداء كانه يقول ان ادفعوا الي واعطونى ومكنونى من بنى اسراءيل واياهم اراد بقوله عباد الله وقال ابن عباس المعنى اتبعونى الى ما ادعوكم اليه من الحق فعباد الله على هـذا منادى مضاف والمؤدَى هي الطاعة والظاهر من شرع موسى عليه السلام انه بعث الى دعاء فرعون الي الايمان وان يرسل بنى اسراءيـل فلما ابى ان يومن ثبتت المكافحة فى ان يرسل بنى اسراءيـل وقوله بعد وان لم تومنوا لي فاعتزلون كالنص فى انه ءاخر الامر انما يطلب ارسال بنى اسراءيل فقط * وقوله وان لا تعلوا

على الله الآية المعنى كانت رسالته وقوله ان ادوا وان لا تعلوا على الله اي على شرع الله وعبر بالعلو عن الطغيان والعتو وان ترجمون معناه الرجم بالحجارة المؤدى الى القتل قاله قتادة وغيره وقيل اراد الرجم بالقول والاول اظهر لانـه الذى عـاذ منه ولم يعذ من الآخر (ت) وعن ابن عمر قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من استعاذ بالله فاعيـذوه ومن سألكم بالله فاعطوه ومن استجار بالله فاجيروه ومن اتى اليكم بمعروف فكافئوه فان لم تقدروا فادعـوا له حتى تعلموا ان قد كافأتموه رواه ابو داود والنساءي والحاكم وابن حبان فى صحيحيهما واللفظ للنساءي وقال الحاكم صحيح على شرط الشيخين يعنى البخاري ومسلما اه من السلاح * وقوله فاعتزلون متاركة صريحـة قال قتادة اراد خلوا سبيلى * وقوله فدعا ربه قبله محذوف تقديره فما اجابوه لما طلب منهم * وقوله فاسر قبله محذوف اي قال الله له فاسر بعبادى قال ابن العربي فى احكامه السُرى سير الليل والادلاج سير السحر والتاويب سير النهار ويقال سرى واسرى انتهى واختلف فى قوله تعالى واترك البحر رهوا متى قالها لموسى فقـالت فرقـة هو كلام متصل بما قبله وقال قتادة وغيره خوطب بـه بعد ما جاز البحر وذلك انـه هم ان يضرب البحر ليلتئم خشية ان يـدخل فرعون وجنوده وراءه ورهوا معناه ساكنا كما جزتـه قاله ابن عباس وهذا القول هو الذى تؤيده اللغة ومنه قول القطامي

يمشين رهوا فلا الاعجـاز خاذلة * ولا الصدور على الاعجاز تتكـل

ومنه * وامة خرجت رهوا الى عيد * اي خرجوا فى سـكون وتمهل فقيل لموسى عليـه السلام اترك البحـر ساكنـا على حاله من الانفراق ليقضي الله امرا كان مفعولا * وقوله تعالى كم تركوا كم للتكثير اي كم ترك هؤلاء المغترون من كثرة الجنات والعيون فروي ان الجنات كانت متصلة ضفتي النيل جميعا من رشيد الى أسوان واما العيون فيحتمل انه اراد الخلجان فشبهها بالعيون ويحتمل انها

كانت ونضبت ذكر الطُّرطوشي فى سراج الملوك له قال قال ابو عبد الله بن حمدون كنت مع المتوكل لما خرج الى دمشق فركب يوما الى رصافة هشام بن عبد الملك فنظر الى قصورها ثم خرج فنظر الى دير هناك قديم حسن البناء بين مزارع واشجار فدخله فبينما هو يطوف به اذ بصر برقعة قد الصقت فى صدره فامر بقلعها فاذا فيها مكتوب هذه الابيات

ايا منزلا بالدير اصبح خاليا * تلاعب فيه شمأل ودَبور
كانك لم يسكنك بيض اوانس * ولم تتبختر فى قبابك حور
وابناء املاك غواشم سادة * صغيرهمو عند الانام كبير
اذا لبسوا ادراعهم فعوابس * وان لبسوا تيجانهم فبدور
على انهم يوم اللقاء ضراغم * وانهمو يوم النوال بحور
ليالى هشام بالرُصافة قاطن * وفيك ابنه يادير وهو امير
اذ العيش غض والخلافة لذة * وانت طروب والزمان غرير
وروضك مرتاد ونورك مزهر * وعيش بنى مروان فيك نضير
بلى فسقاك الغيث صوب سحائب * عليك لها بعد الرواح بكور
تذكرت قومى فيكما فبكيتهم * بشجو ومثلى بالبكاء جدير
فعزيت نفسى وهي نفس اذا جرى * لها ذكر قومى انة وزفير
لعل زمانا جار يوما عليهمُ * لهم بالذى تهوى النفوس يدور
فيفرح محزون وينعم بائس * ويطلق من ضيق الوثاق اسير
رويدك ان الدهر يتبعه غد * وان صروف الدائرات تدور

فلما قرأها المتوكل ارتاع ثم دعا صاحب الدير فسأله عمن كتبها فقال لاعلم لى به وانصرف انتهى وفى هذا وشبهه عبرة لاولى البصائر المستيقظين اللهم لا تجعلنا ممن اغتر بزخارف هذه الدار

الا انما الدنيا كاحلام نائم * وما خير عيش لا يكون بدائم

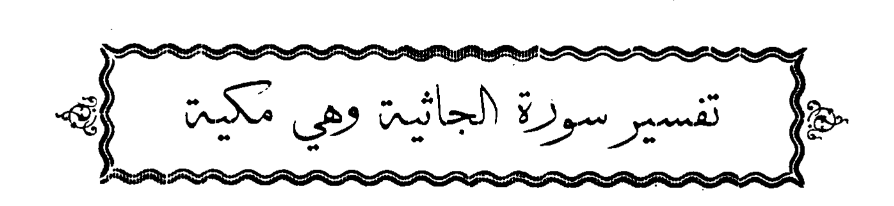
وقرأ جمهور الناس ومقام بفتح الميم قال ابن عباس وغيره اراد المنابر وعلى قراءة ضم الميم قال قتادة اراد المواضع الحسان من المساكن وغيرها والقول بالمنابر بعيد جدا والنعمة بفتح النون غضارة العيش ولذاذة الحياة والنعمة بكسر النون اعم من هذا كله وقد تكون الامراض والمصائب نعما ولا يقال فيها نعمة بالفتح وقرأ الجمهور فاكهين ومعناه فرحين مسرورين كذلك واورثناها قوما آخرين اي بعد القبط وقال قتادة هم بنو اسرائيل وفيه ضعف وقد ذكر الثعلبي عن الحسن ان بنى اسرائيل رجعوا الى مصر بعد هلاك فرعون واختلف المتأولون فى معنى قوله تعالى فما بكت عليهم السماء والارض فقال ابن عباس وغيره وذلك ان الرجل المومن اذا مات بكى عليه من الارض موضع عباداته اربعين صباحا وبكى عليه من السماء موضع صعود عمله قالوا ولم يكن فى قوم فرعون من هذه حاله فتبكى عليهم السماء والارض قال (ع) والمعنى الجيد فى الآية انها استعارة فصيحة تتضمن تحقير امرهم وانه لم يتغير لاجل هلاكهم شيء ومثله قوله صلى الله عليه وسلم لا ينتطح فيها عنزان وفى الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما مات مومن فى غربة غابت عنه فيها بواكيه الا بكت عليه السماء والارض ثم قرأ هذه الآية وقال انهما لا يبكيان على كافر قال الداودي وعن مجاهد ما مات مومن الا بكت عليه السماء والارض وقال افى هذا عجب وما للارض لا تبكى على عبد كان يعمرها بالركوع والسجود وما للسماء لا تبكى على عبد كان لتسبيحه وتكبيره فيها دوي كدوي النحل انتهى وروى ابن المبارك فى رقائقه قال اخبرنا الاوزاعي قال حدثنى عطاء الخراساني قال ما من عبد يسجد لله سجدة فى بقعة من بقاع الارض الا شهدت له يوم القيامة وبكت عليه يوم يموت انتهى وروى ابن المبارك ايضا عن ابى عبيد صاحب سليمان ان

العبد المومن اذا مات تنادت بقاع الارض عبد الله المومن مات فتبكى عليه السماء والارض فيقول الرحمن تبارك وتعالى ما يبكيكما على عبدى فيقولان يا ربنا لم يمش على ناحية منا قط الا وهو يذكرك اه ومنظرين اي مؤخرين والعذاب المهين هو ذبح الابناء والتسخير وغير ذلك * وقوله على علم اي على شيء قد سبق عندنا فيهم وثبت فى علمنا انه سينفذ ويحتمل ان يكون معناه على علم لهم وفضائل فيهم على العالمين اي عالمى زمانهم بدليل ان امة محمد خير امة اخرجت للناس وءاتيناهم من الآيات لفظ جامع لما اجرى الله من الآيات على يدي موسى ولما انعم به على بنى اسراءيل والبلاء فى هذا الموضع الاختبار والامتحان كما قال تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة الآية ومبين بمعنى بين ثم ذكر تعالى قريشا على جهة الانكار لقولهم وانكارهم للبعث فقال ان هؤلاء ليقولون ان هي اي ما هي الاموتتنا الاولى وما نحن بمنشرين اي بمبعوثين وقول قريش فاتوا بءابائنا مخاطبة للنبي صلى الله عليه وسلم طلبوا منه ان يحيي الله لهم بعض ءابائهم وسموا له قصيا وغيره كي يسئلوهم عما رأوا فى ءاخرتهم * وقوله سبحانه اهم خير ام قوم تبع الاية ءاية تقرير ووعيد وتبع ملك حميري وكان يقال لكل ملك منهم تبع الا ان المشار اليه فى هذه الآية رجل صالح روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من طريق سهل بن سعد ان تبعا هذا اسلم وءامن بالله وقد ذكره ابن اسحاق فى السيرة قال السهيلي وبعد ما غزا تبع المدينة واراد خرابها اخبر بانها مهاجر نبي اسمه احمد فانصرف عنها وقال فيه شعرا واودعه عند اهلها فكانوا يتوارثونه كابرا عن كابر الى ان هاجر اليهم النبي عليه السلام فادوه اليه ويقال ان الكتاب والشعر كانا عند ابي ايوب الانصاري ومنه

شهدت على احمد انه * رسول من الله بارى النسم
فلو مد عمرى الى عمره * لكنت وزيرا له وابن عم

وذكر الزجاج وابن ابى الدنيا انه حفر قبر بصنعاء فى الاسلام فوجد فيه امرأتان صحيحتان وعند رأسهما لوح من فضة مكتوب فيه بالذهب هذا قبر حُبَّى ولَمِيس ويروى وتَماضِر ابنتي تبع ماتتا وهما تشهدان ان لا اله الا الله ولا تشركان به شيأ وعلى ذلك مات الصالحون قبلهما انتهى ويوم الفصل هو يوم القيامة وهذا هو الاخبار بالبعث والمولى فى هذه الآية يعم جميع الموالى * وقوله سبحانه ان شجرت الزقوم طعام الاثيم روي عن ابن زيد ان الاثيم المشار اليه ابو جهل ثم هي بالمعنى تتناول كل اثيم وهو كل فاجر روي انها لما نزلت جمع ابو جهل عجوة وزبدا وقال لاصحابه تزقموا فهذا هو الزقوم وهو طعامى الذى حدث به محمد قال (ع) وانما قصد بذلك ضربا من المغالطة والتلبيس على الجهلة * وقوله سبحانه كالمهل قال ابن عباس وابن عمر المهل دُرْدِي الزيت وعَكَره وقال ابن مسعود وغيره المهل ما ذاب من ذهب او فضة والمعنى ان هذه الشجرة اذا طعمها الكافر فى جهنم صارت فى جوفه تفعل كما يفعل المهل المذاب من الاحراق والافساد والحميم الماء السخن الذى يتطاير من غليانه * وقوله خذوه الآية اي يقال يومئذ للملائكة خذوه يعنى الاثيم فاعتلوه والعتل السوق بعنف واهانة ودفع قوي متصل كما يساق ابدا مرتكب الجرائم والسواء الوسط وقيل المعظم وذلك متلازم * وقوله تعالى ذق انك انت العزيز الكريم مخاطبة على معنى التقريع * وقوله سبحانه ان هذا ما كنتم به تمترون عبارة عن قول يقال للكفرة ثم ذكر تعالى حالة المتقين فقال ان المتقين فى مقام امين اي مامون والسندس رقيق الحرير والاستبرق خشِنه * وقوله متقابلين وصف لمجالس اهل الجنة لان بعضهم لا يستدبر بعضا فى المجالس وقرأ الجمهور وزوجناهم بحور عين وقرأ ابن مسعود بعيس عين وهو جمع عيساء وهي البيضاء وكذلك هي من النوق وروى ابو قِرْصافة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اخراج

القُامة من المسجد مهور الحور العين قال الثعلبي قال مجاهد يحار فيهن الطرف من بياضهن وصفاء لونهن يرى مخ سوقهن من وراء ثيابهن ويرى الناظر وجهه فى كعب احداهن كالمرآة من رقة الجلد وصفاء اللون انتهى * وقوله سبحانه يدعون فيها بكل فاكهة اي يدعون الخدمة والمتصرفين قال ابو حيان الا الموتة استثناء منقطع اي لكن الموتة الاولى ذاقوها انتهى والضمير فى يسرناه عائد على القرءان بلسانك اي بلغة العرب قال الواحدي لعلهم يتذكرون اي يتعظون انتهى وفى قوله تعالى فارتقب انهم مرتقبون وعد للنبي صلى الله عليه وسلم ووعيد للكافرين



تفسير سورة الجاثية وهي مكية

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله عز وجل حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ان فى السموات والارض لايات للمومنين قال ابو حيان اجاز الفخر الرازي فى العزيز الحكيم ان يكونا صفتين لله وهو الراجح او للكتاب ورد بانه لا يجوز ان يكونا صفتين للكتاب من وجوه انتهى وذكر تبارك وتعالى هنا الآيات التى فى السموات والارض مجملة غير مفصلة فكانها احالة على غوامض تثيرها الفِكَر ويخبر بكثير منها الشرع فلذلك جعلها للمومنين ثم ذكر سبحانه خلق البشر والحيوان وكانه اغمض فجعله للموقنين الذين لهم نظر يؤديهم الى اليقين ثم ذكر اختلاف الليل والنهار والعبرة بالمطر والرياح فجعل ذلك لقوم يعقلون اذ كل عاقل يحصل هذه

ويفهم قدرها قال (ع) وان كان هذا النظر ليس بلازم ولا بد فان اللفظ يعطيه والرزق المنزل من السماء هو الماء وسماه الله سبحانه رزقا بمئاله لان جميع ما يرتزق فعن الماء هو * وقوله نتلوها عليك بالحق اي بالصدق والاعلام بحقائق الامور فى انفسها * وقال جلت عظمته فبأي حديث بعد الله وءاياته يومنون ءاية تقريع وتوبيخ وفيها قوة تهديد والافاك الكذاب الذى يقع منه الافك مرارا والاثيم بناء مبالغة اسم فاعل من اثم يأثم وروي ان سبب الآية ابو جهل وقيل النضر بن الحارث والصواب انها عامة فيهما وفى غيرهما وانها تعم كل من دخل تحت الاوصاف المذكورة الى يوم القيامة ويصر معناه يثبت على عقيدته من الكفر * وقوله فبشره بعذاب اليم اي مولم * وقوله تعالى واذا علم من آياتنا شيأ اي اخبر بشيء من آياتنا فعلم نفس الخبر لا المعنى الذى تضمنه الخبر ولو علم المعاني التى تضمنها اخبار الشرع وعرف حقائقها لكان مومنا (ت) وفي هذا نظر لانه ينحو الى القول بان الكفر لا يتصور عنادا محضا وقد تقدم اختياره رحمه الله لذلك فى غير هذا المحل فقف عليه وخشية الاطالة منعتنى من تكراره هنا * وقوله سبحانه هذا هدى اشارة الى القرءان * وقوله لهم عذاب بمنزلة قولك لهم حظ فمن هذه الجهة ومن جهة تغاير اللفظين حسن قوله عذاب من رجز اذ الرجز هو العذاب * وقوله لتجري الفلك فيه بامره اقام القدرة والاذن مناب ان يامر البحر والناس بذلك وقرأ مسلمة بن محارب جميعا مِنة بضم التاء وقرأ ايضا جميعا مَنُّه بفتح الميم وشد النون والهاء وقرأ ابن عباس مِنة بالنصب على المصدر * وقوله تعالى ان فى ذلك ءلايات لقوم يتفكرون قال الغزالي فى الاحياء الفكر والذكر اعلى مقامات الصالحين وقال رحمه الله اعلم ان الناظرين بانوار البصيرة علموا ان لا نجاة الا فى لقاء الله عز وجل وانه لا سبيل الى اللقاء الا بان يموت العبد محبا لله تعالى وعارفا به وان المحبة والانس لا يتحصلان

الا بدوام ذكر المحبوب وان المعرفة لا تحصل الا بدوام الفكر ولن يتيسر دوام الذكر والفكر الا بوداع الدنيا وشهواتها والاجتزاء منها بقدر البُلغة والضرورة ثم قال والقرءان جامع لفضل الذكر والفكر والدعاء مهما كان بتدبر انتهى * وقوله تعالى قل للذين ءامنوا يغفروا الآيـة قال اكثر الناس هذه الآية منسوخة بـءاية القتال وقالت فرقة بل هي محكمة قال (ع) الآية تتضمن الغفران عموما فينبغي ان يقال ان الامور العظام كالقتل والكفر مجاهرة ونحو ذلك قد نسخت غفرانه ءاية السيف والجزية وما احكمه الشرع لا محالة وان الامور الحقيرة كالجفاء في القول ونحو ذلك تحتمل ان تبقى محكمة وان يكون العفو عنها اقرب الى التقوى * وقوله ايام الله قالت فرقة معناه ايام انعامه ونصره وتنعيمه في الجنة وغير ذلك وقال مجاهد ايام الله ايام نقمه وعذابه وباقي الآية بين * وقوله سبحانه فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم الآية قد تقدم بيان نظيرها في سورة يونس وغيرها * وقوله سبحانه ثم جعلناك على شريعة من الامر الآية الشريعة لغة مورد المياه وهي في الدين من ذلك لان الناس يَرِدون الدين ابتغاء رحمة الله والتقرب منه والامر واحد الامور ويحتمل ان يكون واحد الاوامر والذين لا يعلمون هم الكفار وفي قوله تعالى وان الظالمين بعضهم اولياء بعض والله ولي المتقين تحقير للكفرة من حيث خروجهم عن ولاية الله تعالى (ت) وقد قال صلى الله عليه وسلم يوم احد اجيبوهم فقولوا الله مولانا ولا مولى لكم وذلك ان قريشا قالوا للصحابة لنا العزى ولا عزى لكم * وقوله عز وجل هذا بصائر للناس يريد القرءان وهو جمع بصيرة وهو المعتقد الوثيق في الشيء كانه من ابصار القلب قال ابو حيان وقرئ هذه اي هذه الآيات انتهى * وقوله سبحانه ام حسب الذين اجترحوا السيئات قيل ان الآية نزلت بسبب افتخار كان للكفار على المومنين قالوا لئن كانت ءاخرة كما تزعمون لنفضلن عليكم فيها كما فضلنا في الدنيا

واجترحوا معناه اكتسبوا وهذه الآية متناولة بلفظها حال العصاة من حال اهل التقوى وهي موقف للعارفين يبكون عنده وروي عن الربيع بن خيثم انه كان يرددها ليلة حتى اصبح وكذلك عن الفضيل بن عياض وكان يقول لنفسه ليت شعرى من اي الفريقين انت وقال الثعلبي كانت هذه الآية تسمى مبكاة العابدين قال (ع) واما لفظها فيعطى انه اجتراح الكفر بدليل معادلته بالايمان ويحتمل ان تكون المعادلة بين الاجتراح وعمل الصالحات ويكون الايمان فى الفريقين ولهذا بكى الخائفون رضي الله عنهم (ت) وروى ابن المبارك فى رقائقه بسنده ان تميما الداري رضي الله عنه بات ليلة الى الصباح يركع ويسجد ويردد هذه الآية ام حسب الذين اجترحوا السيئات الآية ويبكى رضي الله عنه انتهى * وقوله ساء ما يحكمون ما مصدرية والتقدير ساء الحكم حكمهم * وقوله سبحانه افرأيت من اتخذ الهه هواه الآية تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم اي لاتهتم بامر الكفرة من اجل اعراضهم عن الايمان وقوله الهه هواه اشارة الى الاصنام اذ كانوا يعبدون ما يهوون من الحجارة وقال قتادة المعنى لايهوى شيأ الاركبه لايخاف الله فهذا كما يقال الهوى اله معبود وهذه الآية وان كانت نزلت فى هوى الكفر فهي متناولة جميع هوى النفس الامارة قال النبي صلى الله عليه وسلم والعاجز مع اتبع نفسه هواها وتمنى على الله وقال سهل التستري هواك داؤك * فان خالفته فدواؤك * وقال وهب اذا عرض لك امران وشككت فى خيرهما فانظر ابعدهما من هواك فاته ومن الحكمة فى هذا قول القائل

اذا انت لم تعص الهوى قادك الهوى * الى كل ما فيه عليك مقال

قال الشيخ ابن ابى جمرة قوله صلى الله عليه وسلم فيقال من كان يعبد شيأ فليتبعه شيأ يعم جميع الاشياء مدركة كانت او غير مدركة فالمدرك كالشمس

والقمر وغير المدرك مثل الملائكة والهوى لقوله عز وجل افرأيت من اتخذ الهه هواه وما اشبه ذلك انتهى قال القشيري فى رسالته وحكي عن ابى عمران الواسطي قال انكسرت بنا السفينة فبقيت انا وامرأتى على لوح وقد ولدت فى تلك الحال صبية فصاحت بى وقالت يقتلنى العطش فقلت هو ذا يرى حالنا فرفعت رأسى فاذا رجل فى الهواء جالس فى يده سلسلة من ذهب وفيها كوز من ياقوت احمر فقال هاك اشربا قال فاخذت الكوز فشربنا منه فاذا هو اطيب من المسك وابرد من الثلج واحلى من العسل فقلت من انت رحمك الله فقال عبد لمولاك فقلت له بم وصلت الى هذا فقال تركت هواي لمرضاته فاجلسنى فى الهواء ثم غاب عنى ولم اره انتهى * وقوله تعالى على علم قال ابن عباس المعنى على علم من الله تعالى سابق وقالت فرقة اي على علم من هذا الضال بتركه للحق واعراضه عنه فتكون الآية على هذا التاويل من آيات العناد من نحو قوله وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم * وقوله تعالى وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة استعارات كلها * وقوله من بعد الله فيه حذف مضاف تقديره من بعد اضلال الله اياه واختلف فى معنى قولهم نموت ونحيى فقالت فرقة المعنى يموت الآباء ويحيى الابناء وقالت فرقة المعنى نحيى ونموت فوقع فى اللفظ تقديم وتاخير وقولهم وما يهلكنا الا الدهر اي طول الزمان * وقوله سبحانه واذا تتلى عليهم ءاياتنا بينات يعنى قريشا ما كان حجتهم الا ان قالوا ايتوا بءابائنا اي يا محمد احي لنا قصيا حتى نسأله الى غير ذلك من هذا النحو فنزلت الآية فى ذلك ومعنى ان كنتم صادقين اي فى قولكم انا نبعث بعد الموت ثم امر الله تعالى نبيه ان يخبرهم بالحال السابقة فى علم الله التى لا تبدل بانه يحيى الخلق ثم يميتهم الى ءاخر الآية وباقى الآية بين والمبطلون الداخلون فى الباطل * وقوله سبحانه وترى كل امة جاثية هذا وصف حال

القيامة وهولها والامة الجماعة العظيمة من الناس وقال مجاهد الامة الواحد من الناس قال (ع) وهذا قلق فى اللغة وان قيل فى ابراهيم امة وفى قس بن ساعدة فذلك تجوز على جهة التشريف والتشبيه وجاثية معناه على الركب قاله مجاهد وغيره وهي هيئة المذنب الخائف وقال سلمان فى القيامة ساعة قدر عشر سنين يخر الجميع فيها جثاة على الركب * وقوله كل امة تدعى الى كتابها قالت فرقة معناه الى كتابها المنزل عليها فتحاكم اليه هل وافقته او خالفته وقالت فرقة اراد الى كتابها الذى كتبته الحفظة على كل واحد من الامة * وقوله سبحانه هذا كتابنا يحتمل ان تكون الاشارة الى الكتب المنزلة اوالى اللوح المحفوظ اوالى كتب الحفظة وقال ابن قتيبة الى القرءان * وقوله سبحانه انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون قال الحسن هو كتب الحفظة على بنى ءادم وروى ابن عباس وغيره حديثا ان الله يامر بعرض اعمال العباد كل يوم خميس فينقل من الصحف التى كانت ترفع الحفظة كل ما هو معد ان يكون عليه ثواب او عقاب ويلغى الباقى فهذا هو النسخ من اصل * وقوله عز وجل فاما الذين ءامنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم فى رحمته اي فى جنته واما الذين كفروا افلم تكن اي فيقال لهم افلم تكن آياتى تتلى عليكم وقرأ حمزة وحده والساعة بالنصب عطفا على قوله وعد الله وقرأ ابن مسعود وان الساعة لاريب فيها وباقى الآية بين * وقوله سبحانه وبدا لهم سيئات ما عملوا الآية حكاية حال يوم القيامة وحاق معناه نزل واحاط وهي مستعملة فى المكروه وفى قوله ماكانوا حذف مضاف تقديره جزاء ما كانوا به يستهزءون * وقوله عز وجل وقيل اليوم ننساكم معناه نترككم كما تركتم لقاء يومكم هذا وءايات الله هنا لفظ جامع ءلايات القرءان وللادلة التى نصبها الله تعالى للنظر ولا هم يستعتبون اي لا يطلب منهم مراجعة الى عمل صالح * وقوله سبحانه فلله الحمد رب السموات ورب الارض الى ءاخر

السورة تحميد لله عز وجل وتحقيق لالوهيته وفى ذلك كسر لامر الاصنام وسائر ما تعبده الكفرة والكبرياء بناء مبالغة



تفسير سورة الاحقاف وهي مكية

الاءايتين وهما قوله تعالى قل ارأيتم ان كان من عند الله وكفرتم به الآية وقوله سبحانه فاصبر كما صبر اولوا العزم الآية

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

قوله سبحانه حم تنزيل الكتاب يعنى القرءان ﴿ وقوله سبحانه ما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق واجل مسمى والذين كفروا عما انذروا معرضون هذه الآية موعظة وزجر المعنى فانتبهوا ايها الناس وانظروا ما يراد بكم ولم خلقتم والاجل المسمى هو يوم القيامة ﴿ وقوله قل ارأيتم ما تدعون معناه ما تعبدون ثم وقفهم على السموات هل لهم فيها شرك ثم استدعى منهم كتابا منزلا قبل القرءان يتضمن عبادة الاصنام قال ابن العربي فى احكامه هذه الآية من اشرف ءاية فى القرءان فانها استوفت الدلالة على الشرائع عقليها وسمعيها لقوله عز وجل قل ارأيتم ما تدعون من دون الله اروني ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك فى السموات فهذا بيان لادلة العقل المتعلقة بالتوحيد وحدوث العالم وانفراد البارى تعالى بالقدرة والعلم والوجود والخلق ثم قال ايتوني بكتاب من قبل هذا على ما تقولون وهذا بيان لادلة السمع فان مدرك الحق انما يكون بدليل العقل او بدليل الشرع حسبما بيناه من مراتب الادلة فى كتب

الاصول ثم قال اواثارة من علم يعنى او علم يوثر اي يروى وينقل وان لم يكن مكتوبا انتهى * وقوله اواثارة معناه او بقية قديمة من علم احد العلماء تقتضى عبادة الاصنام والاثارة البقية من الشيء وقال الحسن المعنى من علم تستخرجونه فتثيرونه وقال مجاهد المعنى هل من احد ياثر علما فى ذلك وقال القرطبي هو الاسناد ومنه قول الاعشى

ان الذى فيه تماريتما * بين للسامع والآثر

اي وللمسنِد عن غيره وقال ابن عباس الاثارة الخط فى التراب وذلك شيء كانت العرب تفعله والضمير فى قوله وهم عن دعائهم غافلون هو للاصنام فى قول جماعة ويحتمل ان يكون لعبدتها * وقوله سبحانه واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء وصف ما يكون يوم القيامة بين الكفار واصنامهم من التبرى والمناكرة وقد بين ذلك فى غير هذه الآية * واذا تتلى عليهم ءاياتنا اي ءايات القرءان قال الذين كفروا للحق يعنى القرءان هذا سحر مبين اي يفرق بين المرء وبنيه * وقوله سبحانه قل ان افتريته فلا تملكون لى من الله شيأ المعنى ان افتريته فالله حسبى فى ذلك وهو كان يعاقبنى ولا يمهلنى ثم رجع القول الى الاستسلام الى الله والاستنصار به عليهم وانتظار ما يقتضيه علمه بما يفيضون فيه من الباطل ومرادّة الحق وذلك يقتضى معاقبتهم ففى اللفظ تهديد والضمير فى به عائد على الله عز وجل * وقوله سبحانه وهو الغفور الرحيم ترجية واستدعاء الى التوبة ثم امره عز وجل ان يحتج عليهم بانه لم يكن بدعا من الرسل والبدع والبديع من الاشياء ما لم ير مثله المعنى قد جاء قبلى غيرى قاله ابن عباس وغيره (ت) ولفظ البخاري وقال ابن عباس بدعا من الرسل اي لست باول الرسل واختلف الناس فى قوله وما ادرى ما يفعل بى ولا بكم فقال ابن عباس وجماعة كان هذا فى صدر الاسلام ثم بعد ذلك عرفه الله عز وجل بانه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وبان

المومنيـن لهم من الله فضـل كـبير وهو الجنة وبان الكافرين فى نار جهنم والحدبث الصحيح الذى وقع فى جنازة عثمان بن مظعون يؤيـد هـذا وقالت فرقة معنى الآية وما ادرى ما يفعل بى ولا بكم من الاوامر والنواهى وقيل غير هذا * وقوله ان اتبع الاما يوحى الي معناه الاستسلام والتبرى من علم المغيبات والوقوف مع النذارة من عذاب الله عز وجل * وقوله عز وجل قل ارأيتم ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بنى اسراءيل الآية جواب هـذا التوقيف محذوف تقديره اليس قد ظلمتم ودل على هـذا المقدر قوله تعالى ان الله لا يهدى القوم الظالمين قال مجاهد وغيره هذه الآية مدنية والشاهد عبـد الله بن سلام وقـد قال عبد الله بن سلام في نزلت وقال مسروق بن الاجـدع والجمهور الشاهد موسى بن عمران عليه السلام والآية مكية ورجحه الطبري * وقوله على مثله يريد بالمثل التوراة والضمير عائد فى هذا التاويل على القرءان اي جاء شاهد من بنى اسراءيل بمثله انه من عند الله سبحانه * وقوله فـءامن على هذا التاويل يعنى به تصديق موسى وتبشيره بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم * وقوله سبحانه ومن قبله اي من قبل القرءان كتاب موسى يعنى التوراة وهذا كتاب يعنى القرءان مصـدق للتـوراة التى تضمنت خبره وفى مصحف ابن مسعود مصدق لما بين يديه والذين ظلمواهم الكفار وعبر عن المومنين بالمحسنين ليناسب لفظ الاحسان فى مقابلة الظلم ثم اخبر تعالى عن حسن حال المستقيمين وذهب كثيرمن الناس الى ان المعنى ثم استقـاموا بالطاعات والاعمال الصالحات وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه المعنى ثم استقاموا بالدوام على الايمان قال (ع) وهذا اعم رجاء واوسع وان كان فى الجملة المومنة مـن يعـذب وينـفـذ عليه الوعيـد فهو ممن يخلد فى الجنة وينـتـفى عنه الخوف والحزن الحال بالكفرة * وقوله تعالى جزاء بما كانوا يعملون قد جعل الله سبحانـه الاعمال امارات على ما

سيصير اليه العبد لانها توجب على الله شيأ * وقوله سبحانه ووصينا الانسان
يريد النوع اي هكذا مضت شرائعي وكتبي فهي وصية من الله في عباده وبر
الوالدين واجب وعقوقهما كبيرة وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم كل شئ بينه
وبين الله حجاب الا شهادة ان لا اله الا الله ودعوة الوالدين قال (ع) ولن يدعوا
في الغالب الا اذا ظلمهما الولد فهذا يدخل في عموم قوله عليه السلام اتقوا دعوة
المظلوم فانه ليس بينها وبين الله حجاب ثم عدد سبحانه على الابناء منن
الامهات * وقوله تعالى حملته امه كرها قال مجاهد والحسن وقتادة حملته مشقة
ووضعته مشقة قال ابو حيان وحمله على حذف مضاف اي مدة حمله انتهى *
وقوله ثلاثون شهرا يقتضي ان مدة الحمل والرضاع هي هذه المدة وفي البقرة
والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين فيترتب من هذا ان اقل مدة الحمل
ستة اشهر واقل ما يرضع الطفل عام وتسعة اشهر واكمال الحولين هو لمن
اراد ان يتم الرضاعة وهذا في امد الحمل هو مذهب مالك وجماعة من
الصحابة واقوى الاقوال في بلوغ الاشد ستة وثلاثون سنة قال (ع) وانما
ذكر تعالى الاربعين لانها حد للانسان في فلاحه ونجابته وفي الحديث ان
الشيطان يجر يده على وجه من زاد على الاربعين ولم يتب فيقول بابي وجه لا
يفلح (ت) وحدث ابو بكر بن الخطيب في تاريخ بغداد بسنده المتصل
عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بلغ العبد اربعين سنة امنه
الله من البلايا الثلاث الجنون والجذام والبرص فاذا بلغ خمسين سنة خفف الله
عنه الحساب فاذا بلغ ستين سنة رزقه الله الانابة لما يحب فاذا بلغ سبعين سنة
غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وشفع في اهل بيته وناداه مناد من السماء
هذا اسير الله في ارضه انتهى وهذا والله اعلم في العبد المقبل على آخرته
المشتغل بطاعة ربه * وقوله رب اوزعني معناه ادفع عني الموانع واجرني من

القواطع لاجل ان اشكر نعمتك ويحتمل ان يكون اوزعني بمعنى اجعل حظى ونصيبى وهـذا من التوزيع (ت) وقال الثعلبي وغيره اوزعني معناه الهمنى وعبارة الفخر قال ابن عباس اوزعني معناه الهمنى قال صاحب الصحاح استوزعت الله فاوزعنى اي استلهمته فالهمنى انتهى قال ابن عباس نعمتك فى التوحيد وصالحا ترضاه الصلوات والاصلاح فى الذرية كونهم اهل طاعة وخير وهذه الآية معناها ان هكذا ينبغى للانسان ان يكون فهي وصية الله تعالى للانسان فى كل الشرائع وقول من قال انها فى ابى بكر وابويه ضعيف لان هذه الآية نزلت بمكة بلا خلاف وابو قحافة اسلم عام الفتح وفى قوله تعالى اولائك الذين يتقبل عنهم الآية دليل على ان الاشارة بقوله ووصينا الانسان انما اراد به الجنس * وقوله فى اصحاب الجنة يريد الذين سبقت لهم رحمة الله قال ابو حيان فى اصحاب الجنة قيل فى على بابها اي فى جملتهم كما تقول اكرمنى الامير فى ناس اي فى جملة من اكرم وقيل فى بمعنى مع انتهى * وقوله تعالى والذى قال لوالديه قال الثعلبي معناه اذ دعواه الى الايمان اف لكما الآية انتهى والذى يعنى به الجنس على حد العموم فى التى قبلها فى قوله ووصينا الانسان هذا قول الحسن وجماعة ويشبه ان لها سببا من رجل قال ذلك لابويه فلما فرغ من ذكر الموفق عقب بذكر هذا العاق وقد انكرت عائشة ان تكون الآية نزلت فى عبد الرحمن بن ابى بكر وقالت ما نزل فى ءال ابى بكر من القرءان غير براءتى (ت) ولا يعترض عليها بقوله تعالى ثاني اثنين ولا بقوله ولا ياتل اولوا الفضل كما بينا ذلك فى غير هذه الآية قال (ع) والاصوب ان تكون الآية عامة فى اهل هذه الصفات والدليل القاطع على ذلك قوله تعالى اولائك الذين حق عليهم القول فى امم وكان عبد الرحمن بن ابى بكر رضي الله عنه من افاضل الصحابة ومن ابطال المسلمين وممن له فى الاسلام غناء يوم اليمامة وغيره واف بالتنوين قراءة

نافع وغيره والتنوين فى ذلك علامة تنكير كما تستطعم رجلا حديثا غير معين فتقول ايه منونة وان كان حديثا مشارا اليه قلت ايه بغير تنوين * وقوله اتعدانني ان اخرج المعنى ان اخرج من القبر الى الحشر وهذا منه استفهام بمعنى الهزء والاستبعاد وقد خلت القرون من قبلى معناه هلكت ومضت ولم يخرج منهم احدوهما يستغيثان الله يعنى الوالدين يقولان له ويلك آمن * وقوله ما هذا الا اساطير الاولين اي ما هذا القول الذى يتضمن البعث من القبور الا شيء سطره الاولون فى كتبهم يعنى الشرائع وظاهر الفاظ هذه الآية انها نزلت فى مشار اليه قال وقيل له فنعى الله الينا اقواله تحذيرا من الوقوع فى مثلها * وقوله اولائك ظاهره انها اشارة الى جنس وحق عليهم القول اي قول الله انه يعذبهم قال ابو حيان فى امم اي فى جملة امم ففى على بابها وقيل فى بمعنى مع وقد تقدم ذلك انتهى * وقوله قد خلت من قبلهم من الجن والانس يقتضى ان الجن يموتون وهكذا فهم الآية قتادة وقد جاء حديث يقتضى ذلك * وقوله سبحانه ولكل درجات يعنى المحسنين والمسيئين قال ابن زيد ودرجات المحسنين تذهب علوا ودرجات المسيئين تذهب سفلا وباقى الآية بين فى ان كل امرئ يجتنى ثمرة عمله من خير او شر ولا يظلم فى مجازاته * وقوله عز وجل ويوم يعرض الذين كفروا على النار الآية المعنى واذكر يوم يعرض وهذا العرض هو بالمباشرة اذهبتم اي يقال لهم اذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا والطيبات هنا الملاذ وهذه الآية وان كانت فى الكفار فهي رادعة لاولى النهى من المومنين عن الشهوات واستعمال الطيبات ومن ذلك قول عمر رضي الله عنه اتظنون انا لا نعرف طيب الطعام ذلك لُباب البُر بصغار المِعْزَى ولكنى رأيت الله تعالى نعى على قوم انهم اذهبوا طيباتهم فى حياتهم الدنيا ذكر هذا فى كلامه مع الربيع بن زياد وقال ايضا نحو هذا لخالد بن الوليد حين دخل الشام فقدم اليه

طعام طيب فقال عمر هـذا لنا فما لفقراء المسلمين الذين ماتوا ولم يشبعوا من خبز الشعير فقال خالد لهم الجنة فبكى عمر وقال لئن كان حظنا فى الحطام وذهبوا بالجنة فقد بانوا بونا بعيدا وقال جابر بن عبد الله اشتريت لحما بدرهم فرءانى عمر فقال او كلما اشتهى احدكم شيأ اشتراه فاكله اما تخشى ان تكون من اهل هذه الآية وتلا اذهبتم طيباتكم (ت) والآثار فى هذا المعنى كثيرة جدا فمنها ما رواه ابو داود فى سننه عن عبد الله بن بريدة ان رجلا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم رحل الى فضالة بن عبيد وهو بمصر فقدم عليه فقال اما انى لم ءاتك زائرا ولكن سمعت انا وانت حديثا من رسول الله صلى الله عليه وسلم رجوت ان يكون عندك منه علم قال ما هو قال كذا وكذا قال فمالى اراك شعثا وانت امير الارض قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينهى عن كثير من الارفاه قال فمالى لا ارى عليك حذاء قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يامرنا ان نحتفي احيانا وروى ابو داود عن ابى امامة قال ذكر اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يوما عنده الدنيا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا تسمعون ان البذاذة من الايمان ان البذاذة من الايمان ان البذاذة من الايمان قال ابو داود يعنى التقحل وفسر ابو عمر بن عبد البر البذاذة برث الهيئة ذكر ذلك فى التمهيد وكذلك فسرها غيره انتهى وروى ابن المبارك فى رقائقه من طريق الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم انه خرج فى اصحابه الى بقيع الغرقد فقال السلام عليكم يا اهل القبور لو تعلمون ما نجاكم الله منه مما هو كائن بعدكم ثم اقبل على اصحابه فقال هؤلاء خير منكم قالوا يا رسول الله اخواننا اسلمنا كما اسلموا وهاجرنا كما هاجروا وجاهدنا كما جاهدوا واتوا على ءاجالهم فمضوا فيها وبقينا فى ءاجالنا فما يجعلهم خيرا منا قال هؤلاء خرجوا من الدنيا لم ياكلوا من اجورهم شيأ وخرجوا وانا الشهيد عليهم وانكم قد اكلتم من اجوركم ولا ادرى ما

تحدثون من بعدى قال فلما سمعها القوم عقلوها وانتفعوا بها وقالوا انا لمحاسبون
بما اصبنا من الدنيا وانه لمنتقص به من اجورنا انتهى ومنها حديث ثوبان فى سنن
ابى داود قال ثوبان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سافر كان ءاخر عهده
بانسان من اهله فاطمة واول من يدخل عليها فاطمة فقدم من غزاة وقد علقت
مِسحا او سترا على بابها وحلت الحسن والحسين قُلبين من فضة فلم يدخل فظنت
انما منعه ان يدخل ما رأى فهتكت الستر وفكت القلبين عن الصبيين وقطعتهما
عنهما فانطلقا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبكيان فاخذهما منهما وقال
ياثوبان اذهب بهما الى ءال فلان ان هؤلاء اهلى اكره ان ياكلوا طيباتهم فى
حياتهم الدنيا ياثوبان اشتر لفاطمة قلادة من عَصْب وسوارين من عاج انتهى
(ص) قرأ الجمهور اذهبتم على الخبر اي فيقال لهم اذهبتم طيباتكم وابن كثير
بهمزة بعدها مَدة مطولة وابن عامر بهمزتين حققهما ابن ذكوان ولين الثانية
هشام وابن كثير فى رواية والاستفهام هنا على معنى التوبيخ والتقرير فهو خبر
فى المعنى ولهذا حسنت الفاء فى قوله فاليوم ولو كان استفهاما محضا لما دخلت
الفاء انتهى وعذاب الهون هو الذى اقترن به هوان فالهون والهوان بمعنى ثم
امر تعالى نبيه بذكر هود وقومه عاد على جهة المثال لقريش وقد تقدم قصص عاد
مستوفى فى سورة الاعراف فلينظر هناك والصحيح من الاقوال ان بلاد عاد
كانت باليمن ولهم كانت ارم ذات العماد والاحقاف جمع حقف وهو الجبل
المستطيل المعوج من الرمل * وقوله سبحانه وقد خلت النذر من بين يديه
ومن خلفه الا تعبدوا الا الله انى اخاف عليكم عذاب يوم عظيم خلت معناه
مضت الى الارض الخلاء والنذر جمع نذير وقولهم لتافكنا معناه لتصرفنا وقولهم
فاتنا بما تعدنا تصميم منهم على التكذيب وتعجيز له فى زعمهم * وقوله سبحانه
قال انما العلم عند الله الآية المعنى قال لهم هود ان هذا الوعيد ليس من قبلى

وانما الامر فيه الى الله وعلم وقته عنده وانما علي ان ابلغ فقط والضمير فى رأوه يحتمل ان يعود على العذاب ويحتمل ان يعود على الشيء المرءي الطالع عليهم وهو الذى فسره قوله عارضا والعارض هو ما يعرض فى الجو من السحاب الممطر قال ابن العربي فى احكامه عند تفسيره قوله تعالى ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم كل شيء عرض فقد منع ويقال لما عرض فى السماء من السحاب عارض لانه منع من رؤيتها ومن رؤية البدر والكواكب انتهى وروي فى معنى قوله مستقبل اوديتهم ان هؤلاء القوم كانوا قد قحطوا مدة فطلع هذا العارض من جهة كانوا يمطرون بها ابدا جاءهم من قبل واد لهم يسمونه المغيث قال ابن عباس ففرحوا به وقالوا هذا عارض ممطرنا وقد كذب هود فيما او عدبه فقال لهم هود عليه السلام ليس الامر كما رأيتم بل هو ما استعجلتم به فى قولكم فاتنا بما تعدنا ثم قال ريح فيها عذاب اليم وفى قراءة ابن مسعود ممطرنا قال هود بل هو ريح باظهار المقدر وتدمر معناه تهلك والدمار الهلاك * وقوله كل شيء ظاهره العموم ومعناه الخصوص فى كل ما امرت بتدميره وروي ان هذه الريح رمتهم اجمعين فى البحر ثم خاطب جل وعلا قريشا على جهة الموعظة بقوله ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه فما بمعنى الذى وان نافية وقعت مكان ما لمختلف اللفظ ومعنى الآية ولقد اعطيناهم من القوة والغنى والبسط فى الاموال والاجسام ما لم نعطكم ونالهم بسبب كفرهم هذا العذاب فانتم احرى بذلك اذا تماديتم فى كفركم وقالت فرقة ان شرطية والجواب محذوف تقديره فى الذى ان مكناكم فيه طغيتم وهذا تنطع فى التاويل وما نافية فى قوله فما اغنى عنهم ويقوى ذلك دخول من فى قوله من شيء وقالت فرقة بل هي استفهام على جهة التقرير ومن شيء على هذا تاكيد وهذا على غير مذهب سيبويه فى دخول من فى الجواب * وقوله عز وجل ولقد اهلكنا ما حولكم من القرى الآية مخاطبة

لقريش على جهة التمثيل وصرفنا الآيات يعني لهذه القرى * وقوله سبحانه فلولا نصرهم الآية يعني فهلا نصرتهم اصنامهم بل ضلوا عنهم اي انتلفوا عنهم وقت الحاجة وذلك افكهم اشارة الى قولهم في الاصنام انها ءالهة * وقوله وما كانوا يفترون يحتمل ان تكون ما مصدرية فلا تحتاج الى عائد ويحتمل ان تكون بمعنى الذى فهناك عائد محذوف تقديره يفترونه * وقوله تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن الآية ابتداء وصف قصة الجن ووفادتهم على النبي صلى الله عليه وسلم وقد اختلفت الرواة هنا هل هذا الجن هم الوفد او المتجسسون واختلفت الراويات ايضا عن ابن مسعود وغيره في هذا الباب والتحرير في هذا ان النبي صلى الله عليه وسلم جاءه نفر من الجن دون ان يشعر بهم وهم المتجسسون المتفرقون من اجل رجم الشهب الذى حل بهم وهؤلاء هم المراد بقوله تعالى قل اوحي الي الآية ثم بعد ذلك وفد عليه وفدهم حسبما ورد في ذلك من الآثار * وقوله نفرا يقتضى ان المصروفين كانوا رجالا لا انثى فيهم والنفر والرهط هم القوم الذين لا انثى فيهم * وقوله تعالى فلما حضروه قالوا انصتوا فيه تأدب مع العلم وتعليم كيف يتعلم فلما قضي اي فرغ من تلاوة القرءان واستماع الجن قال جابر بن عبد الله وغيره ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قرأ عليهم سورة الرحمن فكان اذا قال فباي ءالاء ربكما تكذبان قالوا لا بشيء من ءالائك نكذب ربنا لك الحمد ولما ولت هذه الجملة تفرقت على البلاد منذرة للجن وقولهم انا سمعنا كتابا يعنون القرءان (ت) وقولهم من بعد موسى يحتمل انهم لم يعلموا بعيسى قاله ابن عباس او انهم على دين اليهود قاله عطاء نقل هذا الثعلبي ويحتمل ما تقدم ذكره في غير هذا وانهم ذكروا المتفق عليه انتهى * مصدقا لما بين يديه وهي التوراة والانجيل وداعي الله هو محمد صلى الله عليه وسلم وءامنوا به اي بالله يغفر لكم من ذنوبكم الآية (ت) وذكر الثعلبي خلافا في

مومنى الجن هل يثابون على الطاعة ويدخلون الجنة او يجارون من النار فقط
الله اعلم بذلك قال الفخر والصحيح انهم فى حكم بنى ءادم يستحقون الثواب على
الطاعة والعقاب على المعصية وهو قول مالك وابن ابى ليلى قال الضحاك يدخلون
الجنة وياكلون ويشربون انتهى وقد تقدم ما نقلناه عن البخاري فى سورة
الانعام انهم يثابون * وقوله سبحانه ومن لايجب داعي الله فليس بمعجز
الآية يحتمل ان يكون من تمام كلام المنذرين ويحتمل ان يكون
من كلام الله عز وجل والمعجز الذاهب فى الارض الذى يعجز طالبه فلا
يقدر عليه * وقوله سبحانه او لم يروا الضمير لقريش وذلك انهم انكروا البعث
وعود الاجساد وهم مع ذلك معترفون بان الله تعالى خلق السموات والارض
فاقيمت عليهم الحجة من اقوالهم قال ابو حيان والباء فى قوله بقادر زائدة
انتهى * وقوله تعالى ويوم يعرض الذين كفروا على النار المعنى واذكر يوم
وهذا وعيد لكفار قريش وغيرهم وهذا عرض مباشرة * وقوله اليس هذا
بالحق اي يقال لهم اليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا فصدقوا بذلك حيث لا
ينفعهم التصديق فروي عن الحسن انه قال انهم ليعذبون فى النار وهم راضون
بذلك لانفسهم يعترفون انه العدل واختلف فى تعيين اولى العزم من الرسل
ولامحالة ان لكل نبيء ورسول عزما وصبرا * وقوله ولا تستعجل لهم معناه
ولا تستعجل لهم عذابا فانهم اليه صائرون ولا تستطل تعميرهم فى هذه النعمة فانهم
يوم يرون العذاب كأنهم لم يلبثوا فى الدنيا الا ساعة لاحتقارهم ذلك لان المنقضي
من الزمان يصير عدما (ت) واذا علمت ايها الاخ ان الدنيا اضغاث احلام كان
من الحزم اشتغالك الآن بتحصيل الزاد للمعاد وحفظ الحواس ومراعاة الانفاس
ومراقبة مولاك فاتخذه صاحبا وذر الناس جانبا قال ابو حامد الغزالي رحمه الله
اعلم ان صاحبك الذى لا تفارقه فى حضرك وسفرك ونومك ويقظتك بل فى

حياتك وموتك هو ربك ومولاك وسيدك وخالقك ومهما ذكرته فهو جليسك اذ قال تعالى انا جليس من ذكرني ومهما انكسر قلبك حزنا على تقصيرك فى حق دينك فهو صاحبك وملازمك اذ قال انا عند المنكسرة قلوبهم من اجلى فلو عرفته ياخى حق معرفته لاتخذته صاحبا وتركت الناس جانبا فان لم تقدر على ذلك فى جميع اوقاتك فاياك ان تخلي ليلك ونهارك عن وقت تخلو فيه بمولاك وتلذذ بمناجاته وعند ذلك فعليك بآداب الصحبة مع الله تعالى وآدابها اطراق الطرف وجمع الهم ودوام الصمت وسكون الجوارح ومبادرة الامر واجتناب النهي وقلة الاعتراض على القدر ودوام الذكر باللسان وملازمة الفكر وايثار الحق واليأس من الخلق والخضوع تحت الهيبة والانكسار تحت الحياء والسكون عن حيل الكسب ثقة بالضمان والتوكل على فضل الله معرفة بحسن اختياره وهذا كله ينبغى ان يكون شعارك فى جميع ليلك ونهارك فانه ءاداب الصحبة مع صاحب لا يفارقك والخلق كلهم يفارقونك فى بعض اوقاتك انتهى من بداية الهداية * وقوله بلاغ يحتمل معانيا احدها ان يكون خبر مبتدإ محذوف اي هذا انذار وتبليغ ويحتمل ان يريد كان لم يلبثوا الا ساعة كانت بلاغهم وهذا كما تقول متاع قليل وقيل غير هذا وقرأ ابو مجلز وغيره بلغ على الامر وقرأ الحسن بن ابى الحسن بلاغ بالخفض نعتا لنهار * وقوله سبحانه فهل يهلك الا القوم الفاسقون وقرئ شاذا فهل يهلك ببناء الفعل للفاعل وفى هذه الآية وعيد محض وانذار بين وذلك ان الله عز وجل جعل الحسنة بعشر امثالها والسيئة بمثلها وغفر الصغائر باجتناب الكبائر ووعد الغفران على التوبة فلن يهلك على الله الاهالك كما قال صلى الله عليه وسلم قال الثعلبي يقال ان قوله تعالى فهل يهلك الا القوم الفاسقون ارجى ءاية فى كتاب الله عز وجل للمومنين

تفسير سورة القتال وهي مدنية

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله عز وجل الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله اضل اعمالهم الذين كفروا اشارة الى اهل مكة الذين اخرجوا النبي صلى الله عليه وسلم * وقوله والذين ءامنوا وعملوا الصالحات الآية اشارة الى الانصار الذين ءاووا ونصروا وفى الطائفتين نزلت الآيتان قاله ابن عباس ومجاهد ثم هي بعد تعم كل من دخل تحت الفاظها * وقوله اضل اعمالهم اي اتلفها ولم يجعل لها نفعا (ت) وقد ذكرنا فى سورة الصف ان اسم محمد صلى الله عليه وسلم لم يتسم به احد قبله الا قوم قليلون رجاء ان تكون النبوءة فى ابنائهم والله اعلم حيث يجعل رسالاته قال ابن القطان وعن خليفة والدابي سويد قال سألت محمد بن عدي بن ابى ربيعة كيف سماك ابوك محمدا قال سألت ابي عما سألتنى عنه فقال لى كنت رابع اربعة من بنى غنم انا فيهم وسفيان بن مجاشع بن جرير وامامة بن هند بن خِنْدِف ويزيد بن ربيعة فخرجنا فى سفرة نريد ابن جفنة ملك غسان فلما شارفنا الشام نزلنا على غدير فيه شجرات وقربه شخص نائم فتحدثنا فاستمع كلامنا فاشرف علينا فقال ان هذه لغة ما هي لغة هذه البلاد فقلنا نحن قوم من مضر فقال من اي المضريين قلنا من خندف قال انه يبعث فيكم خاتم النبيئين فسارعوا اليه وخذوا بحظكم منه ترشدوا قلنا ما اسمه قال محمد فرجعنا فولد لكل واحد منا ابن سماه محمدا وذكره المدائني انتهى * وقوله تعالى فى المومنين واصلح بالهم قال قتادة معناه حالهم وقال ابن عباس شأنهم وتحرير التفسير فى اللفظة انها بمعنى الفكر والموضع

الذى فيه نظر الانسان وهو القلب فاذا صلح ذلك منه فقد صلح حاله فكانّ اللفظة مشيرة الى صلاح عقيدتهم وغيرُ ذلك من الحال تابع فقولك خطر فى بالى كذا وقولك اصلح الله بالك المراد بهما واحد ذكره المبرد والبال مصدر كالحال والشان ولا يستعمل منه فعل وكذلك عرفه لا يثني ولا يجمع وقد جاء مجموعا شاذا فى قولهم بالات والباطل هنا الشيطان وكل ما يامر به قاله مجاهد والحق هنا الشرع ومحمد عليه السلام * وقوله كذلك يضرب الله الاشارة الى الاتباع المذكورين من الفريقين * وقوله سبحانه فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب الآية قال اكثر العلماء ان هذه الآية وءاية السيف وهي قوله تعالى فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم محكمتان فقوله هنا فضرب الرقاب بمثابة قوله هنالك فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وصرح هنا بذكر المن والفداء ولم يصرح به هنالك فهذه مبينة لتلك وهذا هو القول القوي وقوله فضرب الرقاب مصدر بمعنى الفعل اي فاضربوا رقابهم وعين من انواع القتل اشهره والمراد اقتلوهم باي وجه امكن وفى صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يجتمع كافر وقاتله فى النار ابدا وفى صحيح البخاري عنه صلى الله عليه وسلم قال ما اغبرت قدما عبد فى سبيل الله فتمسه النار انتهى والاثخان فى القوم ان يكثر فيهم القتلى والجرحى ومعنى فشدوا الوثاق اي بمن لم يقتل ولم يترتب فيه الا الاسر ومنا وفداء مصدران منصوبان بفعلين مضمرين * وقوله حتى تضع الحرب اوزارها معناه حتى تذهب الحرب وتزول اثقالها والاوزار الاثقال ومنه قول عمرو بن معديكرب

واعددت للحرب اوزارها * رماحا طوالا وخيلا ذكورا

واختلف المتأولون فى الغاية التى عندها تضع الحرب اوزارها فقال قتادة حتى يسلم الجميع وقال حذاق اهل النظر حتى تغلبوهم وتقتلوهم وقال مجاهد حتى

ينزل عيسى بن مريم قال (ع) وظاهر اللفظ انه استعارة يراد بها التزام الامر ابدا وذلك ان الحرب بين المومنين والكافرين لاتضع اوزارها فجاء هذا كما تقول انا افعل كذا وكذا الى يوم القيامة وانما تريد انك تفعله دائما * ولو شاء الله لانتصر منهم اي بعذاب من عنده ولكن اراد سبحانه اختبار المومنين وان يبلو بعض الناس ببعض وقرأ الجمهور قاتلوا وقرأ عاصم بخلاف عنه قتلوا بفتح القاف والتاء وقرأ ابو عمرو وحفص قتلوا بضم القاف وكسر التاء قال قتادة نزلت هذه الآية فيمن قتل يوم احد من المومنين * وقوله سبحانه سيهديهم اي الى طريق الجنة (ت) ذكر الشيخ ابو نعيم الحافظ ان ميسرة الخادم قال غزونا فى بعض الغزوات فاذا فتى الى جانبي واذا هو مقنع بالحديد فحمل على الميمنة فثناها ثم على الميسرة حتى ثناها وحمل على القلب حتى ثناه ثم انشأ يقول

احسن بمولاك سعيدُ ظننا * هذا الذى كنت له تمنى
تنح ياحور الجنان عنا * مالك قاتلنا ولا قُتلنا
لكن الى سيدكن اشتقنا * قد علم السر وما اعلنا

قال فحمل فقاتل فقتل منهم عددا ثم رجع الى مصافه فتكالب عليه العدو فاذا هو رضي الله تعالى عنه قد حمل على الناس وانشأ يقول

قد كنت ارجو ورجاءى لم يخب * ان لايضيع اليوم كدى والطلب
يا من ملا تلك القصور باللُعَب * لولاك ما طابت ولاطاب الطرب

ثم حمل رضي الله عنه فقاتل فقتل منهم عددا ثم رجع الى مصافه فتكالب عليه العدو فحمل رضي الله عنه فى المرة الثالثة وانشأ يقول

يا لُعبة الخلد قفى ثم اسمعى * مالك قاتلنا فكفى وارجعى
ثم ارجعى الى الجنان واسرعى * لا تطمعى لا تطمعى لا تطمعى

فقاتل رضي الله عنه حتى قتل انتهى من ابن عباد شارح الحكم * وقوله تعالى عرفها لهم قال ابو سعيد الخدري وقتادة ومجاهد معناه بينها لهم اي جعلهم يعرفون منازلهم منها وفى نحو هذا المعنى قول النبي صلى الله عليه وسلم لأحدكم بمنزله فى الجنة اعرف منه بمنزله فى الدنيا قال القرطبي فى التذكرة وعلى هذا القول اكثر المفسرين قال وقيل ان هذا التعريف الى المنازل هو بالدليل وهو الملك الموكل بعمل العبد يمشي بين يديه انتهى وقالت فرقة معناه سماها لهم ورسمها كل منزل باسم صاحبه فهذا نحو من التعريف وقالت فرقة معناه شرفها لهم ورفعها وعلاّها وهذا من الاعراف التى هي الجبال ومنه اعراف الخيل وقال مؤرج وغيره معناه طيبها ما خوذ من العرف ومنه طعام معرف اي مطيب وعرفت القدر طيبتها بالملح والتابل قال ابو حيان واصلح بالهم البال الفكر ولا يثنى ولا يجمع انتهى * وقوله سبحانه ان تنصروا الله اي دين الله ينصركم بخلق القوة لكم وغير ذلك من المعاون ويثبت اقدامكم اي فى مواطن الحرب وقيل على الصراط فى القيامة * وقوله فتعسا لهم معناه عثارا وهلاكا لهم وهي لفظة تقال للعاثر اذا اريد به الشر قال ابن السكيت التعس ان يخر على وجهه * وقوله تعالى كرهوا ما انزل الله يريد القرءان فاحبط اعمالهم قال (ع) ولاخلاف ان الكافر له حفظة يكتبون سيئاته واختلف الناس فى حسناتهم فقالت فرقة هي ملغاة يثابون عليها بنعم الدنيا فقط وقالت فرقة هي محصاة من اجل ثواب الدنيا ومن اجل انه قد يسلم فينضاف ذلك الى حسناته فى الاسلام وهذا احد التاويلين فى قوله صلى الله عليه وسلم لحكيم بن حزام اسلمت على ما سلف لك من خير * وقوله عز وجل افلم يسيروا فى الارض توقيف لقريش وتوبيخ والذين من قبلهم يريد ثمود وقوم شعيب وغيرهم والدمار الافساد وهدم البناء واذهاب العمران والضمير فى قوله امثالها يصح ان يعود على العاقبة ويصح ان

يعود على الفعلة التى يتضمنها قوله دمر الله عليهم * وقوله تعالى ذلك بان الله مولى الذين ءامنوا الآيـة المولى الناصر الموالى قال قتادة نزلت هذه الآيـة يوم احد ومنها انتزع النبي صلى الله عليه وسلم رده على ابى سفيان حين قال قولوا الله مولانا ولا مولى لكم * وقوله سبحانه والذين كفروا يتمتعون وياكلون كما تاكل الانعام اي اكلا مجردا عن الفكر والنظر وهذا كما تقول الجاهل يعيش كما تعيش البهيمة والمعني يعيش عديم الفهم والنظر فى العواقب * وقوله سبحانه وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك يعنى مكة التى اخرجتك معناه وقت الهجرة ويقال ان هذه الآية نزلت اثر خروج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة وقيل غير هذا * وقوله سبحانه افمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله الآية توقيف وتقرير وهي معادلة بين هذين الفريقين واللفظ عام لاهل هاتين الصفتين غابر الدهر وعلى بينة اي على يقين وطريق واضحة وعقيدة نيرة بينة * وقوله سبحانه مثل الجنة الآية قال النضر بن شُمَيل وغيره مثل معناه صفة كانه قال صفة الجنة ما تسمعون فيها كذا وكذا * وقوله فيها انهار من ماء غير ءاسن معناه غير متغير قاله ابن عباس وقتادة وسواء انتن او لم ينتن * وقوله فى اللبن لم يتغير طعمه نفي لجميع وجوه الفساد فيه * وقوله لذة للشاربين جمعت طيب الطعم وزوال الآفات من الصداع وغيره وتصفية العسل مذهبة لمومه وضرره (ت) وروينا فى كتاب الترمذي عن حكيم بن معاوية عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان فى الجنة بحر الماء وبحر العسل وبحر اللبن وبحر الخمر ثم تشقق الانهار بعد قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح انتهى * وقوله ولهم فيها من كل الثمرات اي من هذه الانواع لكنها بعيدة الشبه تلك لا عيب فيها ولا تعب * وقوله ومغفرة من ربهم معناه وتنعيم اعطته المغفرة وسببته والا فالمغفرة انما هي قبل دخول الجنة * وقوله

سبحانه كمن هو خالد فى النار الآيـة قبله محذوف تقديره اسكان هـذه او تقديره اهؤلاء المتقون كمن هو خالد فى النار * وقوله سبحانه ومنهم من يستمع يعني بذلك المنافقين حتى اذا خرجوا من عـندك قالوا للذين اوتوا العلم ماذا قال ءانفا على جهة الاستخفاف ومنهم من يقوله جهالة ونسيانا وءانفا معناه مبتدئا كانه قال ما القول الذى ائتنفـه الآن قبل انفصالنا عنـه والمفسرون يقولون ءانفا معناه الساعة الماضية وهذا تفسير بالمعنى (ت) وقال الثعلبي ءانفا اي الآن واصله الابتداء قال ابو حيان ءانفا بالمد والقصر اسم فاعل والمستعمل من فعله ائتنفت ومعنى ءانفا مبتدئا فهو منصوب على الحال واعربه الزمخشري ظرفا اي الساعة قال ابوحيان ولااعلم احدا من النحاة عده من الظروف انتهى وقال العراقي ءانفا اي الساعة * وقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى اي زادهم الله هدى ويحتمل زادهم استهزاء المنافقين هـدى قال الثعلبي وقيل زادهم ما قال النبي صلى الله عليـه وسلم هـدى قال (ع) الفاعل فى وءاتاهم يتـصرف القول فيه بحسب التاويلات المذكورة واقواها ان الفاعل الله تعالى وءاتاهم معناه اعطاهم اي جعلهم متقين * وقوله تعالى فهل ينظرون يريد المنافقين والمعنى فهل ينتظرون وبغتة معناه فجأة * وقوله فقد جاء اشراطها اي فينبغى الاستعداد والخوف منها والذى جاء من اشراط الساعة محمد صلى الله عليه وسلم لانـه ءاخر الانبيـاء وقال عليه السلام بعثت انا والساعة كهاتين والاحاديث كثيرة فى هذا الباب * وقوله تعالى فاعلم انه لا اله الا الله الآية اضراب عن امر هؤلاء المنافقين وذكر الاهم من الامر والمعنى دم على علمك وهذا هو القانون فى كل من امر بشيء هو متلبس به وكل واحد من الامة داخل فى هذا الخطاب وعن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال عبد لا اله الا الله مخلصا الا فتحت له ابواب الجنة حتى تفضي الى العرش ما اجتنبت الكبائر رواه الترمذي والنساءي

وقال الترمذي واللفظ له حديث حسن غريب انتهى من السلاح * وقوله تعالى واستغفر لذنبك اي لتستن امتك بسنتك (ت) هذا لفظ الثعلبي وهو حسن وقال عياض قال مكي مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم هاهنا هي مخاطبة لامته انتهى قال (ع) وروى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من لم يكن عنده ما يتصدق به فليستغفر للمومنين والمومنات وبوب البخاري رحمه الله العلم قبل القول والعمل لقوله تعالى فاعلم انه لا اله الا الله * وقوله تعالى واستغفر لذنبك الآية وواجب على كل مومن ان يستغفر للمومنين والمومنات فانها صدقة وقال الطبري وغيره متقلبكم متصرفكم فى يقظتكم ومثواكم منامكم وقال ابن عباس متقلبكم تصرفكم فى حياتكم الدنيا ومثواكم اقامتكم فى قبوركم وفى اخرتكم * وقوله عز وجل ويقول الذين ءامنوا لولا نزلت سورة الآية هذا ابتداء وصف حال المومنين على جهة المدح لهم ووصف حال المنافقين على جهة الذم وذلك ان المومنين كان حرصهم على الدين يبعثهم على تمنى ظهور الاسلام وتمنى قتال العدو وكانوا يانسون بالوحي ويستوحشون اذا ابطأ وكان المنافقون على العكس من ذلك * وقوله محكمة معناه لا يقع فيها نسخ واما الاحكام الذى هو الاتقان فالقرءان كله سواء فيه والمرض الذى فى قلوب المنافقين هو فساد معتقدهم ونظر الخائف الموله قريب من نظر المغشي عليه وخسسهم هذا الوصف والتشبيه * وقوله تعالى فاولى لهم طاعة اولى وزنها افعل من وليك الشئ يليك والمشهور من استعمال اولى انك تقول هذا اولى بك من هذا اي احق وقد تستعمل العرب اولى لك فقط على جهة الاختصار لما معها من القول على جهة الزجر والتوعد فتقول اولى لك يا فلان وهذه الآية من هذا الباب ومنه قوله تعالى اولى لك فاولى وقالت فرقة اولى رفع بالابتداء وطاعة خبره قال (ع) وهذا هو المشهور من استعمال اولى وقيل غير هذا قال ابو حيان قال صاحب الصحاح

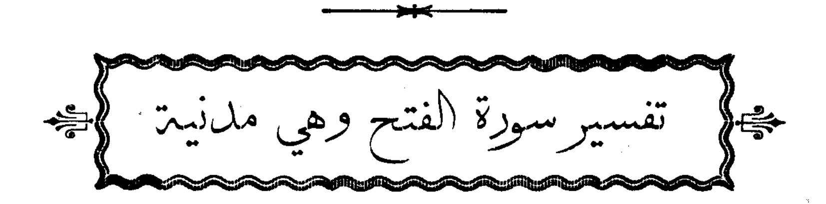
اولى لـك تهـديـد ووعيـد قال ابو حيان والاكثر على انه اسم مشتق من الولي وهو القرب وقال الجرجاني هو ماخوذ من الويل فقلب فوزنه افلع انتهى فاذا عزم الامر ناقضوا وعصوا قال البخاري قال مجاهد عزم الامر جد الامر انتهى * وقوله سبحانـه فهل عسيتم مخاطبـة لهؤلاء الذين فى قلوبهم مرض والمعنى فهل عسى ان تفعلوا ان توليتم غير ان تفسدوا فى الارض وتقطعوا ارحامكم ومعنى ان توليتم اي ان اعرضتم عن الحق وقيل المعنى ان توليتم امور الناس من الولاية وعلى هذا قيل انها نزلت فى بنى هاشم وبنى امية ذكره الثعلبي (ت) وهو عنـدى بعيـد لقوله اولائك الذين لعنهم الله فتعين التاويل الاول والله اعلم وفى البخاري عن جبير بن مطعم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة قاطع يعنى قاطع رحم وفيه عن ابى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من سره ان يبسط له فى رزقه وان ينسأ له فى اثره فليصل رحمه اهـ وفى صحيح مسلم عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله وفى رواية لا يدخل الجنة قاطع وفى طريق من سره ان يبسط عليه رزقه وينسأ له فى اثره فليصل رحمه وخرجه البخاري من طريق ابى هريرة على ما تقدم وخرج البخاري عن ابى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله خلق الخلق حتى اذا فرغ من خلقه قالت الرحم هذا مقام العائذ بك من القطيعة قال نعم اما ترضين ان اصل من وصلك واقطع من قطعك قالت بلى يارب قال فهو لك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقرءوا ان شئتم فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا فى الارض وتقطعوا ارحامكم وفى رواية قال الله من وصلك وصلتـه ومن قطعك قطعتـه انتهى وروى ابو داود فى سننه عن عبد الرحمن بن عوف قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله عز وجل انا الرحمن وهي الرحم شققت

لها من اسمی من وصلها وصلته ومن قطعها بتته انتهى * وقوله تعالى اولائك الذين لعنهم الله اشارة الى المرضى القلوب المذكورين * وقوله فاصمهم واعمى ابصارهم استعارة لعدم فهمهم * وقوله عز من قائل افلا يتدبرون القرءان الآية توقيف وتوبيخ وتدبر القرءان زعيم بالتبيين والهدى لمتأمله (ت) قال الهروي قوله تعالى افلا يتدبرون القرءان معناه افلا يتفكرون فيعتبرون يقال تدبرت الامر اذا نظرت فى ادباره وعواقبه انتهى * وقوله تعالى ام على قلوب اقفالها معناه بل على قلوب اقفالها وهو الرين الذى منعهم من الايمان وروي ان وفد اليمن وفد على النبي صلى الله عليه وسلم وفيهم شاب فقرأ النبي صلى الله عليه وسلم هذه الآية فقال الفتى عليها اقفالها حتى يفتحها الله تعالى ويفرجها قال عمر فعظم فى عيني فما زالت فى نفس عمر رضي الله عنه حتى ولي الخلافة فاستعان بذلك الفتى * وقوله تعالى ان الذين ارتدوا على ادبارهم الآية قال قتادة نزلت فى قوم من اليهود وقال ابن عباس وغيره نزلت فى منافقين كانوا اسلموا ثم نافقت قلوبهم والآية تعم كل من دخل فى ضمن لفظها غابر الدهر وسول معناه رجاهم سؤلهم وامانيهم ونقل ابو الفتح عن بعضهم انه بمعنى دلاهم ماخوذ من السَوَل وهو الاسترخاء والتدلى وقال العراقي سول اي زين سوء الفعل * وقوله تعالى ذلك بانهم قالوا للذين كرهوا الآية قيل انها نزلت فى بنى اسراءيل الذين تقدم ذكرهم الآن وروي ان قوما من قريظة والنضير كانوا يعِدُون المنافقين فى امر رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلاف عليه بنصر وموازرة فذلك قولهم سنطيعكم فى بعض الامر وقرأ الجمهور اسرارهم بفتح الهمزة وقرأ حمزة والكساءي وحفص اسرارهم بكسرها * وقوله سبحانه فكيف اذا توفتهم الملائكة يعنى ملك الموت واعوانه والضمير فى يضربون للملائكة وفى نحو هذا احاديث تقتضى صفة الحال وما اسخط الله هو الكفر والرضوان هنا الحق والشرع المؤدى الى الرضوان *

وقوله سبحانه ام حسب الذين فى قلوبهم مرض الآية توبيخ للمنافقين وفضح لسرائرهم والضغن الحقد وقال البخاري قال ابن عباس اضغانهم حسدهم انتهى * وقوله سبحانه ولو نشاء لاريناكهم الآية لم يعينهم سبحانه بالاسماء والتعريف التام ابقاء عليهم وعلى قراباتهم وان كانوا قد عرفوا بلحن القول وكانوا فى الاشتهار على مراتب كابن ابي وغيره والسيما العلامة وقال ابن عباس والضحاك ان الله تعالى قد عرفه بهم فى سورة براءة بقوله ولا تصل على احد منهم مات ابدا وفى قوله قل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معى عدوا قال (ع) وهذا فى الحقيقة ليس بتعريف تام ثم اخبر تعالى انه سيعرفهم فى لحن القول اي فى مذهب القول ومنحاه ومقصده واحتج بهذه الآية من جعل الحد فى التعريض بالقذف (ص) قال ابو حيان ولتعرفنهم اللام جواب قسم محذوف انتهى * وقوله سبحانه والله يعلم اعمالكم مخاطبة للجميع من مومن وكافر * وقوله سبحانه ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين الآية كان الفضيل بن عياض اذا قرأ هذه الآية بكى وقال اللهم لا تبتلنا فانك ان بلوتنا فضحتنا وهتكت استارنا * وقوله سبحانه ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول الآية قالت فرقة نزلت فى بنى اسراءيل وقالت فرقة نزلت فى قوم من المنافقين وهذا نحو ما تقدم وقال ابن عباس نزلت فى المطعمين فى سفرة بدر وقالت فرقة بل هي عامة فى كل كافر * وقوله لن يضروا الله شيأ تحقير لهم * وقوله سبحانه ياايها الذين ءامنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم روي ان هذه الآية نزلت فى بنى اسد من العرب وذلك انهم اسلموا وقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم نحن آثرناك على كل شيء وجئناك بانفسنا واهلينا كانهم يمنون بذلك فنزل فيهم يمنون عليك ان اسلموا الآية ونزلت فيهم هذه الآية وظاهر الآية العموم * وقوله سبحانه ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار الآية

روي انها نزلت بسبب ان عدي بن حاتم قال يارسول الله ان حاتما كانت له افعال بر فما حاله فقال النبي صلى الله عليه وسلم هو فى النار فبكى عدي وولى فدعاه النبي صلى الله عليه وسلم فقال له ابي وابوك وابو ابراهيم خليل الرحمن فى النار ونزلت هذه الآية فى ذلك وظاهر الآية العموم فى كل ما تناولته الصفة * وقوله سبحانه فلا تهنوا معناه لا تضعفوا وتدعوا الى السلم اي الى المسالمة وقال قتادة معنى الآية لا تكونوا اولى الطائفتين ضرعت للاخرى قال (ع) وهذا حسن ملتئم مع قوله تعالى وان جنحوا للسلم فاجنح لها * وانتم الاعلون فى موضع الحال المعنى فلا تهنوا وانتم فى هذه الحال ويحتمل ان يكون اخبارا بمغيب ابرزه الوجود بعد ذلك والاعلون معناه الغالبون والظاهرون من العلو * وقوله والله معكم معناه بنصره ومعونته ويتر معناه ينقص ويذهب والمعنى لن يتركم ثواب اعمالكم * وقوله سبحانه انما الحيوة الدنيا لعب ولهو تحقير لامر الدنيا * وقوله وان تومنوا وتتقوا يوتكم اجوركم معناه هذا هو المطلوب منكم لا غيره لا تسئلون اموالكم ثم قال سبحانه منبها على خُلق ابن ءادم ان يسألكموها فيحفكم تبخلوا والاحفاء هو اشد السؤال وهو الذى يستخرج ما عند المسئول كرها (ت) وقال الثعلبي فيحفكم اي يجهدكم ويلحف عليكم * وقوله تبخلوا جزما على جواب الشرط ويخرج اضغانكم اي يخرج الله اضغانكم وقرأ يعقوب ونخرج بالنون والاضغان معتقدات السوء وهو الذى كان يخاف ان يعتري المسلمين ثم وقف الله تعالى عباده المومنين على جهة التوبيخ لبعضهم بقوله هانتم هؤلاء وكرر هاء التنبيه تاكيدا * وقوله تعالى ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه اي بالثواب والله الغني اي عن صدقاتكم وانتم الفقراء الى ثوابها (ت) هذا لفظ الثعلبي قال (ع) يقال بخلت عليك بكذا وبخلت عنك بمعنى امسكت عنك وروى الترمذي عن ابى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال السخي قريب من الله قريب من الجنة قريب من

الناس بعيد من النار والبخيل بعيـد من الله بعيـد من الجنـة بعيد من الناس قريب من النار والجاهل سخي احب الى الله من عابد بخيل قال ابو عيسى هذا حديث غريب انتـهى * وقوله سبحانـه وان تتـولوا يستبـدل قومـا غيركم قالت فرقة هـذا الخطاب لجميع المسلمين والمشركين والعرب حينئـذ والقوم الغير هم فارس وروى ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عـن هـذا وكان سلمان الى جنبه فوضع يده على فخذه وقال قومُ هـذا لو كان الدين فى الثريا لناله رجال من اهل فارس * وقوله سبحانه ثم لا يكونوا امثالكم معناه فى الخلاف والتولى والبخل بالاموال ونحو هذا وحكى الثعلبي قولا ان القوم الغيرهم الملائكة (ت) وليس لاحد مع الحديث اذا صح نظر ولولا الحديث لاحتمل ان يكون الغير ما ياتى من الخلف بعد ذهاب السلف على ما ذكر فى غير هـذا الموضع



تفسير سورة الفتح وهي مدنية

هذه السورة نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم منصرفـه مـن الحديبية وفى ذلك احاديث كثيرة عن انس وابن مسعود وغيرهما وفى تلك السفرة قال النبي صلى الله عليه وسلم لعمر لقد انزلت علي الليلة سورة هي احب الي من الدنيا وما فيها خرجه البخاري وغيره

* بسم الله الـرحمن الرحيم *

قوله عز وجل انا فتحنا لك فتحا مبينا الآية قال قوم يريد فتح مكة وقال جمهور

الناس وهو الصحيح الذى تعضده قصة الحديبية ان قوله انا فتحنا لك انما معناه هو ما يسر الله عز وجل لنبيه فى تلك الخرجة من الفتح البين الذى استقبله ونزلت السورة مونسة للمومنين لانهم كانوا استوحشوا من رد قريش لهم ومن تلك المهادنة التى جعلها الله سببا للفتوحات واستقبل النبي صلى الله عليه وسلم فى تلك السفرة انه هادن عدوه ريثما يتقوى هو وظهرت على يديه ءاية الماء فى بير الحديبية حيث وضع فيه سهمه وثاب الماء حتى كفى الجيش واتفقت بيعة الرضوان وهي الفتح الاعظم قاله جابر بن عبد الله والبراء بن عازب وبلغ هديه محله قاله الشعبي واستقبل فتح خيبر وامتلأت ايدى المومنين وظهرت فى ذالك الوقت الروم على فارس فكانت من جملة الفتح فسربها صلى الله عليه وسلم هو والمومنون لظهور اهل الكتاب على المجوس وشرفه الله بان اخبره انه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر اي وان لم يكن ذنب (ت) قال الثعلبي قوله ليغفر لك الله قال ابو حاتم هذه لام القسم لما حذفت النون من فعله كسرت ونصب فعلها تشبيها بلام كي انتهى قال عياض ومقصد الآية انك مغفور لك غير مواخذ بذنب ان لو كان انتهى قال ابو حيان ليغفر اللام للعلة وقال (ع) هي لام الصيرورة وقيل هي لام القسم ورد بان لام القسم لا تكسر ولا ينصب بها واجيب بان الكسر قد علل بالحمل على لام كي واما الحركة فليست نصبا بل هي الفتحة الموجودة مع النون بقيت بعد حذفها دالة على المحذوف ورد بانه لم يحفظ من كلامهم والله ليقوم ولا بالله ليخرج زيد انتهى وفى صحيح البخاري عن انس ابن مالك انا فتحنا لك فتحا مبينا الحديبية انتهى * وقوله سبحانه ويتم نعمته عليك اي باظهارك وتغليبك على عدوك والرضوان فى الآخرة والسكينة فعيلة من السكون وهو تسكين قلوبهم لتلك الهدنة مع قريش حتى اطمأنت وعلموا ان وعد الله حق * وقوله سبحانه ليدخل المومنين والمومنات جنات

تجرى من تحتها الانهار الآية روي، فى معنى هذه الآية انه لما نزلت وما ادرى ما
يفعل بى ولا بكم تكلم فيها اهل الكفر وقالوا كيف نتبع من لا يعرف ما يفعل
به وبالناس فبين الله فى هذه السورة ما يفعل به بقوله ليغفر لك الله ما تقدم من
ذنبك وما تأخر فلما سمعها المومنون قالوا هنيئا لك يا رسول الله لقد بين الله
لك ما يفعل بك فما يفعل بنا فنزلت ليدخل المومنين والمومنات جنات
الى قوله مصيرا فعرفه الله ما يفعل به وبالمومنين وبالكافرين وذكر النقاش ان رجلا
من عك قال هذا الذى لرسول الله فما لنا فقال النبي صلى الله عليه وسلم هي لى
ولامتى كهاتين وجمع بين اصبعيه * وقوله ويكفر عنهم سيئاتهم هو من ترتيب
الجمل فى السرد لا ترتيب وقوع معانيها لان تكفير السيئات قبل ادخالهم الجنة *
وقوله الظانين بالله ظن السوء قيل معناه من قولهم لن ينقلب الرسول الآية
وقيل هو كونهم يعتقدون الله بغير صفاته العلى * وقوله عليهم دائرة السوء
اي دائرة السوء الذى ارادوه بكم فى ظنهم السوء ويقال للاقدار والحوادث
التى هي فى طي الزمان دائرة لانها تدور بدوران الزمان * وقوله سبحانه
انا ارسلناك شاهدا الآية من جعل الشاهد محصل الشهادة من يوم يحصلها فقوله
شاهدا حال واقعة ومن جعل الشاهد مؤدي الشهادة فهي حال مستقبلة وهي
التى يسميها النحاة المقدرة والمعنى شاهدا على الناس باعمالهم واقوالهم حين
بلغت ومبشرا اهل الطاعة برحمة الله ونذيرا من عذاب الله اهل المعصية ومعنى
تعزروه تعظموه وتكبروه قاله ابن عباس وقرأ ابن عباس وغيره تعززوه بزاءين من
العزة قال الجمهور الضمير فى تعزروه وتوقروه للنبي صلى الله عليه وسلم وفى
تسبحوه لله عز وجل والبكرة الغدو والاصيل العشي * وقوله سبحانه ان الذين
يبايعونك يريد فى بيعة الرضوان وهي بيعة الشجرة حين اخذ رسول الله صلى
الله عليه وسلم الاهبة لقتال قريش لما بلغه قتل عثمان بن عفان رسوله اليهم

وذلك قبل ان ينصرف من الحديبية وكان فى الف واربعمائة وبايعهم صلى الله
عليه وسلم على الصبر المتناهى فى قتال العدو الى اقصى الجهد حتى قال سلمة
ابن الاكوع وغيره بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الموت وقال عبد الله
ابن عمر وجابر بن عبد الله بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان لا نفر والمبايعة
فى هذه الآية مفاعلة من البيع لان الله تعالى اشترى منهم انفسهم واموالهم بان
لهم الجنة ومعنى انما يبايعون الله ان صفقتهم انما يمضيها ويمنح الثمن الله تعالى (ت)
وهذا تفسير لايمس الآية ولابد وقال الثعلبي انما يبايعون الله اى اخذك البيعة
عليهم عقد الله عليهم انتهى وهذا تفسير حسن * وقوله تعالى يد الله قال جمهور
المتأولين اليد بمعنى النعمة اذ نعمة الله فى نفس هذه المبايعة لما يستقبل من
محاسنها فوق ايديهم التي مدوها لبيعتك وقيل المعنى قوة الله فوق قواهم فى
نصرك (ت) وقال الثعلبي يد الله فوق ايديهم اي بالوفاء والعهد وقيل بالثواب وقيل
يد الله فى المنة عليهم فوق ايديهم فى الطاعة عند المبايعة وهذا حسن قريب من
الاول * وقوله تعالى فمن نكث اي فمن نقض هذا العهد فانما يجنى على نفسه
ومن اوفى بما عاهد عليه الله فسنوتيه اجرا عظيما وهو الجنة * وقوله سبحانه
سيقول لك المخلفون من الاعراب قال مجاهد وغيره هم جهينة ومزينة ومن كان
حول المدينة من الاعراب وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم حين اراد المسير
الى مكة عام الحديبية معتمرا استنفر من حول المدينة من الاعراب واهل
البوادى ليخرجوا معه حذرا من قريش واحرم بالعمرة وساق معه الهدي ليعلم
الناس انه لا يريد حربا فتثاقل عنه هؤلاء المخلفون ورأوا انه يستقبل عدوا
عظيما من قريش وثقيف وكنانة والقبائل المجاورة لمكة وهم الاحابيش ولم
يكن تمكن ايمان هؤلاء المخلفين فقعدوا عن النبي صلى الله عليه وسلم وتخلفوا
وقالوا لن يرجع محمد ولا اصحابه من هذه السفرة ففضحهم الله فى هذه الآية

واعلم نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بقولهم واعتذارهم قبل ان يصل اليهم فكان كما اخبر الله سبحانه فقالوا شغلتنا اموالنا واهلونا عنك فاستغفر لنا وهـذا منهم خبث وابطال لانهم قالوا ذلك مصانعة من غير توبة ولا ندم فلذلك قال تعالى يقولون بالسنتهم ما ليس فى قلوبهم ثم قال تعالى لنبيه عليه السلام قل لهم فمن يملك لكم من الله شيأ ان اراد بكم ضرا اي من يحمى منه اموالكم واهليكم ان اراد بكم فيها سوءا وفى مصحف ابن مسعود ان اراد بكم سوءا ثم رد عليهم بقوله بل كان الله بما تعملون خبيرا ثم فسر لهم العلة التى تخلفوا من اجلها بقوله بل ظننتم الآية وبورا معناه هلكى فاسدين والبوار الهلاك والبور فى لغة ازد عمان الفاسد ثم رجى سبحانه بقوله ولله ملك السموات والارض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وكان الله غفورا رحيما ثم ان الله سبحانه امر نبيه على ما روي بغزو خيبر ووعده بفتحها واعلمه ان المخلفين اذا رأوا مسير رسول الله صلى الله عليه وسلم الى يهود وهم عدو مستضعف طلبوا الكون معه رغبة فى عرض الدنيا والغنيمة فكان كذلك * وقوله تعالى يريدون ان يبدلوا كلام الله معناه ان يغيروا وعده لاهل الحديبية بغنيمة خيبر وقال ابن زيد كلام الله هو قوله تعالى لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا قال (ع) وهذا ضعيف لان هذه الآية نزلت فى غزوة تبوك فى ءاخر عمره صلى الله عليه وسلم وءاية هذه السورة نزلت عام الحديبية وايضا فقد غزت جهينة ومزينة بعد هذه المدة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى غزوة الفتح فتح مكة (ت) قال الثعلبي وعلى التاويل الاول عامة اهل التاويل وهو اصوب من تاويل ابن زيد * وقوله كذلكم قال الله من قبل يريد وعده قبل باختصاصهم بها وباقى الآية بين * وقوله سبحانه ستدعون الى قوم اولى بأس شديد قال قتادة وغيره هم هوازن ومن حارب النبي عليه السلام يوم حنين وقال الزهري وغيره هم اهل الردة وبنو حنيفة باليمامة وحكى

الثعلبي عن رافع بن خديج انه قال والله لقد كنا نقرأ هذه الآية فيما مضى ولا نعلم من هم حتى دعا ابو بكر الى قتال بنى حنيفة فعلمنا انهم هم المراد وقيل هم فارس والروم وقرأ الجمهور او يسلمون على القطع اي او هم يسلمون دون حرب قال ابن العربي والذين تعين قتالهم حتى يسلموا من غير قبول جزية هم العرب فى اصح الاقوال او المرتدون فاما فارس والروم فلا يقاتلون الى ان يسلموا بل ان بذلوا الجزية قبلت منهم وهذه الآية اخبار بمغيب فهي من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم انتهى من الاحكام * وقوله فان تطيعوا اي فيما تُدعون اليه وباقي الآية بين ثم ذكر تعالى اهل الاعذار ورفع الحرج عنهم وهو حكم ثابت لهم الى يوم القيامة ومع ارتفاع الحرج فجائز لهم الغزو واجرهم فيه مضاعف وقد غزا ابن ام مكتوم وكان يمسك الراية فى بعض حروب القادسية وقد خرج النساءي هذا المعنى وذكر ابن ام مكتوم رحمه الله * وقوله عز وجل لقد رضي الله عن المومنين الآية تشريف لهم رضي الله عنهم وقد تقدم القول فى المبايعة ومعناها وكان سبب هذه المبايعة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اراد ان يبعث الى مكة رجلا يبين لهم ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يريد حربا وانما جاء معتمرا فبعث اليهم خداش بن امية الخزاعي وحمله صلى الله عليه وسلم على جمل له يقال له الثعلب فلما كلمهم عقروا الجمل وارادوا قتل خداش فمنعته الاحابيش وبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فاراد بعث عمر بن الخطاب فقال له عمر يا رسول الله انى اخاف قريشا على نفسى وليس بمكة من بنى عدي احد يحمينى ولكن ابعث عثمان فهو اعز بمكة منى فبعثه النبي صلى الله عليه وسلم فذهب فلقيه ابان بن سعيد بن العاصى فنزل عن دابته فحمله عليها واجاره حتى بلغ الرسالة فقالوا له ان شئت يا عثمان ان تطوف بالبيت فطف به فقال ما كنت لاطوف حتى يطوف به النبي صلى الله عليه وسلم ثم ان بنى

سعيد بن العاصى حبسوا عثمان على جهة المبرة فابطأ على النبي صلى الله عليه وسلم وكانت الحديبية من مكة على نحو عشرة اميال فصرخ صارخ من عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل عثمان فجثا رسول الله صلى الله عليه وسلم والمومنون وقالوا لا نبرح ان كان هـذا حتى نناجز القوم ثم دعا الناس الى البيعة فبايعوه صلى الله عليه وسلم ولم يتخلف عنها الا الجد بن قيس المنافق وجعل النبي صلى الله عليه وسلم يده على يده وقال هـذه يد لعثمان وهي خير ثم جاء عثمان سالما والشجرة سمرة كانت هنالك ذهبت بعد سنين * وقوله سبحانه فعلم ما فى قلوبهم قال الطبري ومنذر بن سعيد معناه من الايمان وصحته والحب فى الدين والحرص فيـه وقرأ النـاس وأثابهم قال هارون وقـد قرئت وآتاهم بالتاء بنقطتين والفتح القريب خيبر والمغانم الكثيرة فتح خيبر * وقوله تعالى وعدكم الله الآية مخاطبة للمومنين ووعد بجميع المغانم التى اخذها المسلمون وياخذونها الى يوم القيامة قاله مجاهد وغيره * وقوله فعجل لكم هذه يريد خيبر وقال زيد بن اسلم وابنه المغانم الكثيرة خيبر وهـذه اشارة الى البيعة والتخلص من امر قريش وقاله ابن عباس * وقوله سبحانه وكف ايدي الناس عنكم قال قتادة يريد كف ايديهم عن اهل المدينة فى مغيب النبي عليه السلام والمومنين ولتكون ءاية اي علامة على نصر المومنين وحكى الثعلبي عن قتادة ان المعنى كف الله غطفان ومن معها حين جاءوا لنصر خيبر وقيل اراد كف قريشا * وقوله سبحانه واخرى لم تقدروا عليها قال ابن عباس الاشارة الى بلاد فارس والروم وقال قتادة والحسن الاشارة الى مكة وهذا قول يتسق معه المعنى ويتأيد * وقوله قد احاط الله بها معناه بالقدرة والقهر لاهلهـا اي قد سبق فى علمه ذلك وظهر فيهـا انهم لم يقدروا عليها (ت) قوله وظهر فيهـا الى ءاخره كلام غـير محصل ولفظ الثعلبي واخرى لم تقدروا عليها اي وعدكم فتح بلدة اخرى لم تقدروا عليها قد احاط

بها لكم حتى يفتحها عليكم وقال ابن عباس علم الله انه يفتحها لكم قال مجاهد هو ما فتحوه حتى اليوم ثم ذكر بقية الاقوال انتهى * وقوله سبحانه ولو قاتلكم الذين كفروا يعنى كفار قريش فى تلك السنة لولوا الادبار ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا * وقوله سنة الله اي كسنة الله اشارة الى وقعة بدر وقيل اشارة الى عادة الله من نصر الانبياء ونصب سنة على المصدر * وقوله تعالى وهو الذى كف ايديهم عنكم الآية روي فى سببها ان قريشا جمعت جماعة من فتيانها وجعلوهم مع عكرمة بن ابى جهل وخرجوا يطلبون غرة فى عسكر النبي صلى الله عليه وسلم واختلف الناس فى عدد هؤلاء اختلافا متفاوتا فلذلك اختصرته فلما احس بهم المسلمون بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اثرهم خالد بن الوليد وسماه يومئذ سيف الله فى جملة من الناس ففروا امامهم حتى ادخلوهم بيوت مكة واسروا منهم جملة فسيقوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فمن عليهم واطلقهم قال الواحدي وكان ذلك سبب الصلح بينهم انتهى * وقوله سبحانه هم الذين كفروا يعنى اهل مكة وصدوكم عن المسجد الحرام اي منعوكم من العمرة وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج من المدينة الى الحديبية فى ذى القعدة سنة ست يريد العمرة وتعظيم البيت وخرج معه بمائة بدنة وقيل بسبعين فاجمعت قريش لحربه وغوروا المياه التى تقرب من مكة فجاء صلى الله عليه وسلم حتى نزل على بير الحديبية وحينئذ وضع سهمه فى الماء فجرى غمرا حتى كفى الجيش ثم بعث صلى الله عليه وسلم اليهم عثمان كما تقدم وبعثوا هم رجالا آخرهم سهيل بن عمرو وبه انعقد الصلح على ان ينصرف صلى الله عليه وسلم ويعتمر من قابل فهذا صدهم اياه وهو مستوعب فى السير والهدي معطوف على الضمير فى صدوكم اي وصدوا الهدي ومعكوفا حال ومعناه محبوسا تقول عكفت الرجل عن حاجته اذا حبسته وحبس الهدي من قبل المشركين هو

بصدهم ومن قبل المسلمين لرؤيتهم ونظرهم فى امرهم لاجل ان يبلغ الهدي محله وهو مكة والبيت وهذا هو حبس المسلمين وذكر تعالى العلة فى ان صرف المسلمين ولم يمكنهم من دخول مكة فى تلك الوجهة وهي انه كان بمكة مومنون من رجال ونساء خفي ايمانهم فلو استباح المسلمون بيضتها اهلكوا اولائك المومنين قال قتادة فدفع الله عن المشركين باولائك المومنين والوطء هنا الاهلاك بالسيف وغيره ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اشدد وطأتك على مضر قال ابو حيان ولولا رجال جوابها محذوف لدلالة الكلام عليه اي ما كف ايديكم عنهم انتهى والمعرة السوء والمكروه اللاحق ما خوذ من العر والعرة وهو الجرب الصعب اللازم واختلف فى تعيين هذه المعرة فقال الطبري وحكاه الثعلبي هي الكفارة وقال منذر المعرة ان يعيبهم الكفار ويقولوا قتلوا اهل دينهم وقال بعض المفسرين هي الملام والقول فى ذلك وتألم النفس فى باقى الزمان وهذه اقوال حسان وجواب لولا محذوف تقديره لولا هؤلاء لدخلتم مكة لكن شرفنا هؤلاء المومنين بان رحمناهم ودفعنا بسببهم عن مكة ليدخل الله اي ليبين للناظر ان الله يدخل من يشاء فى رحمته اواي ليقع دخولهم فى رحمة الله ودفعه عنهم (ت) وقال الثعلبي قوله بغير علم يحتمل ان يريد بغير علم ممن تكلم بهذا والمعرة المشقة ليدخل الله فى رحمته اي فى دين الاسلام من يشاء من اهل مكة قبل ان تدخلوها انتهى * وقوله تعالى لو تزيلوا اي لو ذهبوا عن مكة تقول زلت زيدا عن موضعه ازالة اي اذهبته وليس هذا الفعل من زال يزول وقد قيل هو منه وقرأ ابو حيوة وقتادة تزايلوا بالف اي ذهب هؤلاء عن هؤلاء وقال النحاس وقد قيل ان قوله ولولا رجال مومنون الآية يريد من فى اصلاب الكافرين ممن سيومن فى غابر الدهر وحكاه الثعلبي والنقاش عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم

مرفوعا والحمية التى جعلوها هي حمية اهل مكة فى الصد قال الزهري وهي حمية سهيل ومن شاهد منهم عقد الصلح وجعلها سبحانه حمية جاهلية لانها كانت منهم بغير حجة اذ لم يات صلى الله عليه وسلم محاربا لهم وانما جاء معتمرا معظما لبيت الله والسكينة هي الطمانينة الى امر رسول الله صلى الله عليه وسلم والثقة بوعد الله والطاعة وزوال الانفة التى لحقت عمر وغيره وكلمة التقوى قال الجمهور هي لا اله الا الله وروي ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم وفى مصحف ابن مسعود وكانوا اهلها واحق بها والمعنى كانوا اهلها على الاطلاق فى علم الله وسابق قضائه لهم وروى ابو امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا نادى المنادي فتحت ابواب السماء واستجيب الدعاء فمن نزل به كرب او شدة فليتحين المنادي فاذا كبر كبر واذا تشهد تشهد واذا قال حي على الصلاة قال حي على الصلاة واذا قال حي على الفلاح قال حي على الفلاح ثم يقول رب هذه الدعوة الصادقة المستجاب لها دعوة الحق وكلمة التقوى احينا عليها وامتنا عليها وابعثنا عليها واجعلنا من خيار اهلها احياء وامواتا ثم يسئل الله حاجته رواه الحاكم فى المستدرك وقال صحيح الاسناد انتهى من السلاح فقد بين صلى الله عليه وسلم فى هذا الحديث معنى كلمة التقوى على نحو ما فسر به الجمهور والصحيح انه يعوض عن الحيعلة الحوقلة ففى صحيح مسلم ثم قال حي على الصلاة قال لا حول ولا قوة الا بالله ثم قال حي على الفلاح قال لا حول ولا قوة الا بالله الحديث انتهى * وقوله تعالى وكان الله بكل شيء عليما اشارة الى علمه بالمومنين الذين دفع عن كفار قريش بسببهم والى علمه بوجه المصلحة فى صلح الحديبية فيروى انه لما انعقد الصلح امن الناس فى تلك المدة الحرب والفتنة وامتزجوا وعلت دعوة الاسلام وانقاد الى الاسلام كل من له فهم وزاد عدد الاسلام فى تلك المدة اضعاف ما كان قبل ذلك قال (ع) ويقتضى ذلك ان

النبي صلى الله عليه وسلم كان فى عام الحديبية فى اربع عشرة مائة ثم سار الى مكة بعد ذلك بعامين فى عشرة ٠الاف فارس صلى الله عليه وسلم (ت) المعروف عشرة ٠الاف وقوله فارس ما اظنه يصح فتأمله فى كتب السيرة * وقوله سبحانه لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق الآية روي فى تفسيرها ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى فى منامه عند خروجه الى العمرة انه يطوف بالبيت هو واصحابه بعضهم محلقون وبعضهم مقصرون وقال مجاهد رأى ذلك بالحديبية فاخبر الناس بهذه الرؤيا فوثق الجميع بان ذلك يكون فى وجهتهم تلك وقد كان سبق فى علم الله ان ذلك يكون لكن ليس فى تلك الوجهة فلما صدهم اهل مكة قال المنافقون واين الرؤيا ووقع فى نفوس بعض المسلمين شيء من ذلك فاجابهم النبي صلى الله عليه وسلم بان قال وهل قلت لكم يكون ذلك فى عامنا هذا اوكما قال ونطق ابو بكر قبل ذلك بنحوه ثم انزل الله عز وجل لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق الآية واللام فى لتدخلن لام القسم * وقوله ان شاء الله اختلف فى هذا الاستثناء فقال بعض العلماء انما استثنى من حيث ان كل واحد من الناس متى رد هذا الوعد الى نفسه امكن ان يتم الوعد فيه وان لا يتم اذ قد يموت الانسان او يمرض لحينه فلذلك استثنى عز وجل فى الجملة اذ فيهم ولابد من يموت او يمرض (ت) وقد وقع ذلك حسبما ذكر فى السير وقال ٠اخرون هو اخذ من الله تعالى على عباده بادبه فى استعمال الاستثناء فى كل فعل (ت) قال ثعلب استثنى الله تعالى فيما يعلم ليستثني الخلق فيما لايعلمون وقيل غير هذا ولما نزلت هذه الآية علم المسلمون ان تلك الرؤيا ستخرج فيما يستانفونه من الزمان فكان كذلك فخرج صلى الله عليه وسلم فى العام المقبل واعتمر * وقوله سبحانه فعلم ما لم تعلموا يريد ما قدره من ظهور الاسلام فى تلك المدة ودخول الناس فيه * وقوله من دون ذلك اي من قبل ذلك وفيما

يدنو اليكم واختلف فى الفتح القريب فقال كثير من العلماء هو بيعة الرضوان وصلح الحديبيـة وقال ابن زيـد هو فتح خيبر * وقوله تعالى محمد رسول الله قال جمهور الناس هو ابتداء وخبر استوفى فيه تعظيم منزلة النبي صلى الله عليه وسلم * وقوله والذين معه ابتداء وخبره اشداء ورحماء خبرثان وهذا هو الراجح لانـه خبر مضاد لقول الكفار لا تكتب محمد رسول الله والذين معه اشارة الى جميع الصحابة عنـد الجمهور وحكى الثعلبي عن ابن عباس ان الاشارة الى من شهد الحديبية (ت) ووصف تعالى الصحابة بانهم رحماء بينهم وقد جاءت احاديث صحيحة فى تراحم المومنين حدثنـا الشيخ ولي الدين العراقي بسنده عن عبد الله بن عمـرو بن العاصى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من فى الارض يرحمكم من فى السماء واخرج الترمذي من طريق ابى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تنزع الرحمة الا من قلب شقي وخرج عـن جرير بن عبـد الله قال قال رسول الله صلى الله عليـه وسلم من لا يرحم الناس لا يرحمه الله قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح وهذا الحديث خرجه مسلم عن جرير وخرج مسلم ايضا من طريق ابى هريرة مـن لا يرحم لا يرحم انتهى وبالجملة فاسباب الالفة والتراحم بين المومنين كثيرة ولو بان تلقى اخاك بوجه طلق وكذلك بذل السلام وطيب الكلام فالموفق لا يحتقر من المعروف شيأ وقد روى الترمذي الحكيم في كتاب ختم الاولياء له بسنده عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا التقى المسلمان كان احبهما الى الله سبحانـه احسنهما بشرا بصاحبـه او قال اكثرهما بشرا بصاحبه فاذا تصافحا انزل الله عليهما مائة رحمة تسعون منها للذى بدأ وعشرة للذى صوفح انتهى * وقوله تراهم ركعا سجدا اي ترى هاتين الحالتين كثيرا فيهم ويبتغون معناه يطلبون * وقوله سبحانه سيماهم فى وجوههم

قال مالك بن انس كانت جباههم متربة من كثرة السجود فى التراب وقاله عكرمة ونحوه لابى العالية وقال ابن عباس وخالد الحنفي وعطية هو وعد بجالهم يوم القيامة من الله تعالى يجعل لهم نورا من اثر السجود قال (ع) كما يجعل غرة من اثر الوضوء حسبما هو فى الحديث ويؤيد هذا التاويل اتصال القول بقوله فضلا من الله وقال ابن عباس السمت الحسن هو السيما وهو خشوع يبدو على الوجه قال (ع) وهذه حالة مكثرى الصلاة لانها تنهاهم عن الفحشاء والمنكر وقال الحسن ابن ابى الحسن وشِمْر ابن عطية السيما بياض وصفرة وتبهيج يعترى الوجوه من السهر وقال عطاء بن ابى رباح والربيع بن انس السيما حسن يعترى وجوه المصلين قال (ع) ومن هذا الحديثُ الذى فى الشهاب من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار قال (ع) وهذا حديث غلط فيه ثابت بن موسى الزاهد سمع شريك بن عبد الله يقول حدثنا الاعمش عن ابى سفيان عن جابر ثم نزع شريك لما رأى ثابتا الزاهد فقال يعنيه من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار فظن ثابت ان هذا الكلام حديث متركب على السند المذكور فحدث به عن شريك (ت) واعلم ان الله سبحانه جعل حسن الثناء علامة على حسن عقبى الدار والكون فى الجنة مع الابرار جاء بذلك صحيح الآثار عن النبي المختار ففى صحيح البخاري ومسلم عن انس قال مروا بجنازة فاثنوا عليها خيرا فقال النبي صلى الله عليه وسلم وجبت ثم مروا باخرى فاثنوا عليها شرا فقال وجبت فقال عمر ما وجبت فقال هذا اثنيتم عليه خيرا فوجبت له الجنة وهذا اثنيتم عليه شرا فوجبت له النار انتم شهداء الله فى الارض انتهى ونقل صاحب الكوكب الدري من مسند البزار عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يوشك ان تعرفوا اهل الجنة من اهل النار فقالوا يا رسول الله بم قال بالثناء الحسن والثناء السيئ انتهي ونقله صاحب كتاب التشوف الى رجال التصوف

وهو الشيخ الصالح ابو يعقوب يوسف بن يحي التاذلي عن ابن ابى شيبة ولفظه وخرج ابو بكر بن ابى شيبة انـه قال صلى الله عليه وسلم فى خطبتـه توشكوا ان تعرفوا اهل الجنة من اهل النار او قال خياركم من شراركم قالوا بم يا رسول الله قال بالثناء الحسن وبالثناء السيئ انتم شهداء الله بعضكم على بعض ومن كتاب التشوف قال وخرج البزار عن انس قال قيل يا رسول الله من اهل الجنة قال من لا يموت حتى تملأ مسامعه مما يحبه قيل فمن اهل النار قال من لا يموت حتى تملأ مسامعه مما يكره قال وخرج البزار عـن ابى هريرة ان رجلا قال يا رسول الله دلنى على عمل ادخل بـه الجنـة قال لا تغضب واتاه ءاخر فقال متى اعلم انى محسن قال اذا قال جيرانك انك محسن فانك محسن واذا قالوا انك مسيء فانك مسيء انتهى ونقل القرطبي فى تذكرته عن عبد الله بن السائب قال مرت جنازة بابن مسعود فقال لرجل قم فانظر امن اهل الجنـة هو ام من اهل النار فقال الرجل ما يدرينى امن اهل الجنة هو ام من اهل النار قال انظر ما ثنـاء الناس عليه فانتم شهـداء الله فى الارض انتهى وبالله التوفيق واياه نستعين * وقوله سبحانه ذلك مثلهم فى التوراة الآية قال مجاهد وجماعة من المتأولين المعنى ذلك الوصف هو مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل وتم القول وكزرع ابتداء تمثيل وقال الطبري وحكاه عـن الضحاك المعنى ذلك الوصف هو مثلهم فى التوراة وتم القول ثم ابتدأ ومثلهم فى الانجيل كزرع (ت) وقيل غير هذا وابينها الاول وماعداه يفتقر الى سند يقطع الشك * وقوله تعالى كزرع على كل قول هو مثل للنبي عليه السلام واصحابه فى ان النبي عليـه السلام بعث وحـده فكان كالزرع حبة واحدة ثم كثر المسلمون فهم كالشطء وهو فراخ السنبلة التى تنبت حول الاصل يقال اشطأت الشجرة اذا اخرجت غصونها واشطأ الزرع اذا اخرج شطـأه وحكي النقاش عـن ابن عباس انـه قال الزرع النبي صلى الله عليه وسلم

فئازره علي بن ابي طالب فاستغلظ بابي بكر فاستوى على سوقه بعمر بن الخطاب (ت) وهذا لين الاسناد والمتن كما ترى والله اعلم بصحته * وقوله تعالى فئازره له معنيان احدهما ساواه طولا والثانى ان ءازره ووازره بمعنى اعانه وقواه ماخوذ من الازر وفاعل ءازر يحتمل ان يكون الشطء ويحتمل ان يكون الزرع * وقوله تعالى ليغيظ بهم الكفار ابتداء كلام قبله محذوف تقديره جعلهم الله بهذه الصفة ليغيظ بهم الكفار قال الحسن من غيظ الكفار قول عمر بمكة لا يعبد الله سرا بعد اليوم * وقوله تعالى منهم هي لبيان الجنس وليست للتبعيض لانه وعد مرج للجميع .

تفسير سورة الحجرات وهي مدنية باجماع

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله عز وجل يا ايها الذين ءامنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله الآية قال ابن زيد معنى لا تقدموا لا تمشوا وقرأ ابن عباس والضحاك ويعقوب بفتح التاء والدال على معنى لا تتقدموا وعلى هذا يجئ تاويل ابن زيد والمعنى على ضم التاء بين يدي قول الله ورسوله وروي ان سبب هذه الآية ان وفد بنى تميم لما قدم قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه يا رسول الله لو امّرت القعقاع بن مَعبَد وقال عمر لا يا رسول الله بل امّر الاقرع ابن حابس فقال له ابو بكر ما اردت الا خلافى فقال عمر ما اردت خلافك وارتفعت اصواتهما فنزلت الآية وذهب بعض قائلى هذه المقالة الى ان قوله لا تقدموا اي ولاة

فهو من تقديم الامراء وعموم اللفظ احسن اي اجعلوه مبدأ فى الاقوال والافعال وعبارة البخاري وقال مجاهد لا تقدموا لا تفتاتوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يقضي الله عز وجل على لسانه انتهى * وقوله سبحانه لا ترفعوا اصواتكم الآية هى ايضا فى هذا الفن المتقدم فروي ان سببها ما تقدم عن ابى بكر وعمر رضي الله عنهما والصحيح انها نزلت بسبب عادة الاعراب من الجفاء وعلو الصوت وكان ثابت بن قيس بن شماس رضي الله عنه ممن فى صوته جهارة فلما نزلت هذه الآية اهتم وخاف على نفسه وجلس فى بيته لم يخرج وهو كئيب حزين حتى عرف النبي صلى الله عليه وسلم خبره فبعث اليه فانسه وقال له امش فى الارض بسطا فانك من اهل الجنة وقال له مرة اما ترضى ان تعيش حميدا وتموت شهيدا فعاش كذلك ثم قتل شهيدا باليمامة يوم مسيلمة (ت) وحديث ثابت بن قيس وتبشيره بالجنة خرجه البخاري وكذلك حديث ابى بكر وعمر وارتفاع اصواتهما خرجه البخاري ايضا انتهى * وقوله كجهر بعضكم لبعض اي كحال احدكم فى جفائه فلا تنادوه باسمه يا محمد يا احمد قاله ابن عباس وغيره فامرهم الله بتوقيره وان يدعوه بالنبوءة والرسالة والكلام اللين وكره العلماء رفع الصوت عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم وبحضرة العالم وفى المساجد وفى هذه كلها آثار قال ابن العربي فى احكامه وحرمة النبي صلى الله عليه وسلم ميتا كحرمته حيا وكلامه المأثور بعد موته فى الرفعة مثل كلامه المسموع من لفظه فاذا قرئ كلامه وجب على كل حاضر ان لا يرفع صوته عليه ولا يعرض عنه كما كان يلزمه ذلك فى مجلسه عند تلفظه به وقد نبه الله تعالى على دوام الحرمة المذكورة على مرور الازمنة بقوله واذا قرئ القرءان فاستمعوا له وانصتوا وكلام النبي صلى الله عليه وسلم هو من الوحي وله من الحرمة مثل ما للقرءان انتهى * وقوله تعالى ان تحبط مفعول من اجله اي مخافة ان تحبط

ثم مدح سبحانه الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله وغض الصوت خفضه وكسره وكذلك البصر وروي ان ابا بكر وعمر كانا بعد ذلك لا يكلمان رسول الله صلى الله عليه وسلم الا كاخى السرار وان النبي صلى الله عليه وسلم كان يحتاج مع عمر بعد ذلك الى استعادة اللفظ لانه كان لا يسمعه من اخفائه اياه وامتحن معناه اختبر وطهر كما يمتحن الذهب بالنار فيسرها وهيأها للتقوى وقال عمر بن الخطاب امتحنها للتقوى اذهب عنها الشهوات قال (ع) من غلب شهوته وغضبه فذلك الذى امتحن الله قلبه للتقوى وبذلك تكون الاستقامة وقال البخاري امتحن اخلص انتهى * وقوله سبحانه ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون نزلت فى وفد بنى تميم وقولهم يا محمد اخرج الينا يا محمد اخرج الينا وفى مصحف ابن مسعود اكثرهم بنو تميم لا يعقلون وباقى الآية بين * وقوله تعالى يا ايها الذين ءامنوا ان جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا وقرئ فتثبتوا روي فى سبب الآية ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث الوليد بن عقبة بن ابى معيط الى بنى المصطلق مصدقا فلما قرب منهم خرجوا اليه فنزع منهم وظن بهم شرا فرجع وقال للنبي صلى الله عليه وسلم قد منعونى الصدقة وطردونى وارتدوا فغضب النبي صلى الله عليه وسلم وهم بغزوهم فورد وفدهم منكرين لذلك وروي انه لما قرب منهم بلغه عنهم انهم قالوا لا نعطيه الصدقة ولا نطيعه فقال ما ذكرناه فنزلت الآية وان تصيبوا معناه مخافة ان تصيبوا قال قتادة وقال النبي صلى الله عليه وسلم عند ما نزلت هذه الاية التثبت من الله والعجلة من الشيطان * وقوله سبحانه واعلموا ان فيكم رسول الله لو يطيعكم فى كثير من الامر لعنتم توبيخ للكذبة والعنت المشقة * وقوله تعالى اولائك هم الراشدون رجوع من الخطاب الى الغيبة كانه قال ومن اتصف بما تقدم من المحاسن اولائك هم

الراشدون * وقوله سبحانه فضلا من الله ونعمة اي كان هـذا فضلا مـن الله ونعمة وكان قتادة رحمه الله يقول قد قال الله تعالى لاصحاب محمد عليه السلام واعلموا ان فيكم رسول الله لو يطيعكم فى كثير من الامر لعنتم وانتم والله اسخف رأيا واطيش احلاما فليتهم رجل نفسه ولينتصح كتاب الله تعالى * وقوله تعالى وان طائفتان من المومنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما سبب الآية فى قول الجمهور هو ما وقع بين المسلمين المتحزبين فى قضية عبد الله بن ابي ابن سلول حين مربه النبي صلى الله عليه وسلم راكبا على حماره متوجها الى زيارة سعد بن عبادة فى مرضه حسبما هو معلوم فى الحديث الطويل ومدافعة الفئة الباغية متوجهة فى كل حال واما التهيئ لقتالهم فمع الولاة وقال النبي صلى الله عليه وسلم حكم الله فى الفئة الباغية ان لا يجهز على جريحها ولا يطلب هاربها ولا يقتل اسيرها ولا يقسم فيئها وتفيء معناه ترجع وقرأ الجمهور بين اخويكم وذلك رعاية لحال اقل عدد يقع فيه القتال والتشاجر وقرأ ابن عامر بين اخوتكم وقرأ عاصم الجحدري بين اخوانكم وهي قراءة حسنة لان الاكثر فى جمع الاخ فى الدين ونحوه من غير النسب اخوان والاكثر فى جمعه من النسب أخوة وءاخاء وقد تتداخل هذه الجموع وكلها فى كتاب الله * وقوله سبحانه يا ايها الذين ءامنوا لا يسخر قوم من قوم الآية هذه الآية والتى بعدها نزلت فى خلق اهل الجاهلية وذلك انهم كانوا يجرون مع شهوات نفوسهم لم يقومهم امر من الله ولا نهي فكان الرجل يسخر ويلمز وينبز بالالقاب ويظن الظنون ويتكلم بها ويغتاب ويفتخر بنسبه الى غير ذلك من اخلاق النفوس البطالة فنزلت هذه الآية تاديبا لهذه الامة وروى البخاري ومسلم والترمذي واللفظ له عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلم اخو المسلم لا يخونه ولا يكذبه ولا يخذله كل المسلم على المسلم حرام عرضه وماله ودمه التقوى هاهنا

بحسب امرئ من الشر ان يحتقر اخاه المسلم انتهى ويسخر معناه يستهزئ وقد يكون ذلك المستهزأ به خيرا من الساخر والقوم فى كلام العرب واقع على الذكران وهو من اسماء الجمع ومن هذا قول زهير

وما ادرى وسوف اخال ادرى * اقوم آل حصن ام نساء

وهذه الآية ايضا تقتضى اختصاص القوم بالذكران وقد يكون مع الذكران نساء فيقال لهم قوم على تغليب حال الذكور وتلمزوا معناه يطعن بعضكم على بعض بذكر النقائص ونحوه وقد يكون اللمز بالقول وبالاشارة ونحوه مما يفهمه اخر والهمز لا يكون الا باللسان وحكى الثعلبي ان اللمز ما كان فى المشهد والهمز ما كان فى المغيب وحكى الزهراوي عكس ذلك * وقوله تعالى انفسكم معناه بعضكم بعضا كما قال تعالى ان اقتلوا انفسكم كانّ المومنين كنفس واحدة اذهم اخوة كما قال صلى الله عليه وسلم كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى سائره بالسهر والحمى وهم كما قال ايضا كالبنيان يشد بعضه بعضا والتنابز التلقب والنبز واللقب واحد واللقب يعنى المذكور فى الآية هو ما يعرف به الانسان من الاسماء التى يكره سماعها وليس من هذا قول المحدثين سليمان الاعمش وواصل الاحدب ونحوه مما تدعو الضرورة اليه وليس فيه قصد استخفاف واذى وقال ابن زيد معنى ولا تنابزوا بالالقاب اي لا يقل احد لاحد يا يهودي بعد اسلامه ولا يا فاسق بعد توبته ونحو هذا * وقوله سبحانه بيس الاسم الفسوق بعد الايمان يحتمل معنيين احدهما بيس اسم تكتسبونه بعصيانكم ونبزكم بالالقاب فتكونون فساقا بالمعصية بعد ايمانكم والثانى بيس قول الرجل لاخيه يا فاسق بعد ايمانه وعن حذيفة رضي الله عنه قال شكوت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذرب لسانى فقال اين انت من الاستغفار انى لاستغفر الله كل يوم مائة مرة رواه النساءي واللفظ له وابن

ماجه والحاكم فى المستدرك وقال صحيح على شرط مسلم وفى رواية للنساءي انى لاستغفر الله فى اليوم واتوب اليه مائة مرة والذرب بفتح الذال والراء هو الفحش انتهى من السلاح ومنه عن ابن عمر ان كنا لنعد لرسول الله صلى الله وسلم فى المجلس الواحد مائة مرة رب اغفر لى وتب علي انك انت التواب الرحيم رواه ابو داود وهذا لفظه والترمذي والنساءي وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه وقال الترمذي حسن صحيح غريب انتهى ثم امر تعالى المومنين باجتناب كثير من الظن وان لايعملوا ولايتكلموا بحسبه لما فى ذلك وفى التجسس من التقاطع والتدابر وحكم على بعضه انه اثم اذ بعضه ليس باثم والظن المنهي عنه هو ان تظن شرا برجل ظاهره الصلاح بل الواجب ان تزيل الظن وحكمه وتتأول الخير قال (ع) وما زال اولوا العزم يحترسون من سوء الظن ويجتنبون ذرائعه قال النووي واعلم ان سوء الظن حرام مثل القول فكما يحرم ان تحدث غيرك بمساوى انسان يحرم ان تحدث نفسك بذلك وتسيء الظن به وفى الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم اياكم والظن فانه اكذب الحديث والاحاديث بمعنى ما ذكرناه كثيرة والمراد بذلك عقد القلب وحكمه على غيره بالسوء فاما الخواطر وحديث النفس اذا لم يستقر ويستمر عليه صاحبه فمعفو عنه باتفاق العلماء لانه لا اختيار له فى وقوعه ولا طريق له الى الانفكاك عنه انتهى قال ابو عمر فى التمهيد وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال حرم الله من المومن دمه وماله وعرضه وان لا يظن به الا الخير انتهى ونقل فى موضع آخر بسنده ان عمر بن عبد العزيز كان اذا ذكر عنده رجل بفضل او صلاح قال كيف هو اذا ذكر عنده اخوانه فان قالوا انه يتنقصهم وينال منهم قال عمر ليس هو كما تقولون وان قالوا انه يذكر منهم جميلا وخيرا ويحسن الثناء عليهم قال هو كما تقولون ان شاء الله انتهى من التمهيد وروى ابو داود فى سننه عن ابى

هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال حسن الظن من حسن العبادة انتهى *
وقوله تعالى ولا تجسسوا اي لا تبحثوا عن مخبئات امور الناس وادفعوا بالتى
هي احسن واجتزءوا بالظواهر الحسنة وقرأ الحسن وغيره ولا تحسسوا بالحاء
المهملة قال بعض الناس التجسس بالجيم فى الشر وبالحاء فى الخير قال (ع)
وهكذا ورد القرءان ولكن قد يتداخلان فى الاستعمال (ت) وقد وردت
احاديث صحيحة فى هذا الباب لولا الاطالة لجلبناها ولا يغتب معناه لا يذكر
احدكم من اخيه شيأ هو فيه ويكره سماعه وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم
اذا ذكرت ما فى اخيك فقد اغتبته واذا ذكرت ما ليس فيه فقد بهته وفى
حديث آخر الغيبة ان تذكر المومن بما يكره قيل وان كان حقا قال اذا قلت
باطلا فذلك هو البهتان وحكى الزهراوي عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال الغيبة اشد من الزنا قيل وكيف قال لان الزاني يتوب فيتوب الله عليه
والذى يغتاب لا يتاب عليه حتى يستحل قال (ع) وقد يموت من اغتيب
او يابى وروى ابو داود فى سننه عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لما عرج بى مررت بقوم لهم اظفار من نحاس يخمشون وجوههم
وصدورهم فقلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين ياكلون لحوم الناس
ويقعون فى اعراضهم انتهى والغيبة مشتقة من غاب يغيب وهي القول فى
الغائب واستعملت فى المكروه ولم يبح فى هذا المعنى الا ما تدعو الضرورة اليه
من تجريح الشهود وفى التعريف بمن استنصح فى الخطاب ونحوهم لقول النبي
صلى الله عليه وسلم اما معاوية فصعلوك لا مال له وما يقال فى الفسقة ايضا وفى
ولاة الجور ويقصد به التحذير منهم ومنه قوله عليه السلام أعن الفاجر ترعون
اذكروا الفاجر بما فيه متى يعرفه الناس اذا لم يذكروه (ت) وهذا الحديث خرجه
ايضا ابو بكر بن الخطيب بسنده عن بهز عن ابيه عن جده عن النبي صلى الله

عليه وسلم قال اترعون عن ذكر الفاجر اذكروه بما فيه يحذره الناس ولم يذكر فى سنده مطعنا انتهى ومنه قوله عليه السلام بيس ابن العشيرة ثم مثل تعالى الغيبة باكل لحم ابن ادم الميت ووقف تعالى على جهة التوبيخ بقوله ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه اي فكذلك فاكرهوا الغيبة قال ابو حيان فكرهتموه قيل خبر بمنى الامر اي فاكرهوه وقيل على بابه فقال الفراء فقد كرهتموه فلا تفعلوه انتهى وقد روى البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يرمى رجل رجلا بالفسوق ولا يرميه بالكفر الا ارتدت عليه ان لم يكن صاحبه كذلك وفى رواية مسلم من دعا رجلا بالكفر او قال عدو الله وليس كذلك الاحار عليه وفى الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم اي رجل قال لاخيه كافر فقد باء بها احدهما انتهى وباقى الآية بين * وقوله تعالى يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى الآية المعنى يا ايها الناس انتم سواء من حيث انتم مخلوقون وانما جعلتم قبائل لان تتعارفوا او لان تعرفوا الحقائق واما الشرف والكرم فهو بتقوى الله تعالى وسلامة القلوب وقرأ ابن مسعود لتعارفوا بينكم وخيركم عند الله اتقاكم وقرأ ابن عباس لتعرفوا ان على وزن تفعلوا بكسر العين وبفتح الهمزة من ان وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من سره ان يكون اكرم الناس فليتق الله واما الشعوب فهو جمع شعب وهو اعظم ما يوجد من جماعات الناس مرتبطا بنسب واحد كمضر وربيعة وحمير ويتلوه القبيلة ثم العمارة ثم البطن ثم الفخذ ثم الفصيلة والاسرة وهما قرابة الرجل الادنون ثم نبه سبحانه على الحذر بقوله ان الله عليم خبير اي بالمتقى الذى يستحق رتبة الكرم وخرج مسلم فى صحيحه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله اوحى الي ان تواضعوا حتى لا يفخر احد على احد ولا يبغى احد على احد وروى ابو داود والترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لينتهين اقوام يفتخرون بآبائهم انما

هم فحم من جهنم اوليكونن على الله اهون من الجعل الذى يدهده الخراء بأنفه ان الله اذهب عنكم عُبِّيّة الجاهلية وفخرها انما هو مومن تقي او فاجر شقي كلكم بنو ءادم وءادم من تراب انتهى ونقله البغوي فى مصابيحه * وقوله تعالى قالت الاعراب ءامنا قال مجاهد نزلت فى بنى اسد وهي قبيلة كانت تجاور المدينة اظهروا الاسلام وفى الباطن انما يريدون المغانم وعرض الدنيا ثم امر الله تعالى نبيه ان يقول لهؤلاء المدعين للايمان لم تومنوا اي لم تصدقوا بقلوبكم ولكن قولوا اسلمنا اي استسلمنا والاسلام يقال بمعنيين احدهما الذى يعم الايمان والاعمال وهو الذى فى قوله تعالى ان الدين عند الله الاسلام والذى فى قوله عليه السلام بني الاسلام على خمس والمعنى الثانى للفظ الاسلام هو الاستسلام والاظهار الذى يستعصم به ويحقن الدم وهذا هو الذى فى الآية ثم صرح بان الايمان لم يدخل فى قلوبهم ثم فتح باب التوبة بقوله وان تطيعوا الله الآية وقرأ الجمهور لا يلتكم من لات يليت اذا نقص يقال لات حقه اذا نقصه منه وقرأ ابو عمرو لا يالتكم من ألت يالت وهي بمعنى لات * وقوله سبحانه انما المومنون انما هنا حاصرة * وقوله ثم لم يرتابوا اي لم يشكوا ثم امر الله تعالى نبيه عليه السلام بتوبيخهم بقوله اتعلمون الله بدينكم اي بقولكم ءامنا وهو يعلم منكم خلاف ذلك لانه العليم بكل شيء * وقوله سبحانه يمنون عليك ان اسلموا نزلت فى بنى اسد ايضا وقرأ ابن مسعود يمنون عليك اسلامهم وقرأ ابن كثير وعاصم فى رواية والله بصير بما يعملون

تفسير سورة ق وهي مكية باجماع

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله عز وجل ق والقرءان المجيد قال مجاهد والضحاك وابن زيد وعكرمة ق اسم الجبل المحيط بالدنيا وهو فيما يزعمون انه من زمردة خضراء منها خضرة السماء وخضرة البحر وقيل فى تفسيره غير هذا والمجيد الكريم فى اوصافه الذى جمع كل معلاة وق مقسم به وبالقرءان قال الزجاج وجواب القسم محذوف تقديره ق والقرءان المجيد لتبعثن قال (ع) وهذا قول حسن واحسن منه ان يكون الجواب هو الذى يقع عنه الاضراب ببل كانه قال والقرءان المجيد ما ردوا امرك بحجة ونحو هذا مما لابد لك من تقديره بعد الذى قدره الزجاج وباقى الآية بين مما تقدم فى ص ويونس وغيرهما ثم اخبر تعالى ردا على قولهم بانه سبحانه يعلم ماتاكل الارض من ابن ءادم وما تبقى منه وان ذلك فى كتاب والحفيظ الجامع الذى لم يفته شيء وفى الحديث الصحيح ان الارض تاكل ابن ءادم الاعجب الذنب وهو عظم كالخردلة فمنه يركب ابن ءادم قال (ع) وحفظ ما تنقص الارض انما هو ليعود بعينه يوم القيامة وهذا هو الحق قال ابن عباس والجمهور المعنى ما تنقص من لحومهم وابشارهم وعظامهم وقال السدي ما تنقص الارض اي ما يحصل فى بطنها من موتاهم وهذا قول حسن مضمنه الوعد والمريج معناه المختلط قاله ابن زيد اي بعضهم يقول ساحر وبعضهم يقول كاهن وبعضهم يقول شاعر الى غير ذلك من تخليطهم قال (ع) والمريج المضطرب ايضا وهو قريب من الاول ومنه مرجت عهودهم ومن الاول مرج

البحرين ثم دل تعالى على العبرة بقوله افلم ينظروا الى السماء الآية وزيناها اي بالنجوم والفروج الفطور والشقوق خلالها واثناءها قاله مجاهد وغيره (ت) وقال الثعلبي باثر كلام للكسائي يقول كيف بنيناها بلا عمد وزيناها بالنجوم وما فيها فتوق والارض مددناها اي بسطناها على وجه الماء انتهى والرواسى الجبال والزوج النوع والبهيج الحسن المنظر قاله ابن عباس وغيره والمنيب الراجع الى الحق عن فكرة ونظر قال قتادة هو المقبل الى الله تعالى وخص هذا الصنف بالذكر تشريفا لهم من حيث انتفاعهم بالتبصرة والذكرى وحب الحصيد البر والشعير ونحوه مما هو نبات محبب يحصد قال ابو حيان وحب الحصيد من اضافة الموصوف الى صفته على قول الكوفيين او على حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه اي حب الزرع الحصيد على قول البصريين وباسقات حال مقدرة لانها حالة الانبات ليست طوالا انتهى وباسقات معناه طويلات ذاهبات فى السماء والطلع اول ظهور التمر فى الكفرى قال البخاري ونضيد معناه منضود بعضه على بعض انتهى ووصف البلدة بالميت على تقدير القطر والبلد ثم بين سبحانه موضع الشبه فقال كذلك الخروج يعنى من القبور وهذه الآيات كلها انما هي امثلة وادلة على البعث واصحاب الرس قوم كانت لهم بير عظيمة وهى الرس وكل ما لم يطو من بير او معدن او نحوه فهورس وجاءهم نبيء يسمى حنظلة ابن سفيان فيما روي فجعلوه فى الرس وردموا عليه فاهلكهم الله وقال الضحاك الرس بير قتل فيها صاحب يس وقيل انهم قوم عاد والله اعلم * وقوله كل قال سيبويه التقدير كلهم والوعيد الذى حق هو ما سبق به القضاء من تعذيبهم * وقوله سبحانه افعيينا توقيف للكفار وتوبيخ والخلق الاول انشاء الانسان من نطفة على التدريج المعلوم وقال الحسن الخلق الاول ادم واللبس الشك والريب واختلاط النظر والخلق الجديد البعث من القبور * وقوله سبحانه ولقد خلقنا

الانسان الآية الانسان اسم جنس وتوسوس معناه تتحدث فى فكرتها والوسوسة انما تستعمل فى غير الخير * وقوله تعالى ونحن اقرب اليه من حبل الوريد عبارة عن قدرة الله على العبد وكون العبد فى قبضة القدرة والعلم قد احيط به فالقرب هو بالقدرة والسلطان اذ لا ينحجب عن علم الله لا باطن ولا ظاهر والوريد عرق كبير فى العنق ويقال انهما وريدان عن يمين وشمال واما قوله تعالى اذ يتلقى المتلقيان فقال المفسرون العامل فى اذ اقرب ويحتمل عندى ان يكون العامل فيه فعلا مضمرا تقديره اذكر اذ يتلقى المتلقيان والمتلقيان الملكان الموكلان بكل انسان ملك اليمين الذى يكتب الحسنات وملك الشمال الذى يتكب السيئات قال الحسن الحفظة اربعة اثنان بالنهار واثنان بالليل قال (ع) ويؤيد ذلك الحديث الصحيح يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار الحديث بكماله ويروى ان ملك اليمين امير على ملك الشمال وان العبد اذا اذنب يقول ملك اليمين للآخر تثبت لعله يتوب رواه ابراهيم التيمي وسفيان الثوري وقعيد معناه قاعد * وقوله سبحانه ما يلفظ من قول الآية قال الحسن بن ابى الحسن وقتادة يكتب الملكان جميع الكلام فيثبت الله من ذلك الحسنات والسيئات ويمحو غير هذا وهذا هو ظاهر هذه الآية قال ابو الجوزاء ومجاهد يكتبان عليه كل شيء حتى انينه فى مرضه وقال عكرمة يكتبان الخير والشر فقط قال (ع) والاول اصوب (ت) وروى ابو الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كل شيء يتكلم به ابن آدم فانه مكتوب عليه اذا اخطأ خطيئة فاحب ان يتوب الى الله فليات فليمد يديه الى الله عز وجل ثم يقول اللهم اني اتوب اليك منها لا ارجع اليها ابدا فانه يغفر له ما لم يرجع فى عمله ذلك رواه الحاكم فى المستدرك وقال صحيح على شرط الشيخين يعنى البخاري ومسلما انتهى من السلاح قال النووي رحمه الله تعالى ينبغى لكل مكلف ان يحفظ لسانه من جميع الكلام

الاكلاما تظهر فيه مصلحته ومتى استوى الكلام وتركه بالمصلحة فالسنة الامساك فانه قد ينجر الكلام المباح الى حرام او مكروه وهـذا هو الغالب والسلامة لا يعدلها شيء وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخاري ومسلم انه قال من كان يومن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا او ليصمت وهو نص صريح فيما قلناه قال ورويناه فى كتاب الترمذي وابن ماجه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه قال الترمذي حديث حسن وفيه عن عقبة بن عامر قلت يا رسول الله ما النجاة قال امسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك قال الترمذي حديث حسن وفيه عنـه صلى الله عليه وسلم قال من وقاه الله شر ما بين لحييه وشر ما بين رجليه دخل الجنة قال الترمذي حديث حسن انتهى والرقيب المراقب والعتيد الحاضر * وقوله وجاءت عطف عندى على قوله اذ يتلقى فالتقدير واذ تجيء سكرة الموت (ت) قال شيخنا زين الدين العراقي فى ارجوزته * وسكرة الموت اختلاط العقل * البيت انتهى * وقوله بالحق معناه بلقـاء الله وفقد الحياة الدنيـا وفراق الحياة حق يعرفه الانسان ويحيد منه بامله ومعنى هـذا الحيد انـه يقول اعيش كذا وكذا فمتى فكر حاد بذهنـه وامله الى مسافة بعيـدة من الزمان وهـذا شأن الانسان حتى يفاجئه الاجل قال عبـد الحق فى العاقبة ولما احتضر مالك بن انس ونزل به الموت قال لمن حضره ليعاينن الناس غدا من عفو الله وسعة رحمته ما لم يخطر على قلب بشر كشف له رضي الله عنه عن سعة رحمة الله وكثرة عفوه وعظيم تجاوزه ما اوجب ان قال هذا وقال ابو سليمان الداراني دخلنا على عابد نزوره وقد حضره الموت وهو يبكي فقلنـا له ما يبكيـك رحمـك الله فانشـأ يقـول

وحق لمثلي البكا عنـد مـوتـه * ومالي لا ابكي وموتى قـد اقترب

ولى عمل فى اللوح احصاه خالـق * فان لم يجد بالعفو صرت الى العطب
انتهى ويوم الوعيد هو يوم القيامة والسائق الحاث على السير واختلف الناس
فى السائق والشهيد فقال عثمان بن عفان وغيره هما ملكان موكلان بكل انسان
احدهما يسوقه والآخر من حفظته يشهد عليه وقال ابو هريرة السائق ملك
والشهيد العمل وقيل الشهيد الجوارح وقال بعض النظار سائق اسم جنس
وشهيد كذلك فالساقة للناس ملائكة موكلون بذلك والشهداء الحفظة فى
الدنيا وكل من يشهد * وقوله سبحانه كل نفس يعم الصالحين وغيرهم فانما
معنى الآية شهيد بخيره وشره ويقوى فى شهيد اسم الجنس فتشهد الملائكة
والبقاع والجوارح وفى الصحيح لا يسمع مدى صوت المؤذن انس ولا جن
ولاشئ الاشهد له يوم القيامة * وقوله سبحانه لقد كنت قال ابن عباس وغيره اي
يقال للكافر لقد كنت فى غفلة من هذا فلما كشف الغطاء عنك الآن احتد
بصرك اي بصيرتك وهذا كما تقول فلان حديد الذهن ونحوه وقال مجاهد
هو بصر العين اي احتد التفاته الى ميزانه وغير ذلك من اهوال القيامة
والوجه عندى فى هذه الآية ما قاله الحسن وسالم بن عبد الله انها مخاطبة
للانسان ذى النفس المذكورة من مومن وكافر وهكذا قال الفخر قال والاقوى
ان يقال هو خطاب عام مع السامع كانه يقول ذلك ما كنت منه تحيد ايها
السامع انتهى وينظر الى معنى كشف الغطاء قول النبي صلى الله عليه وسلم الناس
نيام فاذا ماتوا انتبهوا * وقوله تعالى وقال قرينه هذا ما لدي عتيد قال جماعة من
المفسرين يعنى قرينه من زبانية جهنم اي قال هذا العذاب الذى لدي لهذا الكافر
حاضر وقال قتادة وابن زيد بل قرينه الموكل بسوقه قال (ع) ولفظ القرين
اسم جنس فسائقه قرين وصاحبه من الزبانية قرين وكاتب سيئاته فى الدنيا
قرين والكل تحتمله هذه الآية اي هذا الذى احصيته عليه عتيد لدي وهو

موجب عذابه والقرين الذى فى هذه الآية غير القرين الذى فى قوله قال قرينه ربنا ما اطغيته اذ المقارنة تكون على انواع * وقوله سبحانه القيا فى جهنم كل كفار عنيد المعنى يقال القيا فى جهنم واختلف لمن يقال ذلك فقال جماعة هو قول لملكين من ملائكة العذاب وقال عبد الرحمن بن زيد هو قول للسائق والشهيد وقال جماعة من اهل العلم باللغة هذا جار على عادة كلام العرب الفصيح ان يخاطب الواحد بلفظ الاثنين وذلك ان العرب كان الغالب عندها ان يترافق فى الاسفار ونحوها ثلاثة فكل واحد منهم يخاطب اثنين فكثر ذلك فى اشعارها وكلامها حتى صار عرفا فى المخاطبة فاستعمل فى الواحد ومن هذا قولهم فى الاشعار خليلي وصاحبي وقفا نبك ونحوه وقال بعض المتأولين المراد القين فعوض من النون الف وقرأ الحسن بن ابى الحسن القيا بتنوين الياء وعنيد معناه عاند عن الحق اي منحرف عنه * وقوله تعالى مناع للخير لفظ عام للمال والكلام الحسن والمعاونة على الاشياء ومعتد معناه بلسانه ويده * وقوله سبحانه الذى جعل مع الله الآية يحتمل ان يكون الذى بدلا من كفار اوصفة له ويقوى عندى ان يكون الذى ابتداء ويتضمن القول حينئذ بنى ءادم والشياطين المغوين لهم فى الدنيا ولذلك تحرك القرين الشيطان المغوى فرام ان يبرئ نفسه ويخلصها بقوله ربنا ما اطغيته * وقوله ربنا ما اطغيته ليست بحجة لانه كذب ان نفى الاطغاء عن نفسه جملة وهو قد اطغاه بالوسوسة والتزيين واطغاه الله بالخلق والاختراع حسب سابق قضائه الذى هو عدل منه سبحانه لا رب غيره * وقوله سبحانه لا تختصموا لدي معناه قال الله لا تختصموا لدي بهذا النوع من المقاولة التى لا تفيد شيأ وقد قدمت اليكم بالوعيد وهو ما جاءت به الرسل والكتب وجمع الضمير لانه مخاطبة لجميع القرناء اذ هو امر شائع لا يقف على اثنين فقط * وقوله سبحانه ما يبدل القول لدي اي لا

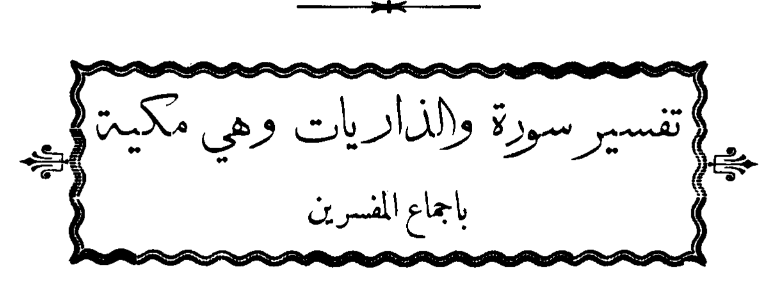
ينقض ما ابرمه كلامى من تعذيب الكفرة ثم ازال سبحانه موضع الاعتراض بقوله وما انا بظلام للعبيد اي هـذا عدل فيهم لانى انـذرت وامهلت وانعمت وقرأ الجمهور يوم نقول بالنون وقرأ نافع وعاصم فى رواية ابى بكر بالياء وهي قراءة اهل المدينة قال (ع) والذى يترجح فى قول جهنم هل من مزيد انها حقيقة وانها قالت ذلك وهي غير ملأى وهو قول انس بن مالك ويبين ذلك الحديث الصحيح وهو قوله صلى الله عليه وسلم يقول الله لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد حتى يضع الجبار فيها قدمه فتقول قط قط وينزوى بعضها الى بعض ولفظ البخاري عن ابى هريرة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم تحاجت الجنة والنار فقالت النار اوثرت بالمتكبرين والمتجبرين وقالت الجنة ما لى لا يدخلنى الا الضعفاء الناس وسقطهم فقال الله للجنة انت رحمتى ارحم بك من اشاء من عبادى وقال للنار انما انت عذابى اعذب بك من اشاء من عبادى ولكل واحدة منهما ملؤها فاما النار فلا تمتلئ حتى يضع الجبار فيها قدمه فتقول قط قط فهنالك تمتلئ ويزوى بعضها الى بعض ولا يظلم الله عز وجل من خلقه احدا واما الجنة فان الله ينشئ لها خلقا انتهى قال (ع) ومعنى قدمه ما قدم لها من خلقه وجعلهم فى علمه ساكنيها ومنه ان لهم قدم صدق عند ربهم وملاك النظر فى هـذا الحديث ان الجارحة والتشبيه وما جرى مجراه منتف كل ذلك عن الله سبحانه فلم يبق الا اخراج اللفظ على الوجوه السائغة فى كلام العرب وازلفت الجنة معناه قربت ولما احتمل ان يكون معناه بالوعد والاخبار رفع الاحتمال بقوله غير بعيد قال ابو حيان غير بعيد اي مكانا غير بعيد فهو منصوب على الظرف وقيل منصوب على الحال من الجنة انتهى ✲ وقوله سبحانه هذا ما توعدون يحتمل ان يكون معناه يقال لهم فى الآخرة عند ازلاف الجنة هـذا الذى كنتم توعدون به فى الدنيا ويحتمل ان يكون خطابا للامة اي

هذا ما توعدون ايها الناس لكل اواب حفيظ والاواب الرجاع الى الطاعة والى
مراشد نفسه وقال ابن عباس وعطاء الاواب المسبح من قوله يا جبال اوبى معه
وقال المحاسبي هو الراجع بقلبه الى ربه وقال عبيد بن عمير كنا نتحدث انه
الذى اذا قام من مجلسه استغفر الله مما جرى فى ذلك المجلس وكذلك كان
النبي صلى الله عليه وسلم يفعل والحفيظ معناه لاوامر الله فيمتثلها ولنواهيه
فيتركها وقال ابن عباس حفيظ لذنوبه حتى يرجع عنها والمنيب الراجع الى الخير المائل
اليه قال الداودي وعن قتادة بقلب منيب قال مقبل على الله سبحانه انتهى *
وقوله سبحانه ادخلوها اي يقال لهم ادخلوها * وقوله عز وجل لهم ما يشاؤن
فيها ولدينا مزيد خبر بانهم يعطون آمالهم اجمع ثم ابهم تعالى الزيادة التى عنده
للمومنين المنعمين وكذلك هي مبهمة فى قوله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم
من قرة اعين وقد فسر ذلك الحديث الصحيح وهو قوله عليه السلام يقول الله
تعالى اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على
قلب بشر بله ما اطلعتم عليه قال (ع) وقد ذكر الطبري وغيره فى تعيين هذا المزيد
احاديث مطولة واشياء ضعيفة لان الله تعالى يقول فلا تعلم نفس وهم يعينونها
تكلفا وتعسفا * وقوله سبحانه فنقبوا فى البلاد اي ولجوا البلاد من انقابها
طمعا فى النجاة من الهلاك هل من محيص اي لامحيص لهم وقرأ ابن عباس
وغيره فنقِّبوا على الامر لهؤلاء الحاضرين (ت) وعبارة البخاري فنقبوا
ضربوا وقال الداودي وعن ابى عبيدة فنقبوا فى البلاد طافوا وتباعدوا انتهى *
وقوله تعالى ان فى ذلك يعنى اهلاك من مضى لذكرى اي تذكرة والقلب
عبارة عن العقل اذ هو محله والمعنى لمن كان له قلب واع ينتفع به وقال الشبلي
معناه قلب حاضر مع الله لا يغفل عنه طرفة عين * وقوله تعالى او القى السمع
وهو شهيد معناه صرف سمعه الى هذه الانباء الواعظة واثبته فى سماعها وهو

شهيـد قال بعض المتأولين معناه وهو مشاهد مقبل على الامر غير معرض ولا مفكر فى غير ما يسمع (ت) وافظ البخاري او القى السمع اي لا يحدث نفسه بغيره شهيد اي شاهد بالقلب انتهى قال المحاسبي فى رعايته وقد احببت ان احضك على حسن الاستماع لتدرك به الفهم عن الله عز وجل فى كل ما دعاك اليه فانه تعالى اخبرنا فى كتابه ان من استمع كما يحب الله تعالى ويرضى كان له فيما يستمع اليه ذكرى يعنى اتعاظا واذا سمى الله عز وجل لاحد من خلقه شيأ فهو له كما سمى وهو واصل اليه كما اخبر قال عز وجل ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد قال مجاهد شاهد القلب لا يحدث نفسه بشيء ليس بغائب القلب فمن استمع الى كتاب الله عز وجل او الى حكمة او الى علم او الى عظة لا يحدث نفسه بشيء غير ما يستمع اليه قد اشهد قلبه ما استمع اليه يريد الله عز وجل به كان له فيه ذكرى لان الله تعالى قال ذلك فهو كما قال عز وجل انتهى كلام المحاسبي وهو در نفيس فحصله واعمل بـه ترشد وقد وجدناه كما قال وبالله التوفيق * وقوله سبحانـه ولقـد خلقنـا السموات والارض الآية خبر مضمنه الرد على اليهود الذين قالوا ان الله خلق الاشياء كلها ثم استراح يوم السبت فنزلت وما مسنا من لغوب واللغوب الاعياء والنصب * وقوله تعالى فاصبر على ما يقولون اي ما يقوله الكفرة من اهل الكتاب وغيرهم وعم بذلك جميع الاقوال الزائغة من قريش وغيرهم وسبح معناه صل باجماع من المتأولين (ت) وفى الاجماع نظر وقد قال الثعلبي وسبح بحمد ربك اي قل سبحان الله والحمد لله قاله عطاء الخراساني انتهى ولكن المخرج فى الصحيح انما هو امر الصلاة وقال ابن العربي فى احكامه قوله تعالى ومن الليل فسبحـه فيـه اربعة اقوال احدها انه تسبيح الله فى الليل ويعضد هذا القول الحديث الصحيح من تعار من الليل فقال لا اله الا الله الحديث وقد ذكرناه فى سورة المزمل

والثانى صلاة الليل والثالث انها ركعتا الفجر والرابع انها صلاة العشاء الآخرة انتهى * وقوله بحمد ربك الباء للاقتران اي سبح سبحة يكون معها حمد وقبل طلوع الشمس هي الصبح وقبل الغروب هي العصر قاله ابن زيد والناس وقال ابن عباس الظهر والعصر ومن الليل هي صلاة العشائين وقال ابن زيد هي العشاء فقط وقال مجاهد هي صلاة الليل * وقوله وادبار السجود قال عمر بن الخطاب وجماعة هي الركعتان بعد المغرب واسنده الطبري عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (ع) كانه روعي ادبار صلاة النهار كما روعي ادبار النجوم فى صلاة الليل وقال ابن عباس ايضا وابن زيد ومجاهد هي النوافل اثر الصلوات وهذا جارٍ مع لفظ الآية وقرأ نافع وابن كثير وحمزة وادبار بكسر الهمزة وهو مصدر وقرأ الباقون بفتحها وهو جمع دبر كطنب واطناب اي وفى ادبار السجود اي فى اعقابه * وقوله سبحانه واستمع يوم يناد المنادى من مكان قريب واستمع بمنزلة وانتظر وانما الآية فى معنى الوعيد للكفار وهذا كما تقول لمن تعده بورود فتح استمع كذا وكذا اي كن منتظرا له مستمعا له فعلى هذا فنصب يوم انما هو على المفعول الصريح * وقوله سبحانه من مكان قريب قيل وصفه بالقرب من حيث يسمع جميع الخلق وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان ملكا ينادى من السماء ايتها الاجسام الهامدة والعظام البالية والرمم الذاهبة هلمى الى الحشر والوقوف بين يدي الله عز وجل والصيحة هي صيحة المنادى والخروج هو من القبور ويومه هو يوم القيامة ويوم الخروج فى الدنيا هو يوم العيد * وقوله تعالى ذلك حشر علينا يسير معادل لقول الكفرة ذلك رجع بعيد * وقوله سبحانه نحن اعلم بما يقولون وعيد محض للكفرة * وقوله سبحانه وما انت عليهم بجبار قال الطبري وغيره معناه وما انت عليهم بمسلط تجبرهم على الايمان وقال قتادة هو نهي من الله تعالى عن التجبر والمعنى

وما انت عليهم بمتعظم من الجبروت وروى ابن عباس ان المومنين قالوا يا رسول الله لو خوفتنا فنزلت فذكر بالقرءان من يخاف وعيدى



تفسير سورة والذاريات وهي مكية باجماع المفسرين

* بسم الله الـرحمن الرحيم *

قوله عز وجل والذاريات ذروا الآية اقسم الله عز وجل بهذه المخلوقات تنبيها عليها وتشريفا لها ودلالة على الاعتبار فيها حتى يصير الناظر فيها الى توحيد الله عز وجل فقوله والذاريات هي الرياح باجماع وذروا نصب على المصدر والحاملات وقرا قال علي هي السحاب وقال ابن عباس وغيره هي السفن الموقورة بالناس وامتعتهم وقال جماعة من العلماء هي ايضا مع هذا جميع الحيوان الحامل وفى جميع ذلك معتبر والجاريات يسرا قال علي وغيره هي السفن فى البحر وقال ءاخرون هي السحاب وقال ءاخرون هي الكواكب قال (ع) واللفظ يقتضى جميع هذا ويسرا نعت لمصدر محذوف وصفات المصادر المحذوفة تعود احوالا ويسرا معناه بسهولة والمقسمات امرا الملائكة والامر هنا اسم جنس فكانه قال والجماعات التى تقسم امور الملكوت من الارزاق والآجال والخلق فى الارحام وامر الرياح والجبال وغير ذلك لان كل هذا انما هو بملائكة تخدمه وانث المقسمات من حيث اراد الجماعات وهذا القسم واقع على قوله انما توعدون لصادق الآية وتوعدون يحتمل ان يكون من الوعد ويحتمل ان يكون من الايعاد وهو اظهر والدين الجزاء

وقال مجاهد الحساب ثم اقسم تعالى بمخلوق آخر فقال والسماء ذات الحبك والحبك الطرائق التي هي على نظام فى الاجرام ويقال لما تراه من الطرائق فى الماء والرمال اذا اصابته الريح حبك ويقال لتكسر الشعر حبك وكذلك فى المنسوجات من الاكسية وغيرها طرائق فى موضع تداخل الخيوط هي حبك وذلك لجودة خلقة السماء ولذلك فسرها ابن عباس وغيره بذات الخلق الحسن وقال الحسن حبكها كواكبها * وقوله سبحانه انكم لفي قول مختلف يحتمل ان يكون خطابا لجميع الناس اي منكم مومن بمحمد ومنكم مكذب له وهو قول قتادة ويحتمل ان يكون خطابا للكفرة فقط لقول بعضهم شاعر وبعضهم كاهن وبعضهم ساحر الى غير ذلك وهذا قول ابن زيد ويوفك معناه يصرف اي يصرف من الكفار عن كتاب الله من صرف ممن غلبت عليه شقاوته وعرف الاستعمال فى افك انما هو فى الصرف من خير الى شر * وقوله تعالى قتل الخراصون دعاء عليهم كما تقول قاتلك الله وقال بعض المفسرين معناه لعن الخراصون وهذا تفسير لا يعطيه اللفظ (ت) والظاهر ما قاله هذا المفسر قال عياض فى الشفا وقد يقع القتل بمعنى اللعن قال الله تعالى قتل الخراصون وقاتلهم الله انى يوفكون اي لعنهم الله انتهى وقد تقدم للشيخ عند قوله تعالى عليهم دائرة السوء قال كل ما كان بلفظ دعاء من جهة الله عز وجل فانما هو بمعنى ايجاب الشيء لان الله تعالى لا يدعو على مخلوقاته انتهى بلفظه وظاهره مخالف لما هنا وسيبينه فى سورة البروج والخراص المخمن القائل بظنه والاشارة الى مكذبي النبي صلى الله عليه وسلم والغمرة ما يغشى الانسان ويغطيه كغمرة الماء وساهون معناه عن وجوه النظر * وقوله تعالى يسئلون ايان يوم الدين اي يوم الجزاء وذلك منهم على جهة الاستهزاء * وقوله يوم هم على النار يفتنون قال الزجاج التقدير هو كائن يوم هم على النار يفتنون ويفتنون معناه يحرقون ويعذبون فى النار قاله ابن عباس والناس

وفتنت الذهب احرقته وذوقوا فتنتكم اي حرقكم وعذابكم قاله قتادة وغيره * ان المتقين فى جنات وعيون الآية روى الترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يبلغ العبد ان يكون من المتقين حتى يدع ما لا باس به حذرا لما به الباس قال ابو عيسى هذا حديث حسن انتهى وقوله سبحانه فى المتقين ءاخذين ما ءاتاهم ربهم اي محصلين ما اعطاهم ربهم سبحانه من جناته ورضوانه وانواع كراماته انهم كانوا قبل ذلك يريد فى الدنيا محسنين بالطاعات والعمل الصالح (ت) وروى الترمذي عن سعد بن ابى وقاص عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لوان ما يقل ظفر مما فى الجنة بدا لتزخرف له ما بين خوافق السموات والارض ولوان رجلا من اهل الجنة اطلع فبدا اساوره لطمس ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم انتهى ومعنى قوله كانوا قليلا من الليل ما يهجعون ان نومهم كان قليلا لاشتغالهم بالصلاة والعبادة والهجوع النوم وقد قال الحسن فى تفسير هذه الآية كابدوا قيام الليل لا ينامون منه الا قليلا واما اعراب الآية فقال الضحاك فى كتاب الطبري ما يقتضى ان المعنى كانوا قليلا فى عددهم وتم خبر كان ثم ابتدأ من الليل ما يهجعون فما نافية وقليلا وقف حسن وقال جمهور النحويين ما مصدرية وقليلا خبر كان والمعنى كانوا قليلا من الليل هجوعهم وعلى هذا الاعراب يجيء قول الحسن وغيره وهو الظاهر عندى ان المراد كان هجوعهم من الليل قليلا قيل لبعض التابعين مدح الله قوما كانوا قليلا من الليل ما يهجعون ونحن قليلا من الليل ما نقوم فقال رحم الله امرأ رقد اذا نعس واطاع ربه اذا استيقظ * وقوله تعالى وبالاسحارهم يستغفرون قال الحسن معناه يدعون فى طلب المغفرة ويروى ان ابواب الجنة تفتح سحر كل ليلة قال ابن زيد السحر السدس الآخر من الليل والباء فى قوله بالاسحار بمعنى فى قاله ابو البقاء انتهى ومن كلام الجوزي فى المنتخب يا

اخى علامة المحبة طلب الخلوة بالحبيب وبيداء الليل فلوات الخلوات لما ستروا قيام الليل فى ظلام الدجى غيرة ان يطلع الغير عليهم سترهم سبحانه بستر فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين لما صفت خلوات الدجى ونادى اذان الوصال اقم فلانا وانم فلانا خرجت بالاسماء الجرائد * وفاز الاحباب بالفوائد * وانت غافل راقد * ٠اه لو كنت معهم اسفا لك لو رأيتهم لأبصرت طلائع الصديقين فى اول القوم وشاهدت ساقة المستغفرين فى الركب وسمعت استغاثة المحبين فى وسط الليل لو رأيتهم يا غافل وقد دارت كئوس المناجات * بين مزاهر التلاوات * فاسكرت قلب الواجد ورقمت فى مصاحف الوجنات * تعرفهم بسياهم يا طويل النوم فاتتك مدحة تتجافى وحرمت منحة والمستغفرين يا هذا ان الله تعالى ريحا تسمى الصبيحة مخزونة تحت العرش تهب عند الاسحار * فتحمل الدعاء والانين والاستغفار * الى حضرة العزيز الجبار * انتهى * وفى اموالهم حق الآية الصحيح انها محكمة وان هذا الحق هو على وجه الندب ومعلوم يراد به متعارف وكذلك قيام الليل الذى مدح به ليس من الفرائض واكثر ما تقع الفضيلة بفعل المندوبات والمحروم هو الذى تبعد عنه ممكنات الرزق بعد قربها منه فيناله حرمان وفاقة وهو مع ذلك لا يسئل فهذا هو الذى له حق فى اموال الاغنياء كما للسائل حق وما وقع من ذكر الخلاف فيه فيرجع الى هذا وبعد هذا محذوف تقديره فكونوا ايها الناس مثلهم وعلى طريقهم وفى الارض ٠ايات لمن اعتبر وايقن * وقوله سبحانه وفى انفسكم احالة على النظر فى شخص الانسان وما فيه من العبر وامر النفس وحياتها ونطقها واتصال هذا الجزء منها بالعقل قال ابن زيد انما القلب مضغة فى جوف ابن ٠ادم جعل الله فيه العقل افيدرى احد ما ذلك العقل وما صفته وكيف هو (ت) قال ابن العربي فى رحلته اعلم ان معرفة

العبد نفسه من اولى ما عليه و‌آكده اذ لا يعرف ربه الا من عرف نفسه قال تعالى وفى انفسكم افلا تبصرون وغير ما آية فى ذلك ثم قال ولا ينكر عاقل وجود الروح من نفسه وان كان لم يدرك حقيقته كذلك لا يقدر ان ينكر وجود البارى سبحانه الذى دلت افعاله عليه وان لم يدرك حقيقته انتهى * وقوله سبحانه وفى السماء رزقكم قال مجاهد وغيره هو المطر وقال واصل الاحدب اراد القضاء والقدر اي الرزق عند الله ياتى به كيف شاء سبحانه لا رب غيره وتوعدون يحتمل ان يكون من الوعد ويحتمل ان يكون من الوعيد قال الضحاك المراد من الجنة والنار وقال مجاهد المراد الخير والشر وقال ابن سيرين المراد الساعة ثم اقسم سبحانه بنفسه على صحة هذا القول والخبر وشبهه فى اليقين به بالنطق من الانسان وهو عنده فى غاية الوضوح وما زائدة تعطى تاكيدا والنطق فى هذه الآية هو الكلام بالحروف والاصوات فى ترتيب المعانى وروي ان بعض الاعراب الفصحاء سمع هذه الآية فقال من احوج الكريم الى ان يحلف والحكاية بتمامها فى كتاب الثعلبي وسبل الخيرات وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال قاتل الله قوما اقسم لهم ربهم بنفسه فلم يصدقوه وروى ابو سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لو فر احدكم من رزقه لتبعه كما يتبعه الموت واحاديث الرزق كثيرة ومن كتاب القصد الى الله سبحانه للمحاسبي قال قلت لشيخنا من اين وقع الاضطراب فى القلوب وقد جاءها الضمان من الله عز وجل قال من وجهين احدهما قلة المعرفة بحسن الظن والقاء التهم عن الله عز وجل والوجه الثانى ان يعارضها خوف الفوت فتستجيب النفس للداعى ويضعف اليقين ويعدم الصبر فيظهر الجزع قلت شيء غير هذا قال نعم ان الله عز وجل وعد الارزاق وضمن وغيب الاوقات ليختبر اهل العقول ولو لا ذلك لكان كل المومنين راضين صابرين متوكلين لكن الله عز وجل اعلمهم انه

رازقهم وحلف لهم على ذلك وغيب عنهم اوقات العطاء فمن هاهنا عرف الخاص من العام وتفاوت العباد فى الصبر والرضا واليقين والتوكل والسكون فمنهم كما علمت ساكن ومنهم متحرك ومنهم راض ومنهم ساخط ومنهم جزع فعلى قدر ما تفاوتوا فى المعرفة تفاوتوا فى اليقين وعلى قدر ما تفاوتوا فى اليقين تفاوتوا فى السكون والرضا والصبر والتوكل اه * وقوله سبحانه هل اتاك حديث ضيف ابراهيم الآية قد تقدم قصصها وعليم اي عالم وهو اسحاق عليه السلام (ت) ولنذكر هنا شيأ من الآثار فى آداب الطعام قال النووي روى ابن السني بسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول فى الطعام اذا قرب اليه اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وقنا عذاب النار بسم الله انتهى وفى صحيح مسلم عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل الرجل بيته فذكر الله تعالى عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان لا مبيت لكم ولا عشاء واذا دخل فلم يذكر الله تعالى عند دخوله قال الشيطان ادركتم المبيت واذا لم يذكر الله تعالى عند طعامه قال ادركتم المبيت والعشاء وفى صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الشيطان يستحل الطعام ان لا يذكر اسم الله عليه الحديث انتهى والصرة الصيحة كذا فسره ابن عباس وجماعة قال الطبري عن بعضهم قالت اوّهْ بصياح وتعجب وقال النحاس فى صرة فى جماعة نسوة * وقوله فصكت وجهها معناه ضربت وجهها استهوالا لما سمعت وقال سفيان وغيره ضربت بكفها جبهتها وهذا مستعمل فى الناس حتى الآن وقولهم كذلك قال ربك اي كقولنا الذى اخبرناك * وقوله تعالى حجارة من طين بيان يخرج عن معتاد حجارة البرَد التى هي من ماء ويروى انه طين طبخ فى نار جهنم حتى صار حجارة كالآجر ومسومة نعت لحجارة ثم اخبر تعالى انه اخرج بامره من كان فى قرية لوط من المومنين منجيا لهم واعاد الضمير على القرية وان لم يجر لها قبل ذلك ذكر لشهرة

امرها قال المفسرون لا فرق بين تقدم ذكر المومنين وتأخره وانما هما وصفان ذكرهم اولا باحدهما ثم ٠اخرا بالثانى قيل فالآية دالة على ان الايمان هو الاسلام قال (ع) ويظهر لى ان فى المعنى زيادة تحسن التقديم للايمان وذلك انه ذكره مع الاخراج من القرية كانه يقول نفذ امرنا باخراج كل مومن ولا يشترط فيه ان يكون عاملا بالطاعات بل التصديق بالله فقط ثم لما ذكرحال الموجودين ذكرهم بالصفة التى كانوا عليها وهي الكاملة التصديق والاعمال والبيت من المسلمين هو بيت لوط عليه السلام وكان هو وابنتاه وفى كتاب الثعلبي وقيل لوط واهل بيته ثلاثة عشر وهلكت امرأته فيمن هلك وهذه القصة ذكرت على جهة ضرب المثل لقريش وتحذيرا ان يصيبهم مثل ما اصاب هؤلاء * وقوله وتركنا فيها اي فى القرية وهي سدوم ٠اية قال ابو حيان وفى موسى اي وفى قصة موسى انتهى * وقوله سبحانه فى فرعون فتولى بركنه اي اعرض عن امر الله وركنه هو سلطانه وجنده وشدة امره وقول فرعون فى موسى ساحر او مجنون هو تقسيم ظن ان موسى لابد ان يكون احد هذين القسمين وقال ابو عبيدة او هنا بمعنى الواو وهذا ضعيف لا داعية اليه فى هذا الموضع * وقوله ما تذر من شيء اتت عليه اي ما تدع من شيء اتت عليه مما اذن لها فى اهلاكه الاجعلته كالرميم وهو الفانى المتقطع يبسا او قدما من الاشجار والورق والعظام وروي فى حديث ان تلك الريح كانت تهب على الناس فيهم العاديّ وغيره فتنتزع العادي من بين الناس وتذهب به * وقوله سبحانه وفى ثمود اذ قيل لهم تمتعوا اي اذ قيل لهم فى اول بعث صالح وهذا قول الحسن ويحتمل اذ قيل لهم بعد عقر الناقة تمتعوا فى د ركم ثلاثة ايام وهو قول الفراء * وقوله فاخذتهم الصاعقة وهم ينظرون اي يبصرون بعيونهم وهذا قول الطبري ويحتمل ان يريد وهم ينتظرون فى تلك الايام الثلاثة وهذا قول مجاهد * فما استطاعوا من

قيام اي من مصارعهم قاله بعض المفسرين وقال قتادة وغيره معناه من قيام بالامر النازل بهم ولا دفعه عنهم * وقوم نوح بالنصب وهو عطف اما على الضمير فى قوله فاخذتهم اذ هو بمنزلة اهلكتهم واما على الضمير فى قوله فنبذناهم * وقوله والسماء نصب باضمار فعل تقديره وبنينا السماء بنيناها والايد القوة قاله ابن عباس وغيره وانا لموسعون اي فى بناء السماء اي جعلناها واسعة قاله ابن زيد ابو البقاء فنعم الماهدون اي نحن فحذف المخصوص انتهى * وقوله سبحانه ومن كل شيء خلقنا زوجين قال مجاهد معناه ان هذه اشارة الى المتضادات والمتقابلات من الاشياء كالليل والنهار والشقاوة والسعادة والهدى والضلال والسماء والارض والسواد والبياض والصحة والمرض والايمان والكفر ونحو هذا ورجحه الطبري بانه ادل على القدرة التى توجد الضدين وقال ابن زيد وغيره هي اشارة الى الانثى والذكر من كل حيوان (ت) والاول احسن لشموله لما ذكره ابن زيد * وقوله سبحانه ففروا الى الله الآية امر بالدخول فى الايمان وطاعة الرحمن ونبه بلفظ الفرار على ان وراء الناس عقابا وعذابا يفر منه فجمعت لفظة فروا بين التحذير والاستدعاء (ت) واسند ابو بكر احمد بن الحسين البيهقي فى دلائل النبوءة تصنيفه عن كثير بن عبد الله عن ابيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فى المسجد فسمع كلاما من زاويته واذا هو بقائل يقول اللهم اعنى على ما ينجيني مما خوفتني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمع ذلك الا تضم اليها اختها فقال الرجل اللهم ارزقني شوق الصادقين الى ما شوقتهم اليه وفيه فذهبوا ينظرون فاذا هو الخضر عليه السلام انتهى مختصرا * وقوله تعالى كذلك اي سيرة الامم كذلك قال عياض فهذه الآية ونظائرها تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم عزاه الله عز وجل بما اخبر به عن الامم السالفة ومقالها لانبيائها وانه ليس اول من

لقي ذلك انتهى من الشفا * وقوله سبحانه اتواصوا به توقيف وتعجيب من توارد نفوس الكفرة فى تكذيب الانبياء على تفرق ازمانهم اي لم يتواصوا لكنهم فعلوا فعلا كانه فعل من تواصى والعلة فى ذلك ان جميعهم طاغ والطاغى المستعلى فى الارض المفسد * وقوله تعالى فتول عنهم اي عن الحرص المفرط عليهم وذهاب النفس حسرات ولست بملوم اذ قد بلغت وذكر فان الذكرى نافعة للمومنين ولمن قضي له ان يكون منهم * وقوله سبحانه وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون قال ابن عباس وعلي المعنى ما خلقت الجن والانس الا لآمرهم بعبادتى وليقروا لى بالعبودية وقال زيد بن اسلم وسفيان هذا خاص والمراد ما خلقت الطائعين من الجن والانس الا لعبادتى ويؤيد هذا التاويل ان ابن عباس روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قرأ وما خلقت الجن والانس من المومنين الا ليعبدون وقال ابن عباس ايضا معنى ليعبدون ليتذللوا لى ولقدرتى وان لم يكن ذلك على قوانين شرع وعلى هذا التاويل فجميعهم من مومن وكافر متذلل لله عز وجل الا تراهم عند القحوط والامراض وغير ذلك كيف يخضعون لله ويتذللون (ت) قال الفخر فان قيل ما العبادة التى خلق الله الجن والانس لها قلنا التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله فان هذين النوعين لم يخل شرع منهما واما خصوص العبادات فالشرائع مختلفة فيها بالوضع والهيئة والقلة والكثرة والزمان والمكان والشرائط والاركان انتهى ونقل الثعلبي وغيره عن مجاهد الا ليعبدون اي ليعرفونى قال صاحب الكلم الفارقية المعرفة بالله تملأ القلب مهابة ومخافة والعين عَبرة وعِبرة وحياء وخجلة والصدر خشوعا وحرمة والجوارح استكانة وذلة وطاعة وخدمة واللسان ذكرا وحمدا والسمع اصغاء وتفهما والخواطر فى مواقف المناجات خمودا والوساوس اضمحلالا انتهى * وقوله سبحانه ما اريد منهم من رزق اي ان يرزقوا انفسهم ولا غيرهم *

وقوله ان يطعمون اي ان يطعموا خلق قاله ابن عباس ويحتمل ان يريد ان ينفعونى والمتين الشديد (ت) وروينا فى كتاب الترمذي عن ابى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل يقول يا بن ءادم تفرغ لعبادتى املأصدرك غنى واسد فقرك والاتفعل ملأت يدك شغلا ولم اسد فقرك قال ابو عيسى هذا حديث حسن وروينا فيه عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كانت الآخرة همه جعل الله غناه فى قلبه وجمع له شمله واتته الدنيا وهي راغمة ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه وفرق عليه شمله ولم ياته من الدنيا الاما قدر له انتهى * وقوله سبحانه فان للذين ظلموا يريد اهل مكة والذَّنوب الحظ والنصيب واصله من الدلو وذلك ان الذنوب هو ملء الدلو من الماء وكذا قال ابو حيان ذنوبا اي نصيبا انتهى واصحابهم يراد بهم من تقدم من الامم المعذبة وباقى الآية وعيد بين

تفسير سورة والطور وهي مكية باجماع

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله عز وجل والطور وكتاب مسطور الآية هذه مخلوقات اقسم الله عز وجل بها تنبيها على النظر والاعتبار بها المؤدى الى توحيد الله والمعرفة بواجب حقه سبحانه قال بعض اللغويين كل جبل طور فكانه سبحانه اقسم بالجبال وقال ءاخرون الطور كل جبل اجرد لا ينبت شجرا وقال نوف البكالي المراد هنا جبل طور سيناء وهو الذى اقسم الله به لفضله على الجبال والكتاب المسطور معناه باجماع المكتوب

اسطارا واختلف الناس فى هذا الكتاب المقسم بـه فقال بعض المفسرين هو الكتاب المنتسخ من اللوح المحفوظ للملائكة لتعرف منه جميع ما تفعله وتصرفه فى العالم وقيل هو القرءان اذ قـد علم تعالى انـه يتخلد فى رق منشور وقيل هو الكتب المنزلة وقيل هو الكتاب الذى فيه اعمال الخلق وهو الذى لا يغادر صغيرة ولا كبيرة والرق الورق المعدة للكتب وهي مرققة فلذلك سميت رقا وقد غلب الاستعمال على هذا الذى هو من جلود الحيوان والمنشور خلاف المطوي والبيت المعمور هو الذى ذكر فى حديث الاسراء قال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم هذا البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون الف ملك لا يعودون اليه ٠اخر ما عليهم وبهذا هي عمارته وهو فى السماء السابعة وقيل فى السادسة وقيل انه مقابل للكعبة لو وقع حجر منه لوقع على ظهر الكعبة وقال مجاهد وقتادة وابن زيد فى كل سماء بيت معمور وفى كل ارض كذلك وهي كلها على خط من الكعبـة وقاله علي بن ابى طالب قال السهيلي والبيت المعمور اسمه عريبـا قال وهب بن منبـه من قال سبحان الله وبحمده كان له نور يملأ ما بين عريبـا وحريبـا وهي الارض السابعـة انتهى والسقف المرفوع هو السماء واختلف النـاس فى البحر المسجور فقال مجاهـد وغيره الموقـد نارا وروي ان البحر هو جهنم وقال قتادة المسجور المملوء وهذا معروف من اللغة ورجحه الطبري وقال ابن عبـاس هـو الذى ذهب مـاؤه فالمسجور الفارغ وروي ان البحار يذهب ماؤها يوم القيامة وهذا معروف فى اللغة فهو من الاضداد وقيل يوقد البحر نارا يوم القيامة فذلك سجره وقال ابن عباس ايضا المسجور المحبوس ومنه ساجور الكلب وهي القلادة من عود او حديد تمسكـه وكذلك لولا ان البحـر يمسك لفاض على الارض والجمهور على انه بحر الدنيا وقال منذر بن سعيد المقسم به جهنم وسماها بحرا لسعتها وتموجها كما قال صلى الله عليه وسلم فى الفرس وان وجـدناه

لبحرا والقسم واقع على قوله ان عذاب ربك لواقع يريد عذاب الآخرة واقع للكافرين قاله قتادة قال الشيخ عبد الحق فى العاقبة ويروى ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه سمع قارئا يقرأ والطور وكتاب مسطور قال هذا قسم حق فلما بلغ القارئ الى قوله عز وجل ان عذاب ربك لواقع ظن ان العذاب قد وقع به فغشي عليه انتهى وتمور معناه تذهب وتجيء بالرياح متقطعة متفتتة وسير الجبال هو فى اول الامر ثم تتفتت حتى تصير ءاخرا كالعهن المنفوش ويدعون قال ابن عباس وغيره معناه يدفعون فى اعناقهم بشدة واهانة وتعتعة ومنه يدع اليتيم وفى الكلام محذوف تقديره يقال لهم هذه النار التى كنتم بها تكذبون توبيخا وتقريعا لهم ثم وقفهم سبحانه بقوله افسحر هذا الآية ثم قيل لهم على جهة قطع رجائهم اصبروا او لا تصبروا سواء عليكم اي عذابكم حتم فسواء جزعكم وصبركم لابد من جزاء اعمالكم * وقوله سبحانه ان المتقين فى جنات ونعيم الآية يحتمل ان يكون من خطاب اهل النار فيكون اخبارهم بذلك زيادة فى غمهم وسوء حالهم نعوذ بالله من سخطه ويحتمل وهو الاظهر ان يكون اخبارا للنبي صلى الله عليه وسلم ومعاصريه لما فرغ من ذكر عذاب الكفار عقب بذكر نعيم المتقين جعلنا الله منهم بفضله ليبين الفرق ويقع التحريض على الايمان والمتقون هنا متقوا الشرك لانهم لابد من مصيرهم الى الجنات وكلما زادت الدرجة فى التقوى قوي الحصول فى حكم الآية حتى ان المتقين على الاطلاق هم فى هذه الآية قطعا على الله تعالى بحكم خبره الصادق وقرأ جمهور الناس فاكهين ومعناه فرحين مسرورين وقال ابو عبيدة هو من باب لابن وتامر اي لهم فاكهة قال (ع) والمعنى الاول ابرع وقرأ خالد فيما روى ابو حاتم فكهين والفكه والفاكه المسرور المتنعم * وقوله تعالى بما ءاتاهم ربهم اي من انعامه ورضاه عنهم * وقوله تعالى ووقاهم ربهم عذاب الجحيم هذا متمكن فى متقي المعاصي الذى لا يدخل

النار ووقاهم مشتق من الوقاية وهي الحائل بين الشيء وبين ما يضره * وقوله كلوا واشربوا اي يقال لهم كلوا واشربوا وهنيئا نصب على المصدر * وقوله بما كنتم تعملون معناه ان رتب الجنة ونعيمها بحسب الاعمال واما نفس دخولها فهو برحمة الله وفضله واعمال العباد الصالحات لا توجب على الله تعالى التنعيم ايجابا لكنه سبحانه قد جعلها امارة على من سبق فى علمه تنعيمه وعلق الثواب والعقاب بالتكسب الذى فى الاعمال والحور جمع حوراء وهي البيضاء القوية بياض بياض العين وسواد سوادها والعين جمع عيناء وهي كبيرة العنيين مع جمالهما وفى قراءة ابن مسعود والنخعي وزوجناهم بعيس عين قال ابو الفتح العيساء البيضاء * وقوله سبحانه والذين ءامنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذرياتهم اختلف فى معنى الآية فقال ابن عباس وابن جبير والجمهور اخبر الله تعالى ان المومنين الذين اتبعتهم ذريتهم فى الايمان يلحق الابناء فى الجنة بمراتب الآباء وان لم يكن الابناء فى التقوى والاعمال كالآباء كرامة للآباء وقد ورد فى هذا المعنى حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم فجعلوا الحديث تفسير اللآية وكذلك وردت احديث تقتضى ان الله تعالى يرحم الآباء رعيا للابناء الصالحين وقال ابن عباس ايضا والضحاك معنى الآية ان الله تعالى يلحق الابناء الصغار باحكام الآباء المومنين يعنى فى الموارثة والدفن فى مقابر المسلمين وفى احكام الآخرة فى الجنة وقال منذر بن سعيد هي فى الصغار لا فى الكبار قال (ع) وارجح الاقوال فى هذه الآية القول الاول لان الآيات كلها فى صفة احسان الله تعالى الى اهل الجنة فذكر من جملة احسانه سبحانه انه يرعى المحسن فى المسيء ولفظة الحقنا تقتضى ان للملحق بعض التقصير فى الاعمال (ت) واظهر من هذا ما اشار اليه الثعلبي فى بعض انقاله ان الله تعالى يجمع لعبده المومن ذريته فى الجنة كما كانوا فى الدنيا

انتهى ولم يتعرض لذكر الدرجات فى هذا التاويل وهو احسن لانه قد تقرر ان رفع الدرجات هي باعمال العاملين والآيات والاحاديث مصرحة بذلك ولما يلزم على التاويل الاول ان يكون كل من دخل الجنة مع ءادم عليه السلام فى درجة واحدة اذ هم كلهم ذريته وقد فتحت لك بابا للبحث فى هذا المعنى منعني من اتمامه ما قصدته من الاختصار وبالله التوفيق * وقوله وما التناهم اي نقصناهم ومعنى الآية ان الله سبحانه يلحق الابناء بالآباء ولا ينقص الآباء من اجورهم شيأ وهذا تاويل الجمهور ويحتمل ان يريد من عمل الابناء من شيء من حسن او قبيح وهذا تاويل ابن زيد ويؤيده قوله سبحانه كل امرئ بما كسب رهين والرهين المرتهن وفى هذه الالفاظ وعيد وامددت الشيء اذا سرّبت اليه شيأ آخر يكثره او يكثر لديه * وقوله مما يشتهون اشارة الى ما روي من ان المنعم اذا اشتهى لحما نزل ذلك الحيوان بين يديه على الهيئة التى اشتهاه فيها وليس يكون فى الجنة لحم يحتز ولا يتكلف فيه الذبح والسلخ والطبخ وبالجملة لا كلفة فى الجنة ويتنازعون معناه يتعاطون ومنه قول الاخطل

نازعته طيب الراح الشمول وقد * صاح الدجاج وحانت وقعة السارى

قال الفخر ويحتمل ان يقال التنازع التجاذب وحينئذ يكون تجاذبهم تجاذب ملاعبة لا تجاذب منازعة وفيه نوع لذة وهو بيان لما عليه حال الشرّاب فى الدنيا فانهم يتفاخرون بكثرة الشرب ولا يتفاخرون بكثرة الاكل انتهى والكأس الاناء فيه الشراب ولا يقال فى فارغ كأس قاله الزجاج واللغو السقط من القول والتاثيم يلحق خمر الدنيا فى نفس شربها وفى الافعال التى تكون من شاربيها وذلك كله منتف فى الآخرة (ت) قال الثعلبي وقال ابن عطاء اي لغو يكون فى مجلس محله جنة عدن والساقى فيه الملائكة وشربهم على ذكر الله وريحانهم تحية من عند الله والقوم

اضياف الله * ولا تاثيم اي فعل يؤثمهم وهو تفعيل من الاثم اي لا ياثمون فى شربها انتهى واللؤلؤ المكنون اجمل اللؤلؤ لان الصون والكن يحسنه قال ابن جبير اراد الذى فى الصدف لم تنله الايدى وقيل للنبي صلى الله عليه وسلم اذا كان الغلمان كاللؤلؤ المكنون فكيف المخدومون قال هم كالقمر ليلة البدر (ت) وهذا تقريب للافهام والاجمال اهل الجنة اعظم من هذا يدل على ذلك احاديث صحيحة ففى صحيح مسلم من حديث ابى هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اول زمرة يدخلون الجنة وفى رواية من امتى على صورة القمر ليلة البدر ثم الذين يلونهم على اشد كوكب دري فى السماء اضاءة وفى رواية ثم هم بعد ذلك منازل الحديث وفى صحيح مسلم ايضا عن النبي صلى الله عليه وسلم ان فى الجنة لسوقا ياتونها كل جمعة فتهب ريح الشمال فتحثو فى وجوههم وثيابهم ويزدادون حسنا وجمالا فيقول لهم اهلوهم والله لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا فيقولون وانتم والله لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا انتهى وقد اشار الغزالي وغيره الى طرف من هذا المعنى لما تكلم على رؤية العارفين لله سبحانه فى الآخرة قال بعد كلام ولا يبعد ان تكون الطاف الكشف والنظر فى الآخرة متوالية الى غير نهاية فلا يزال النعيم واللذة متزايدا ابد الآباد وللشيخ ابى الحسن الشاذلي هنا كلام حسن قال لو كشف عن نور المومن لعبد من دون الله ولو كشف عن نور المومن العاصى لطبق السماء والارض فكيف بنور المومن المطيع نقل كلامه هذا ابن عطاء الله وابن عباد انظره ثم وصف تعالى عنهم انهم فى جملة تنعمهم يتساءلون اي عن احوالهم وما نال كل واحد منهم وانهم يتذكرون حال الدنيا وخشيتهم عذاب الآخرة والاشفاق اشد الخشية ورقة القلب والسموم الحار وندعوه يحتمل ان يريد الدعاء على بابه ويحتمل ان يريد نعبده وقرأ نافع والكسائي انه

بفتح الهمزة والباقون بكسرها والبر الذى يبر ويحسن * وقوله سبحانه فذكر امر لنبيه عليه السلام بادامة الدعاء الى الله عز وجل ثم قال مونسا له فما انت بانعام الله عليك ولطفه بك كاهنٌ ولامجنون * وقوله سبحانه ام يقولون اي بل يقولون شاعر الآية روي ان قريشا اجتمعت فى دار الندوة فكثرت آراؤهم فى النبي صلى الله عليه وسلم حتى قال قائل منهم تربصوا به ريب المنون اي حوادث الدهر فيهلك كما هلك من قبله من الشعراء زهير والنابغة والاعشى وغيرهم فافترقوا على هذه المقالة فنزلت الآية فى ذلك والتربص الانتظار والمنون من اسماء الموت وبه فسر ابن عباس وهو ايضا من اسماء الدهر وبه فسر مجاهد والريب هنا الحوادث والمصائب ومنه قوله صلى الله عليه وسلم انما فاطمة بضعة مني يريبني ما رابها الحديث * وقوله قل تربصوا وعيد فى صيغة امر * وقوله سبحانه ام تامرهم احلامهم بهذا الاحلام العقول وقوله بهذا يحتمل ان يشير الى هذه المقالة هو شاعر ويحتمل ان يشير الى ما هم عليه من الكفر وعبادة الاصنام وتقوله معناه قال عن الغير انه قاله فهي عبارة عن كذب مخصوص ثم عجزهم سبحانه بقوله فلياتوا بحديث مثله والضمير فى مثله عائد على القرءان * وقوله ان كانوا صادقين (ت) اي فى ان محمدا تقوله قاله الثعلبي * وقوله سبحانه ام خلقوا من غير شيء قال الثعلبي قال ابن عباس من غيراب ولا ام فهم كالجماد لا يعقلون ولا تقوم لله عليهم حجة اليسوا خلقوا من نطفة وعلقة وقال ابن كيسان ام خلقوا عبثا وتركوا سدى من غير شيء اي لغير شيء لا يومرون ولا ينهون ام هم الخالقون لانفسهم فلا ياتمرون لامر الله انتهى وعبر (ع) عن هذا بان قال وقال ءاخرون معناه ام خلقوا لغير علة ولا لغاية عقاب وثواب فهم لذلك لا يسمعون ولا يتشرعون (ت) وقد يحتمل ان يكون المعنى ام خلقوا من غير شيء خلقهم اي من غير موجد اوجدهم ويدل عليه مقابلته بقوله ام هم

الخالقون وهكذا قال الغزالي فى الاحياء قال وقوله عز وجل ام خلقوا من غير شيء اي من غير خالق انتهى بلفظه من كتاب «اداب التلاوة قال الغزالي ولا يتوهم ان الآية تدل انه لا يخلق شيء الا من شيء انتهى وقال الفخر قوله تعالى من غير شيء فيه وجوه المنقول منها ام خلقوا من غير خالق وقيل ام خلقوا لا لغير شيء عبثا وقيل ام خلقوا من غير اب وام انتهى واحسنها الاول كما قال الغزالي والله اعلم بما اراد سبحانه وفى الصحيح عن جبير بن مطعم قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ فى المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآية ام خلقوا من غير شيء ام هم الخالقون الى قوله المصيطرون كاد قلبي ان يطير وفى رواية وذلك اول ما وقر الايمان فى قلبي انتهى واسند ابو بكر بن الخطيب فى تاريخه عن جبير بن مطعم قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى فداء اهل بدر فسمعته يقرأ فى المغرب بالطور فكانما تصدع قلبي حين سمعت القران انتهى * وقوله سبحانه ام عندهم خزائن ربك بمنزلة قوله ام عندهم الاستغناء فى جميع الامور والمصيطر القاهر وبذلك فسر ابن عباس الآية والسلم السبب الذى يصعد به كان ما كان من خشب او بناء او حبال او غير ذلك والمعنى الهم سلم الى السماء يستمعون فيه اي عليه او منه وهذه حروف يسد بعضها مسد بعض والمعنى يستمعون الخبر بصحة ما يدعونه فلياتوا بالحجة المبينة فى ذلك * وقوله سبحانه ام عندهم الغيب الآية قال ابن عباس يعنى ام عندهم اللوح المحفوظ فهم يكتبون ما فيه ويخبرون به ثم قال ام يريدون كيدا بك وبالشرع ثم جزم الخبر بانهم هم المكيدون اي هم المغلوبون فسمى غلبتهم كيدا اذ كانت عقوبة الكيد ثم قال سبحانه ام لهم اله غير الله يعصمهم ويمنعهم من الهلاك قال الثعلبي قال الخليل ما فى سورة الطور كلها من ذكر ام كله استفهام لهم انتهى ثم نزه تعالى نفسه عما يشركون به * وقوله وان يروا كسفا اي قطعة يقولون لشدة معاندتهم

هذا سحاب مركوم بعضه على بعض وهذا جواب لقولهم فاسقط علينا كسفا من السماء وقولهم او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا يقول لو فعلنا هذا بهم لما امنوا ولقالوا سحاب مركوم * وقوله تعالى فذرهم وما جرى مجراه من الموادعة منسوخ بئاية السيف والجمهور ان يومهم الذى فيه يصعقون هو يوم القيامة وقيل هو موتهم واحدا واحدا ويحتمل ان يكون يوم بدر لانهم عذبوا فيه والصعق التعذيب فى الجملة وان كان الاستعمال قد كثر فيما يصيب الانسان من الصيحة المفرطة ونحوه ثم اخبر تعالى بان لهم دون هذا اليوم اي قبله عذابا واختلف فى تعيينه فقال ابن عباس وغيره هو بدر ونحوه وقال مجاهد هو الجوع الذى اصابهم وقال البراء بن عازب وابن عباس ايضا هو عذاب القبر وقال ابن زيد هي مصائب الدنيا اذ هي لهم عذاب (ت) ويحتمل ان يكون المراد الجميع قال الفخر ان قلنا ان العذاب هو بدر فالذين ظلموا هم اهل مكة وان قلنا العذاب هو عذاب القبر فالذين ظلموا عام فى كل ظالم انتهى ثم قال تعالى لنبيه واصبر لحكم ربك فانك باعيننا اي بمرأى ومنظر نرى ونسمع ما تقول وانك فى حفظنا وحيطتنا كما تقول فلان يرعاه الملك بعين وهذه الآية ينبغى ان يقررها كل مومن فى نفسه فانها تفسح مضايق الدنيا * وقوله سبحانه وسبح بحمد ربك قال ابو الاحوص هو التسبيح المعروف يقول فى كل قيام سبحان الله وبحمده وقال عطاء المعنى حين تقوم من كل مجلس (ت) وفى تفسير احمد بن نصر الداودي قال وعن ابن المسيب قال حق على كل مسلم ان يقول حين يقوم الى الصلاة سبحان الله وبحمده لقول الله سبحانه لنبيه وسبح بحمد ربك حين تقوم انتهى وقال ابن زيد هي صلاة النوافل وقال الضحاك هي الصلوات المفروضة ومن قال هي النوافل جعل ادبار النجوم ركعتي الفجر وعلى هذا القول جماعة كثيرة من الصحابة والتابعين وقد روي مرفوعا ومن جمله التسبيح المعروف

جعل قوله حين تقوم مثالا اي حين تقوم وحين تقعد وفى كل تصرفك وحكى منذر عن الضحاك ان المعنى حين تقوم فى الصلاة بعد تكبيرة الاحرام فقل سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك الحديث

تفسير سورة والنجم وهي مكية باجماع

وهي اول سورة اعلن بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وجهر بقراءتها فى الحرم والمشركون يستمعون وفيها سجد وسجد معه المومنون والمشركون والجن والانس غير ابى لهب فانه رفع حفنة من تراب الى جبهته وقال يكفيني هذا (ت) والذى خرجه البخاري فى صحيحه عن ابن مسعود فسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وسجد من خلفه الارجلا رأيته اخذ كفا من تراب فسجد عليه فرأيته بعد ذلك قتل كافرا وهو امية بن خلف انتهى وسبب نزولها ان المشركين قالوا ان محمدا يتقول القرءان ويختلق اقواله فنزلت السورة فى ذلك

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله عز وجل والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى الآية قال الحسن وغيره النجم المقسم به هنا اسم جنس اراد به النجوم ثم اختلفوا فى معنى هوى فقال جمهور المفسرين هوى للغروب وهذا هو السابق الى الفهم من كلام العرب وقال ابن عباس فى كتاب الثعلبي هوى فى الانقضاض فى اثر العفريت عند استراق السمع وقال مجاهد وسفيان النجم فى قسم الآية الثريا وسقوطها مع الفجر هو هويها والعرب لا تقول النجم مطلقا

الا للثريا والقسم واقع على قوله ما ضل صاحبكم وما غوى (ص) اذا هوى ابو البقاء العامل فى الظرف فعل القسم المحذوف اي اقسم بالنجم وقت هويه وجواب القسم ما ضل انتهى قال الفخر اكثر المفسرين لم يفرقوا بين الغي والضلال وبينهما فرق فالغي فى مقابلة الرشد والضلال اعم منه انتهى وما ينطق عن الهوى يريد محمدا صلى الله عليه وسلم انه لا يتكلم عن هواه اي بهواه وشهوته وقال بعض العلماء وما ينطق القرءان المنزل عن هوى (ت) وهذا تاويل بعيد من لفظ الآية كما ترى * وقوله ان هو الاوحي يوحى يراد به القرءان باجماع (ت) وليس هذا الاجماع بصحيح ولفظ الثعلبي ان هو الاوحي اي ما نطقه فى الدين الا بوحي انتهى وهو احسن ان شاء الله قال الفخر الوحي اسم ومعناه الكتاب او مصدر وله معان منها الارسال والالهام والكتابة والكلام والاشارة فان قلنا هو ضمير القرءان فالوحي اسم معناه الكتاب ويحتمل ان يقال مصدر اي ما القرءان الا ارسال اي مرسل وان قلنا المراد من قوله ان هو الاوحي قول محمد وكلامه فالوحي حينئذ هو الالهام اي كلامه ملهم من الله او مرسل انتهى والضمير فى علمه لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم والمعلم هو جبريل عليه السلام قاله ابن عباس وغيره اي علم محمدا القرءان وذو مرة معناه ذو قوة قاله قتادة وغيره ومنه قوله عليه السلام لا تحل الصدقة لغني ولا لذى مرة سوي واصل المرة من مرائر الحبل وهي فتله واحكام عمله * وقوله فاستوى قال الربيع والزجاج المعنى فاستوى جبريل فى الجو وهو اذ ذاك بالافق الاعلى اذ رءاه رسول الله صلى الله عليه وسلم بحِراء قد سد الافق له ستمائة جناح وحينئذ دنا من محمد عليه السلام حتى كان قاب قوسين وكذلك رءاه نزلة اخرى فى صفته العظيمة له ستمائة جناح عند السدرة * وقوله ثم دنا فتدلى قال الجمهور المعنى دنا جبريل الى محمد فى الارض عند حراء وهذا هو الصحيح ان جميع

ما فى هذه الآيات من الاوصاف هو مع جبريل ودنا اعم من تدلى فبين تعالى بقوله فتدلى هيئة الدنو كيف كانت وقاب معناه قدر قال قتادة وغيره معناه من طرف العود الى طرفه الآخر وقال الحسن ومجاهد من الوتر الى العود فى وسط القوس عند المقبض * وقوله اوادنى معناه على مقتضى نظر البشر اي لو رءاه احدكم لقال فى ذلك قوسان اوادنى من ذلك وقيل المراد بقوسين اي قدر الذراعين وعن ابن عباس ان القوس فى الآية ذراع يقاس به وذكر الثعلبي انها لغة بعض الحجازيين * وقوله تعالى فاوحى الى عبده ما اوحى قال ابن عباس المعنى فاوحى الله الى عبده محمد ما اوحى وفى قوله ما اوحى ابهام على جهة التفخيم والتعظيم قال عياض ولما كان ما كاشفه عليه السلام من ذلك الجبروت وشاهده من عجائب الملكوت لا تحيط به العبارات ولا تستقل بحمل سماع ادناه العقول رمز عنه تعالى بالايماء والكناية الدالة على التعظيم فقال تعالى فاوحى الى عبده ما اوحى وهذا النوع من الكلام يسميه اهل النقد والبلاغة بالوحي والاشارة وهو عندهم ابلغ ابواب الايجاز انتهى * وقوله سبحانه ما كذب الفؤاد ما رأى المعنى لم يكذب قلب محمد الشيء الذى رأى بل صدقه وتحققه نظرا قال اهل التاويل منهم ابن عباس وغيره رأى محمد الله بفؤاده وقال النبي صلى الله عليه وسلم جعل الله نور بصرى فى فؤادى فنظرت اليه بفؤادى وقال ءاخرون من المتأولين المعنى ما رأى بعينه لم يكذب ذلك قلبه بل صدقه وتحققه وقال ابن عباس فيما روي عنه ان محمدا رأى ربه بعيني رأسه وانكرت ذلك عائشة وقالت انا سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآيات فقال لى هو جبريل فيها كلها قال (ع) وهذا قول الجمهور وحديث عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قاطع بكل تاويل فى اللفظ لان قول غيرها انما هو منتزع من الفاظ القرءان * وقوله سبحانه افتمارنه على ما يرى قرأ حمزة والكساءي

افتَمْرونه بفتح التاءدون الف اي افتجحدونه (ت) قال الثعلبي واختار هذه القراءة ابو عبيد قال انهم لايمارونه وانما جحدوه واختلف فى الضمير فى قوله ولقد رءاه حسبما تقدم فقالت عائشة والجمهور هو عائد على جبريل ونزلة معناه مرة اخرى فجمهور العلماء ان المرءي هو جبريل عليه السلام فى المرتين مرة فى الارض بجراء ومرة عند سدرة المنتهى ليلة الاسراء رءاه على صورته التى خلق عليها وسدرة المنتهى هي شجرة نبق فى السماء السابعة وقيل لها سدرة المنتهى لانها اليها ينتهى علم كل عالم ولايعلم ما وراءها صعدا الا الله عز وجل وقيل سميت بذلك لانهااليها ينتهى من مات على سنة النبي صلى الله عليه وسلم قال (ع) وهم المومنون حقا من كل جيل * وقوله سبحانه عندها جنة المأوى قال الجمهور اراد سبحانه ان يعظم مكان السدرة ويشرفه بان جنة المأوى عندها قال الحسن هي الجنة التى وعد بها المومنون * وقوله سبحانه اذ يغشىٰ السدرة ما يغشى اي غشيها من امر الله ما غشيها فما يستطيع احد ان يصفها وقد ذكر المفسرون فى وصفها اقوالا هي تكلف فى الآية لان الله تعالى ابهم ذلك وهم يريدون شرحه وقد قال صلى الله عليه وسلم فغشيها الوان لا ادري ما هي * وقوله تعالى ما زاغ البصر قال ابن عباس معناه ما جال هكذا ولا هكذا * وقوله وما طغى معناه ولا تجاوز المرءي وهذا تحقيق للامر ونفي لوجوه الريب عنه * وقوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال جماعة معناه لقد رأى الكبرى من آيات ربه اي مما يمكن ان يراها البشر وقال ءاخرون المعنى لقد رأى بعضا من آيات ربه الكبرى وقال ابن عباس وابن مسعود رأى رفرفا اخضر من الجنة قد سد الافق (ت) وزاد الثعلبي وقيل المعراج وما رأى فى تلك الليلة فى مسراه فى عوده وبدءه دليله قوله تعالى لنريه من آياتنا الآية قال عياض وقوله تعالى لقد رأى من آيات ربه الكبرى انحصرت الافهام عن تفصيل

ما اوحى وتاهت الاحلام فى تعيين تلك الآيات الكبرى وقد اشتملت هذه الآيات على اعلام الله بتزكية جملته عليه السلام وعصمتها من الآفات فى هذا المسرى فزكى فؤاده ولسانه وجوارحه فقلبه بقوله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى ولسانه عليه السلام بقوله تعالى وما ينطق عن الهوى وبصره بقوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى اه ولما فرغ من ذكر عظمة الله وقدرته قال على جهة التوقيف افرأيتم اللات والعزى الآية اي ارأيتم هذه الاوثان وحقارتها وبعدها عن هذه القدرة والصفات العلية واللات صنم كانت العرب تعظمه والعزى صخرة بيضاء كانت العرب ايضا تعبدها واما مناة فكانت بالمشلل من قديد وكانت اعظم هذه الاوثان عندهم وكانت الاوس والخزرج تهل لها ووقف تعالى الكفار على هذه الاوثان وعلى قولهم فيها انها بنات الله فكانه قال ارأيتم هذه الاوثان وقولكم هي بنات الله الكم الذكر وله الانثى ثم قال تعالى على جهة الانكار تلك اذا قسمة ضيزى اي عوجاء قاله مجاهد وقيل جائرة قاله ابن عباس وقال سفيان معناه منقوصة وقال ابن زيد معناه مخالفة والعرب تقول ضزته حقه اضيزه بمعنى منعته وضيزى من هذا التصريف قال ابو حيان والثالثة الاخرى صفتان لمناة للتاكيد قيل واكدت بهذين الوصفين لعظمها عندهم وقال الزمخشري والاخرى ذم وهي المتأخرة الوضيعة المقدار وتعقب بان اخرى مؤنث ءاخر ولم يوضعا للذم ولا للمدح (ت) وفى هذا التعقب تعسف والظاهر ان الوصفين معا سيقا مساق الذم لان هؤلاء الكفار لم يكتفوا بضلالهم فى اعتقادهم ما لا يجوز فى اللات والعزى الى ان اضافوا الى ذلك مناة الثالثة الاخرى الحقيرة وكل اصنامهم حقير انتهى ثم قال تعالى ان هي الا اسماء يعنى ان هذه الاوصاف من انها اناث وانها ءالهة تعبد ونحو هذا الاسماء اي تسميات اخترعتموها انتم وءاباؤكم ما انزل الله بها برهانا ولا حجة وما هو الا اتباع الظن وما تهوى الانفس وهوى

الانفس هـو ارادتها الملذة لها وانما تجد هوى النفس ابدا فى ترك الافضل لانها مجبولة بطبعها على حب الملذ وانما يردعها ويسوقها الى حسن العاقبة العقل والشرع * وقوله سبحانـه ولقد جاءهم من ربهم الهدى فيه توبيخ لهم اذ يفعلون هـذه القبائح والهدى حاضر وهو محمد وشرعه والانسان فى قوله ام للانسان اسم جنس كانه يقول ليست الاشياء بالتمني والشهوات وانما الامر كله لله والاعمال جارية على قانون امره ونهيه فليس لكم ايها الكفرة مرادكم فى قولكم هذه ءالهتنا وهي تشفع لنا وتقربنا الى الله زلفى ونحو هـذا فلله الآخرة والاولى اي له كل امرهما ملكا ومقدورا وتحت سلطانه قال الشيخ ابو عبد الرحمن السلمي فى كتاب عيوب النفس ومن عيوب النفس كثرة التمني والتمني هو الاعتراض على الله عز وجل فى قضائه وقدره ومداواتها ان يعلم انه لا يدرى ما يعقبه التمني ايجره الى خير اوالى شر فاذا تيقن ابهام عاقبة تمنيه اسقط عن نفسه ذلك ورجع الى الرضى والتسليم فيستريح انتهى * وقوله سبحانه وكم من ملك الآية رد على قريش فى قولهم الاوثان شفعاؤنا وكم للتكثير وهي فى موضع رفع بالابتداء والخبر لا تغنى والغنى جلب النفع ودفع الضر بحسب الامر الذى يكون فيه الغَنَاء * وقوله سبحانه ان الذين لا يومنون بالآخرة يعنى كفار العرب * وقوله وان الظن لا يغنى من الحق شيأ اي فى المعتقدات والمواضع التى يريد الانسان ان يحرر ما يعقل ويعتقد فانها مواضع حقائق لا تنفع الظنون فيها واما فى الاحكام وظواهرها فيجتزى فيها بالمظنونات ثم سلى سبحانـه نبيه وامره بالاعراض عن هؤلاء الكفرة * وقوله عن ذكرنا قال الثعلبي يعنى القرءان * وقوله سبحانه ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله الآية متصلة فى معنى التسلية ومتضمنة وعيدا للكافرين ووعدا للمومنين والحسنى الجنة ولاحسنى دونها وقد تقدم نقل الاقوال فى الكبائر فى سورة النساء وغيرها وتحرير القول فى الكبائر انها كل

معصية يوجد فيها حد فى الدنيا او توعد عليها بنار فى الآخرة او لعنة ونحو هذا * وقوله الا اللمم هو استثناء يصح ان يكون متصلا وان قدرته منقطعا ساغ ذلك وبكل قد قيل واختلف فى معنى اللمم فقال ابو هريرة وابن عباس والشعبي وغيرهم اللمم صغار الذنوب التى لا حد فيها ولا وعيد عليها لان الناس لا يتخلصون من مواقعة هذه الصغائر ولهم مع ذلك الحسنى اذا اجتنبوا الكبائر وتظاهر العلماء فى هـذا القول وكثر المائل اليه وحكي عن ابن المسيب ان اللمم ما خطر على القلب يعنى بذلك لمة الشيطان وقال ابن عباس معناه الا ما الموا به من المعاصى الفلتة والسقطة دون دوام ثم يتوبون منه وعن الحسن بن ابى الحسن انـه قال فى اللمة من الزنا والسرقة وشرب الخمر ثم لا يعود قال (ع) وهذا التاويل يقتضى الرفق بالناس فى ادخالهم فى الوعـد بالحسنى اذ الغالب فى المومنين مواقعة المعاصى وعلى هذا انشدوا وقد تمثل به النبي صلى الله عليه وسلم

ان تغفر اللهم تغفر جمـا * واى عبـد لـك لا المـا

وقوله سبحانه اذ انشأكم من الارض يريد خلق ابيهم ءادم ويحتمل ان يراد بـه انشاء الغذاء واجنة جمع جنين * وقوله سبحانه فلا تزكوا انفسكم ظاهره النهي عن تزكية الانسان نفسه ويحتمل ان يكون نهيا عن ان يزكي بعض الناس بعضا واذا كان هذا فانما ينهى عن تزكية السمعة والمدح للدنيا او القطع بالتزكية واما تزكية الامام والقدوة احدا ليؤتم به اوليتهمم الناس بالخير فجائز وفى الباب احاديث صحيحة وباقى الآية بين (ت) قال صاحب الكلم الفارقية اعرف الناس بنفسه اشدهم ايقاعا للتهمة بها فى كل ما يبدو ويظهر له منها واجهلهم بمعرفتها وخفايا آفاتها وكوامن مكرها من زكاها واحسن ظنه بها لانها مقبلة على عاجل حظوظها معرضة عن الاستعـداد ءلاخرتهـا انتهى وقال ابن عطاء الله اصل كل معصية وغفلة وشهوة الرضى عن النفس واصل كل طاعة ويقظة وعفة عدم الرضى منك

عنها قال شارحه ابن عباد الرضى عن النفس اصل جميع الصفات المذمومة وعدم الرضى عنها اصل الصفات المحمودة وقد اتفق على هذا جميع العارفين وارباب القلوب وذلك لان الرضى عن النفس يوجب تغطية عيوبها ومساويها وعدم الرضى عنها على عكس هذا كما قيل

وعين الرضى عن كل عيب كليلة * ولكن عين السخط تبدى المساويا

انتهى * وقوله تعالى افرأيت الذى تولى الآية قال مجاهد وابن زيد وغيرهما نزلت فى الوليد بن المغيرة المخزومي وذلك انه سمع قراءة النبي صلى الله عليه وسلم ووعظه فقرب من الاسلام وطمع النبي صلى الله عليه وسلم فى اسلامه ثم انه عاتبه رجل من المشركين وقال له اتترك ملة ءابائك ارجع الى دينك واثبت عليه وانا اتحمل لك بكل شيء تخافه فى الآخرة لكن على ان تعطينى كذا وكذا من المال فوافقه الوليد على ذلك ورجع عماهم به من الاسلام واعطى بعض ذلك المال لذلك الرجل ثم امسك عنه وشح فنزلت الآية فيه وقال السدي نزلت فى العاصى بن وائل قال (ع) فقوله واعطى قليلا واكدى على هذا هو فى المال وقال مقاتل فى كتاب الثعلبي المعنى اعطى الوليد قليلا من الخير بلسانه ثم اكدى اي انقطع ما اعطى وهذا بين من اللفظ والآخر يحتاج الى رواية وتولى معناه ادبر واعرض عن امر الله واكدى معناه انقطع عطاؤه وهو مشبه بالذى يحفر فى الارض فانه اذا انتهى فى حفر بير ونحوه الى كدية وهي ما صلب من الارض يئس من الماء وانقطع حفره وكذلك اجبل اذا انتهى فى الحفر الى جبل ثم قيل لمن انقطع عمله اكدى واجبل (ت) قال الثعلبي واصله من الكدية وهو حجر فى البير ييس من الماء قال الكساءي تقول العرب اكدى الحافر واجبل اذا بلغ فى الحفر الى الكدية والجبل انتهى* وقوله عز وجل اعنده علم الغيب فهو يرى معناه اعلم من الغيب ان من تحمل

ذنوب ءاخر انتفع بذلك المتحمل عنــه فهو لهذا الذى علمه يرى الحق وله فيه
بصيرة ام هو جاهل لم ينبأ بما فى صحف موسى وابراهيم الذى وفى بما ارسل
به من انــه لا تزر وازرة اي لا تحمل حاملة حمل اخرى وفى البخاري وابراهيم
الذى وفى وفى ما فرض عليه انتهى * وقوله سبحانه وان ليس للانسان الا ما
سعى وما بعده كل ذلك معطوف على قوله الا تزر وازرة وزر اخرى والجمهور
ان قوله وان ليس للانسان الا ما سعى محكم لا نسخ فيه وهو لفظ عام مخصص *
وقوله وان سعيه سوف يرى اي يراه الله ومن شاهد تلك الامور وفى عرض
الاعمال على الجميع تشريف للمحسنين وتوبيخ للمسيئين ومنه قوله صلى الله
عليه وسلم من سمع باخيه فيما يكره سمع الله به سامع خلقه يوم القيامة وفى
قوله تعالى ثم يجزاه الجزاء الاوفى وعيد للكافرين ووعد للمومنين * وقوله
سبحانــه وان الى ربك المنتهى اي منتهى الخلق ومصيرهم اللهم اطلعنا على
خيرك بفضلك ولا تفضحنا بين خلقك وجد علينا بسترك فى الدارين
وحق لعبد يعلم انه الى ربه منتهاه * ان يرفض هواه * ويزهد فى دنياه *
ويقبل بقلبه على مولاه * ويقتدي بنبي فضله الله على خلقه وارتضاه *
ويتأمل كيف كان زهده صلى الله عليه وسلم فى دنياه * واقباله على مولاه *
قال عياض فى شفاه واما زهده صلى الله عليه وسلم فقد قدمنا من الاخبار اثناء
هذه السيرة ما يكفي وحسبك من تقلله منها واعراضه عنها وعن زهرتها وقد
سيقت اليــه بحذافيرها وترادفت عليــه فتوحاتها انــه توفي صلى الله عليه وسلم
ودرعــه مرهونة عند يهودي وهو يدعو ويقول اللهم اجعل رزق ءال محمد
قوتا وفى صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت ما شبع ءال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثلاثة ايام تباعا حتى مضى لسبيله وعنهـا رضي الله عنهـا
قالت لم يمتلئ جوف نبي الله صلى الله عليه وسلم شبعا قط ولم يبث شكوى الى

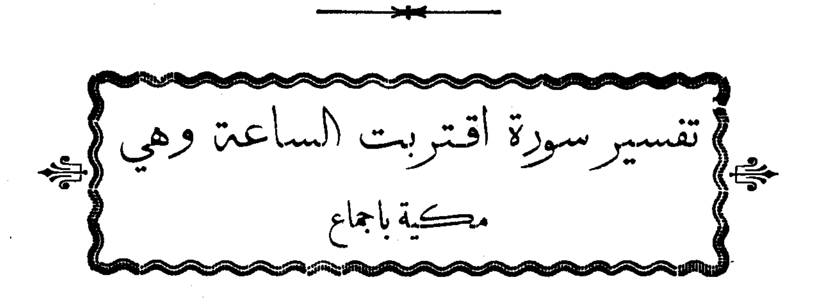
احد وكانت الفاقة احب اليه من الغنى وان كان ليظل جائعا يلتوى طول ليلته من الجوع فلا يمنعه ذلك صيام يومه ولو شاء سأل ربه جميع كنوز الارض وثمارها ورغد عيشها ولقد كنت ابكى له رحمة مما ارى به وامسح بيدى على بطنه مما به من الجوع واقول نفسى لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بما يقوتك فيقول يا عائشة ما لى وللدنيا اخوانى من اولى العزم من الرسل صبروا على ما هو اشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فاكرم مآبهم واجزل ثوابهم فاجدنى استحيي ان ترفهت فى معيشتى ان يقصر بى غدا دونهم وما من شيء هو احب الي من اللحوق باخوانى واخلاءى قالت فما اقام بعد الا اشهرا حتى توفي صلوات الله وسلامه عليه انتهى وباقى الآية دلالة على التوحيد واضحة والنشأة الاخرى هي اعادة الاجسام الى الحشر بعد البلى واقنى معناه اكسب ما يقتنى تقول قنيت المال اي كسبته وقال ابن عباس اقنى قنّع قال (ع) والقناعة خير قنية والغنى عرض زائل فلله در ابن عباس والشعرى نجم فى السماء قال مجاهد وابن زيد هو مرزم الجوزاء وهما شعريان احداهما الغُمَيْصاء والاخرى العَبور لانها عبرت المجرة وكانت خزاعة ممن يعبد هذه الشعرى العبور ومعنى الآية وان الله سبحانه رب هذا المعبود الذى لكم وعادا الاولى اختلف فى معنى وصفها بالاولى فقال الجمهور سميت اولى بالاضافة الى الامم المتأخرة عنها وقال الطبري وغيره سميت اولى لان ثَم عادا آخرة وهي قبيلة كانت بمكة مع العماليق وهم بنو لقيم بن هزال والله اعلم وقرأ الجمهور وثمودا بالنصب عطفا على عاد وقوم نوح عطفا على ثمود * وقوله من قبل لانهم كانوا اول امة كذبت من اهل الارض والموتفكة قرية قوم لوط اهوى اي طرحها من هواء عال الى سفل * وقوله سبحانه فباي آلاء ربك تتمارى مخاطبة للانسان الكافر كانه قيل له هذا هو الله الذى له هذه الافعال وهو خالقك المنعم عليك بكل النعم ففي

ايهـا تشك وتتمارى معناه تتشكك وقال مالـك الغفاري ان قـوله الاترز الى قوله تتمارى هو فى صحف ابراهيم وموسى * وقوله سبحانه هذا نذير يحتمل ان يشير الى نبينا محمـد صلى الله عليه وسلم وهو قول قتادة وغيره وهـذا هو الاشبه ويحتمل ان يشير الى القرءان وهو تاويل قوم ونذير يحتمل ان يكون بناء اسم فاعل ويحتمل ان يكون مصدرا ونذر جمع نذير * وقوله تعالى ازفت الآزفة معناه قربت القريبة والآزفة عبارة عن القيامـة باجماع من المفسرين وازف معناه قرب جدا قال كعب بن زهير

بان الشباب وءاها الشيب قد ازفا * ولا ارى لشبـاب ذاهب خلفـا

وكاشفة يحتمل ان تكون صفة لمؤنث التقدير حال كاشفة ونحو هذا التقدير ويحتمل ان تكون بمعنى كاشف قال الطبري والزجاج هو من كشف السر اي ليس من دون الله من يكشف وقتها ويعلمه وقال منذر بن سعيد هو من كشف الضر ودفعـه اي ليس من يكشف خطبها وهولها الا الله * وقوله سبحانه افمـن هذا الحديث تعجبـون الآيـة روى سعد بن ابى وقاص ان رسـول الله صلى الله عليـه وسلم قال ان هـذا القرءان انزل بحوف فاذا قـرأتموه فابكوا فان لم تبكـوا فتباكوا ذكره الثعلبي واخرج الترمذي والنساءي عـن النبي صلى الله عليـه وسلم انـه قال لا يلج النار من بكى من خشية الله حتى يعود اللـبن فى الضرع ولا يجتمع غبار فى سبيـل الله ودخان جهنم فى منخر ابـدا قال النساءي ويروى فى جوف ابـدا ولا يجتمع الشح والايمـان فى قلب ابدا قال الترمذي وقال النبي صلى الله عليه وسلم عينان لا تمسهما النار عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس فى سبيل الله انتهى من مصابيح البغوي قال ابو عمر بن عبد البر روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اياكم وكثرة الضحك فانه يميت القلب ويذهب بنور الوجه انتهى من بهجة المجالس وروى الترمذي

عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ياخذ عنى هؤلاء الكلمات فيعمل بهن او يعلم من يعمل بهن فقال ابو هريرة فقلت انا يا رسول الله فاخذ بيدى فعد خمسا وقال اتق المحارم تكن اعبد الناس وارض بما قسم الله لك تكن اغنى الناس واحسن الى جارك تكن مومنا واحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما ولا تكثر الضحك فان كثرة الضحك يميت القلب انتهى والسامد اللاعب اللاهى وبهذا فسر ابن عباس وغيره من المفسرين وسمد بلغة حمير غنى وهو كله معنى قريب بعضه من بعض ثم امر تعالى بالسجود له والعبادة تخويفا وتحذيرا وهاهنا سجدة فى قول كثير من العلماء ووردت بها احاديث صحاح ولم ير مالك بالسجود هنا وقال زيد بن ثابت انه قرأ بها عند النبي صلى الله عليه وسلم فلم يسجد قال ابن العربي فى احكامه وكان مالك يسجدها فى خاصة نفسه انتهى



تفسير سورة اقتربت الساعة وهي مكية باجماع

الا آية واحدة قوله سيهزم الجمع الآية ففيها خلاف والجمهور انها ايضا مكية

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله سبحانه اقتربت الساعة وانشق القمر معناه قربت الساعة وهي القيامة وامرها مجهول التحديد وكل ما يروى فى عمر الدنيا من التحديد فضعيف *

وقوله وانشق القمر اخبار عما وقع وذلك ان قريشا سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ءاية فاراهم الله انشقاق القمر فرءاه النبي صلى الله عليه وسلم وجماعة من المسلمين والكفار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا * وقوله وان يروا جاء اللفظ مستقبلا لينتظم ما مضى وما ياتى فهو اخبار بان حالهم هكذا * وقوله مستمر قال الزجاج قيل معناه دائم متماد وقال قتادة وغيره معناه مار ذاهب عن قريب يزول ثم قال سبحانه على جهة جزم الخبر وكل امر مستقر كانه يقول وكل شيء الى غاية عنده سبحانه ومزدجر معناه موضع زجر * وقوله فما تغن النذر يحتمل ان تكون ما نافية ويحتمل ان تكون استفهامية ثم سلى سبحانه نبيه عليه السلام بقوله فتول عنهم اي لا تذهب نفسك عليهم حسرات وتم القول فى قوله عنهم ثم ابتدأ وعيدهم بقوله يوم والعامل فى يوم قوله يخرجون وقال الرماني المعنى فتول عنهم واذكر يوم وقال الحسن المعنى فتول عنهم الى يوم وقرأ الجمهور نكر بضم الكاف قال الخليل النكر نعت للامر الشديد والرجل الداهية وخص الابصار بالخشوع لانه فيها اظهر منه فى سائر الجوارح وكذلك سائر ما فى نفس الانسان من حياء او صلف او خوف ونحوه انما يظهر فى الابصار والاجداث جمع جدث وهو القبر وشبههم سبحانه بالجراد المنتشر وقد شبههم سبحانه فى ءاية اخرى بالفراش المبثوث وفيهم من كل هذا شبه وذهب بعض المفسرين الى انهم اولا كالفراش حين يموج بعضهم فى بعض ثم فى رتبة اخرى كالجراد اذا توجهوا نحو المحشر والداعى والمهطع المسرع فى مشيه نحو الشيء مع هز ورهق ومد بصر نحو المقصد اما لخوف او طمع ونحوه قال ابو حيان مهطعين اي مسرعين وقيل فاتحين ءاذانهم للصوت انتهى * ويقول الكافرون هذا يوم عسر لما يرون من مخايل هوله وعلامات مشقته * وقوله سبحانه كذبت قبلهم قوم نوح الآية وعيد لقريش وضرب مثل لهم * وقوله

وازدجر اخبار من الله عز وجل انهم زجروا نوحا عليه السلام بالسب والنَجْه والتخويف قاله ابن زيد * وقوله فانتصر اي فانتصر لى منهم بان تهلكهم * وقوله ففتحنا ابواب السماء قال الجمهور هذا مجاز وتشبيه لان المطر كانه من ابواب وهذا مبدأ الانتصار من الكفار والمنهمر الشديد الوقوع الغزير وقرأ الجمهور فالتقى الماء يعنى ماء السماء وماء العيون * وقوله سبحانه على امر قد قدر اي قد قضي وقدر فى الازل وذات الواح ودسر هي السفينة والدسر المسامير واحدها دِسار وهذا هو قول الجمهور وقال مجاهد الدسر اضلاع السفينة قال العراقي والدسار ايضا ما تشد به السفينة انتهى * وقوله تعالى تجرى باعيننا معناه بحفظنا وتحت نظر منا قال البخاري قال قتادة ابقى الله عز وجل سفينة نوح حتى ادركها اوائل هذه الامة انتهى وقرأ جمهور الناس جزاء لمن كان كفر مبنيا للمفعول قال مكي قيل من يراد بها نوح والمومنون لانهم كُفِروا من حيث كفر بهم فجزاهم الله بالنجاة وقرئ شاذا كفر مبنيا للفاعل والضمير فى تركناها قال مكي هو عائد على هذه الفعلة والقصة وقال قتادة وغيره هو عائد على السفينة ومدكر اصله مذتكر ابدلوا من التاء دالا ثم ادغموا الدال فى الدال وهذه قراءة الناس قال ابو حاتم ورويت عن النبي صلى الله عليه وسلم باسناد صحيح * وقوله تعالى فكيف كان عذابى ونذرى توقيف لكفار قريش والنذر هنا جمع نذير وهو المصدر والمعنى كيف كان عاقبة انذارى لمن لم يحفل به كانتم ايها القوم ويسرنا القرءان اي سهلناه وقربناه والذكر الحفظ عن ظهر قلب قال (ع) يسر بما فيه من حسن النظم وشرف المعانى فله حلاوة فى القلوب وامتزاج بالعقول السليمة * وقوله فهل من مدكر استدعاء وحض على ذكره وحفظه لتكون زواجره وعلومه حاضرة فى النفس فلله در من قبل وهدي (ت) وقال الثعلبي فهل من مدكر اي من متعظ * وقوله فى يوم نحس مستمر الآية ورد

فى بعض الاحاديث فى تفسير هذه الآية يوم نحس مستمر يوم الاربعاء ومستمر معناه متتابع * وقوله تنزع الناس معناه تقلعهم من مواضعهم قلعا فتطرحهم وروي عن مجاهد ان الريح كانت تلقى الرجل على رأسه فيتفتت رأسه وعنقه وما يلى ذلك من بدنه قال (ع) فلذلك حسن التشبيه باعجاز النخل وذلك ان المنقلع هو الذى ينقلع من قعره وقال قوم انما شبههم باعجاز النخل لانهم كانوا يحتفرون حفرا ليمتنعوا فيها من الريح فكانه شبه تلك الحفر بعد النزع بحفر اعجاز النخل والنخل تذكر وتؤنث وفائدة تكرار قوله فكيف كان عذابى ونذرى التخويف وهز النفوس وهـذا موجود فى تكرار الكلام كقوله صلى الله عليه وسلم الاهل بلغت الاهل بلغت الاهل بلغت ونحوه وقول ثمود لصالح ابشرا منا واحدا نتبعه هو حسد منهم واستبعاد منهم ان يكون نوع البشر يفضل هذا التفضيل ولم يعلموا ان الفضل بيد الله يوتيه من يشاء ويفيض نور الهـدى على من رضيه وقولهم انا اذا لفى ضلال اي فى ذهاب وانتلاف عن الصواب وسعر معناه فى احتراق انفس واستعارها حنقا وقيل فى جنون يقال ناقة مسعورة اذا كانت خفيفة الرأس هائمـة على وجهها والاشر البطر وقرأ الجمهور سيعلمون بالياء وقرأ حمـزة وحفص ستعلمون بالتاء من فوق على معنى قل لهم يا صالح ثم امر الله صالحـا بارتقاب الفرج والصبر (ت) وقال الثعلبي فارتقبهم اي انتظرهم مـا يصنعون ونبئهم ان الماء قسمة بينهم وبين الناقة لها شرب ولهم شرب يوم معلوم ومحتضر معناه محضور مشهود متواسى فيه وقال مجاهد كل شرب اي من الماء يوما ومن لبن الناقة يوما محتضر لهم فكانـه انبأهم بنعمة الله سبحانـه عليهم فى ذلك وصاحبهم هو قـدار بن سالف وتعاطى مطاوع عاطى فكان هـذه الفعلة تدافعها الناس واعطاها بعضهم بعضا فتعاطاها هو وتناول العقر بيده قاله ابن عباس وقد تقدم قصص القوم والهشيم ما تفتت وتهشم من الاشياء والمحتظر معناه

الذى يصنع حظيرة قاله ابن زيـد وغيره وهي مـاخـوذة مـن الحظر وهو المنع والعرب واهل البوادى يصنعونها للمواشي وللسكنى ايضا من الاغصان والشجر المورق والقصب ونحوه وهذا كله هشيم يتفتت اما فى اول الصنعة واما عنـد بلى الحظيرة وتساقط اجزائها وقـد تقدم قصص قوم لوط والحاصب ماخوذ من الحصباء * وقوله فتماروا معناه تشككوا واهدى بعضهم الشك الى بعض بتعاطيهم الشبه والضلال والنذر جمع نـذير وهو المصدر ويحتمل ان يراد بالنذر هنا وفى قوله كذبت قوم لوط بالنذر جمع نذير الذى هو اسم فاعل * وقوله سبحانه فطمسنا اعينهم قال قتادة هي حقيقـة جر جبريل شيأ من جناحه على اعينهم فاستوت مع وجوههم قال ابو عبيـدة مطموسة بجلدة كالوجه وقال ابن عباس والضحاك هذه استعارة وانمـا حجب ادراكهم فدخلوا المنزل ولم يروا شيأ فجعل ذلك كالطمس * وقوله بكرة قيل عنـد طلوع الفجر * وقوله فـذوقوا يحتمل ان يكون من قول الله تعالى لهم ويحتمل ان يكون مـن قول الملائكة ونـذرى جمع المصدر اي وعاقبة انـذارى ومستقر اي دائم استقر فيهم حتى يفضي بهم الى عذاب الآخرة وءال فرعون قومه واتباعه * وقوله كذبوا بـءاياتنـا كلها يحتمل ان يريد ءال فرعون ويحتمل ان يـكون قوله ولقد جاء آل فرعون النذر كلاما تاما ثم يكون قوله كذبوا بـءاياتنـا كلهـا يعود على جميع مـن ذكر من الامم * وقوله تعالى اكفاركم خير من اولائكم خطاب لقريش على جهة التوبيخ * وقوله ام لكم براءة اي من العذاب فى الزبر اي فى كتب الله المنزلة قاله ابن زيد وغيره ثم قال تعالى لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ام يقولون نحن واثقون بجماعتنا منتصرون بقوتنا على جهة الاعجاب سيهزمون فلا ينفع جمعهم وهـذه عـدة من الله تعالى لرسوله ان جمع قريش سيهزم فكان كما وعد سبحانه قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه كنت اقول فى نفسى اي جمع يهزم

فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يثب فى الدرع وهو يقول سيهزم الجمع ويولون الدبر والجمهور على ان الآية نزلت بمكة وقول من زعم انها نزلت يوم بدر ضعيف والصواب ان الوعد نجز يوم بدر قال ابو حيان ويولون الجمهور بياء الغيبة وعن ابى عمرو بتاء الخطاب والدبر هنا اسم جنس وحسن افراده كونه فاصلة وقد جاء مجموعا فى ءاية اخرى وهو الاصل انتهى ثم اضرب سبحانه تهمما بامر الساعة التى هي اشد عليهم من كل هزيمة وقتل فقال بل الساعة موعدهم وادهى افعل من الداهية وهي الرزية العظمى تنزل بالمرء وامر من المرارة (ت) وقال الثعلبي الداهية الامر الشديد الذى لا يهتدى للخلاص منه انتهى ثم اخبر تعالى عن المجرمين انهم فى الدنيا فى حيرة وانتلاف وفقد هدى وفى الآخرة فى احتراق وتسعر وقال ابن عباس المعنى فى خسران وجنون والسعر الجنون واكثر المفسرين على ان المجرمين هنا يراد بهم الكفار والسحب الجر * وقوله سبحانه انا كل شيء خلقناه بقدر قرأ جمهور الناس كل بالنصب وقالوا المعنى انا خلقنا كل شيء بقدر سابق وليست خلقنا فى موضع الصفة لشيء وهذا مذهب اهل السنة وهذا المعنى يقتضى ان كل شيء مخلوق الا ما قام عليه الدليل انه ليس بمخلوق كالقرءان والصفات (ت) قال الثعلبي قال ابن عباس خلق الله الخلق كلهم بقدر وخلق الخير والشر فخير الخير السعادة وشر الشر الشقاوة * وقوله سبحانه وما امرنا الا واحدة قال (ع) اي الا قولة واحدة وهي كن (ت) قوله الاقولة فيه قلق ما وكانه فهم ان معنى الآية راجع الى قوله تعالى انما امرنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون وعبارة الثعلبي اي وما امر الساعة الا واحدة اي الارجفة واحدة قال ابو عبيد هي نعت للمعنى دون اللفظ مجازه وما امرنا الامرة واحدة كن فيكون كلمح بالبصر اي كخطف بالبصر فقيل له انه يعنى الساعة فقال الساعة وجميع ما يريد انتهى وكلام

ابى عبيد عندى حسن والاشياع الفرق المتشابهة فى مذهب اودين ونحوه الاول شيعة للآخر والآخر شيعة للاول وكل شيء فعلته الامم المهلكة فى الزبر اي مكتوب محفوظ عليهم الى يوم الحساب قاله ابن عباس وغيره ومستطر اي مسطر وقرأ الجمهور ونهر بفتح النون والهاء على انه اسم الجنس يريد به الانهار او على انه بمعنى وسعة فى الارزاق والمنازل قال ابو حيان وقرأ الاعمش ونهر بضم النون والهاء جمع نهر كرهن ورهن انتهى * وقوله تعالى فى مقعد صدق يحتمل ان يريد به الصدق الذى هو ضد الكذب اي المقعد الذى صدقوا فى الخبر به ويحتمل ان يكون من قولك عود صدق اي جيد ورجل صدق اي خير والمليك المقتدر الله تعالى (ت) وقال الثعلبي فى مقعد صدق اي فى مجلس حق لا لغو فيه ولا تاثيم وهو الجنة عند مليك مقتدر وعند اشارة الى القربة والرتبة انتهى (ص) قال ابو البقاء فى مقعد صدق بدل من قوله فى جنات انتهى قال المحاسبي واذا اخذ اهل الجنة مجالسهم واطمأنوا فى مقعد الصدق الذى وعده الله لهم فهم فى القرب من مولاهم سبحانه على قدر منازلهم عنده انتهى من كتاب التوهم ثم قال المحاسبي باثر هذا الكلام فلو رأيتهم وقد سمعوا كلام ربهم وقد داخل قلوبهم السرور وقد بلغوا غاية الكرامة ومنتهى الرضى والغبطة فما ظنك بنظرهم الى العزيز العظيم الجليل الذى لا تقع عليه الاوهام * ولا تحيط به الافهام * ولا تحده الفطن ولا تكيفه الفكر الازلي القديم الذى حارت العقول عن ادراكه وكلت الالسن عن كنه صفاته انتهى

تفسير سورة الرحمن عز وجل وهي مكية في قول الجمهور

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله عز وجل الرحمن علم القرءان الرحمن بناء مبالغة من الرحمة وقوله علم القرءان تعديد نعمة اي هو من به وعلمه الناس وخص حفاظه وفهمته بالفضل قال النبي صلى الله عليه وسلم خيركم من تعلم القرءان وعلمه ومن الدليل على ان القرءان غير مخلوق ان الله تعالى ذكر القرءان فى كتابه فى اربعة وخمسين موضعا ما فيها موضع صرح فيه بلفظ الخلق ولا اشار اليه وذكر الانسان على الثلث من ذلك فى ثمانية عشر موضعا كلها نصت على خلقه وقد اقترن ذكرهما فى هذه السورة على هذا النحو والانسان هنا اسم جنس قاله الزهراوي وغيره قال الفخر الرحمن مبتدأ خبره الجملة الفعلية التى هي علم القرءان انتهى والبيان النطق والفهم والابانة عن ذلك بقول قاله الجمهور وبذلك فضل الانسان من سائر الحيوان وكل المعلومات داخلة فى البيان الذى علمه الانسان فمن ذلك البيان كون الشمس والقمر بحسبان وهذا ابتداء تعديد نعم قال قتادة بحسبان مصدر كالحساب وقال ابو عبيدة معمر بن المثنى والضحاك هو جمع حساب والمعنى ان هذين لهما فى طلوعهما وغروبهما وقطعهما البروج وغير ذلك حسابات شتى وهذا مذهب ابن عباس وغيره وقال قتادة الحسبان الفلك المستدير شبهه بحسبان الرحى وهو العود المستدير الذى باستدارته تستدير المطحنة * وقوله سبحانه والنجم والشجر يسجدان قال ابن عباس وغيره النجم النبات الذى لاساق له

قال (ع) وسمي نجما لانـه نجم اي ظهر وهو مناسب للشجر نسبة بينـة وقال مجاهد وغيره النجم اسم الجنس من نجوم السماء قال (ع) والنسبة التى لها من السماء هي التى للشجر من الارض لانهما فى ظاهرها وسمي الشجر من اشتجار غصونه وهو تـداخلها قال مجاهـد وسجودهما عبارة عن التـذلل والخضوع * وقوله سبحانه ووضع الميزان يريـد بـه العدل قاله اكثر الناس * وقوله الا تطغوا فى الميزان وقوله واقيموا الوزن بالقسط وقوله ولا تخسروا الميزان يريد به الميزان المعروف وان لا هو بتقـدير ليـلا او مفعول من اجله وفى مصحف ابن مسعود لا تطغوا فى الميزان وقرأ بلال بن ابى بردة تخسروا بفتح التاء وكسر السين من خسر ويقال خسر واخسر بمعنى نقص وافسد كجبر واجبر * والانام قال الحسن بن ابى الحسن هم الثقـلان الانس والجن وقال ابن عباس وقتادة وابن زيد والشعبي هم الحيوان كله * والنخل ذات الاكمام وذلك ان طلعها فى كم وفروعها ايضا فى اكمام من ليفها والكم من النبات كل ما التف على شيء وستره ومنه كمائم الزهر وبه شبه كم الثوب * والحب ذو العصف هو البر والشعير ومـا جرى مجراه قال ابن عباس العصف التبن واختلف فى الريحان فقال ابن عباس وغيره هو الرزق وقال الحسن هو ريحانكم هذا وقال ابن زيد وقتادة الريحان هو كل مشموم طيب قال (ع) وفى هذا النوع نعمة عظيمة ففيه الازهار والمنـدل والعقاقير وغير ذلك وقرأ الجمهور والريحان بالرفع عطفا على فاكهة وقرأ حمزة والكساءي والريحان بالخفض عطفا على العصف فالريحان على هذه القراءة الرزق ولا يدخل فيه المشموم الا بتكلف وريحان اصله روحان فهو من ذوات الواو والآلاء النعم والضمير فى قوله ربكما للجن والانس اللذيْن تضمنها لفظ الانام وايضا ساغ تقديم ضميرهما عليهما لذكر الانسان والجان عقب ذلك وفيه اتساع وقال منذر بن سعيد خوطب من يعقل لان المخاطبة بالقرءان كله هي للانس

والجن وعن جابر قال قرأ علينا النبي صلى الله عليه وسلم سورة الرحمن حتى ختمها ثم قال مالى اراكم سكوتا للجن كانوا احسن ردا منكم ما قرأت عليهم هذه الآية من مرة فبأي ءالاء ربكما تكذبان الا قالوا لا بشيء من نعمك ربنا نكذب * وقوله سبحانه خلق الانسان من صلصال كالفخار وخلق الجان من مارج من نار الآية اختلف فى اشتقاق الصلصال فقيل هو من صل اذا انتن فهي اشارة الى الحمأة وقال الجمهور هو من صل اذا صوت وذلك فى الطين لجودته فهي اشارة الى ما كان فى تربة ءادم من الطين الحر وذلك ان الله تعالى خلقه من طين مختلف فمرة ذكر فى خلقه هذا ومرة هذا وكل ما فى القرءان صفات ترددت على التراب الذى خلق منه والفخار الطين الطيب اذا مسه الماء فخر اي ربا وعظم والجان اسم جنس كالجنة قال الفخر وفى الجان وجه آخر انه ابو الجن كما ان الانسان هنا ابو الانس خلق من صلصال ومن بعده خلق من صلبه كذلك الجان هنا ابو الجن خلق من نار ومن بعده من ذريته انتهى والمارج اللهب المضطرب من النار قال ابن عباس وهو احسن النار المختلط من الوان شتى قال ابو حيان المارج المختلط من اصفر واخضر واحمر انتهى وكرر سبحانه قوله فبايى ءالاء ربكما تكذبان تاكيدا وتنبيها للنفوس وتحريكا لها وهذه طريقة من الفصاحة معروفة وهي من كتاب الله فى مواضع وفى حديث النبي صلى الله عليه وسلم وفى كلام العرب وذهب قوم الى ان هذا التكرار انما هو لما اختلفت النعم المذكورة كرر التوقيف مع كل واحدة منها قال (ع) وهذا حسن وقال الحسين بن الفضل التكرار لطرد الغفلة وللتاكيد وخص سبحانه ذكر المشرقين والمغربين بالتشريف فى اضافة الرب اليهما لعظمهما فى المخلوقات (ت) وتحتمل الآية ان يراد المشرقين والمغربين وما بينهما كما هو فى سورة الشعراء واختلف الناس فى البحرين قال (ع) والظاهر عندى ان قوله تعالى البحرين يريد بهما

نوعي الماء العذب والاجاج اي خلطهما فى الارض وارسلها متداخلين فى وضعهما فى الارض قريب بعضهما من بعض ولا بغي قال (ع) وذكر الثعلبي فى مرج البحرين الغازا واقوالا باطنة يجب ان لا يلتفت الى شيء منها (ت) ولا شك فى اطراحها فمنها نقله عن الثوري مرج البحرين فاطمة وعلي اللؤلؤ والمرجان الحسن والحسين ثم تمادى فى نحو هذا مما كان الاولى به تركه ومرج الشيء اي اختلط والبرزخ الحاجز قال البخاري لا يبغيان لا يختلطان انتهى قال ابن مسعود والمرجان حجر احمر وهذا هو الصواب قال عطاء الخراساني وهو البُسَّذ * وقوله سبحانه يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان قال جمهور من المتأولين انما يخرج ذلك من الاجاج فى المواضع التى تقع فيها الانهار والمياه العذبة فلذلك قال منهما (ت) وهذا بناء على ان الضمير فى منهما للعذب وللمالح واما على قول من قال ان البحرين بحر فارس والروم او بحر القلزم وبحر الشام فلا اشكال اذ كلها مالحة وقد نقل الاخفش عن قوم انه يخرج اللؤلؤ والمرجان من المالح ومن العذب وليس لمن رده حجة قاطعة ومن اثبت اولى ممن نفى قال ابو حيان والضمير فى منهما يعود على البحرين يعنى العذب والمالح والظاهر خروج اللؤلؤ والمرجان منهما وحكاه الاخفش عن قوم انتهى والجوارى جمع جارية وهي السفن وقرأ حمزة وابو بكر المنشئات بكسر الشين اي اللواتى انشأن جريهن اي ابتدأنه وقرأ الباقون بفتح الشين اي انشأها الله اوالناس وقال مجاهد المنشئات ما رفع قلعه من السفن كالاعلام اي كالجبال (ت) ولفظ البخاري المنشئات ما رفع قلعه من السفن فاما ما لا يرفع قلعه فليس بمنشئات انتهى * وقوله سبحانه كل من عليها اي على الارض فان والاشارة بالفناء الى جميع الموجودات على الارض من حيوان وغيره والوجه عبارة عن الذات لان الجارحة منفية فى حقه سبحانه قال الداودي وعن ابن عباس ذو

الجلال قال ذو العظمة والكبرياء انتهى * وقوله سبحانه يسئله من فى السموات والارض اي من ملك وانس وجن وغيرهم لا غنى لاحد منهم عنه سبحانه كلهم يسئله حاجته اما بلسان مقاله واما بلسان حاله * وقوله سبحانه كل يوم هو فى شأن اي يظهر شأنا من قدرته التى قد سبقت فى الازل فى ميقاته من الزمان من احياء واماتة ورفعة وخفض وغير ذلك من الامور التى لا يعلم نهايتها الا هو سبحانه والشأن هو اسم جنس للامور قال الحسين بن الفضل معنى الآية سوق المقادير الى المواقيت وفى الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية فقيل له ما هذا الشأن يا رسول الله قال يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع اخرين وذكر النقاش ان سبب هذه الآية قول اليهود استراح الله يوم السبت فلا ينفذ فيه شيأ * وقوله تعالى سنفرغ لكم ايه الثقلان عبارة عن اتيان الوقت الذى قدر فيه وقضى ان ينظر فى امور عباده وذلك يوم القيامة وليس المعنى ان ثم شغلا يتفرغ منه اذ لا يشغله سبحانه شان عن شان وانما هي اشارة وعيد وتهديد قال البخاري وهو معروف فى كلام العرب يقال لافرغن لك وما به شغل انتهى والثقلان الانس والجن يقال لكل ما يعظم امره ثقل وقال جعفر بن محمد الصادق سمي الانس والجن ثقلين لانهما ثقلا بالذنوب قال (ع) وهذا بارع ينظر الى خلقهما من طين ونار واختلف الناس فى معنى قوله تعالى ان استطعتم ان تنفذوا الآية فقال الطبري قال قوم المعنى يقال لهم يوم القيامة يا معشر الجن والانس ان استطعتم الآية قال الضحاك وذلك انه يفر الناس فى اقطار الارض والجن كذلك لما يرون من هول يوم القيامة فيجدون سبعة صفوف من الملائكة قد احاطت بالارض فيرجعون من حيث جاءوا فحينئذ يقال لهم يا معشر الجن والانس وقال بعض المفسرين هي مخاطبة فى الدنيا والمعنى ان استطعتم الفرار من الموت بان تنفذوا من

اقطار السموات والارض فانفذوا (ت) والصواب الاول * وقوله فانفـذوا
صيغة امر ومعناه التعجيز والشواظ لهب النار قاله ابن عباس وغيره قال ابو
حيان الشواظ هو اللهب الخالص بغير دخان انتهى والنحاس هو المعروف قاله
ابن عباس وغيره اي يذاب ويرسل عليهما ونحوه فى البخاري قال (ص) وقال
الخليل النحاس هنـا هو الدخان الذى لا لهب له ونقله ايضـا ابو البقـاء وغيره
انتهى * وقوله سبحانـه فاذا انشقت السماء جواب اذا محذوف مقصود بـه
الابهام كانـه يقول فاذا انشقت السماء فما اعظم الهول قال قتادة السماء اليوم
خضراء وهي يوم القيامـة حمراء فمعنى قوله وردة اي محمرة كالوردة وهي النوار
المعروف وهـذا قول الزجاج وغيره * وقوله كالدهان قال مجاهـد وغيره هـو
جمع دهن وذلك ان السماء يعتريها يوم القيامـة ذوب وتميع من شـدة الهول
وقال ابن جريج من حر جهنم نقله الثعلبي وقيل غير هـذا * وقوله فيومئذ لا
يسئل عن ذنبـه انس ولا جان قال قتادة وغيره هي مواطن فلا تعارض بين
الآيات * وقوله سبحانه فيوخذ بالنواصى والاقدام قال ابن عباس يوخذ كل
كافر بناصيته وقدميه ويطوى ويجمع كالحطب ويلقى كذلك فى النار وقيل المعنى
ان بعض الكفرة يوخذون بالنواصى وبعضهم يسحبون ويجرون بالاقدام *
وقوله تعالى هذه جهنم اي يقال لهم على جهة التوبيخ وفى مصحف ابن مسعود
هذه جهنم التى كنتما بها تكذبان لا تموتان فيها ولا تحييان * وقوله سبحانـه
يطوفون بينها وبين حميم آن المعنى انهم يترددون بين نار جهنم وجمرها وبين
حميم وهو ما غلي فى جهنم من مائع عذابها وءان الشيء حضر وءان اللحم او
ما يطبخ او يغلى نضج وتناهى حره وكونه من الثانى ابين * وقوله تعالى ولمن
خاف مقام ربه اي موقفه بين يدي ربه قيل فى هذه الآية ان كل خائف له
جنتان (ت) قال الثعلبي قال محمد بن على الترمذي جنـة لخوفه من ربه وجنة

لتركه شهوته والافنان يحتمل ان تكون جمع فنن وهو الغصن وهذا قول مجاهد فكانه مدحها بظلالها وتكاثف اغصانها ويحتمل ان تكون جمع فن وهو قول ابن عباس فكانه مدحها بكثرة فواكهها ونعيمها وزوجان معناه نوعان (ت) ونقل الثعلبي عن ابن عباس قال ما فى الدنيا شجرة حلوة ولا مرة الا وهي فى الجنة حتى الحنظل الا انه حلو انتهى ومتكئين حال وقرأ الجمهور على فرش بضم الراء وروي فى الحديث انه قيل للنبي صلى الله عليه وسلم هذه البطائن من استبرق فكيف الظواهر قال هي من نور يتلألأ والاستبرق ما خشن وحسن من الديباج والسندس مارق منه وقد تقدم القول فى لفظ الاستبرق والضمير فى قوله فيهن للفرش وقيل للجنات اذ الجنتان جنات فى المعنى والجنى ما يجنى من الثمار ووصفه بالدنو لانه يدنو الى مشتهيه فيتناوله كيف شاء من قيام او جلوس او اضطجاع روي معناه فى الحديث وقاصرات الطرف هن الحور قصرن الحاظهن على ازواجهن لم يطمثهن اي لم يفتضهن لان الطمث دم الفرج * وقوله ولا جان قال مجاهد الجن قد تجامع نساء البشر مع ازواجهن (١) اذا لم يذكر الزوج اسم الله فنفى سبحانه فى هذه الآية جميع المجامعات * وقوله تعالى كانهن الياقوت والمرجان الآية الياقوت والمرجان هي من الاشياء التى قد برع حسنها واستشعرت النفوس جلالتها فوقع التشبيه بها فيما يشبه ويحسن بهذه المشبهات فالياقوت فى املاسه وشفوفه ولو ادخلت فيه سلكا لرأيته من ورائه وكذلك المرأة من نساء الجنة

---

(١) قال السيد فى روح المعانى ان دعوى ان الجن تجامع نساء البشر جماعا حقيقيا مع ازواجهن اذا لم يذكروا اسم الله تعالى غير مسلمة عند جميع العلماء وقوله تعالى وشاركهم فى الاموال والاولاد غير نص فى المراد كما لا يخفى اه كتبه مصححه

يرى مخ ساقها من وراء العظم والمرجان فى املاسه وجمال منظره * وقوله سبحانه هل جزاء الاحسان الا الاحسان ءاية وعد وبسط لنفوس جميع المومنين لانها عامة قال ابن المنكدر وابن زيد وجماعة من اهل العلم هي للبر والفاجر والمعنى ان جزاء من احسن بالطاعة ان يحسن اليه بالتنعيم وحكى النقاش ان النبي صلى الله عليه وسلم فسر هذه الآية هل جزاء التوحيد الا الجنة (ت) ولوصح هذا الحديث لوجب الوقوف عنده ولكن الشان فى صحته قال الفخر قوله تعالى هل جزاء الاحسان الا الاحسان فيه وجوه كثيرة حتى قيل ان فى القرءان ثلاث ءايات فى كل واحدة منها مائة قول احداها قوله تعالى فاذكروني اذكركم وثانيتها وان عدتم عدنا وثالثتها هل جزاء الاحسان الا الاحسان ولنذكر الاشهر منها والاقرب اما الاشهرفوجوه احدها هل جزاء التوحيد الا الجنة اي هل جزاء من قال لا اله الا الله الا دخول الجنة ثانيها هل جزاء الاحسان فى الدنيا الا الاحسان فى الآخرة ثالثها هل جزاء من احسن اليكم بالنعم فى الدنيا الا ان تحسنوا له العبادة والتقوى واما الاقرب فهو التعميم اي لان لفظ الآية عام انتهى * وقوله سبحانه ومن دونهما جنتان قال بن زيد وغيره معناه ان هاتين دون تينك فى المنزلة والقرب فالاوليان للمقربين وهاتان لاصحاب اليمين وعن ابن عباس ان المعنى انهما دونهما فى القرب الى المنعمين وانهما افضل من الاولين قال (ع) واكثر الناس على التاويل الاول (ت) واختار الترمذي الحكيم التاويل الثانى واطنب فى الاحتجاج له فى نوادر الاصول له وخرج البخاري هنا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال جنتان من فضة ءانيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب ءانيتهما وما فيهما الحديث وفيه ان فى الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة عرضها ستون ميلا فى كل زاوية منها اهل ما يرون الآخرين يطوف عليهم المومن انتهى ومدهامتان معناه قدعلا

لونهما دهمة وسواد فى النظرة والخضرة قال البخاري مدهامتان سوداوان من الري انتهى والنضاخة الفوارة التى يهيج ماؤها وكر النخل والرمان وهما من افضل الفاكهة تشريفا لهما وقالت ام سلمة قلت يا رسول الله اخبرنى عن قول الله تعالى خيرات حسان قال خيرات الاخلاق حسان الوجوه وقرئ شاذا خيرات بشد الياء المكسورة (ت) وفى صحيح البخاري من حديث انس عن النبي صلى الله عليه وسلم لروحة فى سبيل الله او غدوة خير من الدنيا وما فيها ولقاب قوس احدكم فى الجنة او موضع قيد سوطه خير من الدنيا وما فيها ولو ان امرأة من اهل الجنة اطلعت الى اهل الارض لاضاءت ما بينهما ولملأته ريحا ولنصيفها على رأسها يعنى الخمار خير من الدنيا وما فيها * وقوله سبحانه مقصورات اي محجوبات مصونات فى الخيام وخيام الجنة بيوت اللؤلؤ قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه هي در مجوف ورواه ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الداودي وعن ابن عباس والخيمة لؤلؤة مجوفة فرسخ فى فرسخ لها اربعة ٠الاف مصراع انتهى والرفرف ما تدلى من الاسرة من عالى الثياب والبسط وقاله ابن عباس وغيره وما يتدلى حول الخباء من الخرقة الهفافة يسمى رفرفا وكذلك يسميه الناس اليوم وقيل غير هذا وما ذكرناه اصوب والعبقري بسط حسان فيها صور وغير ذلك تصنع بعبقر وهو موضع يعمل فيه الوشي والديباج ونحوه قال ابن عباس العبقري الزرابي وقال ابن زيد هي الطنافس قال الخليل والاصمعي العرب اذا استحسنت شيأ واستجادته قالت عبقري قال (ع) ومنه قوله صلى الله عليه وسلم فى عمر فلم ارعبقريا من الناس يفرى فريه * وقوله سبحانه تبارك اسم ربك ذى الجلال والاكرام هذا الموضع مما اريد فيه بالاسم مسماه والدعاء بهاتين الكلمتين حسن مرجو الاجابة وقد قال صلى الله عليه وسلم الظّوا بياذا الجلال والاكرام

تفسير سورة الواقعة وهي مكية باجماع ممن يعتد بقوله

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من دام على قراءة سورة الواقعة لم يفتقر اوقال لم تصبه فاقة ابدا قال (ع) لان فيها ذكر القيامة وحظوظ الناس فى الآخرة وفهم ذلك غنى لا فقر معه ومن فهمه شغل بالاستعداد

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله سبحانه اذا وقعت الواقعة الآية الواقعة اسم من اسماء القيامة قاله ابن عباس وقال الضحاك الواقعة الصيحة وهي النفخة فى الصور وكاذبة يحتمل ان يكون مصدرا فالمعنى ليس لها تكذيب ولا رد ولا مثنوية وهذا قول مجاهد والحسن ويحتمل ان يكون صفة لمقدر كانه قال ليس لوقعتها حال كاذبة * وقوله سبحانه خافضة رافعة قال قتادة وغيره يعنى القيامة تخفض اقواما الى النار وترفع اقواما الى الجنة وقيل ان بانفطار السموات والارض والجبال وانهدام هذه البنية ترتفع طائفة من الاجرام وتنخفض اخرى فكانها عبارة عن شدة هول القيامة (ت) والاول ابين وهو تفسير البخاري ومعنى رجت زلزلت وحركت بعنف قاله ابن عباس ومعنى بست فتت كما تبس البسيسة وهي السويق قاله ابن عباس وغيره وقال بعض اللغويين بست معناه سيرت والهباء ما يتطاير فى الهواء من الاجزاء الدقيقة ولا يكاد يرى الا فى الشمس اذا دخلت من كوة قاله ابن عباس وغيره والمنبث بالثاء المثلثة الشائع فى جميع الهواء

والخطاب فى قوله وكنتم لجميع العالم والازواج الانواع قال قتادة هذه منازل الناس يوم القيامة * وقوله سبحانه فاصحاب الميمنة ابتداء وما ابتداء ثان واصحاب الميمنة خبر ما والجملة خبر الابتداء الاول وفى الكلام معنى التعظيم كما تقول زيد ما زيد ونظير هذا فى القرءان كثير والميمنة اظهر ما فى اشتقاقها انها من ناحية اليمين وقيل من اليمْن وكذلك المشأمة اما ان تكون من اليد الشُؤْمى واما ان تكون من الشؤم وقد فسرت الآية بهذين المعنيين * وقوله تعالى والسابقون ابتداء والسابقون الثانى قال سيبويه هو خبر الاول وهذا على معنى تفخيم الامر وتعظيمه وقال بعض النحاة السابقون الثانى نعت للاول ومعنى الصفة ان تقول والسابقون الى الايمان السابقون الى الجنة والرحمة اولائك ويتجه هذا المعنى على الابتداء والخبر * وقوله اولئك المقربون ابتداء وخبر وهو فى موضع الخبر على قول من قال السابقون الثانى صفة والمقربون معناه من الله سبحانه فى جنة عدن فالسابقون معناه الذين قد سبقت لهم السعادة وكانت اعمالهم فى الدنيا سبقا الى اعمال البر والى ترك المعاصى فهذا عموم فى جميع الناس وخصص المفسرون فى هذه اشياء تفتقر الى سند قاطع وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن السابقين فقال هم الذين اذا اعطوا الحق قبلوه واذا سئلوه بذلوه وحكموا للناس بحكمهم لانفسهم والمقربون عبارة عن اعلى منازل البشر فى الآخرة قال جماعة من اهل العلم هذه الآية متضمنة ان العالم يوم القيامة على ثلاثة اصناف * وقوله سبحانه ثلة من الاولين وقليل من الآخرين الثلة الجماعة قال الحسن بن ابى الحسن وغيره المراد السابقون من الامم والسابقون من هذه الامة وروي ان الصحابة حزنوا لقلة سابقي هذه الامة على هذا التاويل فنزلت الآية ثلة من الاولين وثلة من الآخرين فرضوا وروي عن عائشة انها تأولت ان الفرقتين فى امة كل نبيء هي فى الصدر ثلة وفى ءاخر الامة قليل وقال النبي

صلى الله عليه وسلم فيما روي عنه الفرقتان فى امتى فسابق اول الامة ثلة وسابق سائرها الى يوم القيامة قليل قال السهيلي واما آخر من يدخل الجنة وهو آخر اهل النار خروجا منها فرجل اسمه جهينة فيقول اهل الجنة تعالوا نسأله فعند جهينة الخبر اليقين فيسألونه هل بقي فى النار احد بعدك ممن يقول لا اله الا الله وهذا حديث ذكره الدارقطني من طريق مالك بن انس يرفعه باسناد الى النبي صلى الله عليه وسلم ذكره فى كتاب رواة مالك بن انس رحمه الله انتهى * وقوله تعالى على سرر موضونة اي منسوجة بتركيب بعض اجزائها على بعض كحلق الدرع ومنه وضين الناقة وهو حزامها قال ابن عباس موضونة مرمولة بالذهب وقال عكرمة مشبكة بالدر والياقوت يطوف عليهم للخدمة ولدان وهم صغار الخدمة ووصفهم سبحانه بالخلد وان كان جميع ما فى الجنة كذلك اشارة الى انهم فى حال الولدان مخلدون لا تكبر لهم سن اي لا يحولون من حالة الى حالة وقاله ابن كيسان وقال الفراء مخلدون معناه مقرطون بالخلدات وهي ضرب من الاقراط والاول اصوب لان العرب تقول للذى كبر ولم يشب انه لمخلد والاكواب ما كان من اوانى الشرب لا اذن له ولا خرطوم قال قتادة ليست لها عرى والابريق ماله خرطوم والكاس الآنية المعدة للشرب بشريطة ان يكون فيها خمر ولا يقال ءلانية فيها ماء اولبن كاس * وقوله من معين قال ابن عباس معناه من خمر سائلة جارية معينة * وقوله لا يصدعون عنها ذهب اكثر المفسرين الى ان المعنى لا يلحق رءوسهم الصداع الذى يلحق من خمر الدنيا وقال قوم معناه لا يفرقون عنها بمعنى لا تقطع عنهم لذتهم بسبب من الاسباب كما يفرق اهل خمر الدنيا بانواع من التفريق ولا ينزفون معناه لا تذهب عقولهم سكرا قاله مجاهد وغيره والنزيف السكران وباقى الآية بين وخص المكنون باللؤلؤ لانه اصفى لونا وابعد عن الغير وسألت ام سلمة رسول

الله صلى الله عليه وسلم عن هذا التشبيه فقال صفاؤهن كصفاء الدر فى الاصداف الذى لا تمسه الايدى وجزاء بما كانوا يعملون اي ان هذه الرتب والنعيم هي لهم بحسب اعمالهم لانه روي ان المنازل والقسم فى الجنة هي مقتسمة على قدر الاعمال ونفس دخول الجنة هو برحمة الله وفضله لا بعمل عامل كما جاء فى الصحيح * وقوله تعالى الاقيلا سلاما سلاما قال ابو حيان الاقيلا سلاما سلاما الظاهر ان الاستثناء منقطع لانه لايندرج فى اللغو والتاثيم وقيل متصل وهو بعيد انتهى قال الزجاج وسلاما مصدر كانه يذكر انه يقول بعضهم لبعض سلاما سلاما (ت) قال الثعلبي والسدر شجر النبق ومخضود اي مقطوع الشوك قال (ع) ولاهل تحرير النظر هنا اشارة فى ان هذا الخضد بإزاء اعمالهم التي سلموا منها اذ اهل اليمين توابون لهم سلام وليسوا بسابقين قال الفخر وقد بان لى بالدليل ان المراد باصحاب اليمين الناجون الذين اذنبوا واسرفوا وعفا الله تعالى عنهم بسبب ادنى حسنة لا الذين غلبت حسناتهم وكثرت انتهى والطلح من العضاه شجر عظيم كثير الشوك وصفه فى الجنة على صفة مباينة لحال الدنيا ومنضود معناه مركب ثمره بعضه على بعض من ارضه الى اعلاه وقرأ علي رضي الله عنه وغيره وطلع فقيل لعلي انما هو وطلح فقال ما للطلح والجنة قيل له انصلحها فى المصحف فقال ان المصحف اليوم لا يهاج ولا يغير (١) وقال علي ايضا وابن عباس الطلح الموز والظل الممدود معناه الذى

---

(١) وهي رواية غير صحيحة كما نبه على ذلك الطيبي وكيف يقر امير المومنين كرم الله تعالى وجهه تحريفا فى كتاب الله تعالى المتداول بين الناس اوكيف يظن بان نقلة القرءان ورواته وكتابه من قبل تعمدوا ذلك او غفلوا عنه هذا والله تعالى قد تكفل بحفظه سبحانك هذا بهتان عظيم اه من روح المعانى نقله مصححه

لا تنسخه شمس وتفسير ذلك فى قوله صلى الله عليه وسلم ان فى الجنة شجرة يسير الراكب الجواد المضمر فى ظلها مائة سنة لا يقطعها واقرءوا ان شئتم وظل ممدود الى غير هذا من الاحاديث فى هذا المعنى (ت) وفى صحيحي البخاري ومسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم ان فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة سنة لا يقطعها ولقاب قوس احدكم فى الجنة خير مما طلعت عليه الشمس او تغرب انتهى وماء مسكوب اي جار فى غير اخدود * لا مقطوعة ولا ممنوعة اي لا مقطوعة بالا زمان كحال فاكهة الدنيا ولا ممنوعة بوجه من الوجوه التى تمتنع بها فاكهة الدنيا والفرش الاسرة وعن ابى سعيد الخدري ان فى ارتفاع السرير منها مسيرة خمس مائة سنة (ت) وهذا ان ثبت فلا بعد فيه اذ احوال الآخرة كلها خرق عادة وقال ابو عبيدة وغيره اراد بالفرش النساء ومرفوعة معناه فى الاقدار والمنازل وانشأناهن معناه خلقناهن شيأ بعد شيء وقال النبي صلى الله عليه وسلم فى تفسير هذه الآية هن عجائز كن فى الدنيا عمشا رمصا جعلهن الله بعد الكبر اترابا وقال للعجوز ان الجنة لا يدخلها العجوز فحزنت فقال انك اذا دخلت الجنة انشئت خلقا آخر * وقوله سبحانه فجعلناهن ابكارا قيل معناه دائمة البكارة متى عاود الوطء وجدها بكرا والعرب جمع عروب وهي المتحببة الى زوجها باظهار محبته قاله ابن عباس وعبر عنهن ابن عباس ايضا بالعواشق وقال زيد العروب الحسنة الكلام (ت) قال البخاري والعروب يسميها اهل مكة العربة واهل المدينة الغنجة واهل العراق الشكلة انتهى * وقوله اترابا معناه فى الشكل والقد قال قتادة اترابا يعنى سنا واحدة ويروى ان اهل الجنة هم على قد ابن اربعة عشر عاما فى الشباب والنضرة وقيل على مثال ابناء ثلاث وثلاثين سنة مردا بيضا مكحلين زاد الثعلبي على خلق آدم طوله ستون ذراعا فى سبعة اذرع * وقوله سبحانه ثلة من الاولين وثلة من الآخرين قال الحسن بن ابى

الحسن وغيره الاولون سالف الامم منهم جماعة عظيمة اصحاب يمين والآخرون هذه الامة منهم جماعة عظيمة اهل يمين قال (ع) بل جميعهم الامن كان من السابقين وقال قوم من المتأولين هاتان الفرقتان فى امة محمد وروى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الثلّثان من امتى وروى ابن المبارك فى رقائقه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان امتى ثلثا اهل الجنة والناس يومئذ عشرون ومائة صف وان امتى من ذلك ثمانون صفا انتهى * وقوله سبحانه واصحاب الشمال الآية فى الكلام معنى الانحاء عليهم وتعظيم مصائبهم والسموم اشد ما يكون من الحر اليابس الذى لا بلل معه والحميم السخن جدا من الماء الذى فى جهنم واليحموم هو الدخان الاسود يظل اهل النار قاله ابن عباس والجمهور وقيل هو سرادق النار المحيط باهلها فانه يرتفع من كل ناحية حتى يظلهم وقيل هو جبل فى النار اسود * وقوله ولا كريم معناه ليس له صفة مدح قال الثعلبي وعن ابن المسيب ولا كريم اي ولا حسن نظيره من كل زوج كريم وقال قتادة لا بارد النزل ولا كريم المنظر وهو الظل الذى لا يغنى من اللهب انتهى والمترف المنعم فى سرف وتخوض ويصرون معناه يعتقدون اعتقادا لا ينزعون عنه والحنث الاثم وقال الثعلبي وكانوا يصرون يقيمون على الحنث العظيم اي الذنب انتهى ونحوه للبخاري وهو حسن نحو ما فى الرسالة قال قتادة وغيره والمراد بهذا الاثم العظيم الشرك وباقى الآية فى استبعادهم للبعث وقد تقدم بيانه * وقوله سبحانه ثم انكم ايها الضالون مخاطبة لكفار قريش ومن كان فى حالهم ومن فى قوله من زقوم لبيان الجنس والضمير فى منها عائد على الشجر والضمير فى عليه عائد على الماكول والهيم قال ابن عباس وغيره جمع اهيم وهو الجمل الذى اصابه الهيام بضم الهاء وهو داء معطش يشرب معه الجمل حتى يموت او يسقم سقما شديدا وقال قوم

هو جمع هائم وهو ايضا من هـذا المعنى لان الجمل اذا اصابه ذلك الداء هام على و . . . ه وذهب وقال ابن عباس ايضا وسفيان الثوري الهيم الرمال التى لا تروى ن الماء والنزل اول ما ياكل الضيف والدين الجزاء * وقوله سبحانـه افرأيتم ما تمنون الآية وليس يوجـد مفطور يخفى عليه ان المني الذى يخرج منـه ليس له فيه عمل ولا ارادة ولا قدرة وقرأ الجمهور قدرنا وقرأ ابن كثير وحده قدرنا بتخفيف الدال فيحتمل ان يكون المعنى فيهما قضينا واثبتنا ويحتمل ان يكون بمعنى سوينا قال الثعلبي عن الضحاك اي سوينا بين اهل السماء واهل الارض * وقوله وما نحن بمسبوقين اي على تبديلكم ان اردناه وان ننشئكم باوصاف لا يصلها علمكم ولا يحيط بها فكركم قال الحسن من كونهم قردة وخنازير لان الآية تنحو الى الوعيد والنشأة الاولى قال اكثر المفسرين اشارة الى خلق ءادم وقيـل المراد نشأة الانسان فى طفولته وهذه الآية نص فى استعمال القياس والحض عليـه وعبارة الثعلبي ويقال النشأة الاولى نطفة ثم علقـة ثم مضغة ولم يكونوا شيأ فلولا اي فهلا تذكرون انى قادر على اعادتكم كما قدرت على ابدائكم وفيه دليـل على صحة القياس لانه علمهم سبحانه الاستدلال بالنشأة الاولى على النشأة الاخرى انتهى * وقوله سبحانه ءانتم تزرعونـه اي زرعا يتم ام نحن وروى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تقل زرعت ولكن قلت حرثت ثم تلا ابو هريرة هذه الآية والحطام اليابس المتفتت من النبات الصائر الى ذهاب وبه شبه حطام الدنيا وتفكهون قال ابن عباس وغيره معناه تعجبون اي مماثل بكم وقال ابن زيد معناه تتفجعون قال (ع) وهذا كله تفسير لا يخص اللفظة والذى يخص اللفظة هو تطرحون الفكاهة عن انفسكم وقولهم انا لمغرمون قبله محذوف تقديره يقولون وقرأ عاصم الجحدري ءانا لمغرمون بهمزتين على الاستفهام والمعنى يحتمل ان يكون انا لمغرمون من الغرام وهو اشـد العذاب ويحتمل انا لمحملون

الغرم اي غرمنا فى النفقة وذهب زرعنا وقد تقدم تفسير المحروم وانه الذى تبعد عنه ممكنات الرزق بعد قربها منه وقال الثعلبي المحروم ضد المرزوق انتهى والمزن هو السحاب والاجاج اشد المياه ملوحة وتورون معناه تقتدحون من الازند تقول اوريت النار من الزناد والزناد قد يكون من حجر وحديدة ومن شجر لا سيما فى بلاد العرب ولا سيما فى الشجر الرخو كالمرخ والعفار والكلخ وما اشبهه ولعادة العرب فى ازنادهم من شجر قال تعالى ءانتم انشأتم شجرتها اي التى تقدح منها ام نحن المنشئون نحن جعلناها يعنى نار الدنيا تذكرة للنار الكبرى نار جهنم قاله مجاهد وغيره والمتاع ما ينتفع به والمقوين فى هذه الآية الكائنين فى الارض القواء وهي الفيافى ومن قال معناه للمسافرين فهو نحو ما قلناه وهي عبارة ابن عباس رضي الله عنه تقول اقوى الرجل اذا دخل فى الارض القواء * وقوله سبحانه فلا اقسم بمواقع النجوم الآية قال بعض النحاة لا زائدة والمعنى فاقسم وزيادتها فى بعض المواضع معروفة وقرأ الحسن وغيره فلاقسم من غير الف وقال بعضهم لا نافية كانه قال فلا صحة لما يقوله الكفار ثم ابتدأ اقسم بمواقع النجوم والنجوم هنا قال ابن عباس وغيره هي نجوم القرءان وذلك انه روي ان القرءان نزل فى ليلة القدر الى سماء الدنيا وقيل الى البيت المعمور جملة واحدة ثم نزل بعد ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم نجوما مقطعة مدة من عشرين سنة قال (ع) ويؤيده عود الضمير على القرءان فى قوله انه لقرءان كريم وقال كثير من المفسرين بل النجوم هنا هي الكواكب المعروفة ثم اختلف هؤلاء فى مواقعها فقيل غروبها وطلوعها وقيل مواقعها عند انقضاضها اثر العفاريت * وقوله وانه لقسم تاكيد * وقوله لو تعلمون اعتراض * وقوله انه لقرءان كريم هو الذى وقع القسم عليه * وقوله فى كتاب مكنون الآية المكنون المصون قال ابن عباس وغيره اراد الكتاب الذى فى السماء قال الثعلبي

ويقال هو اللوح المحفوظ * وقوله لا يمسه الا المطهرون يعني الملائكة وليس فى الآية على هذا التاويل تعرض لحكم مس المصحف لسائر بنى ءادم وقال بعض المتأولين اراد بالكتاب مصاحف المسلمين ولم تكن يومئذ فهو اخبار بغيب مضمنه النهي فلا يمس المصحف من بني ءادم الا الطاهر من الكفر والحدث وفى كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمرو بن حزم لا يمس القرءان الا طاهر وبه اخذ مالك وقرأ سلمان الا المطهرون بكسر الهاء * وقوله تعالى افبهذا الحديث يعني القرءان المتضمن البعث ومدهنون معناه يلاين بعضكم بعضا ويتبعه فى الكفر ماخوذ من الدهن للينه واملاسه وقال ابن عباس المداهنة هي المهاودة فيما لا يحل والمداراة هي المهاودة فيما يحل ونقل الثعلبي ان ادهن وداهن بمعنى واحد واصله من الدهن انتهى * وقوله سبحانه وتجعلون رزقكم انكم تكذبون اجمع المفسرون على ان الآية توبيخ للقائلين فى المطر الذى ينزله الله تعالى رزقا للعباد هذا بنوء كذا والمعنى وتجعلون شكر رزقكم وحكى الهيثم بن عدي ان من لغة ازد شنوءة ما رزق فلان بمعنى ما شكر وكان علي يقرأ وتجعلون شكركم انكم تكذبون وكذلك قرأ ابن عباس ورويت عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد اخبر الله سبحانه فقال ونزلنا من السماء ماء مباركا فانبتنا به جنات وحب الحصيد والنخل باسقات لها طلع نضيد رزقا للعباد فهذا معنى قوله انكم تكذبون اي بهذا الخبر قال (ع) والمنهي عنه هو ان يعتقد ان للنجوم تاثيرا فى المطر * وقوله سبحانه فلولا اذا بلغت الحلقوم يعنى بلغت نفس الانسان والحلقوم مجرى الطعام وهذه الحال هي نزع المرء للموت * وقوله وانتم اشارة الى جميع البشر حينئذ اي وقت النزع تنظرون اليه وقال الثعلبي وانتم حينئذ تنظرون الى امرى وسلطانى يعنى تصريفه سبحانه فى الميت انتهى والاول عندى احسن وعزاه الثعلبي لابن عباس * ونحن

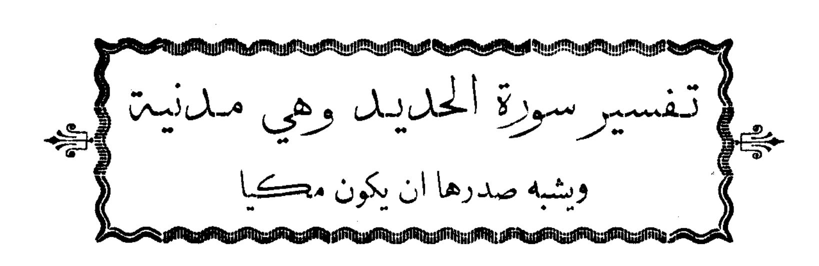
اقرب اليه منكم اي بالقدرة والعلم ولا قدرة لكم على دفع شيء عنه وقيل المعنى وملائكتنا اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرونهم وعلى التاويل الاول من البصر بالقلب * فلولا ان كنتم غير مدينين اي مملوكين اذلاء والمدين المملوك هذا اصح ما يقال فى هذه اللفظة هنا ومن عبر عنها بمجازى او بمحاسب فذلك هنا قلق والمملوك مقلب كيف شاء المالك ومن هذا الملك قول الاخطل

ربت وربا فى حجرها ابن مدينة * تراه على مسحاته يتركل

اراد ابن امة مملوكة وهو عبد يخدم الكرم وقد قيل فى معنى البيت انه اراد اكارا حضريا فنسبه الى المدينة فمعنى الآية فهل لا ترجعون النفس البالغة الحلقوم ان كنتم غير مملوكين مقهورين * وقوله ترجعونها سد مسد الاجوبة والبيانات التى تقتضيها التحضيضات * وقوله تعالى فاما ان كان من المقربين الآية ذكر سبحانه فى هذه الآية حال الازواج الثلاثة المذكورين فى اول السورة وحال كل امرئ منهم فاما المرء من السابقين المقربين فيلقى عند موته روحا وريحانا والروح الرحمة والسعة والفرح ومنه ولا تيأسوا من روح الله والريحان الطيب وهو دليل النعيم وقال مجاهد الريحان الرزق وقال الضحاك الريحان الاستراحة قال (ع) الريحان ما تنبسط اليه النفوس ونقل الثعلبي عن ابى العالية قال لا يفارق احد من المقربين الدنيا حتى يوتى بغصن من ريحان الجنة فيشمه ثم يقبض روحه فيه ونحوه عن الحسن انتهى فان اردت يا اخي اللحوق بالمقربين * والكون فى زمرة السابقين * فاطرح عنك دنياك * واقبل على ذكر مولاك * واجعل الآن الموت نصب عينيك قال الغزالي وانما علامة التوفيق ان يكون الموت نصب عينيك لا تغفل عنه ساعة فليكن الموت على بالك يا مسكين فان السير حاث بك وانت غافل عن نفسك ولعلك قد قاربت المنزل وقطعت المسافة فلا يكن اهتمامك الا بمبادرة العمل اغتناما لكل نفس امهلت فيه انتهى من الاحياء قال ابن المبارك

فى رقائقه اخبرنا سفيان عن ليث عن مجاهد قال ما من ميت يموت الاعرض
عليه اهل مجلسه ان كان من اهل الذكر فمن اهل الذكر وان كان من اهل اللهو
فمن اهل اللهو انتهى * وقوله تعالى فسلام لك من اصحاب اليمين عبارة
تقتضى جملة مدح وصفة تخلص وحصول عال من المراتب والمعنى ليس فى
امرهم الا السلام والنجاة من العذاب وهذا كما تقول فى مدح رجل اما فلان
فناهيك به فهذا يقتضى جملة غير مفصلة من مدحه وقد اضطربت عبارات
المتأولين فى قوله تعالى فسلام لك فقال قوم المعنى فيقال له سلام لك انك من
اصحاب اليمين وقال الطبري فسلام لك انت من اصحاب اليمين وقيل المعنى
فسلام لك يا محمد اي لاترى فيهم الا السلامة من العذاب (ت) ومن حصلت
له السلامة من العذاب فقد فاز دليله فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد
فاز قال (ع) فهذه الكاف فى لك اما ان تكون للنبي عليه السلام وهو الاظهر
ثم لكل معتبر فيها من امته واما ان تكون لمن يخاطب من اصحاب اليمين وغير
هذا مما قيل تكلف ونقل الثعلبي عن الزجاج فسلام لك اي انك ترى فيهم
ما تحب من السلامة وقد علمت ما اعد الله لهم من الجزاء بقوله فى سدر
مخضود الآيات * والمكذبون الضالون هم الكفار اصحاب الشمال والمشئمة
والنزل اول شيء يقدم للضيف والتصلية ان يباشر بهم النار والجحيم معظم النار
وحيث تراكمها * ان هذا لهو حق اليقين المعنى ان هذا الخبر هو نفس اليقين
وحقيقته * وقوله تعالى فسبح باسم ربك العظيم عبارة تقتضى الامر
بالاعراض عن اقوال الكفار وسائر امور الدنيا المختصة بها وبالاقبال على امور
الآخرة وعبادة الله تعالى والدعاء اليه (ت) وعن جابر بن عبد الله قال قال النبي
صلى الله عليه وسلم من قال سبحان الله العظيم وبحمده غرست له نخلة فى الجنة
رواه الترمذي والنسائي والحاكم وابن حبان فى صحيحيهما وقال الحاكم صحيح

على شرط مسلم وعند النسائي شجرة بدل نخلة وعن النعمان بن بشير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مما تذكرون من جلال الله التسبيح والتهليل والتحميد ينعطفن حول العرش لهن دوي كدوي النحل تذكر بصاحبها اما يحب احدكم ان يكون اولا يزال له من يذكر به ورواه ايضا ابن المبارك فى رقائقه عن كعب وفيه ايضا عن كعب انه قال ان للكلام الطيب حول العرش دويا كدوي النحل يذكرن بصاحبهن انتهى وعن ابى هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم مربه وهو يغرس غرسا فقال يا ابا هريرة ما الذى تغرس قلت غراسا قال الا ادلك على غراس خير من هذا سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر يغرس لك بكل واحدة شجرة فى الجنة روى هذين الحديثين ابن ماجه واللفظ له والحاكم فى المستدرك وقال فى الاول صحيح على شرط مسلم انتهى من السلاح وروى عقبة بن عامر قال لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال النبي صلى الله عليه وسلم اجعلوها فى ركوعكم فلما نزلت سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها فى سجودكم فيحتمل ان يكون المعنى سبح الله بذكر اسمائه العلا والاسم هنا بمعنى الجنس اي باسماء ربك والعظيم صفة للرب سبحانه وقد يحتمل ان يكون الاسم هنا واحدا مقصودا ويكون العظيم صفة له فكانه امره ان يسبحه باسمه الاعظم وان كان لم ينص عليه ويؤيد هذا ويشير اليه اتصال سورة الحديد واولها فيها التسبيح وجملة من اسماء الله تعالى وقد قال ابن عباس اسم الله الاعظم موجود فى ست ءايات من اول سورة الحديد فتأمل هذا فانه من دقيق النظر ولله تعالى فى كتابه العزيز غوامض لا تكاد الاذهان تدركها



روي عن ابن عباس ان اسم الله الاعظم هو في ست ءايات من اول سورة الحديد وروي ان الدعاء بعد قراءتها مستجاب

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله عز وجل سبح لله ما في السموات والارض وهو العزيز الحكيم قال اكثر المفسرين التسبيح هنا هو التنزيه المعروف في قولهم سبحان الله وهذا عندهم اخبار بصيغة الماضي مضمنه الدوام والاستمرار ثم اختلفوا هل هذا التسبيح حقيقة او مجاز على معنى ان اثر الصنعة فيها تنبه الراءي على التسبيح قال الزجاج وغيره والقول بالحقيقة احسن وهذا كله في الجمادات واما ما يمكن التسبيح منه فقول واحد ان تسبيحهم حقيقة * وقوله تعالى هو الاول اي الذى ليس لوجوده بداية مفتتحة والآخر الدائم الذى ليس له نهاية منقضية قال ابو بكر الوراق هو الاول بالازلية والآخر بالابدية * والظاهر معناه بالادلة ونظر العقول في صنعته * والباطن بلطفه وغوامض حكمته وباهر صفاته التي لا تصل الى معرفتها على ما هي عليه الاوهام وباقي الآية تقدم تفسير نظيره * وقوله تعالى وهو معكم اين ما كنتم معناه بقدرته وعلمه واحاطته وهذه ءاية اجمعت الامة على هذا التاويل فيها وباقي الآية بين * وقوله سبحانه ءامنوا بالله ورسوله الآية امر للمومنين بالثبوت على الايمان ويروى ان هذه الآية نزلت

فى غزوة العسرة قاله الضحاك وقال الاشارة بقوله فالذين ءامنوا منكم وانفقوا الى عثمان بن عفان يريد ومن فى معناه كعبد الرحمن بن عوف وغيره * وقوله مما جعلكم مستخلفين فيه تزهيد وتنبيه على ان الاموال انما تصير الى الانسان من غيره ويتركها لغيره وليس له من ذلك الا ما اكل فافنى او تصدق فامضى ويروى ان رجلا مر باعرابي له ابل فقال له يا اعرابي لمن هذه الابل قال هي لله عندى فهذا موفق مصيب ان صحب قوله عمله * وقوله سبحانه وما لكم لا تومنون بالله الآية توطئة لدعائهم رضي الله عنهم لانهم اهل هذه الرتب الرفيعة واذا تقرر ان الرسول يدعوهم وانهم ممن اخذ الله ميثاقهم فكيف يمتنعون من الايمان * وقوله ان كنتم مومنين اي ان دمتم على ايمانكم والظلمات الكفر والنور الايمان وباقى الآية وعد وتأنيس * وقوله تعالى وما لكم الا تنفقوا فى سبيل الله ولله ميراث السموات والارض المعنى وما لكم ان لا تنفقوا فى سبيل الله وانتم تموتون وتتركون اموالكم فناب مناب هذا القول قوله ولله ميراث السموات والارض وفيه زيادة تذكير بالله وعبرة وعنه يلزم القول الذى قدرناه * وقوله تعالى لا يستوى منكم من انفق من قبل الفتح الآية الاشهر فى هذه الآية انها نزلت بعد الفتح واختلف فى الفتح المشار اليه فقال ابو سعيد الخدري والشعبي هو فتح الحديبية وقال قتادة ومجاهد وزيد بن اسلم هو فتح مكة الذى ازال الهجرة قال (ع) وهذا هو المشهور الذى قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية وحكم الآية باق غابر الدهر من انفق فى وقت حاجة السبيل اعظم اجرا ممن انفق مع استغناء السبيل والحسنى الجنة قاله مجاهد وقتادة والقرض السلف والتضعيف من الله تعالى هو فى الحسنات وقد مر ذكر ذلك والاجر الكريم الذى يقترن به رضى واقبال وهذا معنى الدعاء بياكريم العفو اي ان مع عفوه رضى وتنعيما * وقوله

سبحانه يوم ترى المومنين والمومنات يسعى نورهم بين ايديهم الآيـة العامل فى يوم قوله وله اجر كريم والرؤيـة هنا رؤيـة عين والجمهور ان النور هنا هو نور حقيقة وقد روي فى هـذا عن ابن عباس وغيره ءاثار مضمنهـا ان كل مومن ومظهر للايمان يعطى يوم القيامـة نورا فيطفأ نور كل منافـق ويبقى نور المومنين حتى ان منهم من نوره يضيء كما بين مكة وصنعاء رفعـه قتادة الى النبي صلى الله عليه وسلم ومنهم من نوره كالنخلة السحوق ومنهم مـن نوره يضيء ما قرب من قـدميه قاله ابن مسعود ومنهم من يهم بالانطفاء مرة ويبين مرة على قدر المنازل فى الطاعـة والمعصية قال الفخر قال قتادة مـا من عبد الا وينادى يوم القيامة يا فلان هذا نورك يا فلان لا نور لك نعوذ بالله من ذلك واعلم ان العلم الذى هو نور البصيرة اولى بكونه نورا من نور البصر واذا كان كذلك ظهر ان معرفة الله تعالى هي النور فى القيامة فمقادير الانوار يوم القيامة على حسب مقادير المعارف فى الدنيا انتهى ونحوه للغزالي وخص تعالى بين الايدى بالذكر لانه موضع حاجة الانسان الى النور واختلف فى قوله تعالى وبايمانهم فقال بعض المتأولين المعنى وعـن ايمانهم فكانـه خص ذكر جهة اليمين تشريفا وناب ذلك مناب ان يقول وفى جميع جهاتهم وقال جمهور المفسرين المعنى يسعى نورهم بين ايديهم يريـد الضوء المنبسط مـن اصل النور وبايمـانهم اصله والشيء الذى هو متقـد فيـه فتضمن هذا القول انهم يحملون الانوار وكونهم غير حاملين اكرم الاترى ان فضيلة عباد بن بشر واسيد بن حضير انمـا كانت بنور لا يحملانه هـذا فى الدنيـا فكيف بالآخرة (ت) وفيما قاله (ع) عندى نظر وايضا فاحوال الآخرة لا تقاس على احوال الدنيا * وقوله تعالى بشراكم اي يقال لهم بشراكم جنات اي دخول جنات (ت) وقد جاءت بحمد الله ءاثار بتبشير هذه الامـة المحمدية وخرج ابن ماجه قال اخبرنا جُبارة بن المغلّس قال حدثنا عبد الاعلى عن ابي بردة

عن ابيه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا جمع الله الخلائق يوم القيامة اذن لامة محمد صلى الله عليه وسلم فى السجود فسجدوا طويلا ثم يقال ارفعوا رءوسكم فقد جعلنا عدتكم فداء كم من النار قال ابن ماجه وحدثنا جبارة بن المغلس حدثنا كثير بن سليمان عن انس بن مالك قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ان هذه الامة امة مرحومة عذابها بايديها فاذا كان يوم القيامة دفع الى كل رجل من المسلمين رجل من المشركين فيقال هذا فداؤك من النار وفى صحيح مسلم دفع الله لكل مسلم يهوديا او نصرانيا فيقول هذا فداؤك من النار انتهى من التذكرة * وقوله تعالى يوم يقول المنافقون قيل يوم هو بدل من الاول وقيل العامل فيه اذكر قال (ع) ويظهر لى ان العامل فيه قوله تعالى ذلك هو الفوز العظيم ويجيء معنى الفوز افخم كانه يقول ان المومنين يفوزون بالرحمة يوم يعترى المنافقين كذا وكذا لان ظهور المرء يوم خمول عدوه ومضاده ابدع وافخم وقول المنافقين هذه المقالة المحكية هو عند انطفاء انوارهم كما ذكرنا قبل وقولهم انظرونا معناه انتظرونا وقرأ حمزة وحده انظرونا بقطع الالف وكسر الظاء ومعناه اخرونا ومنه فنظرة الى ميسرة ومعنى قولهم اخرونا اي اخروا مشيكم لنا حتى نلتحق فنقتبس من نوركم واقتبس الرجل اخذ من نور غيره قبسا قال الفخر القبس الشعلة من النار والسراج والمنافقون طمعوا فى شيء من انوار المومنين وهذا منهم جهل لان تلك الانوار نتائج الاعمال الصالحة فى الدنيا وهم لم يقدموها قال الحسن يعطى يوم القيامة كل احد نورا على قدر عمله ثم يوخذ من حجر جهنم ومما فيها من الكلاليب والحسك ويلقى على الطريق ثم تمضى زمرة من المومنين وجوههم كالقمر ليلة البدر ثم تمضى زمرة اخرى كاضوأ كوكب فى السماء ثم على ذلك ثم تغشاهم ظلمة تطفئ نور المنافقين فهنالك يقول المنافقون للذين ءامنوا انظرونا نقتبس من نوركم انتهى *

وقوله تعالى قيل ارجعوا وراءكم يحتمل ان يكون من قول المومنين لهم ويحتمل ان يكون من قول الملائكة والقول لهم فالتمسوا نورا هو على معنى التوبيخ لهم اي انكم لا تجدونه ثم اعلم تعالى انه يضرب بينهم فى هذه الحال بسور حاجز فيبقى المنافقون فى ظلمة وعذاب * وقوله تعالى باطنه فيه الرحمة اي جهة المومنين وظاهره جهة المنافقين والظاهر هنا البادى ومنه قول الكتاب من ظاهر مدينة كذا وعبارة الثعلبي فضرب بينهم بسور وهو حاجز بين الجنة والنار قال ابو امامة الباهلي فيرجعون الى المكان الذى قسم فيه النور فلا يجدون شيأ فينصرفون اليهم وقد ضرب بينهم بسور قال قتادة حائط بين الجنة والنار له باب باطنه فيه الرحمة يعني الجنة وظاهره من قبله العذاب يعنى النار انتهى قال (ص) قال ابو البقاء الباء فى بسور زائدة وقيل ليست بزائدة قال ابو حيان والضمير فى باطنه عائد على الباب وهو الاظهر لانه الاقرب وقيل على سور ابو البقاء والجملة صفة لباب او لسور انتهى * وقوله تعالى ينادونهم معناه ينادى المنافقون المومنين الم نكن معكم فى الدنيا فيرد المومنون عليهم بلى كنتم معنا ولكن عرضتم انفسكم للفتنة وهي حب العاجل والقتال عليه قال مجاهد فتنتم انفسكم بالنفاق وتربصتم معناه هنا بايمانكم فابطأتم به حتى متم وقال قتادة معناه تربصتم بنا وبمحمد صلى الله عليه وسلم الدوائر وشككتم والارتياب التشكك والاماني التى غرتهم هي قولهم سيهلك محمد هذا العام ستهزمه قريش ستاخذه الاحزاب الى غير ذلك من امانيهم وطول الامل غرار لكل احد وامر الله الذى جاء هو الفتح وظهور الاسلام وقيل هو موتهم على النفاق الموجب للعذاب والغرور الشيطان باجماع المتأولين وينبغى لكل مومن ان يعتبر هذه الآية فى نفسه وتسويفه فى توبته واعلم ايها الاخ ان الدنيا غرارة للمقبلين عليها فان اردت الخلاص والفوز بالنجاة فازهد فيها واقبل على ما يعنيك من اصلاح دينك

والتزود لآخرتك وقد روى ابن المبارك فى رقائقه عن ابى الدرداء انه قال يعني لاصحابه لئن حلفتم لى على رجل منكم انه ازهدكم لا حلفن لكم انه خيركم وروى ابن المبارك بسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يبعث الله تبارك وتعالى يوم القيامة عبدين من عباده كانا على سيرة واحدة احدهما مقتور عليه والآخر موسع عليه فيقبل المقتور عليه الى الجنة ولا ينثني عنها حتى ينتهي الى ابوابها فيقول حجبتها اليك اليك فيقول اذن لا ارجع قال وسيفه فى عنقه فيقول اعطيت هذا السيف فى الدنيا اجاهد به فلم ازل مجاهدا به حتى قبضت وانا على ذلك فيرمى بسيفه الى الخزنة وينطلق لا يثنونه ولا يحبسونه عن الجنة فيدخلها فيمكث فيها دهرا ثم يمر به اخوه الموسع عليه فيقول له يا فلان ما حبسك فيقول ما خلي سبيلى الا الآن ولقد حبست مالوان ثلاثمائة بعير اكلت خمطا لا يردن الا خمسا وردن على عرقى لصدرن منه ريا انتهى * وقوله تعالى فاليوم لا يوخذ منكم فدية الآية استمرار فى مخاطبة المنافقين قاله قتادة وغيره * وقوله تعالى هي مولاكم قال المفسرون معناه هي اولى بكم وهذا تفسير بالمعنى وانما هي استعارة لانها من حيث تضمهم وتباشرهم هي تواليهم وتكون لهم مكان المولى وهذا نحو قول الشاعر * تحية بينهم ضرب وجيع * وقوله تعالى الم يان ابتداء معنى مستانف ومعنى الم يان الم يحن يقال انى الشيء يانى اذا حان وفى الآية معنى الحض والتقريع قال ابن عباس عوتب المومنون بهذه الآية وهذه الآية كانت سبب توبة الفضيل وابن المبارك والخشوع الاخبات والتطامن وهي هيئة تظهر فى الجوارح متى كانت فى القلب ولذلك خص تعالى القلب بالذكر وروى شداد بن اوس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اول ما يرفع من الناس الخشوع * وقوله تعالى لذكر الله اي لاجل ذكر الله تعالى ووحيه او لاجل تذكير الله اياهم

واوامره فيهم والاشارة فى قوله اوتوا الكتاب الى بنى اسراءيل المعاصرين لموسى عليه السلام ولذلك قال من قبل وانما شبه اهل عصر نبيء باهل عصر نبي٠ * وقوله فطال عليهم الامد قيل معناه امد الحياة وقيل امد انتظار القيامة قال الفخر قال مقاتل ابن حيان الامد هنا الامل اي لما طالت ءامالهم لا جرم قست قلوبهم انتهى وباقى الآية بين * وقوله تعالى اعلموا ان الله يحي الارض بعد موتها الآية مخاطبة لهؤلاء المومنين الذين ندبوا الى الخشوع وهذا ضرب مثل واستدعاء الى الخير برفق وتقريب بليغ اي لا يبعد عندكم ايها التاركون للخشوع رجوعكم اليه وتلبسكم به فان الله يحي الارض بعد موتها فكذلك يفعل بالقلوب يردها الى الخشوع بعد بعدها عنه وترجع هي اليه اذا وقعت الانابة والتكسب من العبد بعد نفورها منه كما يحي الارض بعد ان كانت ميتة وباقى الآية بين والمصدقين يعنى به المتصدقين وباقى الآية بين (ت) وقد جاءت ءاثار صحيحة فى الحض على الصدقة قد ذكرنا منها جملة فى هذا المختصر واسند مالك فى الموطأ عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يا نساء المومنات لا تحقرن احداكن لجارتها ولو كراع شاة محرق وفى الموطأ عنه صلى الله عليه وسلم ردوا السائل ولو بظلف محرق قال ابن عبد البر فى التمهيد ففى هذا الحديث الحض على الصدقة بكل ما امكن من قليل الاشياء وكثيرها وفى قول الله عز وجل فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره اوضح الدلائل فى هذا الباب وتصدقت عائشة رضي الله عنها بحبتين من عنب فنظر اليها بعض اهل بيتها فقالت لا تعجبن فكم فيها من مثقال ذرة ومن هذا الباب قوله صلى الله عليه وسلم اتقوا النار ولو بشق تمرة ولو بكلمة طيبة واذا كان الله عز وجل يربى الصدقات وياخذ الصدقة بيمينه فيربيها كما يربى احدنا فلوه او فصيله فما بال من عرف هذا يغفل عنه وما التوفيق الا بالله انتهى من التمهيد وروى ابن المبارك فى رقائقه قال اخبرنا حرملة بن عمران

انه سمع يزيد بن ابى حبيب يحدث ان ابا الخير حدثه انه سمع عقبة بن عامر
يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل امرئ فى ظل صدقته
حتى يفصل بين الناس قال يزيد فكان ابو الخير لا يخطئه يوم الا تصدق فيه
بشيء ولو كعكة او بصلة اوكذا انتهى والصديقون بناء مبالغة من الصدق
او من التصديق على ما ذكر الزجاج * وقوله تعالى والشهداء عند ربهم
اختلف فى تاويله فقال ابن مسعود وجماعة والشهداء معطوف على الصديقين
والكلام متصل ثم اختلفت هذه الفرقة فى معنى هذا الاتصال فقال بعضها
وصف الله المومنين بانهم صديقون وشهداء فكل مومن شهيد قاله مجاهد وروى
البراء بن عازب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال مومنو امتى شهداء وتلا رسول
الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية وانما خص صلى الله عليه وسلم ذكر الشهداء
السبعة تشريفا لهم لانهم فى اعلى رتب الشهادة الاترى ان المقتول فى سبيل
الله مخصوص ايضا من السبعة بتشريف ينفرد به وقال بعضها الشهداء هنا من
معنى الشاهد لا من معنى الشهيد فكانه قال هم اهل الصدق والشهداء على
الامم وقال ابن عباس ومسروق والضحاك الكلام تام فى قوله الصديقون وقوله
والشهداء ابتداء مستانف ثم اختلفت هذه الفرقة فى معنى هذا الاستيناف
فقال بعضها معنى الآية والشهداء بانهم صديقون حاضرون عند ربهم وعنى
بالشهداء الانبياء عليهم السلام (ت) وهذا تاويل بعيد من لفظ الآية وقال
بعضها قوله والشهداء ابتداء يريد به الشهداء فى سبيل الله واستانف الخبر عنهم
بانهم عند ربهم لهم اجرهم ونورهم فكانه جعلهم صنفا مذكورا وحده (ت)
وابين هذه الاقوال الاول وهذا الاخير وان صح حديث البراء لم يعدل عنه
قال ابو حيان والظاهر ان الشهداء مبتدأ خبره ما بعده انتهى * وقوله تعالى
ونورهم قال الجمهور هو حقيقة حسبما تقدم * وقوله سبحانه اعلموا انما الحيوة

الدنيا لعب ولهو هذه الآية وعظ وتبيين لامر الدنيا وضعة منزلتها والحياة الدنيا في هذه الآية عبارة عن الاشغال والتصرفات والفكر التى هي مختصة بالحياة الدنيا واما ما كان من ذلك فى طاعة الله وما كان فى الضرورات التى تقيم الاود وتعين على الطاعات فلا مدخل له فى هذه الآية وتأمل حال الملوك بعد فقرهم يبن لك ان جميع ترفههم لعب ولهو والزينة التحسين الذى هو خارج عن ذات الشيء والتفاخر بالاموال والانساب وغير ذلك على عادة الجاهلية ثم ضرب الله عز وجل مثل الدنيا فقال كمثل غيث الآية وصورة هذا المثال ان الانسان ينشأ فى حجر مملكة فما دون ذلك فيشب فى النعمة ويقوى ويكسب المال والولد ويغشاه الناس ثم ياخذ بعد ذلك فى انحطاط ويشيب ويضعف ويسقم وتصيبه النوائب فى ماله وذريته ويموت ويضمحل امره وتصير امواله لغيره وتتغير رسومه فامره مثل مطر اصاب ارضا فنبت عن ذلك الغيث نبات معجب انيق ثم هاج اي يبس واصفر ثم تحطم ثم تفرق بالرياح واضمحل * وقوله اعجب الكفار اي الزراع فهو من كفر الحب اي ستره وقيل يحتمل ان يعني الكفار بالله لانهم اشد اعجابا بزينة الدنيا ثم قال تعالى وفى الآخرة عذاب شديد ومغفرة الآية كانه قال والحقيقة هاهنا وذكر العذاب اولا تهمما به من حيث الحذر فى الانسان ينبغي ان يكون اولا فاذا تحرز من المخاوف مد حينئذ امله فذكر تعالى ما يحذر قبل ما يطمع فيه وهو المغفرة والرضوان وعبارة الثعلبي ثم يهيج اي يجف وفى الآخرة عذاب شديد لاعداء الله ومغفرة لاوليائه وقال الفراء وفى الآخرة عذاب شديد ومغفرة اي اما عذاب شديد واما مغفرة وما الحياة الدنيا الامتاع الغرور هذا تزهيد فى العمل للدنيا وترغيب فى العمل للآخرة انتهى وهو حسن وعن طارق قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعمت الدار الدنيا لمن تزود منها لآخرته وبيست الدار لمن صدته عن آخرته

وقصرت به عن رضا ربـه فاذا قال العبد قبح الله الدنيا قالت الدنيـا قبح الله اعصانا لربـه رواه الحاكم فى المستدرك انتهى من السلاح ولا يشك عاقل ان حطام الدنيا مشغل عن التأهب للآخرة قال ابو عمر بن عبد البر فى كتاب فضل العلم وقد روي مرفوعا لكل امة فتنـة وفتنـة امتى المال قال ابو عمر ثم نقول ان الزهد فى الحلال وترك الدنيا مع القدرة عليها افضل من الرغبة فيها فى حلالها وهذا مالا خلاف فيه بين علماء المسلمين قديما وحديثا والآثار الواردة عن الصحابـة والتابعين ومن بعدهم مـن علماء المسلمين فى فضل الصبر والزهـد فيها وفضل القنـاعـة والرضـا بالكفاف والاقتصار على ما يكفي دون التكاثر الذى يلهى ويطغى اكثر من ان يحيط بها كتاب او يشمل عليها باب والذين زوى الله عنهم الدنيا من الصحابة اكثر من الذين فتحها عليهم اضعافا مضاعفة وقد روينـا عن عبـد الرحمن بن عوف انه لما حضرتـه الوفاة بكى بكاء شديدا وقال كان مصعب ابن عمير خيرا منى توفي ولم يترك ما يكفن فيه وبقيت بعده حتى اصبت من الدنيا واصابت منى ولا احسبنى الا ساحبس عـن اصحابى بما فتح الله علي من ذلك وجعل يبكي حتى فاضت نفسه وفارق الدنيا رحمة الله عليه فان ظن ظان جاهل ان الاستكثار من الدنيا ليس به بأس او غلب عليه الجهل فظن ان ذلك افضـل من طلب الكفاف منهـا وشبه عليه بقول الله تعالى ووجدك عائلا فاغنى فيما عدده سبحانه على نبيه صلى الله عليه وسلم من نعمه عنده فان ذلك ليس كما ظن بل ذلك غنى القلب دلت على ذلك الآثار الكثيرة كقوله عليه السلام ليس الغنى عن كثرة العرض وانما الغنى غنى النفس انتهى * وقوله سبحانه سابقوا الى مغفرة من ربكم الآية لما ذكر تعالى المغفرة التى فى الآخرة ندب فى هـذه الآية الى المسارعة اليها والمسابقة وهذه الآية حجة عند جميع العلماء فى الندب الى الطاعات وقـد استـدل بهـا بعضهم على ان اول اوقات الصلوات افضل لانـه

يقتضى المسارعة والمسابقة وذكر سبحانه العرض من الجنة اذ المعهود انه اقل من الطول وقد ورد فى الحديث ان سقف الجنة العرش وورد فى الحديث ان السموات السبع فى الكرسي كالدرهم فى الفلاة وان الكرسي فى العرش كالدرهم فى الفلاة (ت) ايها الاخ امرك المولى سبحانه بالمسابقة والمسارعة رحمة منه وفضلا فلا تغفل عن امتثال امره واجابة دعوته

السباق السباق قولا وفعلا * حذر النفس حسرة المسبوق

ذكر صاحب معالم الايمان * وروضات الرضوان * فى مناقب صلحاء القيروان * قال ومنهم ابو خالد عبد الخالق المتعبد كان كثير الخوف والحزن وبالخوف مات رأى يوما خيلا يسابق بها فتقدمها فرسانِ ثم تقدم احدهما على الآخر ثم جد التالى حتى سبق الاول فتخال عبد الخالق الناس حتى وصل الى الفرس السابق فجعل يقبله ويقول بارك الله فيك صبرت فظفرت ثم سقط مغشيا عليه انتهى * وقوله سبحانه ما اصاب من مصيبة فى الارض الآية قال ابن زيد وغيره المعنى ما حدث من حادث خير وشر فهذا على معنى لفظ اصاب لا على عرف المصيبة فان عرفها فى الشر وقال ابن عباس ما معناه انه اراد عرف المصيبة فقوله فى الارض يعنى بالقحوط والزلازل وغير ذلك وفى انفسكم بالموت والامراض وغير ذلك * وقوله الا فى كتاب معناه الا والمصيبة فى كتاب ونبرأها معناه نخلقها يقال برأ الله الخلق اي خلقهم والضمير عائد على المصيبة وقيل على الارض وقيل على الانفس قاله ابن عباس وجماعة وذكر المهدوي جواز عود الضمير على جميع ما ذكر وهي كلها معان صحاح * ان ذلك على الله يسير يريد تحصيل الاشياء كلها فى كتاب وقال الثعلبي وقيل المعنى ان خلق ذلك وحفظ جميعه على الله يسير انتهى * وقوله لكيلا تاسوا معناه فعل الله هذا كله واعلمكم به ليكون سبب تسليتكم وقلة اكتراثكم بامور الدنيا فلا

تحزنوا على فائت ولا تفرحوا الفرح المبطر بما اتاكم منها قال ابن عباس ليس احد الا يحزن او يفرح ولكن من اصابته مصيبة فليجعلها صبرا ومن اصابه خير فليجعله شكرا وفى صحيح مسلم عن ابى سعيد وابى هريرة انهما سمعا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما يصيب المسلم من وصب ولا نصب ولا سقم ولا حزن حتى الهم يهمه الا كُفِّر به من سيئاته وفى صحيح مسلم عن عائشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها الا كتبت له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة وفى صحيح مسلم عن ابى هريرة قال لما نزلت من يعمل سوءا يجز به بلغت من المسلمين مبلغا شديدا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سددوا وقاربوا ففى كل ما يصاب به المسلم كفارة حتى النكبة ينكبها والشوكة يشاكها انتهى وقد تقدم كثير فى هذا المختصر من هذا المعنى فالله المسئول ان ينفع به كل من حصله او نظر فيه * وقوله تعالى والله لا يحب كل مختال فخور يدل على ان الفرح المنهي عنه انما هو ما ادى الى الاختيال والفخر واما الفرح بنعم الله المقترن بالشكر والتواضع فانه لا يستطيع احد دفعه عن نفسه ولا حرج فيه والله اعلم * وقوله الذين يبخلون قال بعضهم هو خبر مبتدإ محذوف تقديره هم الذين يبخلون وقال بعضهم هو فى موضع نصب صفة لكل وان كان نكرة فهو يخصص نوعا ما فيسوغ لذلك وصفه بالمعرفة وهذا مذهب الاخفش والكتاب هنا اسم جنس لجميع الكتب المنزلة والميزان العدل فى تاويل الاكثرين * وقوله تعالى وانزلنا الحديد عبر سبحانه عن خلقه الحديد بالانزال كما قال وانزل لكم من الانعام الآية قال جمهور من المفسرين الحديد هنا اراد به جنسه من المعادن وغيرها وقال حذاق من المفسرين اراد به السلاح ويترتب معنى الآية بان الله اخبر انه ارسل رسلا وانزل كتبا وعدلا مشروعا وسلاحا يحارب به

من عاند ولم يقبل هدى الله اذ لم يبق له عذر وفى الآية على هذا التاويل حض على القتال فى سبيل الله وترغيب فيه * وقوله وليعلم الله من ينصره يقوى هذا التاويل * وقوله بالغيب معناه بما سمع من الاوصاف الغائبة عنه فءامن بها وباقى الآية بين * وقوله سبحانه وقفينا معناه جئنا بهم بعد الاولين وهو ماخوذ من القفا اي جيء بالثانى فى قفا الاول فيجيء الاول بين يدي الثانى وقد تقدم بيانه * وقوله سبحانه وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية الجعل فى هذه الآية بمعنى الخلق * وقوله ابتدعوها صفة لرهبانية وخصها بانها ابتدعت لان الرأفة والرحمة فى القلب لاتكسب للانسان فيها واما الرهبانية فهي افعال بدن مع شيء فى القلب ففيها موضع للتكسب ونحو هذا عن قتادة والمراد بالرأفة والرحمة حب بعضهم فى بعض وتوادهم والمراد بالرهبانية رفض النساء واتخاذ الصوامع والديارات والتفرد للعبادات وهذا هو ابتداعهم ولم يفرض الله ذلك عليهم لكنهم فعلوا ذلك ابتغاء رضوان الله هذا تاويل جماعة وقرأ ابن مسعود ماكتبناها عليهم لكن ابتدعوها وقال مجاهد المعنى كتبناها عليهم ابتغاء رضوان الله فالاستثناء على هذا متصل واختلف فى الضمير الذى فى قوله فما رعوها من المراد به فقال ابن زيد وغيره هو عائد على الذين ابتدعوا الرهبانية وفى هذا التاويل لزوم الاتمام لكل من بدأ بتطوع ونفل وانه يلزمه ان يرعاه حق رعيه وقال الضحاك وغيره الضمير للاخلاف الذين جاءوا بعد المبتدعين لها وروينا فى كتاب الترمذي عن كثير بن عبد الله المزني عن ابيه عن جده ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لبلال بن الحارث اعلم قال ما اعلم يا رسول الله قال اعلم يا بلال قال ما اعلم يا رسول الله قال انه من احيا سنة من سنتى قد اميتت بعدى فان له من الاجر مثل من عمل بها من غير ان ينقص من اجورهم شيأ ومن ابتدع بدعة ضلالة لا يرضى الله ورسوله بها كان عليه مثل اثام من عمل بها لا ينقص

ذلك من اوزار الناس شيأ قال ابو عيسى هذا حديث حسن انتهى * وقوله تعالى يا ايها الذين ءامنوا اتقوا الله وءامنوا برسوله قالت فرقة الخطاب بهذه الآية لاهل الكتاب ويؤيده الحديث الصحيح ثلاثة يوتون اجرهم مرتين رجل من اهل الكتاب ءامن بنبيه وءامن بي الحديث وقال ءاخرون الخطاب للمومنين من هذه الامة ومعنى ءامنوا برسوله اي اثبتوا على ذلك ودوموا عليه يوتكم كفلين اي نصيبين بالاضافة الى ما كان الامم قبل يعطونه قال ابو موسى كفلين ضعفين بلسان الحبشة والنور هنا اما ان يكون وعدا بالنور الذى يسعى بين الايدى يوم القيامة واما ان يكون استعارة للهدى الذى يمشى به فى طاعة الله * وقوله تعالى ليلا يعلم اهل الكتاب الا يقدرون على شيء من فضل الله الآية روي انه لما نزل هذا الوعد المتقدم للمومنين حسدهم اهل الكتاب على ذلك وكانت اليهود تعظم دينها وانفسها وتزعم انهم احباء الله واهل رضوانه فنزلت هذه الآية معلمة ان الله فعل ذلك واعلم به ليعلم اهل الكتاب انهم ليسوا كما يزعمون ولا فى قوله ليلا زائدة وقرأ ابن عباس والجحدري ليعلم اهل الكتاب وروى ابراهيم التيمي عن ابن عباس كي يعلم وُروي عن حطان الرقاشي انه قرأ لان يعلم * وقوله تعالى الا يقدرون معناه انهم لا يملكون فضل الله ولا يدخل تحت قُدَرهم وباقي الآية بين

تفسير سورة المجادلة وهي مدنية
الا ان النقاش حكى ان قوله تعالى ما يكون من نجوى ثلاثة الآية مكي

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله عز وجل قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها الآية اختلف الناس في اسم هذه المرأة على اقوال واختصار ما رواه ابن عباس والجمهور ان اوس ابن الصامت الانصاري اخا عبادة بن الصامت ظاهر من امرأته خولة بنت خويلد وكان الظهار في الجاهلية يوجب عندهم فرقة مؤبدة فلما فعل ذلك اوس جاءت زوجته رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان اوسا اكل شبابي ونثرت له بطني فلما كبرت ومات اهلي ظاهر مني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اراك الاحرمت عليه فقالت يا رسول الله لا تفعل فاني وحيدة ليس لي اهل سواه فراجعها رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل مقالته فراجعته فهذا هو جدالها وكانت في خلال جدالها تقول اللهم اليك اشكو حالي وانفرادي وفقري وروي انها كانت تقول اللهم ان لي منه صبية صغارا ان ضممتهم اليه ضاعوا وان ضممتهم الي جاعوا فهذا هو اشتكاؤها الى الله فنزلت الآية فبعث النبي صلى الله عليه وسلم في اوس وامره بالتكفير فكفر بالاطعام وامسك اهله قال ابن العربي في احكامه والاشبه في اسم هذه المرأة انها خوله بنت ثعلبة امرأة اوس بن الصامت وعلى هذا اعتمد الفخر قال الفخر هذه الواقعة تدل على ان من انقطع رجاؤه من الخلق ولم يبق له في مهمه احد الا الخالق كفاه الله ذلك المهم انتهى والمحاورة مراجعة القول ومعاطاته

وفى مصحف ابن مسعود تحاورك فى زوجها والظهار قول الرجل لامرأته انت علي كظهر امى يريد فى التحريم كانها اشارة الى الركوب اذ عرفه فى ظهور الحيوان وكان اهل الجاهلية يفعلون ذلك فرد الله بهذه الآيـة على فعلهم واخبر بالحقيقة من ان الام هي الوالدة واما الزوجة فلا يكون حكمها حكم الام وجعل الله سبحانـه القول بالظهار منكرا وزورا فهو محرم لكنه اذا وقع لزم هكذا قال فيه اهل العلم لكن تحريمه تحريم المكروهات جدا وقد رجى الله تعالى بعده بانه عفو غفور مع الكفارة * وقوله سبحانـه ثم يعودون الآية (ت) اختلف فى معنى العود والعود فى الموطإ العزم على الوطء والامساك معا وفى المدونة العزم على الوطء خاصة * وقوله تعالى من قبل ان يتماسا قال الجمهور وهذا عام فى نوع المسيس الوطء والمباشرة فلايجوز لمظاهر ان يطأ ولا ان يقبل او يلمس بيده او يفعل شيأ من هذا النوع الا بعد الكفارة وهذا قول مالك رحمه الله * وقوله تعالى ذلكم توعظون بـه اشارة الى التحذير اي فعل ذلك عظة لكم لتنتهوا عن الظهار * وقوله سبحانـه فمن لم يستطع قال الفخر الاستطاعة فوق الوسع والوسع فوق الطاقة فالاستطاعة هي ان يتمكن الانسان من الفعل على سبيل السهولة انتهى وفروع الظهار مستوفاة فى كتب الفقه فلا نطيل بذكرها * وقوله سبحانـه ذلك لتومنوا بالله ورسوله الآيـة اشارة الى الرخصة والتسهيل فى النقل من التحرير الى الصوم والاطعام ثم شـدد سبحانـه بقوله وتلك حـدود الله اي فلتزموها ثم توعد الكافرين بقوله وللكافرين عذاب اليم * وقوله سبحانـه ان الذين يحادون الله ورسوله كبتوا الآية نزلت فى قوم من المنافقين واليهود كانوا يتربصون برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالمومنين الدوائر ويتمنون فيهم المكروه ويتناجون بذلك وكبت الرجل اذا بقي خزيان يبصر ما يكره ولا يقدر على دفعه وقال قوم منهم ابو عبيدة اصله كبدوا اي اصابهم داء فى اكبادهم فابدلت

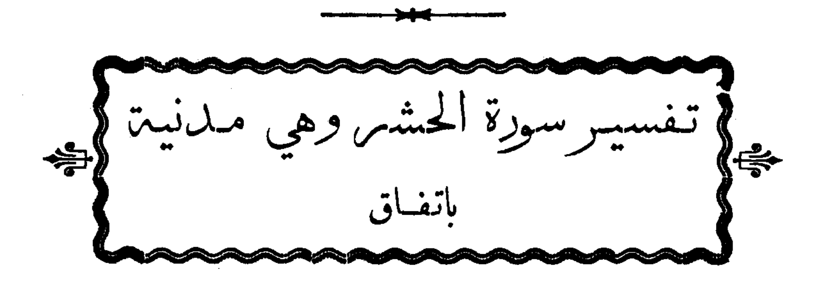
الدال تاء وهذا غير قوي والذين من قبلهم منافقو الامم الماضية ولفظ البخاري كبتوا احزنوا * وقوله تعالى وللكافرين عذاب مهين يوم يبعثهم الله العامل فى يوم قوله مهين ويحتمل ان يكون فعلا مضمرا تقديره اذكر * وقوله تعالى الا هو رابعهم اي بعلمه واحاطته وقدرته وعبارة الثعلبي الا هو رابعهم يعلم ويسمع نجواهم يدل على ذلك افتتاح الآية وخاتمتها انتهى * وقوله تعالى الم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون الآية قال ابن عباس نزلت فى اليهود والمنافقين واذا جاءوك حيوك هوقولهم السام عليكم يريدون الموت ثم كشف الله تعالى خبث طويتهم والحجة التى اليها يستروحون وذلك انهم كانوا يقولون لو كان محمد نبيئا لعذبنا بهذه الاقوال التى تسيئه وجهلوا ان امرهم مؤخر الى عذاب جهنم * وقوله تعالى يا ايها الذين ءامنوا اذا تناجيتم الآية وصية منه سبحانه للمومنين ان لا يتناجوا بمكروه وذلك عام فى جميع الناس الى يوم القيامة * وقوله انما النجوى اي بالاثم من الشيطان وقرأ نافع واهل المدينة ليحزن بضم الياء وكسر الزاي والفعل مسند الى الشيطان وقرأ ابو عمرو وغيره ليحزن بفتح الياء وضم الزاي ثم اخبر تعالى ان الشيطان او التناجي الذى هو منه ليس بضار احدا الا ان يكون ضر باذن الله اي بامره وقدره ثم امر بتوكل المومنين عليه تبارك وتعالى * وقوله تعالى يا ايها الذين ءامنوا اذا قيل لكم تفسحوا فى المجلس الآية وقرأ عاصم فى المجالس قال زيد بن اسلم وقتادة هذه الآية نزلت بسبب تضايق الناس فى مجلس النبي صلى الله عليه وسلم وذلك انهم كانوا يتنافسون فى القرب منه وسماع كلامه والنظر اليه فياتى الرجل الذى له الحق والسن والقدم فى الاسلام فلا يجد مكانا فنزلت بسبب ذلك وروى ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يقم احد من مجلسه ثم يجلس فيه الرجل ولكن تفسحوا يفسح الله لكم قال جمهور العلماء سبب نزول الآية مجلس النبي صلى الله

عليه وسلم ثم الحكم مطرد فى سائر المجالس التى هي للطاعات ومنه قوله صلى الله
عليه وسلم احبكم الى الله الينكم مناكب فى الصلاة وركبا فى المجالس وهذا قول
مالك رحمه الله وقال ما ارى الحكم الا يطرد فى مجالس العلم ونحوها غابر الدهر قال
(ع) فالسنة المندوب اليها هي التفسح والقيام منهي منه فى حديث النبي صلى
الله عليه وسلم حيث نهى ان يقوم الرجل فيجلس الآخر مكانه (ت) وقد
روى ابو داود فى سننه عن سعيد بن ابى الحسن قال جاءنا ابو بكرة فى شهادة
فقام له رجل من مجلسه فابى ان يجلس فيه وقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
نهى عن ذلك ونهى ان يمسح الرجل يده بثوب من لم يكسه وروى ابو داود عن
ابن عمر قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقام له رجل من مجلسه
فذهب ليجلس فيه فنهاه رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى قال (ع) فاما
القيام اجلالا فجائز بالحديث وهو قوله عليه السلام حين اقبل سعد بن معاذ قوموا
الى سيدكم وواجب على المعظم ان لا يحب ذلك وياخذ الناس به لقوله عليه السلام
من احب ان يتمثل له الناس قياما فليتبوأ مقعده من النار (ت) وفى الاحتجاج
بقضية سعد نظر لانها احتفت بها قرائن سوغت ذلك انظر السير وقد اطنب
صاحب المدخل فى الانحاء والرد على المجيزين للقيام والسلامة عندى ترك
القيام * وقوله تعالى يفسح الله لكم معناه فى رحمته وجنته (ص) يفسح مجزوم
فى جواب الامر انتهى واذا قيل انشزوا معناه ارتفعوا وقوموا فافعلوا ذلك ومن
رياض الصالحين للنووي وعن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لا يحل للرجل ان يفرق بين اثنين الا باذنهما رواه ابو
داود والترمذي وقال حديث حسن وفى رواية لابى داود لا يجلس بين رجلين
الا باذنهما وعن حذيفة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن
من جلس وسط الحلقة رواه ابو داود باسناد حسن وروى الترمذي عن ابى

مجلز ان رجلا قعد وسط الحلقة فقال حذيفة ملعون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم اولعن الله على لسان محمد صلى الله عليه وسلم من جلس وسط الحلقة قال الترمذي حديث حسن صحيح انتهى * وقوله سبحانه يرفع الله الذين ءامنوا منكم الآية قال جماعة المعنى يرفع الله المومنين العلماء درجات فلذلك امر بالتفسح من اجلهم وقال ءاخرون المعنى يرفع الله المومنين والعلماء الصنفين جميعا درجات لكنا نعلم تفاضلهم فى الدرجات من مواضع اخر فلذلك جاء الامر بالتفسح عاما للعلماء وغيرهم وقال ابن مسعود وغيره يرفع الله الذين ءامنوا منكم وهنا تم الكلام ثم ابتدأ بتخصيص العلماء بالدرجات ونصبهم باضمار فعل فللمومنين رفع على هذا التاويل وللعلماء درجات وعلى هذا التاويل قال مطرف بن عبد الله بن الشخير فضل العلم احب الي من فضل العبادة وخير دينكم الورع وروى البخاري وغيره عن ابي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل ما بعثنى الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير اصاب ارضا فكان منها طائفة قبلت الماء فانبتت الكلأ والعشب الكثير وكانت منها اجادب امسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا واصاب منها طائفة اخرى انما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل من فقه فى دين الله عز وجل ونفعه ما بعثنى الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله عز وجل الذى ارسلت به انتهى * وقوله تعالى يا ايها الذين ءامنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة ذلك خير لكم واطهر روي عن ابن عباس وقتادة فى سببها ان قوما من شباب المومنين واغفالهم كثرت مناجاتهم للنبي صلى الله عليه وسلم فى غير حاجة وكان صلى الله عليه وسلم سمحا لا يرد احدا فنزلت هذه الآية مشددة عليهم وقال مقاتل نزلت فى الاغنياء لانهم غلبوا الفقراء على مناجاة النبي صلى الله عليه وسلم ومجالسته قال جماعة من

الرواه نسخت هذه الآية قبل العمل بها لكن استقر حكمها بالعزم عليه وصح عن علي انه قال ما عمل بها احد غيرى وانا كنت سبب الرخصة والتخفيف عن المسلمين قال ثم فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هـذه العبادة قد شقت على الناس فقال لى يا علي كم ترى ان يكون حد هذه الصدقة اتراه دينارا قلت لا قال فنصف دينار قلت لا قال فكم قلت حبة من شعير قال انك لزهيد فانزل الله الرخصة يريد للواجدين واما من لم يجد فالرخصة له ثابتة بقوله فان لم تجدوا قال الفخر قوله عليه السلام لعلي انك لزهيد معناه انك قليل المال فقدرت على حسب حالك انتهى * وقوله سبحانه ءاشفقتم الآية الاشفاق هنا الفزع من العجز عن الشيء المتصدق به او من ذهاب المال فى الصدقة * وقوله فاقيموا الصلوة الآية المعنى دوموا على هذه الاعمال التى هي قواعد شرعكم ومن قال ان هـذه الصدقة منسوخة بـاية الزكاة فقوله ضعيف * وقوله تعالى الم تر الى الذين تولوا نزلت فى قوم من المنافقين تولوا قوما من اليهود وهم المغضوب عليهم قال الطبري ما هم منكم يريـد بـه المنافقين ولا منهم اي ولا من اليهود وهذا التاويل يجرى مع قوله تعالى مـذبـذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء كالشاة العائرة بين الغنمين وتحتمل الآية تاويلا آخر وهو ان يكون قوله ما هم يريـد بـه اليهود ولا منهم يريد به المنافقين ويحلفون يعنى المنافقين وقرأ الحسن اتخذوا ايمانهم بكسر الهمزة والجنة ما يتستر به ثم اخبر تعالى عن المنافقين فى هذه الآية انه ستكون لهم ايمان يوم القيامة بين يدي الله تعالى يخيل اليهم بجهلهم انها تنفعهم وتقبل منهم وهـذا هو حسابهم انهم على شيء اي على شيء نافع لهم * وقوله تعالى استحوذ عليهم الشيطان معناه تملكهم من كل جهة وغلب على نفوسهم وحكي ان عمر قرأ استحـاذ ثم قضى تعالى على محاده بالذل وباقي الآية بين * وقوله سبحانه لا تجد قوما يومنون بالله واليوم الآخر يوادون

من حاد الله ورسوله الآية نفت هذه الآية ان يوجد من يومن بالله حق الايمان ويلتزم شعبه على الكمال يواد كافرا اومنافقا وكتب فى قلوبهم الايمان معناه اثبته وخلقه بالايجاد * وقوله اولائك اشارة الى المومنين الذين يقتضيهم معنى الآية لان المعنى لكنك تجدهم لا يوادون من حاد الله * وقوله تعالى بروح منه معناه بهدى منه ونور وتوفيق الاهي ينقدح لهم من القرءان وكلام النبي صلى الله عليه وسلم والحزب الفريق وباقى الآية بين



تفسير سورة الحشر وهي مدنية باتفاق

وهي سورة بني النضير وذلك انهم كانوا عاهدوا النبي صلى الله عليه وسلم وهم يرون انه لا ترد له راية فلما كان شأن احد وما اكرم الله بـه المسلمين ارتابوا وداخلوا قريشا وغدروا فلما رجع النبي صلى الله عليه وسلم من احد حاصرهم حتى اجلاهم عن ارضهم فارتحلوا الى بلاد مختلفة خيبر والشام وغير ذلك ثم كان امر بني قريظة مرجعه من الاحزاب

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله تعالى سبح لله ما فى السموات وما فى الارض وهو العزيز الحكيم الآية تقدم الكلام فى تسبيح الجمادات والذين كفروا من اهل الكتاب هم بنو النضير * وقوله لاول الحشر قال الحسن بن ابي الحسن وغيره يريد حشر القيامة اي هذا اوله والقيام من القبور ءاخره وقال عكرمة وغيره المعنى لاول موضع

الحشر وهو الشام وذلك ان اكثرهم جاء الى الشام وقد روي ان حشر القيامة هو الى بلاد الشام * وقوله سبحانه ما ظننتم ان يخرجوا يريد لمنعتهم وكثرة عددهم * وقوله تعالى يخربون بيوتهم بايديهم وايدى المومنين اي كلما هدم المسلمون من تحصينهم فى القتال هدموا هم من البيوت ليجبروا الحصن (ت) والحاصل انهم يخربون بيوتهم حسا ومعنى اما حسا فواضح واما معنى فبسوء رأيهم وعاقبة ما اضمروا من خيانتهم وغدرهم ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء من الوطن لعذبهم فى الدنيا بالسبي والقتل قال البخاري والجلاء الاخراج من ارض الى ارض انتهى * وقوله تعالى ما قطعتم من لينة الآية سببها قول اليهود ما هذا الافساد يا محمد وانت تنهى عن الفساد فرد الله عليهم بهذه الآية قال ابن عباس وجماعة من اللغويين اللينة من النخيل ما لم يكن عجوة وقيل غير هذا (ص) اصل لينة لونة فقلبوا الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها وجمعه لين كتمرة وتمر قال الاخفش واللينة كانها لون من النخل اي ضرب منه انتهى * وقوله عز وجل وما افاء الله على رسوله منهم الآية اعلام بان ما اخذ لبنى النضير ومن فدك هو خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم وليس على حكم الغنيمة التى يوجف عليها ويقاتل فيها بل على حكم خمس الغنائم وذلك ان بنى النضير لم يوجف عليها ولا قوتلت كبير قتال فاخذ منها صلى الله عليه وسلم قوت عياله وقسم سائرها فى المهاجرين وادخل معهم ابا دجانة وسهل بن حنيف من الانصار لانهما شكيا فقرا والايجاف سرعة السير والوجيف دون التقريب يقال وجف الفرس واوجفه الراكب * وقوله تعالى ما افاء الله على رسوله من اهل القرى الآية اهل القرى فى هذه الآية هم اهل الصفراء والينبوع ووادى القرى وما هنالك من قرى العرب وذلك انها فتحت فى ذلك الوقت من غير ايجاف واعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم جميع ذلك للمهاجرين ولم يحبس منها

لنفسه شيأ ولم يعط الانصار شيأ لغناهم والقربى فى الآية قرابته صلى الله عليه وسلم منعوا الصدقة فعوضوا من الفيء * وقوله سبحانه كي لا يكون دولة بين الاغنياء منكم مخاطبة للانصار لانه لم يكن فى المهاجرين فى ذلك الوقت غني والمعنى كي لا يتداول ذلك المال الاغنياء بتصرفاتهم ويبقى المساكين بلا شيء وقد مضى القول فى الغنائم فى سورة الانفال وروي ان قوما من الانصار تكلموا فى هذه القرى المفتتحة وقالوا لنا منها سهمنا فنزل قوله تعالى وما ءاتاكم الرسول فخذوه الآية فرضوا بذلك ثم اطرد بعد معنى الآية فى اوامر النبي صلى الله عليه وسلم ونواهيه حتى قال قوم ان الخمر محرمة فى كتاب الله بهذه الآية وانتزع منها ابن مسعود لعنة الواشمة الحديث (ت) وبهذا المعنى يحصل التعميم للاشياء فى قوله تعالى ما فرطنا فى الكتاب من شيء * وقوله تعالى للفقراء المهاجرين بيان لقوله والمساكين وابن السبيل وكرر لام الجر لما كانت الجملة الاولى مجرورة باللام ليبين ان البدل انما هو منها ثم وصفهم تعالى بالصفة التى تقتضى فقرهم وتوجب الشفقة عليهم وهي اخراجهم من ديارهم واموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا يريد به الآخرة والجنة اولائك هم الصادقون اي فى الاقوال والافعال والنيات والذين تبوءوا الدار هم الانصار رضي الله عن جميعهم والضمير فى من قبلهم للمهاجرين والدار هي المدينة والمعنى تبوءوا الدار مع الايمان وبهذا الاقتران يتضح معنى قوله من قبلهم فتأمله قال (ص) والايمان منصوب بفعل مقدر اي واعتقدوا الايمان فهو من عطف الجمل كقوله * علفتها تبنا وماء باردا * انتهى وقيل غير هذا واثنى الله تعالى فى هذه الآية على الانصار بانهم يحبون المهاجرين وبانهم يوثرون على انفسهم وبانهم قد وقوا شح انفسهم (ت) وروى الترمذي عن انس قال لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة اتاه المهاجرون فقالوا يا رسول الله ما رأينا قوما ابذل لكثير ولا احسن مواساة فى قليل من

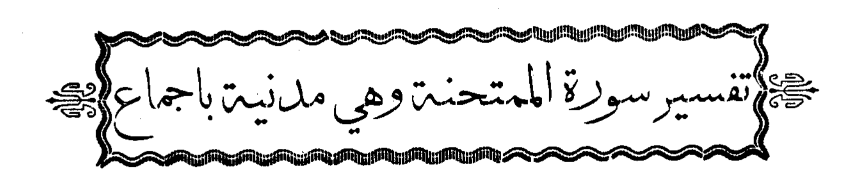
قوم نزلنا بين اظهرهم لقد كفونا المئونة واشركونا فى المهنة حتى لقد خفنا ان
يذهبوا بالاجر كله فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا ما دعوتم الله لهم واثنيتم
عليهم قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح انتهى والحاجة الحسد فى هذا
الموضع قاله الحسن ثم يعم بعد وجوها وقال الثعلبي حاجة اي حزازة وقيل
حسدا مما اوتوا اي مما اعطي المهاجرون من اموال بنى النضير والقرى انتهى *
وقوله تعالى ويوثرون على انفسهم صفة للانصار وجاء الحديث الصحيح من
غير ما طريق انها نزلت بسبب رجل من الانصار وصنيعه مع ضيف رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذ نوم صبيانه وقدم للضيف طعامه واطفأت اهله السراج
واوهما الضيف انهما ياكلان معه وباتا طاويين فلما غدا الانصاري على رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال له لقد عجب الله من فعلكما البارحة ونزلت الآية فى
ذالك قال صاحب سلاح المومن الرجل الانصاري الذى اضاف هو ابو طلحة
انتهى قال الترمذي الحكيم فى كتاب ختم الاولياء له حدثنا ابى قال حدثنا
عبد الله بن عاصم حدثنا الجمانى حدثنا صالح المري عن ابى سعيد الخدري قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان بدلاء امتى لم يدخلوا الجنة بكثرة صوم
ولا صلاة انما دخلوها بسلامة الصدور وسخاوة الانفس وحسن الخلق والرحمة
بجميع المسلمين انتهى والايثار على النفس اكرم خلق قال ابو يزيد البسطامي
قدم علينا شاب من بلخ حاجا فقال لى ماحد الزهد عندكم فقلت اذا وجدنا
اكلنا واذا فقدنا صبرنا فقال هكذا عندنا كلاب بلخ فقلت له فما هو عندكم
فقال اذا فقدنا صبرنا واذا وجدنا آثرنا وروي ان سبب هذه الآية ان النبي
صلى الله عليه وسلم لما فتح هذه القرى قال للانصار ان شئتم قسمتم للمهاجرين
من اموالكم وديارکم وشاركتموهم فى هذه الغنيمة وان شئتم امسكتم اموالكم
وتركتم لهم هذه الغنيمة فقالوا بل نقسم لهم من اموالنا ونترك لهم هذه الغنيمة

فنزلت الآية والخصاصة الفاقة والحاجة وشح النفس هو كثرة طمعها وضبطها
على المال والرغبة فيه وامتداد الامل هذا جماع شح النفس وهو داعية كل خلق
سوء وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ادى الزكاة المفروضة وقرى
الضيف واعطى فى النائبة فقد برئ من الشح والى هذا الذى قلناه ذهب
الجمهور والعارفون بالكلام وقيل فى الشح غير هذا قال (ع) وشح النفس
فقر لايذهبه غنى المال بل يزيده وينصب به ويوق من وقى يقى وقال الفخر
اعلم ان الفرق بين الشح والبخل هو ان البخل نفس المنع والشح هو الحالة
النفسانية التى تقتضى ذلك المنع ولما كان الشح من صفات النفس لاجرم قال
الله تعالى ومن يوق شح نفسه فاولائك هم المفلحون اي الظافرون بما ارادوا
قال ابن زيد من لم ياخذ شيأ نهاه الله عن اخذه ولم يمنع شيأ امره الله تعالى
باعطائه فقد وقي شح نفسه انتهى * وقوله تعالى والذين جاءو من بعدهم
الآية قال جمهور العلماء اراد من يجيء من التابعين وغيرهم الى يوم القيامة وقال
الفراء اراد الفرقة الثالثة من الصحابة وهي من آمن فى ءاخر مدة النبي صلى
الله عليه وسلم * وقوله يقولون حال فيها الفائدة والمعنى والذين جاءوا قائلين
كذا وروت ام الدرداء وابو الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول
دعوة المسلم لاخيه بظهر الغيب مستجابة عند رأسه ملك موكل كلما دعا لاخيه قال
الملك الموكل به ءامين ولك مثله رواه مسلم انتهى قال (ع) ولهذه الآية قال مالك
وغيره انه من كان له فى احد من الصحابة رأي سوء او بغض فلا حظ له فى فيئ
المسلمين وقال عبد الله بن يزيد قال الحسن ادركت ثلاثمائة من اصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم منهم سبعون بدريا كلهم يحدثنى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه فالجماعة الا تسبوا
الصحابة ولاتماروا فى دين الله ولاتكفروا احدا من اهل التوحيد بذنب قال

عبد الله فلقيت ابا امامة وابا الدرداء وواثلة وانسا فكلهم يحدثنى عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثل حديث الحسن والغل الحقد والاعتقاد الردي * وقوله تعالى الم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الآية نزلت فى عبد الله بن ابي ابن سلول ورفاعة بن التابوت وقوم من منافقى الانصار كانوا بعثوا الى بنى النضير وقالوا لهم اثبتوا فى معاقلكم فانا معكم كيفما تقلبت حالكم وكانوا فى ذلك كاذبين وانما ارادوا بذلك ان تقوى نفوسهم عسى ان يثبتوا حتى لا يقدر النبي صلى الله عليه وسلم عليهم فيتم مرادهم وجاءت الافعال غير مجزومة فى قوله لا يخرجون ولا ينصرونهم لانها راجعة الى حكم القسم لا الى حكم الشرط والضمير فى صدورهم يعود على اليهود والمنافقين والضمير فى قوله لا يقاتلونكم جميعا لبنى النضير وجميع اليهود هذا قول جماعة المفسرين ومعنى الآية لا يبرزون لحربكم وانما يقاتلون متحصنين بالقرى والجدران للرعب والرهب الكائن فى قلوبهم * وقوله تعالى بأسهم بينهم شديد اي فى غائلتهم واحنهم تحسبهم جميعا اي مجتمعين وقلوبهم شتى اي متفرقة قال (ع) وهذه حال الجماعة المتخاذلة وهي المغلوبة ابدا فى كل ما تحاول واللفظة ماخوذة من الشتات وهو التفرق ونحوه * وقوله تعالى كمثل الذين من قبلهم قال ابن عباس هم بنو قينقاع لان النبي صلى الله عليه وسلم اجلاهم عن المدينة قبل بنى النضير والوبال الشدة والمكروه وعاقبة السوء والعذاب الاليم هو فى الآخرة * وقوله سبحانه كمثل الشيطان معناه ان هاتين الفرقتين من المنافقين وبنى النضير كمثل الشيطان مع الانسان فالمنافقون مثلهم الشيطان وبنو النضير مثلهم الانسان وذهب مجاهد وجمهور من المتأولين الى ان الشيطان والانسان فى هذه الآية اسما جنس فكما ان الشيطان يغوى الانسان ثم يفر عنه بعد ان يورطه كذلك اغوى المنافقون بنى النضير وحرضوهم على الثبوت ووعدوهم النصر فلما نشب بنو النضير وكشفوا عن

وجوههم تركهم المنافقون فى اسوأ حال وذهب قوم من رواة القصص الى ان
هـذا فى شيطان مخصوص مع عابد مخصوص اسمه برصيصا استودع امرأة جملة
وقيل سيقت اليه ليشفها بدعائـه من الجنون فسول له الشيطان الوقوع عليها
فحملت منه فخشي الفضيحة فسول له قتلها ودفنها ففعل ثم شهره فلما استخرجت
المرأة وحمل العابد شر حمل وصلب جاءه الشيطان فقال له اسجد لى سجدة
وانا اخلصك فسجد له فقال له الشيطان هذا الذى اردت منك ان كفرت بربك
انى بريء منك فضرب الله تعالى هذا المثل ليهود بنى النضير والمنافقين وهـذا
يحتاج الى صحة سند والتاويل الاول هو وجه الكلام (ت) قال السهيلي وقد
ذكر هذه القصة هكذا القاضى اسماعيل وغيره من طريق سفيان عن عمرو بن
دينار عن عروة بن عامر بن عبيد بن رفاعة الزرقي عن النبي صلى الله عليه وسلم
ان راهبا كان فى بنى اسرايل فذكر القصة بكمالها ويقال ان اسم هـذا الراهب
برصيصا ولم يذكر اسمه القاضى اسماعيل انتهى قال (ع) وقول الشيطان اني
اخاف الله رياء من قوله وليست على ذلك عقيدته ولا يعرف الله حق معرفته
ولا يحجزه خوفه عن سوء يوقع فيـه ابن ءادم من اول الى ءاخر فكان عاقبتهما
يعنى الشيطان والانسان على ما تقدم من حملهما على الجنس او الخصوص *
وقوله سبحانه يا ايها الذين ءامنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد الآية
هذه ءاية وعظ وتذكير وتقريب للآخرة وتحذير ممن لا تخفى عليه خافية وقوله
تعالى لغد يريد يوم القيامة والذين نسوا الله هم الكفار والمعنى تركوا الله وغفلوا
عنه حتى كانوا كالناسين فعاقبهم بان جعلهم ينسون انفسهم وهذا هو الجزاء على
الذنب بالذنب قال سفيان المعنى حظ انفسهم ويعطى لفظ الآية ان من عرف
نفسـه ولم ينسها عرف ربه تعالى وقـد قال علي بن ابي طالب رضي الله عنـه
اعرف نفسك تعرف ربك وروي عنـه ايضا انـه قال من لم يعرف نفسه لم

يعرف ربه * وقوله سبحانه لو انزلنا هـذا القرءان على جبل الآيـة موعظـة للانسان وذم لاخلاقـه واعراضه وغفلته عن تـدبر كلام خالقه واذا كان الجبل على عظمه وقوته لوا نزل عليه القرءان وفهم منه ما فهمه الانسان لخشع واستكان وتصدع خشية لله تعالى فالانسان على حقارتـه وضعفـه اولى بذلك وضرب الله سبحانه هذا المثل ليتفكر فيه العاقل ويخشع ويلين قلبه * وقوله سبحانه هو الله الذى لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة الآية لما قال تعالى من خشية الله جاء بالاوصاف العلية التى توجب لمخلوقاته هذه الخشية وقرأ الجمهور القدوس بضم القاف من تقدس اذا تطهر وتنزه * وقوله السلام اي ذو السلام لان الايمان به وتوحيده وافعاله هي لمن آمن سلام كلها والمومن اسم فاعل من آمن بمعنى امن من الامن وقيل معناه المصدق عباده المومنين والمهيمن معناه الحفيظ والامين قاله ابن عباس والجبار هو الذى لا يدانيه شيء ولا تلحق رتبته قال الفخر وفى اسمـه تعالى الجبار وجوه احدها انه فعال من جبر اذا اغنى الفقير وجبر الكسير والثانى ان يكون الجبار من جبره اذا اكرهه قال الازهري وهي لغة تميم وكثير من الحجازيين يقولونها بغير الف فى الاكراه وكان الشافعي رحمه الله يقول جبره السلطان على كذا بغير الف وجعل الفراء الجبار بهـذا المعنى من اجبر بالالف وهي اللغة المعروفة فى الاكراه انتهى والمتكبر معناه الذى له التكبر حقا والبارئ بمعنى الخالق والمصور هو الذى يوجد الصور وباقى الآية بين وروى معقل بن يسار عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قال حين يصبح ثلاث مرات اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وقرأ ثلاث ءايات من آخر سورة الحشر وكل الله بـه سبعين الف ملك يصلون عليه حتى يمسي وان مات فى ذلك اليوم مات شهيدا ومن قالها حين يمسي كان بتلك المنزلة رواه الترمذي وقال حديث حسن غريب انتهى



تفسير سورة الممتحنة وهي مدنية باجماع

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله عز وجل يا ايها الذين ءامنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم اولياء الآية المراد بالعدو هاهنا كفار قريش وسبب نزول هذه الآية حاطب بن ابى بلتعة وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم اراد الخروج الى مكة عام الحديبية (ت) بل عامَ فتح مكة فكتب حاطب الى قوم من كفار مكة يخبرهم بقصد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن ذلك منه ارتدادا فنزل الوحي مخبرا بما صنع حاطب فبعث النبي صلى الله عليه وسلم عليا والزبير وثالثا قيل هو المقداد وقال انطلقوا حتى تاتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب من حاطب الى المشركين فخذوه منها وخلوا سبيلها فانطلقوا حتى وجدوا المرأة فقالوا لها اخرجى الكتاب فقالت ما معى كتاب ففتشوا رحلها فما وجدوا شيأ فقال علي ما كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا كذب والله لتخرجن الكتاب اولتلقين الثياب فقالت اعرضوا عنى فخرجته من قرون رأسها فجاءوا به النبي صلى الله عليه وسلم فقال لحاطب من كتب هذا فقال انا يا رسول الله فقال ما حملك على ما صنعت فقال يا رسول الله لا تعجل علي فوالله ما كفرت منذ اسلمت وما فعلت ذلك ارتدادا عن دينى ولا رغبة عنه ولكن لم يكن احد من المهاجرين الا وله بمكة من يمنع عشيرته وكنت امرءا ملصقا فيهم واهلى بين ظهرانيهم فخشيت عليهم فاردت ان اتخذ عندهم يدا فصدقه النبي صلى الله عليه وسلم وقال لا تقولوا لحاطب الاخيرا وروي ان حاطبا كتب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غزوكم

فى مثل الليل والسيل واقسم بالله لو غزاكم وحده لنصر عليكم فكيف وهو فى جمع كثير (ص) وتلقون مفعوله محذوف اي تلقون اليهم اخبار الرسول واسراره وبالمودة الباء للسبب انتهى * وقوله تعالى ان تومنوا مفعول من اجله اي اخرجوكم من اجل ان آمنتم بربكم * وقوله تعالى ان كنتم شرط جوابه متقدم فى معنى ما قبله وجاز ذلك لما لم يظهر عمل الشرط والتقدير ان كنتم خرجتم جهادا فى سبيلى وابتغاء مرضاتى فلا تتخذوا عدوى وعدوكم اولياء وجهادا منصوب على المصدر وكذلك ابتغاء ويجور ان يكون ذلك مفعولا من اجله والمرضاة مصدر كالرضى وتسرون حال من تلقون ويجوز ان يكون فى موضع خبر ابتداء كانه قال انتم تسرون ويصح ان يكون فعلا ابتدئ به القول * وقوله تعالى اعلم يحتمل ان يكون افعل ويحتمل ان يكون فعلا لانك تقول علمت بكذا فتدخل الباء (ص) والظاهر انه افعل تفضيل ولذلك عدي بالباء انتهى وسواء يجوز ان يكون مفعولا بضل على تعدى ضل ويجوز ان يكون ظرفا على غير التعدى لانه يجيء بالوجهين والاول احسن فى المعنى والسواء الوسط والسبيل هنا شرع الله وطريق دينه * وقوله سبحانه ان يثقفوكم يكونوا لكم اعداء الآية اخبر تعالى ان مداراة هؤلاء الكفرة غير نافعة فى الدنيا وانها ضارة فى الآخرة ليبين فساد رأي مصانعهم فقال ان يثقفوكم اي ان يتمكنوا منكم وتحصلوا فى ثقافهم ظهرت عداوتهم وانبسطت اليكم ايديهم بضرركم وقتلكم وانبسطت السنتهم بسبكم واشد من هذا كله انما يقنعهم ان تكفروا وهذا هو ودهم ثم اخبر تعالى ان هذه الارحام التى رغبتم فى وصلها ليست بنافعة يوم القيامة فالعامل فى يوم قوله تنفعكم وقيل العامل فيه يفصل وهو مما بعده لا مما قبله وعبارة الثعلبي لن تنفعكم ارحامكم اي قرابتكم منهم ولا اولادكم الذين عندهم بمكة يوم القيامة اذا عصيتم الله من اجلهم يفصل بينكم فيدخل

المومنون الجنة والكافرون النار انتهى (ت) وهذه الآية تنظر الى قوله تعالى وما اموالكم ولا اولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى الآيـة واعلم ان المال والسبب النافع يوم القيامة ما كان لله وقصد به العون على طاعة الله والا فهو على صاحبه وبال وطول حساب قال ابن المبارك فى رقائقه اخبرنا شعبة عن عمرو بن مرة قال سمعت عبد الله بن الحارث يحدث عن ابي كثير عن عبد الله بن عمرو بن العاصى انه سمعه يقول ويجمعون يعنى ليوم القيامة فيقال اين فقراء هذه الامة ومساكينها فيبرزون فيقال ما عندكم فيقولون يا ربنا ابتليتنا فصبرنا وانت اعلم احسبه قال ووليت الاموال والسلطان غيرنا فيقال صدقتم فيدخلون الجنة قبل سائر الناس بزمان وتبقى شدة الحساب على ذوى السلطان والاموال قال قلت فاين المومنون يومئذ قال توضع لهم كراسي من نور ويظلل عليهم الغمام ويكون ذلك اليوم اقصر عليهم من ساعة من نهار انتهى وفى قوله تعالى والله بما تعملون بصير وعيد وتحذير * وقوله تعالى قد كانت لكم اسوة اي قدوة فى ابراهيم الخليل والذين معه قيل من آمن بـه من الناس وقال الطبري وغيره الذين معه هم الانبياء المعاصرون له اوقريبا من عصره قال (ع) وهـذا ارجح لانـه لم يرو ان لابراهيم اتباعا مومنين فى وقت مكافحته نمرودا وفى البخاري انـه قال لسارة حين رحل بها الى الشام مهاجرا من بلد النمرود ما على الارض من يعبد الله غيرى وغيرك وهذه الاسوة مقيدة فى التبرى من المشركين واشراكهم وهو مطرد فى كل ملة وفى نبينا عليه السلام اسوة حسنة على الاطلاق فى العقائد وفى احكام الشرع كلها * وقوله كفرنا بكم اي كذبناكم فى عبادتكم الاصنام * وقوله الا قول ابراهيم لابيه يعنى تاسوا بابراهيم الا فى استغفاره لابيه فلا تتأسوا به فتستغفروا للمشركين لان استغفاره انما كان عن موعدة وعدها اياه وهذا تاويل قتادة ومجاهد وعطاء الخراساني وغيرهم * وقوله ربنا عليك توكلنا

الى قوله انك انت العزيز الحكيم هو حكاية عن قول ابراهيم والذين معه وهـذه الالفاظ بينة مما تقدم فى اي القران * وقوله ربنا لا تجعلنا فتنة قيل المعنى لا تغلبهم علينا فنكون لهم فتنة وسبب ضلالة نحا هذا المنحى قتادة وابو مجلز وقد تقدم مستوفى فى سورة يونس وقال ابن عباس المعنى لا تسلطهم علينا فيفتنونا عن اديانا فكانه قال لا تجعلنا مفتونين فعبر عن ذلك بالمصدر وهـذا ارجح الاقوال لانهم انما دعوا لانفسهم وعلى منحى قتادة انما دعوا للكفار اما ان مقصدهم انما هو ان يندفع عنهم ظهور الكفار الذى بسببه فتن الكفار فجاء فى المعنى تحليق بليغ * وقوله تعالى لقد كان لكم فيهم اي فى ابراهيم والذين معه وباقى الاية بين وروي ان هذه الآيات لما نزلت وعزم المومنون على امتثالها وصرم حبال الكفرة لحقهم تأسف وهم من اجل قراباتهم اذ لم يومنوا ولم يهتدوا حتى يكون بينهم التوادد والتواصل فنزلت عسى الله الاية مونسة فى ذلك ومرجية ان يقع فوقع ذلك باسلامهم فى الفتح وصار الجميع اخوانا وعسى من الله واجبة الوقوع (ت) قد تقدم تحقيق القول فى عسى فى سورة القصص فاغنى عن اعادته * وقوله تعالى لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم الاية اختلف فى هؤلاء الذين لم ينه عنهم ان يبروا فقيل اراد المومنين التاركين للهجرة وقيل خزاعة وقبائل من العرب كانوا مظاهرين للنبي صلى الله عليه وسلم ومحبين لظهوره وقيل اراد النساء والصبيان من الكفرة وقيل اراد من كفار قريش من لم يقاتل ولا اخرج ولم يظهر سوءا وعلى انها فى الكفار فالاية منسوخة بالقتال والذين قاتلوا فى الدين واخرجوهم هم مردة قريش * وقوله تعالى يا ايها الذين ءامنوا اذا جاءكم المومنات مهاجرات الآية نزلت اثر صلح الحديبية وذلك ان ذلك الصلح تضمن ان من اتى مسلما من اهل مكة رد اليهم سواء كان رجلا او امرأة فنقض الله تعالى من ذلك امر النساء بهذه الاية وحكم بان

المهاجرة المومنة لا ترد الى دار الكفر وامتحنوهن معناه جربوهن واستخبروا حقيقة ما عندهن * وقوله تعالى الله اعلم بايمانهن اشارة الى الاسترابة ببعضهن (ت) وقوله تعالى فان علمتموهن مومنات الآية العلم هنا بمعنى الظن وذكر الله تعالى العلة فى ان لا يرد النساء الى الكفار وهو امتناع الوطء وحرمته * وقوله تعالى وءاتوهم ما انفقوا الآية امر بان يوتى الكفار مهور نسائهم التى هاجرن مومنات ورفع سبحانه الجناح فى ان يتزوجن بصدقات هي اجورهن وامر المسلمين بفراق الكافرات وان لا يتمسكوا بعصمهن فقيل الآية فى عابدات الاوثان ومن لا يجوز نكاحها ابتداء وقيل هي عامة نسخ منها نساء اهل الكتاب والعصم جمع عصمة وهي اسباب الصحبة والبقاء فى الزوجية وامر تعالى ان يسئل ايضا المومنون ما انفقوا فروي عن ابن شهاب ان قريشا لما بلغهم هذا الحكم قالوا نحن لا نرضى بهذا الحكم ولا نلتزمه ولا ندفع لاحد صداقا فنزلت بسبب ذلك هذه الآية الاخرى وان فاتكم شيء من ازواجكم الى الكفار الآية فامر الله تعالى المومنين ان يدفعوا الى من فرت زوجته ففاتت بنفسها الى الكفار صداقه الذى انفق واختلف من اي مال يدفع اليه الصداق فقال ابن شهاب يدفع اليه من الصدقات التى كانت تدفع الى الكفار بسبب من هاجر من ازواجهم وازال الله دفعها اليهم حين لم يرضوا حكمه قال (ع) وهذا قول صحيح يقتضيه قوله فعاقبتم وقال قتادة وغيره يدفع اليه من مغانم المغازى وقال هؤلاء التعقيب هو الغزو والمغنم وقال ابن شهاب ايضا يدفع اليه من اي وجوه الفيء امكن والمعاقبة فى هذه الآية ليست بمعنى مجازاة السوء بسوء قال الثعلبي وقرأ مجاهد فاعقبتم وقال المعنى صنعتم بهم كما صنعوا بكم انتهى قال (ع) اي وذلك بان يفوت اليكم شيء من ازواجهم وهكذا هو التعاقب على الجمل والدواب ان يركب هذا عقبة وهذا عقبة ويقال عاقب الرجل صاحبه فى كذا

اي جاء فعل كل واحد منهما بعقب فعل الآخر وهذه الآية كلها قد ارتفع حكمها * وقوله عز وجل يا ايها النبيء اذا جاءك المومنات يبايعنك الآية هذه بيعة النساء فى ثانى يوم الفتح على الصفا وهي كانت فى المعنى بيعة الرجال قبل فرض القتال (ت) وخرج البخاري بسنده عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يمتحن من هاجر اليه من المومنات بهذه الآية يا ايها النبيء اذا جاءك المومنات يبايعنك الآية وكذا روى البخاري من طريق ابن عباس انه عليه السلام تلا عليهن الآية يوم الفطر عقب الصلاة ونحوه عن ام عطية فى البخاري وقرأ عليهن الآية ايضا فى ثانى يوم فتح مكة وكلام (ع) يوهم ان الآية نزلت فى بيعة النساء يوم الفتح وليس كذلك وانما يريد انه اعاد الآية على من لم يبايعه من اهل مكة لقرب عهدهم بالاسلام والله اعلم والاتيان بالبهتان قال اكثر المفسرين معناه ان تنسب الى زوجها ولدا ليس منه قال (ع) واللفظ اعم من هذا التخصيص * وقوله تعالى ولا يعصينك فى معروف يعم جميع اوامر الشريعة فرضها وندبها وفى الحديث ان جماعة نسوة قلن يا رسول الله نبايعك على كذا وكذا الآية فلما فرغن قال صلى الله عليه وسلم فيما استطعتن واطقتن فقلنا الله ورسوله ارحم بنا منا لانفسنا * وقوله تعالى فبايعهن اي امض لهن صفقة الايمان بان يعطين ذلك من انفسهن ويعطين عليه الجنة واختلف فى هيئة مبايعته صلى الله عليه وسلم النساء بعد الاجماع على انه لم تمس يده يد امرأة اجنبية قط والمروي عن عائشة وغيرها انه بايع باللسان قولا وقال انما قولى لمائة امرأة كقولى لامرأة واحدة * وقوما غضب الله عليهم هم اليهود فى قول ابن زيد وغيره ويأسهم من الآخرة هو يأسهم من نعيمها مع التصديق بها وقال ابن عباس قوما غضب الله عليهم فى هذه الآية كفار قريش * وقوله كما يئس الكفار من اصحاب القبور على هذا التاويل هو على ظاهره فى

اعتقاد الكفرة اذا مات لهم حميم قالوا هذا ءاخر العهد به لا يبعث ابدا

تفسير سورة الصف وهي مدنية في قول الجمهور وقيل مكية

والاول اصح لان معاني السورة تعضده ويشبه ان يكون فيها المكي والمدني

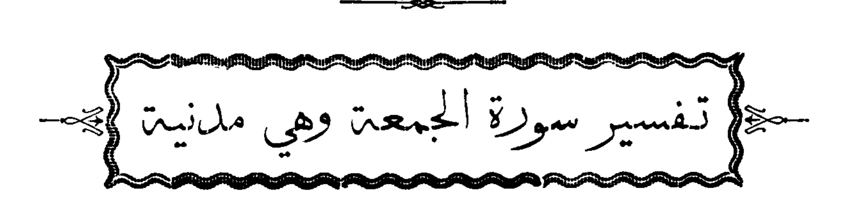
* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله تعالى سبح لله ما فى السموات وما فى الارض وهو العزيز الحكيم قد تقدم تفسيره واختلف فى السبب الذى نزلت فيه يا ايها الذين ءامنوا لم تقولون ما لا تفعلون فقال ابن عباس وغيره نزلت بسبب قوم قالوا لو علمنا احب العمل الى الله تعالى لسارعنا اليه ففرض الله الجهاد واعلمهم بفضله وانه يحب المقاتلين فى سبيله كالبنيان المرصوص فكرهه قوم منهم وفروا يوم الغزو فعاتبهم الله تعالى بهذه الآية وقال قتادة والضحاك نزلت بسبب جماعة من شباب المسلمين كانوا يتحدثون عن انفسهم فى الغزو بما لم يفعلوا قال (ع) وحكم هذه الآية باق غابر الدهر وكل من يقول ما لا يفعل فهو ممقوت الكلام والقول الاول يترجح بما ياتى من امر الجهاد والقتال والمقت البغض من اجل ذنب اوريبة اودناءة يصنعها الممقوت وقول المرء ما لا يفعل موجب مقت الله تعالى ولذلك فر كثير من العلماء عن الوعظ والتذكير وءاثروا السكوت (ت) وهذا بحسب فقه الحال ان وجد الانسان من يكفيه هذه المئونة فى وقته فقد يسعه السكوت والافلا يسعه قال الباجي فى سنن الصالحين له قال الاصمعي بلغنى ان بعض

الحكماء كان يقول انى لاعظكم وانى لكثير الذنوب ولو ان احدا لا يعظ اخاه حتى يحكم امر نفسه لترك الامر بالخير واقتصر على الشر ولكن محادثة الاخوان حياة القلوب وجلاء النفوس وتذكير من النسيان وقال ابو حازم انى لاعظ الناس وما انا بموضع للوعظ ولكن اريد به نفسى وقال الحسن لمطرف عظ اصحابك فقال انى اخاف ان اقول ما لا افعل فقال رحمك الله واينا يفعل ما يقول ود الشيطان انه لو ظفر منكم بهذه فلم يامر احد منكم بمعروف ولم ينه عن منكر انتهى * وقوله تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله الآية قال معاذ بن جبل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قاتل فى سبيل الله فواق ناقة فقد وجبت له الجنة ومن سأل الله القتل من نفسه صادقا ثم مات او قتل فان له اجر شهيد مختصر رواه ابو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه واللفظ لابى داود وقال الترمذي هذا حديث صحيح انتهى من السلاح ثم ذكر تعالى مقالة موسى وذلك ضرب مثل للمومنين ليحذروا ما وقع فيه هؤلاء من العصيان وقول الباطل * وقوله لم توذوننى اي بتعنيتكم وعصيانكم واقتراحاتكم واسند الزيغ اليهم لكونه فعل حطيطة وهذا بخلاف قوله تعالى ثم تاب عليهم ليتوبوا فاسند التوبة اليه سبحانه لكونها فعل رفعة وزاغ معناه مال وصار عرفها فى الميل عن الحق وازاغ الله قلوبهم معناه طبع عليها وكثر ميلها عن الحق وهذه هي العقوبة على الذنب بالذنب * وقوله ومبشرا برسول ياتى من بعدي اسمه احمد قال عياض فى الشفا سمى الله تعالى نبيه فى كتابه محمدا واحمد فاما اسمه احمد فافعل مبالغة من صفة الحمد ومحمد مفعل من كثرة الحمد وسمى امته فى كتب انبيائه بالحمادين ثم فى هذين الاسمين من عجائب خصائصه سبحانه وبدائع اياته انه سبحانه حمى ان يتسمى بهما احد قبل زمانه اما احمد الذى اتى فى الكتب وبشرت به الانبياء فمنع سبحانه ان يتسمى به احد غيره حتى لا يدخل بذلك

لبس على ضعيف القلب وكذلك محمد ايضا لم يتسم بـه احد من العرب ولا غيرهم الى ان شاع قبيل وجوده صلى الله عليه وسلم وميلاده ان نبيا يبعث اسمه محمد فسمى قوم قليـل من العرب ابناءهم بذلك رجاء ان يكون احدهم هو وهم محمد بن احيحة الاوسي ومحمد بن مسلمة الانصاري ومحمد بن براء البكري ومحمد بن سفيان باليمن ويقولون بل محمد بن اليحمد من الازد ومحمد بن سوادة منهم لا سابع لهم ولم يدع احد من هؤلاء النبوءة او يظهر عليه سبب يشكك الناس انتهى وروى انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تسموا اولادكم محمـدا ثم تلعنونهم رواه الحـاكم فى المستدرك انتهى من السلاح * وقوله سبحانه فلما جاءهم بالبينات الآية يحتمـل ان يريد عيسى ويحتمل ان يريد محمدا صلى الله عليه وسلم لانه تقدم ذكره (ت) والاول اظهر * وقوله سبحانه يا ايها الذين ءامنوا هل ادلكم على تجـارة تنجيكم الآية ندب وحض على الجهاد بهذه التجارة التى بينها سبحانه وهي ان يبذل المرء نفسه وماله وياخذ ثمنا جنة الخلد وقرأ ابن عامر وحده تنجيكم بفتح النون وشد الجيم * وقوله تومنون معناه الامر اي ءامنوا قال الاخفش ولذلك جاء يغفر مجزوما وفى مصحف ابن مسعود ءامنوا بالله ورسوله وجاهدوا * وقوله ذلكم اشارة الى الجهاد والايمان وخير هنا يحتمل ان يكون للتفضيل فالمعنى من كل عمل ويحتمل ان يكون اخبارا ان هذا خير فى ذاته ومساكـن عطف على جنات وطيب المسـاكن سعتها وجمالها وقيل طيبها المعرفة بدوام امرها * وقوله سبحانه واخرى تحبونها الآية قال الاخفش واخرى هي فى موضع خفض عطفا على تجارة وهذا قلق وقد رده الناس لان هذه الاخرى ليست مما دل عليه سبحانه انما هي مما اعطى ثمنا وجزاء على الايمان والجهاد بالنفس والمـال وقال الفراء واخرى فى موضع رفع وقيل فى موضع نصب باضمار فعل تقديره ويدخلكم جنات ويمنحكم اخرى وهي النصر والفتح القريب وقصة

عيسى مع بني اسرائيل قد تقدمت * وقوله تعالى فايدنا الذين آمنوا على عدوهم قيل ذلك قبل محمد عليه السلام وبعد فترة من رفع عيسى رد الله الكرة لمن آمن بـه فغلبوا الكافرين الذين قتلوا صاحبه الذى القي عليه الشبه وقيل المعنى فاصبحوا ظاهرين بالحجة



تفسير سورة الجمعة وهي مدنية

* بسم الله الرحمن الرحيم *

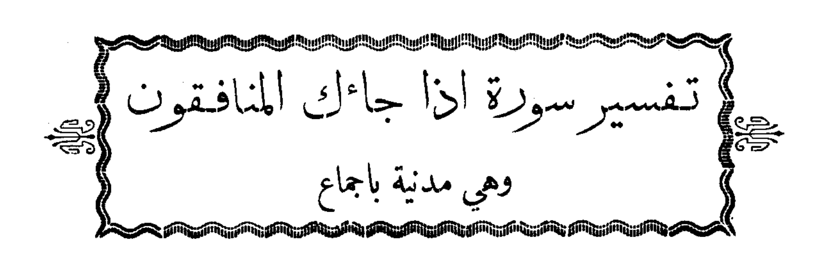
قوله تعالى يسبح لله ما فى السموات وما فى الارض تقدم القول فى مثل الفاظ الآيـة والمراد بالاميين جميع العرب واختلف فى المعنين بقوله تعالى وآخرين منهم فقال ابو هريرة وغيره اراد فارس وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم من الآخرون فاخـذ بيـد سلمان وقال لو كان الدين فى الثريا لناله رجال من هؤلاء خرجه مسلم والبخاري وقال ابن زيـد ومجاهـد والضحاك وغيرهم اراد جميع طوائف النـاس فقوله منهم على هذين القولين انما يريد فى البشرية والايمان وقال مجاهـد ايضا وغيره اراد التابعين من ابنـاء العرب فقوله منهـم يريـد فى النسب والايمان * وقوله لما يلحقوا نفي لما قرب من الحال والمعنى انهم مزمعون ان يلحقوا فهي لم زيدت عليها ما تاكيـدا * والذين حملوا التوراة هم بنو اسرائيل الاحبار المعاصرون للنبي صلى الله عليه وسلم وحملوا معناه كلفوا القيام باوامرها ونواهيها فهذا كما حمل الانسان الامانة وذكر تعالى انهم لم يحملوها اي لم يطيعوا امرها ويقفوا عند حدودها حين كذبوا نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم

والتوراة تنطق بنبوته فكان كل حبر لم ينتفع بما حمل كمثل حمار عليه اسفار وفى مصحف ابن مسعود كمثل حمار بغير تعريف والسفر الكتاب المجتمع الاوراق منضدة * وقوله بيس مثل القوم التقدير بيس المثل مثل القوم الذين كذبوا بـاٰيات الله (ص) ورد بان فيه حذف الفاعل ولا يجوز والظاهر ان مثل القوم فاعل بيس والذين كذبوا هو المخصوص بالذم على حذف مضاف اي مثل الذين كذبوا انتهى * وقوله سبحانـه قل يا ايها الذين هادوا ان زعمتم الآية روي انها نزلت بسبب ان يهود المدينة لما ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم خاطبوا يهود خيبر فى امره وذكروا لهم نبوته وقالوا ان رأيتم اتباعه اطعناكم وان رأيتم خلافه خالفناه معكم فجاءهم جواب اهل خيبر يقولون نحن ابناء ابراهيم خليل الرحمن وابناء عزير بن الله ومنا الانبياء ومتى كانت النبوة فى العرب نحن احق بالنبوة من محمد ولا سبيل الى اتباعه فنزلت الآية بمعنى انكم اذا كنتم من الله بهـذه المنزلة فقربـه وفراق هذه الحياة الخسيسة احب اليكم فتمنوا الموت ان كنتم تعتقدون فى انفسكم هذه المنزلة ثم اخبر تعالى انهم لا يتمنونـه ابدا لعلمهم بسوء حالهم وروى كثير من المفسرين ان الله جلت قدرته جعل هذه الآية معجزة لمحمد نبيه فيهم فهي ءاية باهرة واعلمه انه ان تمنى احد منهم الموت فى ايام معدودات مـات وفارق الدنيـا فقال رسول الله صلى الله عليـه وسلم تمنوا الموت على جهة التعجيز واظهار الآيـة فمـا تمناه احد منهم خوفا من الموت وثقـة بصدق نبينـا محمـد صلى الله عليـه وسلم * وقوله سبحانـه يا ايهـا الذين ءامنوا اذا نودي للصلوة الآيـة النـداء هو الاذان وكان على الجـدار فى مسجد رسول الله صلى الله عليـه وسلم وفى مصنف ابى داود كان بين يـدي النبي صلى الله عليـه وسلم وهو على المنبر اذان ثم زاد عثمان النـداء على الزوراء ليسمع الناس (ت) وفى البخاري والترمذي وصححه عن السائب بن يزيد

قال كان النداء يوم الجمعة اوله اذا جلس الامام على المنبر على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وابى بكر وعمر فلما تولى عثمان وكثر الناس زاد الاذان الثالث فاذن به على الزوراء فثبت الامر على ذلك قيل فقوله الثالث يقتصى انهم كانوا ثلاثة وفى طريق آخر الثانى بدل الثالث وهو يقتضى انهما اثنان انتهى وخرج مسلم عن ابى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من اغتسل ثم اتى الجمعة فصلى ما قدر له ثم انصت للامام حتى يفرغ من خطبته ثم يصلى معه غفر له ما بينه وبين الجمعة الاخرى وفضل ثلاثة ايام انتهى وخرجه البخاري من طريق سلمان * وقوله من يوم الجمعة قال ابن هشام من مرادفة فى انتهى * وقوله تعالى فاسعوا الى ذكر الله الآية السعي فى الآية لا يراد به الاسراع فى المشي وانما هو بمعنى قوله وان ليس للانسان الا ما سعى فالسعي هو بالنية والارادة والعمل من وضوء وغسل ومشي ولبس ثوب كل ذلك سعي وقد قال مالك وغيره انما توتى الصلاة بالسكينة (ت) وهو نص الحديث الصحيح وهو قوله صلى الله عليه وسلم فى الصلاة فلا تاتوها وانتم تسعون واتوها وعليكم السكينة (ت) والظاهر ان المراد بالسعي هنا المضي الى الجمعة كما فسره الثعلبي ويدل على ذلك اطلاق العلماء لفظ الوجوب عليه فيقولون السعي الى الجمعة واجب ويدل على ذلك قراءة عمر وعلي وابن مسعود وابن عمر وابن عباس وابن الزبير وجماعة من التابعين فامضوا الى ذكر الله وقال ابن مسعود لو قرأت فاسعوا لاسرعت حتى يقع رداءى وقال العراقي فاسعوا معناه بادروا انتهى وقوله الى ذكر الله هو وعظ الخطبة قاله ابن المسيب ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح اذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من ابواب المسجد ملائكة يكتبون الاول فالاول فاذا جلس الامام طووا الصحف وجاءوا يستمعون الذكر الحديث خرجه البخاري ومسلم واللفظ لمسلم والخطبة عند

الجمهور شرط فى انعقاد الجمعة وعن ابى موسى الاشعري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل يبعث الايام يوم القيامة على هيئتها ويبعث الجمعة زهراء منيرة اهلها يحفون بها كالعروس تهدى الى كريمها تضيء لهم يمشون فى ضوئها الوانهم كالثلج بياضا وريحهم يسطع كالمسك يخوضون فى جبال الكافور ينظر اليهم الثقلان ما يطرفون تعجبا يدخلون الجنة لا يخالطهم الا المؤذنون المحتسبون خرجه القاضى الشريف ابو الحسن علي بن عبد الله بن ابراهيم الهاشمي قال صاحب التذكرة واسناده صحيح انتهى * وقوله سبحانه ذلكم اشارة الى السعي وترك البيع * وقوله فانتشروا اجمع الناس على ان مقتضى هذا الامر الاباحة وكذلك قوله وابتغوا من فضل الله انه الاباحة فى طلب المعاش مثل قوله تعالى واذا حللتم فاصطادوا الا ما روي عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ذلك الفضل المبتغى هو عيادة مريض اوصلة صديق او اتباع جنازة قال (ع) وفى هذا ينبغى ان يكون المرء بقية يوم الجمعة ونحوه عن جعفر بن محمد وقال مكحول الفضل المبتغى العلم فينبغى ان يطلب اثر الجمعة * وقوله تعالى واذكروا الله كثيرا الآية قال معاذ بن جبل ما شيء انجى من عذاب الله من ذكر الله رواه الترمذي واللفظ له وابن ماجه والحاكم فى المستدرك وقل صحيح الاسناد انتهى من السلاح * وقوله سبحانه واذا رأوا تجارة اولهوا الآية نزلت بسبب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قائما على المنبر يخطب يوم الجمعة فاقبلت عير من الشام تحمل ميرة وصاحب امرها دحية بن خليفة الكلبي قال مجاهد وكان من عرفهم ان تدخل عير المدينة بالطبل والمعازف والصياح سرورا بها فدخلت العير بمثل ذلك فانفض اهل المسجد الى رؤية ذلك وسماعه وتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما على المنبر ولم يبق معه غير اثنيي عشر رجلا قال جابر بن عبد الله انا احدهم قال

(ع) ولم تمر بى تسميتهم فى ديوان فيما اذكر الآن الا انى سممت ابى رحمه الله
يقول هم العشرة المشهود لهم بالجنة واختلف فى الحادى عشر فقيل عمار بن
ياسر وقيل ابن مسعود (ت) وفى تقييد ابى الحسن الصغير والاثنا عشر
الباقون هم الصحابة العشرة والحادى عشر بلال واختلف فى الثانى عشر فقيل
عمار بن ياسر وقيل ابن مسعود انتهى قال السهيلي وجاءت تسمية الاثني عشر
فى حديث مرسل رواه اسد بن عمرو والد موسى بن اسد وفيه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم لم يبق معه الا ابو بكر وعمر وعثمان حتى العشرة وقال وبلال
وابن مسعود وفى رواية عمار بدل ابن مسعود وفى مراسيل ابى داود ذكر السبب
الذى من اجله ترخصوا فقال ان الخطبة يوم الجمعة كانت بعد الصلاة فتأولوا
رضي الله عنهم انهم قد قضوا ما عليهم فحولت الخطبة بعد ذلك قبل الصلاة
فهذا الحديث وان كان مرسلا فالظن الجميل باصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
يوجب ان يكون صحيحا والله اعلم انتهى وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لولا هؤلاء لقد كانت الحجارة سومت على المنفضين من السماء وفى حديث
آخر والذى نفس محمد بيده لو تتابعتم حتى لا يبقى احد لسال بكم الوادى
نارا قال البخاري انفضوا معناه تفرقوا انتهى وقرأ ابن مسعود ومن التجارة
للذين اتقوا والله خير الرازقين وانما اعاد الضمير فى قوله اليها على التجارة وحدها
لانها اهم وهي كانت سبب اللهو (ص) وقرئ اليهما بالتثنية



تفسير سورة اذا جاءك المنافقون

وهي مدنية باجماع

ونزلت فى غزوة بنى المصطلق بسبب ان ابن ابي ابن سلول كانت له فى تلك الغزوة اقوال منكرة وسياتى بيان ذلك ان شاء الله

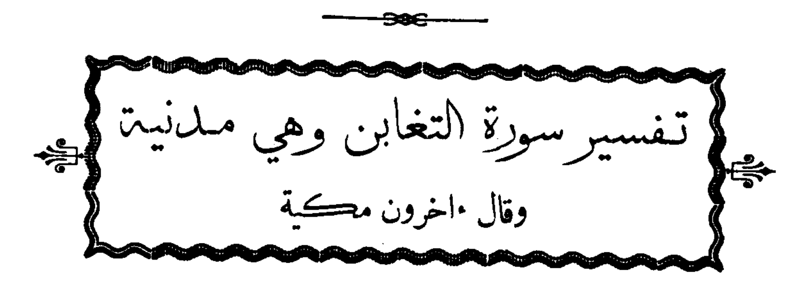
* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله عز وجل اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله الآية فضح الله سرائر المنافقين بهذه الآيـة وذلك انهم كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم نشهد انك لرسول الله وهم فى اخبارهم هذا كاذبون لان حقيقة الكذب ان يخبر الانسان بضد ما فى قلبه وهـذه كانت حالهم وقرأ الناس ايمانهم جمع يمين وقرأ الحسن ايمانهم بكسر الهمزة والجنة ما يتستر به فى الاجرام والمعانى * وقوله ذلك اشارة الى فعل الله بهم فى فضحهم وتوبيخهم ويحتمل ان تكون الاشارة الى سوء ما عملوا فالمعنى ساء عملهم بان كفروا بعد ايمان * وقوله تعالى واذا رأيتهم تعجبك اجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم هـذا توبيخ لهم اذ كان منظرهم يروق جمالا وقولهم يخلب بيانا لكنهم كالخشب المسندة اذ لا افهام لهم نافعة وكان عبد الله بن ابي ابن سلول من ابهى المنافقين واطولهم ويدل على ذلك انه لم يوجد قميص يكسو العباس غير قميصه قال الثعلبي تعجبك اجسامهم لاستواء خلقها وطول قامتها وحسن صورتها قال ابن عباس وكان عبد الله بن ابي جسيما صبيحا فصيحا ذلق اللسان فاذا قال سمع النبي صلى الله

عليه وسلم قوله ووصفهم الله تعالى بتمام الصورة وحسن الابانة ثم شبههم بالخشب المسندة الى الحائط لا يسمعون ولا يعقلون اشباح بلا ارواح واجسام بلا احلام انتهى * وقوله تعالى يحسبون كل صيحة عليهم هذا ايضا فضح لما كانوا يسرونه من الخوف وذلك انهم كانوا يتوقعون ان يامر النبي صلى الله عليه وسلم عن الله بقتلهم قال مقاتل فكانوا متى سمعوا نشد ان ضالة اوصياحا باي وجه او اخبروا بنزول وحي طارت عقولهم حتى يسكن ذلك ويكون فى غير شأنهم ثم اخبر تعالى بانهم هم العدو وحذر منهم * وقوله تعالى قاتلهم الله دعاء يتضمن الاقصاء والمنابذة لهم وانى يوفكون معناه كيف يصرفون * وقوله تعالى واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله الآية سبب نزولها ان النبي صلى الله عليه وسلم غزا بنى المصطلق فازدحم اجير لعمر بن الخطاب يقال له جهجاه مع سنان بن وبرة الجهني حليف للانصار على الماء فكسع جهجاه سنانا فتثاوروا ودعا جهجاه يا للمهاجرين ودعا سنان يا للانصار فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما بال دعوى الجاهلية فلما اخبر بالقصة قال دعوها فانها منتنة فقال عبد الله بن ابي اوقد فعلوها والله ما مثلنا ومثل جلابيب قريش الا كما قال الاول سمن كلبك ياكلك وقال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ثم قال لمن معه من المنافقين انما يقيم هؤلاء المهاجرون مع محمد بسبب معونتكم لهم ولو قطعتم ذلك عنهم لفروا فسمعها منه زيد بن ارقم فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فعاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن ابي عند رجال من الانصار فبلغه ذلك فجاء وحلف ما قال ذلك وحلف معه قوم من المنافقين وكذبوا زيدا فصدقهم النبي صلى الله عليه وسلم فبقي زيد فى منزله لا يتصرف حياء من الناس فنزلت هذه السورة عند ذلك فبعث النبي صلى الله عليه وسلم الى زيد وقال له لقد صدقك الله يا زيد فخزي عند ذلك عبد الله بن ابي ومقته الناس

ولامه المومنون من قومه وقال له بعضهم امض الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واعترف بذنبك يستغفر لك فلوى رأسه انكارا لهذا الرأي وقال لهم اقد اشرتم علي بالايمان فآمنت واشرتم علي بان اعطي زكاة مالى ففعلت ولم يبق لكم الا ان تامرونى بالسجود لمحمد فهذا قصص هذه السورة موجزا وقرأ نافع والمفضل عن عاصم لووا بتخفيف الواو وقرأ الباقون بتشديدها * وقوله تعالى سواء عليهم استغفرت لهم الآية روي انه لما نزلت ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لازيدن على السبعين وفى حديث آخر لو علمت انى لو زدت على السبعين لغفر لهم لزدت وفى هذا الحديث دليل على رفض دليل الخطاب فلما فعل ابن ابي واصحابه ما فعلوا شدد الله عليهم فى هذه الآية واعلمَ انه لن يغفر لهم دون حد فى الاستغفار * وقوله تعالى هم الذين اشارة الى ابن ابي ومن قال بقوله ثم سفه تعالى احلامهم فى ان ظنوا ان انفاقهم هو سبب رزق المهاجرين ونسوا ان جريان الرزق بيد الله تعالى اذا انسد باب انفتح غيره ثم اعلمَ تعالى ان العزة لله ولرسوله وللمومنين وفى ذلك وعيد وروي ان عبد الله بن عبد الله بن ابي وكان رجلا صالحا لما سمع الآية جاء الى ابيه فقال له انت والله يا ابت الذليل ورسول الله العزيز ووقف على باب السكة التى يسلكها ابوه وجرد السيف ومنعه الدخول وقال والله لا دخلت الى منزلك الا ان ياذن فى ذلك رسول الله وعبد الله بن ابي فى اذل حال وبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعث اليه ان خله يمضى الى منزله فقال اما الآن فنعم * وقوله سبحانه يا ايها الذين ءامنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله الآية الالهاء الاشتغال بملذ وشهوة وذكر الله هنا عام فى الصلوات والتوحيد والدعاء وغير ذلك من مفروض ومندوب وكذلك قوله تعالى وانفقوا من ما رزقناكم عام فى المفروض والمندوب قاله جماعة من المفسرين قال

الشيخ ابو عبد الرحمن السلمي فى كتاب عيوب النفس ومن عيوبها تضييع اوقاتها بالاشتغال بما لا يعنى من امور الدنيا والخوض فيها مع اهلها ومداواتها ان يعلم ان وقته اعز الاشياء فيشغله باعز الاشياء وهو ذكر الله والمداومة على الطاعة ومطالبة الاخلاص من نفسه فانه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه وقال الحسن بن منصور عليك بنفسك فان لم تشغلها شغلتك انتهى * وقوله لولا اخرتني الى اجل قريب طلب للكرة والامهال وسماه قريبا لانه آت وايضا فانما يتمنى ذلك ليقضي فيه العمل الصالح فقط وليس بتسع الامل حينئذ لطلب العيش ونضرته * وقوله واكن من الصالحين ظاهره العموم وقال ابن عباس هو الحج وروى الترمذي عنه انه قال ما من رجل لا يؤدى الزكاة ولا يحج الا طلب الكرة عند موته قال الثعلبي قال ابن عباس الى اجل قريب يريد مثل آجالنا فى الدنيا انتهى وقرأ ابو عمرو واكون وفى قوله تعالى ولن يوخر الله نفسا اذا جاء اجلها حض على المبادرة ومسابقة الاجل بالعمل الصالح



تفسير سورة التغابن وهي مدنية
وقال آخرون مكية

الا قوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا ان من ازواجكم الى آخر السورة فانه مدني

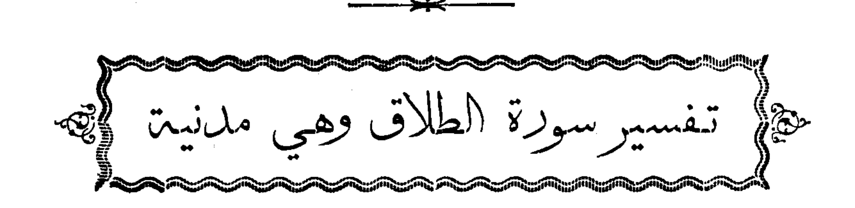
* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله تعالى هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مومن اي فى اصل الخلقة وهذا

يجرى مع قول الملك يا رب اشقي ام سعيد الحديث وذلك فى بطن امه وقيل الآية تعديد نعم فقوله هو الذى خلقكم هذه نعمة الا يجاد ثم قال فمنكم كافر اي بهذه النعمة لجهله بالله ومنكم مومن بالله والايمان بـه شكر لنعمتـه فالاشارة على هذا التاويل فى الايمان والكفر هي الى اكتساب العبد وهـذا قول جماعة وقيل غير هذا * وقوله تعالى خلق السموات والارض بالحق اي لم يخلقها عبثا ولا لغير معنى * وقوله تعالى فاحسن صوركم هو تعديد نعم والمراد الصورة الظاهرة وقيل المراد صورة الانسان المعنويـة مـن حيث هو انسان مـدرك عاقل والاول اجرى على لغـة العرب * وقوله تعالى الم ياتكم جزم اصله ياتيكم والخطاب فى هذه الآية لقريش ذكروا بما حل بعاد وثمود وغيرهم ممن سمعت قريش باخبارهم ووبال الامر مكروهه وما يسوء منه * وقوله تعالى ذلك بانه اشارة الى ذوق الوبال وباقى الآية بين * وقوله تعالى زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا يريد قريشا ثم هي بعد تعم كل كافر بالبعث ولا توجد زعم مستعملة فى فصيح الكلام الاعبارة عن الكذب او قول انفرد به قائله * وقوله سبحانه فـءامنوا بالله ورسوله والنور الذى انزلنا هذه الآية دعاء من الله وتبليغ وتحذير من يوم القيامة والنور القرءان ومعانيه ويوم الجمع هو يوم القيامـة وهـو يوم التـغابن يغبن فيـه المومنون الكافرين نحا هذا المنحى مجاهد وغيره * وقوله تعالى ما اصاب من مصيبة يحتمل ان يريد المصائب التى هي رزايا ويحتمل ان يريد جميع الحوادث من خير وشر والكل باذن الله والاذن هنـا عبارة عـن العلم والارادة وتمكين الوقوع * وقوله سبحانه ومن يومن بالله يهد قلبه قال فيه المفسرون المعنى ومن آمن وعرف ان كل شيء بقضاء الله وقـدره وعلمه هانت عليه مصيبتـه وسلم لامر الله تعالى * وقوله تعالى فان توليتم الى ءاخر الآية وعيد وتبرئة للنبي صلى الله عليه وسلم * وقوله يا ايها الذين ءامنوا ان مـن ازواجكم الى ءاخر السورة

قرءان مدني واختلف فى سببه فقال عطاء بن ابى رباح انـه نزل فى عوف بن مالك الاشجعي وذلك انـه اراد غزوا مع النبي صلى الله عليـه وسلم فاجتمع اهله واولاده وتشكوا اليه فراقه فرق لهم فثبطوه ولم يغز ثم انه ندم وهم بمعاقبتهم فنزلت الآية بسببه محذرة من الازواج والاولاد وفتنتهم ثم صرف تعالى عن معاقبتهم بقوله وان تعفوا وتصفحوا وقال بعض المفسرين سبب الآية ان قومـا آمنوا وثبطهم ازواجهم واولادهم عن الهجرة فلم يهاجروا الا بعد مدة فوجدوا غيرهم قد تفقه فى الدين فندموا وهموا بمعاقبة ازواجهم واولادهم ثم اخبر تعالى ان الاموال والاولاد فتنة تشغل المرء عن مراشده وتحمله من الرغبة فى الدنيا على ما لا يحمده فى ءاخرته ومنه قوله صلى الله عليه وسلم الولد مبخلة مجبنة وخرج ابو داود حديثا فى مصنفه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخطب يوم الجمعة على المنبر حتى جاء الحسن والحسين عليهما قميصان احمران يجرانهما يعثران ويقومان فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المنبر حتى اخذهما وصعد بهما ثم قرأ انما اموالكم واولادكم فتنة الآيـة وقال انى رأيت هـذين فلم اصبر ثم اخذ فى خطبته قال (ع) وهـذه ونحوها هي فتنة الفضلاء فاما فتنة الجهال الفسقة فمؤديـة الى كل فعل مهلك وفى صيحيي البخاري ومسلم عن ابى ذر قال انتهيت الى النبي صلى الله عليه وسلم وهـو يقول هم الاخسرون ورب الكعبة هم الاخسرون ورب الكعبة قلت ما شأني ايرى في شيأ فجلست وهو يقول فما استطعت ان اسكت وتغشانى ما شاء الله فقلت من هم بابى انت وامى يا رسول الله قال هم الاكثرون مالا الا من قال هكذا وهكذا وهكذا وفى رواية ان الاكثرين هم الاقلون يوم القيامة الا من قال بالمال هكذا وهكذا واشار ابن شهاب بين يـديـه وعن يمينه وعن شماله وقليل ماهم انتهى واللفظ للبخاري * وقوله سبحانه فاتقوا الله ما استطعتم تقدم الخلاف هل هذه الآية ناسخة لقوله تعالى

اتقوا الله حق تقاته او ليست بناسخة بل هي مبينة لها وان المعنى اتقوا الله حق تقاته فيما استطعتم وهذا هو الصحيح قال الثعلبي قال الربيع بن انس ما استطعتم اي جهدكم وقيل معناه اذا امكنكم الجهاد والهجرة فلا يفتننكم الميل الى الاموال والاولاد واسمعوا ما توعظون به واطيعوا فيما تومرون به انتهى * وقوله سبحانه ومن يوق شح نفسه تقدم الكلام عليه واسند ابو بكر بن الخطيب من طريق ابى هريرة وابى سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال السخاء شجرة فى الجنة واغصانها فى الدنيا فمن كان سخيا اخذ بغصن منها فلم يتركه الغصن حتى يدخله الجنة والشح شجرة فى النار واغصانها فى الارض فمن كان شحيحا اخذ بغصن من اغصانها فلم يتركه الغصن حتى يدخله النار انتهى وباقى الآية بين



تفسير سورة الطلاق وهي مدنية

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله تعالى يا ايها النبيء اذا طلقتم النساء اي اذا اردتم طلاقهن قاله الثعلبي وغيره فطلقوهن لعدتهن وطلاق النساء حل عصمتهن وصورة ذلك وتنويمه مما لا يختص بالتفسير ومعنى فطلقوهن لعدتهن اي لاستقبال عدتهن وعبارة الثعلبي اي لطهرهن الذى يحصينه من عدتهن وهو طهر لم يجامعها فيه انتهى قال (ع) ومعنى الآية ان لا يطلق احد امرأته الا فى طهر لم يمسها فيه هذا على مذهب مالك ومن قال بقوله القائلين بان الاقراء عندهم هي الاطهار فيطلق عندهم

المطلق فى طهر لم يمس فيه وتعتد بـه المرأة ثم تحيض حيضتين تعتد بالطهر الذى بينهما ثم تقيم فى الطهر الثالث معتدة بـه فاذا رأت اول الحيضة الثالثة حلت ومن قال بان الاقراء الحيض وهم العراقيون قال لعدتهن معناه ان يطلق طاهرا فتستقبل بثلاث حيض كوامل فاذا رأت الطهر بعد الثالثة حلت والاصل فى منع طلاق الحائض حديث ابن عمر ثم امر تعالى باحصاء العدة لما يلحق ذلك من احكام الرجعة والسكنى والميراث وغير ذلك وعبارة الثعلبي واحصوا العدة اي احفظوا عدد قروءها الثلاثة ونحوه تفسير ابن العربي قال قوله تعالى واحصوا العدة معناه احفظوا الوقت الذى وقع فيه الطلاق لما يترتب على ذلك من الاحكام انتهى من احكامه ثم اخبر تعالى بانهن احق بسكني بيوتهن التى طلقن فيها فنهى سبحانه عن اخراجهن وعن خروجهن وسنة ذلك الاتبيت عن بيتها ولا تغيب عنه نهارا الا فى ضرورة ومالا خطب له من جائز التصرف وذلك لحفظ النسب والتحرز بالنساء واختلف فى معنى قوله تعالى الا ان ياتين بفاحشة مبينة فقال الحسن وغيره ذلك الزنا فيخرجن للحد وقال ابن عباس ذلك البذاء على الاحماء فتخرج ويسقط حقها من المسكن وتلزم الاقامة فى مسكن تتخذه حفظا للنسب وفى مصحف ابي الا ان يفحشن عليكم وعبارة الثعلبي عن ابن عباس الا ان تبذو على اهلها فيحل لهم اخراجها انتهى وهو معنى ما تقدم وقرأ الجمهور مبينة بكسر الياء تقول بان الشيء وبين بمعنى واحد الا ان التضعيف للمبالغة وقرأ عاصم مبينة بفتح الياء * وقوله سبحانه وتلك حدود الله اشارة الى جميع اوامره فى هذه الآية * وقوله تعالى لا تدرى لعل الله يحدث بعد ذلك امرا قال قتادة وغيره يريد به الرجعة اي احصوا العدة وامتثلوا ما امرتم به تجدوا المخلص ان ندمتم فانكم لا تدرون لعل الرجعة تكون بعد * وقوله تعالى فاذا بلغن اجلهن يريد به آخر القروء فامسكوهن بمعروف وهو حسن العشرة

او فارقوهن بمعروف وهو اداء جميع الحقوق والوفاء بالشروط حسب نازلة نازلة وعبارة الثعلبي فاذا بلغن اجلهن اي أشرفن على انقضاء عدتهن انتهى وهو حسن * وقوله تعالى واشهدوا ذوي عدل منكم يريد على الرجعة وذلك شرط فى صحة الرجعة وتمنع المرأة الزوج من نفسها حتى يشهد وقال ابن عباس على الرجعة والطلاق معا قال النخعي العدل من لم تظهر منه ريبة والعدل حقيقة الذى لا يخاف الا الله * وقوله سبحانه واقيموا الشهادة لله امر للشهود * وقوله ذلكم يوعظ به اشارة الى اقامة الشهادة وذلك ان فصول الاحكام تدور على اقامة الشهادة * وقوله سبحانه ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب قال بعض رواة الآثار نزلت هذه الآية فى عوف بن مالك الاشجعي اسر ولده وقدر عليه رزقه فشكا ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم فامره بالتقوى فلم يلبث ان تفلت ولده وأخذ قطيع غنم للقوم الذين اسروه فسأل عفو النبي صلى الله عليه وسلم اتطيب له تلك الغنم فقال نعم قال ابو عمر ابن عبد البر قال النبي صلى الله عليه وسلم ابى الله عز وجل ان يجعل ارزاق عباده المومنين الا من حيث لا يحتسبون وقال عليه السلام لابن مسعود لا يكثر همك يا عبد الله ما يقدر يكن وما ترزق ياتيك وعنه صلى الله عليه وسلم استنزلوا الرزق بالصدقة انتهى من كتابه المسمى ببهجة المجالس وانس المجالس * وقوله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه هذه الآيات كلها عظة لجميع الناس ومعنى حسبه كافيه وقال ابن مسعود هذه اكثر الآيات حضا على التفويض لله * وقوله تعالى ان الله بالغ امره بيان وحض على التوكل اي لابد من نفوذ امر الله توكلت ايها المرء او لم تتوكل قاله مسروق فان توكلت على الله كفاك وتعجلت الراحة والبركة وان لم تتوكل وكلك الى عجزك وتسخطك وامره سبحانه فى الوجهين نافذ * وقوله سبحانه واللائى يئسن من

المحيض من نسائكم الآية اللائى جمع التى واليائسات من المحيض على مراتب محل بسطها كتب الفقه وروى اسماعيل بن خالد ان قوما منهم ابي بن كعب وخلاد بن النعمان لما سمعوا قوله تعالى والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء قالوا يا رسول الله فما عدة من لاقرء لها من صغر اوكبر فنزلت هذه الآية فقال قائل منهم فما عدة الحامل فنزلت واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن وهو لفظ يعم الحوامل المطلقات والمعتدات من الوفاة والارتياب المذكور قيل هو بامر الحمل * وقوله سبحانه اسكنوهن من حيث سكنتم الآية امر باسكان المطلقات ولا خلاف فى ذلك فى التى لم تبت واما المبتوتة فمالك يرى لها السكنى لمكان حفظ النسب ولا يرى لها نفقة لان النفقة بازاء الاستمتاع وقال الثعلبي من حيث سكنتم اي فى مساكنكم التى طلقتموهن فيها انتهى والوجد السعة فى المال واما الحامل فلا خلاف فى وجوب سكناها ونفقتها بتت اولم تبت لانها مبينة فى الآية وانما اختلفوا فى نفقة الحامل المتوفى عنها زوجها هل ينفق عليها من التركة ام لا وكذلك النفقة على المرضع المطلقة واجبة وبسط ذلك فى كتب الفقه * وقوله سبحانه واتمروا بينكم بمعروف اي ليامر كل واحد صاحبه بخير وليقبل كل احد ما امر به من المعروف * وقوله سبحانه وان تعاسرتم اي تشططت المرأة فى الحد الذى يكون اجرة على الرضاع فللزوج ان يسترضع بما فيه رفقه الا ان لايقبل المولود غير امه فتجبر هي حينئذ على رضاعه باجرة مثلها ومثل الزوج فى حالها وغناها (ت) وهذا كله فى المطلقة البائن قال ابن عبد السلام من اصحابنا الضمير فى قوله تعالى فان ارضعن لكم فآتوهن اجورهن عائد على المطلقات وكذلك قوله تعالى والوالدات يرضعن اولادهن واما ذات الزوج او الرجعية فيجب عليها ان ترضع من غير اجر الا ان تكون شريفة فلا يلزمها ذلك انتهى * وقوله سبحانه لينفق ذو سعة من سعته الآية

عـدل بين الازواج ليلا تضيع هي ولا يكلف هـو مـا لا يطيق ثم رجى تعالى باليسر تسهيلا على النفوس وتطييبا لها * وقوله سبحانه وكأين الثعلبي وكأين اي وكم من قرية عتت اي عصت * وقوله فحاسبناها قال (ع) قال بعض المتأولين الآية فى احوال الآخرة اي ثم هو الحساب والتعذيب والذوق وخسار العاقبة وقال اخرون ذلك فى الدنيا ومعنى حاسبناها حسابا شديدا اي لم تغتفر لهم زلة بل اخذت بالدقائق من الذنوب ثم ندب تعالى اولى الالباب الى التقوى تحذيرا * وقوله تعالى قد انزل الله اليكم ذكرا رسولا اختلف فى تقديره وابين الاقوال فيه معنى ان يكون الذكر القرءان والرسول محمدا صلى الله عليه وسلم والمعنى وارسل رسولا لكن الايجاز اقتضى اختصار الفعل الناصب للرسول ونحا هـذا المنحى السدي وسائر الآيـة بين * وقوله سبحانه الله الذى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن لا خلاف بين العلماء ان السموات سبع واما الارض فالجمهور على انها سبع ارضين وهو ظاهر هـذه الآية وانما المماثلة فى العدد ويبينه قوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح من غصب شبرا من ارض طوقه الله من سبع ارضين الى غير هذا مما وردت به الروايات وروي عن قوم من العلماء انهم قالوا الارض واحدة وهي مماثلة لكل سماء بانفرادها فى ارتفاع جرمها وفى ان فيها عالما يعبد الله كما فى كل سماء عالم يعبد الله * وقوله سبحانه يتنزل الامر بينهن الامر هنا يعم الوحي وجميع مـا يامر بـه سبحانـه من تصريف الرياح والسحاب وغير ذلك من عجائب صنعه لا اله غيره وباقى السورة وعظ وحض على توحيد الله عز وجل * وقوله على كل شيء قدير عموم معناه الخصوص فى المقدورات * وقوله بكل شيء علما عموم على اطلاقه

تفسير سورة التحريم وهي مدنية باجماع

* بسم الله الرحمـن الرحيم *

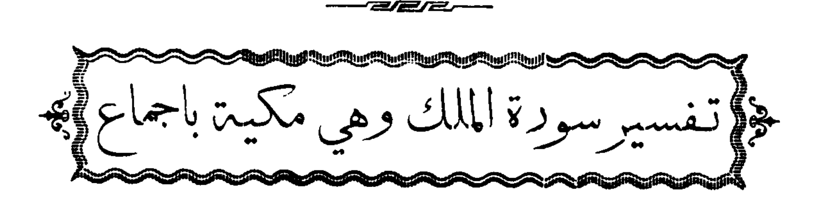
قوله تعالى يا ايها النبيء لم تحرم ما احل الله لك الآيـة وفى الحديث من طرق ما معناه ان النبي صلى الله عليه وسلم جاء الى بيت حفصة فوجدها قد مرت لزيارة ابيها فدعا صلى الله عليه وسلم جاريته مارية فقال معها فجاءت حفصة وقالت يا نبي الله افى بيتى وعلى فراشى فقال لها صلى الله عليه وسلم مترضيا لها ايرضيك ان احرمها قالت نعم فقال انى قـد حرمتها قال ابن عباس وقال مع ذلك والله لا اطأها ابدا ثم قال لها لا تخبرى بهـذا احـدا ثم ان حفصة قرعت الجدار الذى بينها وبين عائشة واخبرتها لتسرها بالامر ولم تر فى افشائـه اليها حرجا واستكتمتها فاوحى الله بذلك الى نبيه ونزلت الآيـة وفى حديث آخر عن عائشة ان هذا التحريم المذكور فى الآية انما هو بسبب العسل الذى شربه صلى الله عليه وسلم عند زينب بنت جحش فتما لأت عائشة وحفصة وسودة على ان تقول له من دنا منها انا نجد منك ريح مغافير اكلت مغافير يا رسول الله والمغافير صمغ العرفط وهو حلو كريه الرائحة ففعلن ذلك فقال رسول الله مـا اكلت مغافير ولكنى شربت عسلا فقلن له جرست نحله العرفط فقال صلى الله عليه وسلم لا اشربه ابدا وكان يكره ان توجد منه رائحة كريهة فدخل بعد ذلك على زينب فقالت الا اسقيك من ذلك العسل فقال لا حاجة لى به قالت عائشة تقول سودة حين بلغنا امتناعه والله لقد حرمناه فقلت لها اسكتى قال (ع) والقول الاول ان الآية نزلت بسبب مارية اصح واوضح وعليه تفقه الناس فى

الآية ومتى حرم الرجل مالا او جارية فليس تحريمه بشيء (ت) والحديث الثانى هو الصحيح خرجه البخاري ومسلم وغيرهما ودعا الله تعالى نبيه باسم النبوءة الذى هو دال على شرف منزلته وفضيلته التى خصه بها وقرره تعالى كالمعاتب له على تحريمه على نفسه ما احل الله له ثم غفر له تعالى ما عاتبه فيه ورحمه * وقوله تعالى قد فرض الله اي بين واثبت فقال قوم من اهل العلم هذه اشارة الى تكفير التحريم وقال ءاخرون هي اشارة الى تكفير اليمين المقترنة بالتحريم والتحلة مصدر وزنها تفعلة وادغم لاجتماع المثلين واحال فى هذه الآية على الآية التى فسر فيها الاطعام فى كفارة اليمين بالله تعالى والمولى الموالى الناصر * واذ اسر النبيء الى بعض ازواجه يعنى حفصة حديثا قال الجمهور الحديث هو قوله فى امر مارية وقال ءاخرون بل هو قوله انما شربت عسلا * وقوله تعالى عرف بعضه المعنى مع شد الراء اعلم به واثب عليه واعرض عن بعض اي تكرما وحياء وحسن عشرة قال الحسن ما استقصى كريم قط والمخاطبة بقوله ان تتوبا الى الله هي لحفصة وعائشة وفى حديث البخاري وغيره عن ابن عباس قال قلت لعمر من اللتان تظاهرتا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حفصة وعائشة * وقوله صغت قلوبكما معناه مالت والصغي الميل ومنه اصغى اليه باذنه واصغى الاناء وفى قراءة ابن مسعود فقد زاغت قلوبكما والزيغ الميل وعرفه فى خلاف الحق وجمع القلوب من حيث الاثنان جمع (ص) قلوبكما القياس فيه قلبا كما مثنى والجمع اكثر استعمالا وحسنه اضافته الى مثنى وهو ضميرهما لانهم كرهوا اجتماع تشنيتين انتهى ومعنى الآية ان تبتما فقد كان منكما ما ينبغى ان يتاب منه وهذا الجواب الذى للشرط هو متقدم فى المعنى وانما ترتب جوابا فى اللفظ وان تظاهرا معناه تتعاونا واصل تظاهرا تتظاهرا ومولاه اي ناصره وجبريل وما بعده يحتمل ان يكون عطفا على اسم الله ويحتمل ان يكون جبريل رفعا بالابتداء

وما بعده عطف عليه وظهير هو الخبر وخرج البخاري بسنده عن انس قال قال عمر اجتمع نساء النبي صلى الله عليه وسلم فى الغيرة عليه فقلت لهن عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن فنزلت هذه الآية انتهى وقانتات معناه مطيعات والسائحات قيل معناه صائمات وقيل معناه مهاجرات وقيل معناه ذاهبات فى طاعة الله وشبه الصائم بالسائح من حيث ينهمل السائح ولا ينظر فى زاد ولا مطعم وكذلك الصائم يمسك عن ذلك فيستوى هو والسائح فى الامتناع وشظف العيش لفقد الطعام * وقوله سبحانه يا ايها الذين ءامنوا قوا انفسكم واهليكم نارا الآية قوا معناه اجعلوا وقاية بينكم وبين النار وقوله واهليكم معناه بالوصية لهم والتقويم والحمل على طاعة الله وفى الحديث رحم الله رجلا قال يا اهلاه صلاتكم صيامكم زكاتكم مسكينكم يتيمكم (ت) وفى العتبية عن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله اذن لى ان اتحدث عن ملك من الملائكة ان مابين شحمة اذنه وعاتقه لمخفق الطير سبعين عاما انتهى وباقى الآية فى غاية الوضوح نجانا الله من عذابه بفضله والتوبة فرض على كل مسلم وهي الندم على فارط المعصية والعزم على ترك مثلها فى المستقبل هذا من المتمكن واما غير المتمكن كالمجبوب فى الزنا فالندم وحده يكفيه والتوبة عبادة كالصلاة وغيرها فاذا تاب العبد وحصلت توبته بشروطها وقبلت ثم عاود الذنب فتوبته الاولى لا تفسدها عودة بل هي كسائر ما تحصل من العبادات والنصوح بناء مبالغة من النصح اي توبة نصحت صاحبها وارشدته وعن عمر التوبة النصوح هي ان يتوب ثم لا يعود ولا يريد ان يعود وقال ابو بكر الوراق هي ان تضيق عليك الارض بما رحبت كتوبة الذين خلفوا وروي فى معنى قوله تعالى يوم لا يخزى الله النبيء ان النبي صلى الله عليه وسلم تضرع مرة الى الله عز وجل فى امر امته فاوحى الله اليه ان شئت جعلت حسابهم اليك فقال يا رب انت ارحم بهم فقال الله تعالى اذن لا اخزيك

فيهم * وقوله تعالى والذين ءامنوا معه يحتمل ان يكون معطوفا على النبي، فيخرج المومنون من الخزي ويحتمل ان يكون مبتدأ ونورهم يسعى جملة هي خبره وقولهم اتمم لنا نورنا قال الحسن بن ابى الحسن هو عند ما يرون من انطفاء نور المنافقين حسبما تقدم تفسيره وقيل يقوله من اعطي من النور بقدر ما يرى موضع قدميه فقط وباقى الآية بين مما تقدم فى غير هذا الموضع * وقوله سبحانه ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأت نوح الآية هذان المثلان اللذان للكفار والمومنين معناهما ان من كفر لا يغنى عنه من الله شيء ولا ينفعه سبب وان من آمن لا يدفعه عن رضوان الله دافع ولو كان فى اسوأ منشأ واخس حال وقول من قال ان فى المثلين عبرة لازواج النبي صلى الله عليه وسلم بعيد قال ابن عباس وغيره خانتاهما اي فى الكفر وفى ان امرأة نوح كانت تقول للناس انه مجنون وان امرأة لوط كانت تنم الى قومها خبر اضيافه قال ابن عباس وما بغت زوجة نبيء قط وامرأة فرعون اسمها ءاسية وقولها وعمله تعنى كفره وما هو عليه من الضلالة * وقوله التى احصنت فرجها الجمهور انه فرج الدرع وقال قوم هو الفرج الجارحة واحصانه صونه * وقوله سبحانه فنفخنا فيه عبارة عن فعل جبريل (ت) وقد عكس رحمه الله نقل ما نسبه للجمهور فى سورة الانبياء فقال المعنى واذكر التى احصنت فرجها وهو الجارحة المعروفة هذا قول الجمهور انظر بقية الكلام هناك * وقوله سبحانه من روحنا اضافة مخلوق الى خالق ومملوك الى مالك كما تقول بيت الله وناقة الله كذلك الروح الجنس كله هو روح الله وقرأ الجمهور وصدقت بكلمات ربها بالجمع فيقوى ان يريد التوراة ويحتمل ان يريد امر عيسى وقرأ الجحدري بكلمة فيقوى ان يريد امر عيسى ويحتمل ان يريد التوراة فتكون الكلمة اسم جنس وقرأ نافع وغيره وكتابه وقرأ ابو عمرو وغيره وكتبه بضم التاء والجمع وذلك كله مراد به التوراة

والانجيل قال الثعلبي واختار ابو حاتم قراءة ابي عمرو بالجمع لعمومها واختار ابو عبيدة قراءة الافراد لان الكتاب يراد به الجنس انتهى وهو حسن وكانت من القانتين اي من القوم القانتين وهم المطيعون العابدون وقد تقدم بيانه



تفسير سورة الملك وهي مكية باجماع

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأها عند اخذ مضجعه رواه جماعة مرفوعا وروي انها تنجي من عذاب القبر وتجادل عن صاحبها حتى لا يعذب وروى ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال وددت ان سورة تبارك الذى بيده الملك فى قلب كل مومن (ت) وقد خرج مالك فى الموطأ انها تجادل عن صاحبها وخرج ابو داود والترمذي والنساءي وابو الحسن بن صخر وابو ذر الهروي وغيرهم احاديث فى فضل هذه السورة نحو ما تقدم ولولا ما قصدته من الاختصار لنقلتها هنا ولكن خشية الاطالة منعتنى من جلب كثير من الآثار الصحيحة فى هذا المختصر وانظر الغافقي فقد استوفى نقل الآثار فى فضل هذه السورة

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله تعالى تبارك الذى بيده الملك تبارك من البركة وهي التزيد فى الخيرات الثعلبي تبارك الذى بيده الملك اي تعالى وتعاظم وقال الحسن تقدس الذى بيده الملك فى الدنيا والآخرة وقال ابن عباس بيده الملك يعز من يشاء ويذل من يشاء انتهى * وقوله سبحانه الذى خلق الموت والحيوة الآية الموت

والحياة معنيان يتعاقبان جسم الحيوان يرتفع احدهما بحلول الآخـر وما جاء فى الحديث الصحيح من قوله عليه السلام يوتى بالموت يوم القيامة فى صورة كبش املح فيذبح على الصراط الحديث فقال اهل العلم انمـا ذلك تمثال كبش يوقع الله العلم الضروري لاهل الدارين انه الموت الذى ذاقوه فى الدنيا ويكون ذلك التمثال حاملا للموت لا على انه يحل الموت فيه فتذهب عنه حياة ثم يقرن الله تعالى فى ذلـك التمثال اعـدام الموت * وقوله سبحانـه ليبلوكم اي جعل لكم هاتين الحالتين ليبلوكم اي ليختبركم فى حال الحياة ويجازيكم بعـد الممات وقال ابو قتادة ونحوه عن ابن عمر قلت يا رسول الله مـا معنى قوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا فقال يقول ايكم احسن عقلا واشدكم لله خوفا واحسنكم فى امره ونهيه نظرا وان كانوا اقلكم تطوعا وقال ابن عباس وسفيان الثوري والحسن ايكم احسن عملا ازهدكم فى الدنيا قال القرطبي وقال السدي احسنكم عملا اي اكثركم للموت ذكرا وله احسن استعدادا ومنه اشد خوفا وحذرا انتهى من التذكرة ولله در القائل

وفى ذكر هول الموت والقبر والبلى * عن الشغل باللذات للمرء زاجر
ابعـد اقتراب الاربعين تربـص * وشيب فـذاك منذر لك ذاعـر
فكم فى بطون الارض بعد ظهورها * محـاسنهم فيهـا بوالٍ دواثـر
وانت على الدنيا مكب منافس * لخطابها فيهـا حريص مكاثـر
على خطـر تمسى وتصبح لاهـيا * اتدرى بمـا ذا لو عقلت تخاطـر
وان امـرأ يسعى لدنياه جاهـدا * ويذهل عن اخراه لا شك خاسر
كانـك مغـتر بمـا انـت صائـر * لنفسك عمدا او عن الرشد جائر
فجـدّ ولا تغفـل فعيشك زائـل * وانـت الى دار المنيـة صائـر
ولا تطلب الدنيـا فان طِلاَبهـا * وان نلت منهـا ثروة لك ضائـر

وكيف يلذ العيش من هو موقن * بموقف عدل يوم تبلى السرائـر
لقد خضعت واستسلمت وتضاءلت * لعزة ذى العرش الملوك الجبابـر

انتهى وطباقا قال الزجاج هو مصدر وقيل جمع طبقة او جمع طبق والمعنى بعضها فوق بعض وقال ابان بن ثعلب سمعت اعرابيا يذم رجلا فقال شره طباق وخيره غير باق وما ذكره بعض المفسرين فى السموات من ان بعضها من ذهب وفضة وياقوت ونحو هذا ضعيف لم يثبت بذلك حديث * وقوله سبحانه ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت معناه من قلة تناسب ومن خروج عن اتقان قال بعض العلماء خلق الرحمن معني به السموات واياها اراد بقوله هل ترى من فطور وبقوله ينقلب اليك البصر الآية وقال اخرون بل يعنى به جميع ما خلق سبحانه من الاشيا فانها لا تفاوت فيها ولا فطور جارية على غير اتقان قال منذر بن سعيد امر الله تعالى بالنظر الى السماء وخلقها ثم امر بتكرير النظر وكذلك جميع المخلوقات متى نظرها ناظر ليرى فيها خللا او نقصا فان بصره ينقلب خاسئا حسيرا ورجع البصر ترديده فى الشيء المبصر وكرتين معناه مرتين والخاسئ المبعد عن شيء اراده وحرص عليه ومنه قوله تعالى اخسئوا فيها وكذلك البصر يحرص على رؤية فطور اوتفاوت فلا يجد ذلك فينقلب خاسئا والحسير العيي الكال * وقوله تعالى بمصابيح يعنى النجوم قال الفخر ومعنى السماء الدنيا اي القريبة من الناس وليس فى هذه الآية ما يدل على ان الكواكب مركوزة فى السماء الدنيا وذلك لان السموات اذا كانت شفافة فالكواكب سواء كانت فى السماء الدنيا او كانت فى سموات اخرى فوقها فهي لابد ان تظهر فى السماء الدنيا وتلوح فيها فعلى كلا التقديرين فالسماء الدنيا مزينة بها انتهى * وقوله وجعلناها معناه وجعلنا منها ويوجب هذا التاويل فى الآية ان الكواكب الثابتة والبروج وكل ما يهتدى به فى البر والبحر ليست براجمة

وهذا نص فى حديث السير قال الثعلبي رجوما للشياطين يرجمون بها اذا استرقوا السمع فلا تخطئهم فمنهم من يقتل ومنهم من يخبل انتهى * وقوله تعالى وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم قال (ع) تضمنت الآية ان عذاب جهنم للكفار المخلدين وقد جاء فى الاثر انه يمر على جهنم زمان تخفق ابوابها قد اخلتها الشفاعة والذى يقال فى هذا ان جهنم اسم تختص به الطبقة العليا من النار ثم قد تسمى الطبقات كلها باسم بعضها فالتى فى الاثر هي الطبقة العليا لانها مقر العصاة من المومنين والتى فى هذه الآية هي جهنم باسرها اي جميع الطبقات والشهيق اقبح ما يكون من صوت الحمار فاشتمال النار وغليانها يصوت مثل ذلك * وقوله تكاد تميز اي يزايل بعضها بعضا لشدة الاضطراب ومن الغيظ معناه على الكفرة بالله والفوج الفريق من الناس وظاهر الآية انه لا يلقى فى جهنم احد الاسئل على جهة التوبيخ * وقوله سبحانه ان انتم الا فى ضلال كبير يحتمل ان يكون من قول الملائكة ويحتمل ان يكون من تمام كلام الكفار للنذر قال الفخر وقوله تعالى عنهم لوكنا نسمع او نعقل ما كنا فى اصحاب السعير قيل انما جمعوا بين السمع والعقل لان مدار التكليف على ادلة السمع والعقل انتهى * وقوله سبحانه ان الذين يخشون ربهم بالغيب يحتمل معنيين احدهما بالغيب الذى اخبروا به من النشر والحشر والجنة والنار فآمنوا بذلك وخشوا ربهم فيه ونحا الى هذا قتادة والمعنى الثانى انهم يخشون ربهم اذا غابوا عن اعين الناس اي فى خلواتهم فى صلاتهم وعباداتهم * وقوله تعالى واسروا قولكم الآية خطاب لجميع الخلق وذلولا بمعنى مذلولة ومناكبها قال مجاهد هي الطرق والفجاج وقال البخاري مناكبها جوانبها قال الغزالي رحمه الله جعل الله سبحانه الارض ذلولا لعباده لا ليستقروا فى مناكبها بل ليتخذوها منزلا فيتزودون منها محترزين من مصائدها ومعاطبها ويتحققون ان العمر يسير بهم سير السفينة براكبها فالناس فى

هذا العالم سفر واول منازلهم المهد و،اخرها اللحد والوطن هو الجنة او النار والعمر مسافة السفر فسنوه مراحله وشهوره فراسخه وايامه امياله وانفاسه خطواته وطاعته بضاعته واوقاته رءوس امواله وشهواته واغراضه قطاع طريقه وربحه الفوز بلقاء الله عز وجل فى دار السلام مع الملك الكبير والنعيم المقيم وخسرانه البعد من الله عز وجل مع الانكال والاغلال والعذاب الاليم فى دركات الجحيم فالغافل عن نفس واحد من انفاسه حتى ينقضي فى غير طاعة تقربه الى الله تعالى زلفى متعرض فى يوم التغابن لغبينة وحسرة مالها منتهى ولهذا الخطر العظيم والخطب الهائل شمر الموفقون عن ساق الجد وودعوا بالكلية ملاذ النفس واغتنموا بقايا العمر فعمروها بالطاعات بحسب تكرر الاوقات انتهى قال الشيخ ابو مدين رحمه الله عمرك نفس واحد فاحرص ان يكون لك لا عليك انتهى والله الموفق بفضله والنشور الحياة بعد الموت وتمور معناه تذهب وتجيء كما يذهب التراب الموار فى الريح والحاصب البرد وما جرى مجراه والنكير مصدر بمعنى الانكار والنذير كذلك ومنه قول حسان بن ثابت

فانذر مثلها نصحا قريشا * من الرحمن ان قبلت نذيري

ثم احال سبحانه على العبرة فى امر الطير وما احكم من خلقتها وذلك بين عجز الاصنام والاوثان عنه وصافات جمع صافة وهي التى تبسط جناحها وتصفه وقبض الجناح ضمه الى الجنب وهاتان حالتان للطائر يستريح من احداهما الى الاخرى * وقوله سبحانه امن هذا الذى يرزقكم ان امسك رزقه هذا ايضا توقيف على امر لا مدخل للاصنام فيه * وقوله سبحانه افمن يمشى مكبا على وجهه قال ابن عباس والضحاك ومجاهد نزلت مثلا للمومنين والكافرين على العموم وقال قتادة نزلت مخبرة عن حال القيامة وان الكفار يمشون على وجوههم والمومنين يمشون على استقامة كما جاء فى الحديث ويقال اكب الرجل اذا در

وجهه الى الارض وكبه غيره قال عليه السلام وهل يكب الناس فى النار على وجوههم الاحصائد السنتهم فهذا الفعل على خلاف القاعدة المعلومة لان افعل هنا لا يتعدى وفعل يتعدى ونظيره قشعت الريح السحاب فانقشع وقال (ص) مكبا حال وهو من اكب غير متعد وكب متعد قال تعالى فكبت وجوههم فى النار والهمزة فيه للدخول فى الشيء او للصيرورة ومطاوع كب انكب تقول كببته فانكب قال بعض الناس ولا شيء من بناء افعل مطاوعا انتهى واهدى فى هذه الآية افعل تفضيل من الهدى * وقوله تعالى ويقولون متى هذا الوعد يريدون امر القيامة والعذاب المتوعد به ثم امر سبحانه نبيه عليه السلام ان يخبرهم بان علم القيامة والوعد الصدق مما تفرد الله سبحانه بعلمه * وقوله سبحانه فلما رأوه الضمير للعذاب الذى تضمنه الوعد وهذه حكاية حال تاتى والمعنى فاذا رأوه * وزلفة معناه قريبا قال الحسن عيانا * وسيئت وجوه الذين كفروا معناه ظهر فيها السوء * وتدعون معناه تتداعون امره بينكم وقال الحسن تدعون انه لا جنة ولا نار وروي فى تاويل قوله تعالى قل ارأيتم ان اهلكني الله ومن معي الآية انهم كانوا يدعون على محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه بالهلاك فقال الله تعالى لنبيه قل لهم ارأيتم ان اهلكني الله ومن معي او رحمنا فمن يجير كم من العذاب الذى يوجبه كفركم ثم وقفهم سبحانه على مياههم التى يعيشون منها ان غارت اي ذهبت فى الارض من يجيئهم بماء كثير كاف (ص) والغور مصدر بمعنى الغائر انتهى والمعين فعيل من معن الماء اذا كثر وقال ابن عباس معين عذب

تفسير سورة القلم وهي مكية بلا خلاف

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله عز وجل ن والقلم وما يسطرون ن حرف مقطع فى قول الجمهور فيدخله من الاختلاف ما يدخل اوائل السور ويختص هـذا الموضع من الاقوال بان قال مجاهـد وابن عباس ن اسم الحوت الاعظم الذى عليه الارضون السبع فيما يروى وقال ابن عباس ايضا وغيره ن اسم الدواة فمن قال بانه اسم الحوت جعل القلم القلم الذى خلقه الله وامره بكتب الكائنات وجعل الضمير فى يسطرون للملائكة ومن قال بان ن اسم للدواة جعل القلم هـذا القلم المتعارف بايدى الناس نص على ذلك ابن عباس وجعل الضمير فى يسطرون للناس فجاء القسم على هـذا بمجموع امر الكتاب الذى هو قوام للعلوم والمعارف وامور الدنيا والآخرة فان القلم اخو اللسان وعضـد الانسان ومطية الفطنة ونعمة من الله عامة وروى معاوية بن قرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ن لوح من نور وقال ابن عباس ايضا وغيره ن هو حرف من حروف الرحمن وقالوا انـه تقطع فى القرآن الروحم ون ويسطرون معناه يكتبون سطورا فان اراد الملائكة فهو كتب الاعمال وما يومرون به وان اراد بنى آدم فهي الكتب المنزلة والعلوم وما جرى مجراها قال ابن العربي فى احكامه روى الوليد بن مسلم عن مالك عن سمي مولى ابى بكر عن ابى صالح عن ابى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اول ما خلق الله القلم ثم خلق النون وهي الدواة وذلك قوله ن والقلم ثم قال له اكتب قال وما اكتب قال ما كان وما هو كائن الى يوم

القيامـة قال ثم ختم العمل فلم ينطق ولا ينطق الى يوم القيامـة ثم خلق العقل فقال الجبار ما خلقت خلقا اعجب الي منك وعزتي لاكملنك فيمن احببت ولانقصنك فيمن ابغضت قال ثم قال رسـول الله صلى الله عليـه وسلم اكمل الناس عقلا اطوعهم لله واعملهم بطاعته انتـهى (ت) وهذا الحديث هـو الذى يعول عليه فى تفسير الآية لصحتـه والله سبحانـه اعلم * وقوله تعالى ما انت بنعمة ربك بمجنون هو جواب القسم وما هنا عاملة لها اسم وخبر وكذلك هي متى دخلت الباء فى الخبر وقوله بنعمـة ربـك اعتراض كما تقول لانسان انت بحمـد لله فاضل وسبب الآيـة هو ما كان من قريش فى رميهم النبي صلى الله عليه وسلم بالجنون فنفى الله تعالى ذلك عنه واخبره بان له الاجر وانه على الخلق العظيم تشريفا له ومدحا واختلف فى معنى ممنون فقال اكثر المفسرين هـو الواهن المنقطع يقال حبل منين اي ضعيف وقال ءاخرون معناه غير ممنـون عليك اي لايكدره منّ به وفى الصحيح سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقـه القرءان وقال الجنيـد سمي خلقه عظيما اذ لم تكن له همة سوى الله تعالى عاشر الخلق بخلقه وزايلهم بقلبه فكان ظاهره مع الخلق وباطنه مع الحق وفى وصية بعض الحكماء عليك بالخلق مـع الخلق وبالصدق مـع الحق وحسن الخلق خير كله وقال عليه السلام ان المومن ليدرك بحسن خلقه درجة قائم الليل صائم النهار وجاء فى حسن الخلق ءاثار كثيرة منعنا من جلبها خشية الاطالة وقـد روى الترمذي عـن ابى هريرة قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يدخل الناس الجنة فقال تقوى الله وحسن الخلق وسئل عن اكثر ما يدخل الناس النار فقال الفم والفرج قال ابو عيسى هـذا حديث صحيح غريب انتهى وروى الترمذي عن ابى الدرداء ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من شيء اثقل فى ميزان المومن يوم القيامة

من خلق حسن وان الله ليبغض الفاحش البذي قال ابو عيسى هـذا حديث
حسن صحيح انتهى قال ابو عمر فى التمهيد قال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه
وسلم وانك لعلى خلق عظيم قال المفسرون كان خلقه ما قال الله سبحانـه خـذ
العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين انتهى * وقوله تعالى فستبصر اي
انت وامتك ويبصرون اي هم بايكم المفتون قال الاخفش والعامل فى الجملة
المستفهم عنها الابصار واما الباء فقال ابو عبيدة معمر وقتادة هي زائدة والمعنى
ايكم المفتون قال الثعلبي المفتون المجنون الذى فتنه الشيطان انتهى * وقوله
تعالى فلا تطع المكذبين يعنى قريشا وذلك انهم قالوا فى بعض الاوقات للنبي
صلى الله عليه وسلم لو عبدت ءالهتنا وعظمتها لعبدنا الهك وعظمناه وودوا ان
يـداهنهم النبي صلى الله عليه وسلم ويميل الى ما قالوا فيميلوا هم ايضا الى قوله
ودينه والادهان الملاينة فيما لا يحل والمداراة الملاينة فيما يحل * وقوله فيدهنون
معطوف وليس بجواب لانه لو كان لنصب والحلاف المردد لحلفه الذى قد كثر
منه والمهين الضعيف الرأي والعقل قاله مجاهد وقال ابن عباس المهين الكذاب
والهماز الذى يقع فى الناس بلسانه قال منذر بن سعيد وبعينه واشارتـه والنميم
مصدر كالنميمة وهو نقل ما يسمع مما يسوء ويحرش النفوس قال ابو عمر بن عبد
البر فى كتابه المسمى ببهجـة المجالس قال النبي صلى الله عليه وسلم من كف
عن اعراض المسلمين لسانه اقاله الله يوم القيامة عثرته وقال عليه السلام شراركم
ايها الناس المشاءون بالنميمة المفرقون بين الاحبة الباغون لاهل البر العثرات
انتهى وروى حذيفة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يـدخل الجنة قتات
وهو النمام وذهب كثير من المفسرين الى ان هذه الاوصاف هي اجناس لم يرد
بها رجل بعينه وقالت طائفـة بل نزلت فى معين واختلفوا فيه فقال بعضهم هو
الوليد بن المغيرة وقيل هو الاخنس بن شريق ويؤيد ذلك انه كانت له زنمة فى

حلقه كزنمة الشاة وايضا فكان من ثقيف ملصقا فى قريش وقيل هو ابو جهل وقيل هو الاسود بن عبد يغوث قال (ع) وظاهر اللفظ عموم من اتصف بهذه الصفات والمخاطبة بهذا المعنى مستمرة باقي الزمان لاسيما لولاة الامور * وقوله تعالى مناع للخير قال كثير من المفسرين الخير هنا المال فوصفه بالشح وقال ءاخرون بل هو على عمومه فى الاموال والاعمال الصالحات والمعتدى المتجاوز لحدود الاشياء والاثيم فعيل من الاثم والعتل القوي البنية الغليظ الاعضاء القاسى القلب البعيد الفهم الاكول الشروب الذى هو بالليل جيفة وبالنهار حمار وكل ما عبر به المفسرون عنه من خلال النقص فمن هذه التى ذكرت تصدر وقد ذكر النقاش ان النبي صلى الله عليه وسلم فسر العتل بنحو هذا وهذه الصفات كثيرة التلازم والزنيم فى كلام العرب الملصق فى القوم وليس منهم ومنه قول حسان

وانت زنيم نيط فى ءال هاشم * كما نيط خلف الراكب القدح الفرد

فقال كثير من المفسرين هو الاخنس بن شريق وقال ابن عباس اراد بالزنيم ان له زنمة فى عنقه وكان الاخنس بهذه الصفة وقيل الزنيم المريب القبيح الافعال * وقوله سنسمه على الخرطوم معناه على الانف قال ابن عباس هو الضرب بالسيف فى وجهه وعلى انفه وقد حل ذلك به يوم بدر وقيل ذلك الوسم هو فى الآخرة وقال قتادة وغيره معناه سنفعل به فى الدنيا من الذم له والمقت والاشتهار بالشر ما يبقى فيه ولا يخفى به فيكون ذلك كالوسم على الانف * وقوله سبحانه انا بلوناهم يريد قريشا اي امتحناهم واصحاب الجنة فيما ذكر كانوا اخوة وكان لابيهم جنة وحرث يغتله فكان يمسك منه قوته ويتصدق على المساكين بباقيه وقيل بل كان يحمل المساكين معه فى وقت حصاده وجذه فيجديهم منه فمات الشيخ فقال ولده نحن جماعة وفعل ابينا كان خطأ فلنذهب الى جنتنا ولا يدخلنها علينا مسكين ولا نعطى منها شيأ قال

فبيتوا امرهم وعزمهم فبعث الله عليها طائفا من نار او غير ذلك فاحترقت فقيل
فاصبحت سوداء وقيل بيضاء كالزرع اليابس المحصود فلما اصبحوا الى جنتهم
لم يروها فحسبوا انهم قد اخطئوا الطريق ثم تبينوها فعلموا ان الله اصابهم فيها
فتابوا حينئذ وكانوا مومنين اهل كتاب فشبه الله قريشا بهم فى انه امتحنهم
بالمصائب فى دنياهم لعدم اتباعهم للنبي صلى الله عليه وسلم ثم التوبة معرضة لمن
بقى منهم * وقوله تعالى ليصرمنها اي ليَجُذنها ومصبحين معناه داخلين فى
الصباح * وقوله تعالى ولا يستثنون اي لا ينثنون عن رأي منع المساكين
وقال مجاهد معناه ولا يقولون ان شاء الله والصريم قال جماعة اراد به الليل من
حيث اسودت جنتهم وقال ابن عباس الصريم الرماد الاسود بلغة خزيمة وقولهم
ان كنتم صارمين يحتمل ان يكون من صرام النخل ويحتمل ان يريد ان كنتم
اهل عزم واقدام على رأيكم من قولك سيف صارم ويتخافتون معناه يتكلمون
كلاما خفيا وكان هذا التخافت خوفا من ان يشعر بهم المساكين وكان لفظهم
الذى يتخافتون به ان لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين * وقوله على حرد يحتمل
ان يريد على منع من قولهم حاردت الابل اذا قلت البانها فمنعتها وحاردت
السنة اذا كانت شهباء لا غلة لها ويحتمل ان يريد بالحرد الغضب يقال حرد الرجل
حردا اذا غضب قال البخاري قال قتادة على حرد اي على جد فى انفسهم
انتهى * وقوله تعالى قادرين يحتمل ان يكون من القدرة اي قادرون فى
زعمهم ويحتمل ان يكون من التقدير الذى هو تضييق كانهم قد قدروا على
المساكين اي ضيقوا عليهم فلما رأوها اي محترقة قالوا انا لضالون طريق جنتنا
فلما تحققوها علموا انها قد اصيبت فقالوا بل نحن محرومون اي قد حرمنا غلتها
وبركتها فقال لهم اعدلهم قولا وعقلا وخلقا وهو الاوسط الم اقل لكم لولا
تسبحون قيل هي عبارة عن تعظيم الله والعمل بطاعته سبحانه فبادر القوم عند

ذلك وتابوا وسبحوا واعترفوا بظلمهم فى اعتقادهم منع الفقراء ولام بعضهم بعضا واعترفوا بانهم طغوا اي تعدوا ما يلزم من مواساة المساكين ثم انصرفوا الى رجاء الله سبحانه وانتظار الفضل من لدنه فى ان يبدلهم بسبب توبتهم وانابتهم خيرا من تلك الجنة قال الثعلبي قال ابن مسعود بلغنى ان القوم لما اخلصوا وعلم الله صدقهم ابدلهم الله عز وجل بها جنة يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل البغل العنقود منها وعن ابى خالد اليماني انه رأى تلك الجنة ورأى كل عنقود منها كالرجل الاسود القائم انتهى وقدرة الله اعظم فلا يستغرب هذا ان صح سنده * وقوله سبحانه كذلك العذاب اي كفعلنا باهل الجنة نفعل بمن تعدى حدودنا * ولعذاب الآخرة اكبر اي اعظم مما اصابهم ان لم يتوبوا فى الدنيا ثم اخبر تعالى بان للمتقين عند ربهم جنات النعيم فروي انه لما نزلت هذه الآية قالت قريش ان كان ثم جنات نعيم فلنا فيها اكبر الحظ فنزلت افنجعل المسلمين كالمجرمين الآية توبيخا لهم * ام لكم كتاب منزل من عند الله تدرسون فيه ان لكم ما تختارون من النعيم فان معمولة لتدرسون وكسرت الهمزة من ان لدخول اللام فى الخبر وهي فى معنى ان بفتح الالف وقرئ شاذا ان لكم بالفتح وقرأ الاعرج آن لكم فيه على الاستفهام ثم خاطب تعالى الكفار بقوله ام لكم ايمان علينا بالغة كانه يقول هل اقسمنا لكم قسما فهو عهد لكم بانا ننعمكم فى يوم القيامة وما بعده وقرأ الاعرج آن لكم لما تحكمون على الاستفهام ايضا * سلهم ايهم بذلك زعيم اي ضامن (ت) قال الهروي وقوله ايمان علينا بالغة اي موكدة انتهى * وقوله تعالى فلياتوا بشركائهم قيل هو استدعاء وتوقيف فى الدنيا اي ليحضروهم حتى يرى هل هم بحال من يضر وينفع ام لا وقيل هو استدعاء وتوقيف على ان ياتوابهم يوم القيامة يوم يكشف عن ساق وقرأ ابن عباس تكشف بضم التاء على معنى تكشف القيامة والشدة والحال

الحاضرة وقرأ ابن عباس ايضا تكشف بفتح التاء على ان القيامة هي الكاشفة وهذه القراءة مفسرة لقراءة الجماعة فما ورد فى الحديث والآية من كشف الساق فهو عبارة عن شدة الهول * وقوله جلت عظمته ويدعون الى السجود فلا يستطيعون وفى الحديث الصحيح فيخرون لله سجدا اجمعون ولا يبقى احد كان يسجد فى الدنيا رياء ولا سمعة ولا نفاقا الاصار ظهره طبقا واحدا كلما اراد ان يسجد خر على قفاه الحديث وفى الحديث فيسجد كل مومن وترجع اصلاب المنافقين والكفار كصياصي البقر عظما واحدا فلا يستطيعون سجودا الحديث * وقوله تعالى وقد كانوا يدعون الى السجود يريد فى دار الدنيا وهم سالمون مما نال عظام ظهورهم من الاتصال والعتو * وقوله سبحانه فذرني ومن يكذب بهذا الحديث الآية وعيد وتهديد والحديث المشار اليه هو القرءان وباقي الآية بين مما ذكر فى غير هذا الموضع ثم امر الله تعالى نبيه بالصبر لحكمه وان يمضي لما امر به من التبليغ واحتمال الاذى والمشقة ونهى عن الضجر والعجلة التى وقع فيها يونس صلى الله عليه وسلم ثم اقتضب القصة وذكر ما وقع فى ءاخرها من ندائه من بطن الحوت وهو مكظوم اي وهو كاظم لحزنه وندمه وقال الثعلبي ونحوه فى البخاري وهو مكظوم اي مملوء غما وكربا انتهى وهو اقرب الى المعنى وقال النقاش المكظوم الذى اخذ بكظمه وهي مجارى القلب وقرأ ابن مسعود وغيره لولا ان تداركته نعمة والنعمة التى تداركته هي الصفح والاجتباء الذى سبق له عند الله عز وجل لنبذ بالعراء اي لطرح بالعراء وهو الفضاء الذى لا يوارى فيه جبل ولا شجر وقد نبذ يونس عليه السلام بالعراء ولكن غير مذموم وجاء فى الحديث عن اسماء بنت عميس قالت علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمات اقولهن عند الكرب او فى الكرب الله الله ربي لا اشرك به شيأ رواه ابو داود والنساءي وابن ماجه واخرجه الطبراني فى كتاب الدعاء

انتهى من السلاح ثم قال تعالى لنبيه وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم المعنى يكادون من الغيظ والعداوة يزلقونه فيذهبون قدمه من مكانها ويسقطونه قال عياض وقد روي عن ابن عباس انه قال كل ما فى القرءان كاد فهو ما لا يكون قال تعالى يكاد سنا برقه يذهب بالابصار ولم يذهبها واكاد اخفيها ولم يفعل انتهى ذكره اثر قوله تعالى وان كادوا ليفتنونك وقرأ الجمهور ليزلقونك بضم الياء من ازلق ونافع بفتحها من زلقت الرجل وفى هذا المعنى قول الشاعر

يتقارضون اذا التقوا فى مجلس * نظرا يزل مواطئ الاقدام

وذهب قوم من المفسرين على ان المعنى ياخذونك بالعين وقال الحسن دواء من اصابته العين ان يقرأ هذه الآية والذكر فى الآية القرءان

تفسير سورة الحاقة وهي مكية باجماع

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله عز وجل الحاقة ما الحاقة المراد بالحاقة القيامة وهي اسم فاعل من حق الشيء يحق لانها حقت لكل عامل عمله قال ابن عباس وغيره سميت القيامة حاقة لانها تبدى حقائق الاشياء والحاقة مبتدأ وما مبتدأ ثان والحاقة الثانية خبر ما والجملة خبر الاولى وهذا كما تقول زيد ما زيد على معنى التعظيم له وابهام التعظيم ايضا ليتخيل السامع اقصى جهده * وقوله وما ادراك ما الحاقة مبالغة فى هذا المعنى اي ان فيها ما لم تدره من اهوالها وتفاصيل صفاتها ثم ذكر تعالى تكذيب ثمود وعاد بهذا الامر الذى هو حق مشيرا الى ان من كذب بذلك ينزل به

ما نزل باولائك والقارعة من اسماء القيامة ايضا لانها تقرع القلوب بصدمتها * وقوله سبحانه فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية قال قتادة معناه بالصيحة التى خرجت عن حد كل صيحة وقيل المعنى بسبب الفيئة الطاغية وقيل بسبب الفعلة الطاغية وقال ابن زيد ما معناه الطاغية مصدر كالعاقبة فكانه قال بطغيانهم وقاله ابوعبيدة ويقوى هذا قوله تعالى كذبت ثمود بطغواها واولى الاقوال واصوبها الاول وباقى الآية تقدم تفسير نظيره وما فى ذلك من القصص والعاتية معناه الشديدة المخالفة فكانت الريح قد عتت على خزانها بخلافها وعلى قوم عاد بشدتها وروي عن علي وابن عباس انهما قالا لم ينزل من السماء قطرة ماء قط الا بمكيال على يد ملك ولا هبت ريح الا كذلك الا ما كان من طوفان نوح وريح عاد فان الله اذن لهما فى الخروج دون اذن الخزان وحسوما قال ابن عباس وغيره معناه كاملة تباعا لم يتخللها غير ذلك وقال ابن زيد حسوما جمع حاسم ومعناه ان تلك الايام قطعتهم بالاهلاك ومنه حسم العلل ومنه الحسام والضمير فى قوله فيها صرعى يحتمل عوده على الليالى والايام ويحتمل عوده على ديارهم وقيل على الريح (ص) ومن قبله النحويان وعاصم فى رواية بكسر القاف وفتح الباء اي اجناده واهل طاعته وقرأ الباقون قبله ظرف زمان انتهى * وقوله بالخاطئة صفة لمحذوف اى بالفعلة الخاطئة والرابية النامية التى قد عظمت جدا ومنه ربا المال ومنه اهتزت وربت ثم عدد تعالى على الناس نعمه فى قوله انا لما طغا الماء يعنى فى وقت الطوفان الذى كان على قوم نوح والجارية سفينة نوح قاله منذر بن سعيد والضمير فى لنجعلها عائد على الجارية او على الفعلة * وقوله تعالى وتعيها اذن واعية عبارة عن الرجل الفهم المنور القلب الذى يسمع القرءان فيتلقاه بفهم وتدبر قال ابوعمران الجوني واعية عقلت عن الله تعالى وقال الثعلبي المعنى لتحفظها كل اذن فتكون عظة لمن ياتى بعد تقول وعيت العلم اذا حفظته

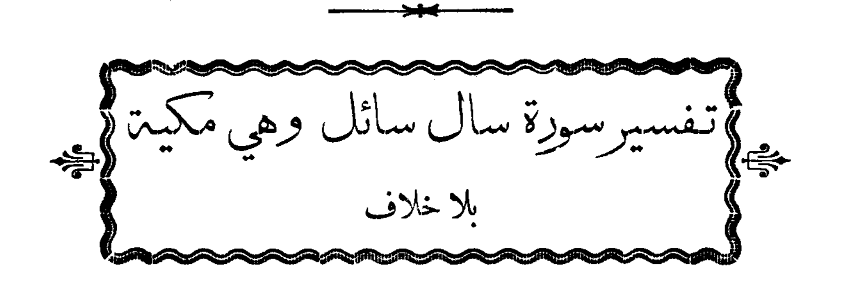
انتهى ثم ذكر تعالى بامر القيامة وقرأ الجمهور وحملت بتخفيف الميم بمعنى حملتها الريح او القدرة ودكتا معناه سوي جميعها وانشقاق السماء هو تفطرها وتميز بعضها من بعض وذلك هو الوهي الذى ينالها كما يقال فى الجدرات البالية المتشققة واهية والملك اسم الجنس يريد به الملائكة وقال جمهور من المفسرين الضمير فى ارجائها عائد على السماء اي الملائكة على نواحيها والرجا الجانب من البير او الحائط ونحوه وقال الضحاك وابن جبير وغيرهما الضمير فى ارجائها عائد على الارض وان كان لم يتقدم لها ذكر قريب لان القصة واللفظ يقتضى افهام ذلك وفسروا هذه الآية بما روي من ان الله تعالى يامر ملائكة سماء الدنيا فيقفون صفا على حافات الارض ثم يامر ملائكة السماء الثانية فيصفون خلفهم ثم كذلك ملائكة كل سماء فكلما ند احد من الجن اوالانس وجد الارض قد احيط بها قالوا فهذا تفسير هذه الآية وهو ايضا معنى قوله وجاء ربك والملك صفا صفا وهوتفسير يوم التنادّ يوم تولون مدبرين على قراءة من شدد الدال وهو تفسير قوله يا معشر الجن والانس الآية واختلف الناس فى الثمانية الحاملين للعرش فقال ابن عباس هي ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم احد عدتهم وقال ابن زيد هم ثمانية املاك على هيئة الوعول وقال جماعة من المفسرين هم على هيئة الناس ارجلهم تحت الارض السابعة ورءوسهم وكواهلهم فوق السماء السابعة قال الغزالي فى الدرة الفاخرة هم ثمانية املاك قدم الملك منهم مسيرة عشرين الف سنة انتهى والضمير فى قوله فوقهم قيل هو للملائكة الحملة وقيل للعالم كله * وقوله تعالى يومئذ تعرضون خطاب لجميع العالم وفى الحديث الصحيح يعرض الناس ثلاث عرضات فاما عرضتان فجدال ومعاذير واما الثالثة فعندها تتطاير الصحف فى الايدى فاخذ بيمينه واخذ بشماله قال الغزالي يجب على مسلم البدار الى محاسبة نفسه كما قال عمر رضي الله عنه

حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا وزنوها قبل ان توزنوا وانما حسابه لنفسه ان يتوب من كل معصية قبل الموت توبة نصوحا ويتدارك ما فرط فيه من تقصير فى فرائض الله عز وجل ويرد المظالم حبة حبة ويستحل كل من تعرض له بلسانه ويده وسوء ظنه بقلبه ويطيب قلوبهم حتى يموت ولم يبق عليه فريضة ولا مظلمة فهذا يدخل الجنة بغير حساب ان شاء الله تعالى انتهى من ءاخر الاحياء ونقل القرطبي فى تذكرته هذه الالفاظ بعينها * وقوله هاؤم اقرءوا كتابيه معناه تعالوا وقوله اقرءوا كتابيه هو استبشار وسرور (ص) هاؤم ها بمعنى خذ قال الكسائي والعرب تقول هاء يا رجل وللاثنين رجلين اوامرأتين هاؤما وللرجال هاؤم وللمرأة هاء بهمزة مكسورة من غير ياء وللنساء هاؤن وزعم القتبي ان الهمزة بدل من الكاف وهو ضعيف الا ان يعني انها تحل محلها فى لغة من قال هاك وهاك وهاكما وهاكم وهاكن فذلك ممكن لا انه بدل صناعي لان الكاف لا تبدل من الهمزة ولا الهمزة منها انتهى * وقوله انى ظننت انى ملاق حسابيه عبارة عن ايمانه بالبعث وغيره وظننت هنا واقعة موقع تيقنت وهي فى متيقن لم يقع بعد ولا خرج الى الحس وهذا هو باب الظن الذى يوقع موقع اليقين وراضية بمعنى مرضية والقطوف جمع قطف وهو ما يجتنى من الثمار ويقطف ودنوها هوانها تاتى طوع التمنى فياكلها القائم والقاعد والمضطجع بفيه من شجرتها وبما اسلفتم معناه بما قدمتم من الاعمال الصالحة والايام الخالية هي ايام الدنيا لانها فى الآخرة قد خلت وذهبت وقال وكيع وغيره المراد بما اسلفتم من الصوم وعموم الآية فى كل الاعمال اولى واحسن (ت) ويدل على ذلك الآية الاخرى كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون قال ابن المبارك فى رقائقه اخبرنا مالك بن مغول انه بلغه ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا فانه اهون او ايسر لحسابكم وزنوا انفسكم قبل

ان توزنوا وتجهزوا للعرض الاكبر يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية قال ابن المبارك اخبرنا معمر عن يحيى بن المختار عن الحسن قال ان المومن قوام على نفسه يحاسب نفسه لله وانما خف الحساب يوم القيامة على قوم حاسبوا انفسهم فى الدنيا وانما شق الحساب يوم القيامة على قوم اخذوا هذا الامر عن غير محاسبة انتهى والذين يوتون كتبهم بشمائلهم هم المخلدون فى النار اهل الكفر فيتمنون ان لو كانوا معدومين * وقوله يا ليتها كانت القاضية اشارة الى مونة الدنيا اي ليتها لم يكن بعدها رجوع (ص) ما اغنى ما نافية او استفهامية انتهى والسلطان فى الآية الحجة وقيل انه ينطق بذلك ملوك الدنيا والظاهر ان سلطان كل احد حاله فى الدنيا من عدد وعدد ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لا يومن الرجل الرجل فى سلطانه ولا يجلس على تكرمته الا باذنه * وقوله سبحانه خذوه فغلوه الآية المعنى يقول الله تعالى او الملك بامره للزبانية خذوه واجعلوا فى عنقه غلا قال ابن جريج نزلت فى ابى جهل * وقوله تعالى فاسلكوه معناه ادخلوه وروي ان هذه السلسلة تدخل فى فم الكافر وتخرج من دبره فهي فى الحقيقة التى تسلك فيه لكن الكلام جرى مجرى ادخلت القلنسوة فى رأسى وروي ان هذه السلسلة تلوى حول الكافر حتى تعمه وتضغطه فالكلام على هذا على وجهه وهو المسلوك * وقوله تعالى ولا يحض على طعام المسكين خصت هذه الخلة بالذكر لانها من اضر الخلال بالبشر اذا كثرت فى قوم هلك مساكينهم (ت) ونقل الفخر عن بعض الناس انه قال فى قوله تعالى ولا يحض على طعام المسكين دليلان قويان على عظم الجرم فى حرمان المساكين احدهما عطفه على الكفر وجعله قرينا له والثانى ذكر الحض دون الفعل ليعلم انه اذا كان تارك الحض بهذه المنزلة فكيف بمن ترك الفعل قال الفخر ودلت الآية على ان الكفار يعاقبون على ترك الصلاة والزكاة وهو المراد من قولنا انهم مخاطبون بفروع

الشريعة وعن ابى الدرداء انه كان يحض امرأته على تكثير المرق لاجل المساكين ويقول خلعنا نصف السلسلة بالايمان افلا نخلع النصف الثانى انتهى * وقوله فليس له اليوم هاهنا حميم اي صديق لطيف المودة قاله الجمهور وقيل الحميم الماء السخن فكانه تعالى اخبر ان الكافر ليس له ماء ولا شيء مائع ولا طعام الا من غسلين وهو ما يجرى من الجراح اذا غسلت وقال ابن عباس الغسلين هو صديد اهل النار وقال قوم الغسلين شيء يجرى من ضريع النار (ص) الامن غسلين ابو البقاء النون فى غسلين زائدة لانه غسالة اهل النار انتهى والخاطئ الذى يفعل ضد الصواب * وقوله تعالى فلا اقسم قيل لا زائدة وقيل لا رد لما تقدم من اقوال الكفار والبدأة اقسم * وقوله بما تبصرون ومالا تبصرون قال قتادة اراد الله تعالى ان يعم بهذا القسم جميع مخلوقاته والرسول الكريم قيل هو جبريل وقيل هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم * وقوله تعالى وما هو بقول شاعر نفى سبحانه ان يكون القرءان من قول شاعر كما زعمت قريش وقليلا نصب بفعل مضمر يدل عليه تومنون وما يحتمل ان تكون نافية فينتفى ايمانهم البتة ويحتمل ان تكون مصدرية فيتصف ايمانهم بالقلة ويكون ايمانا لغويا لانهم قد صدقوا باشياء يسيرة لا تغنى عنهم شيأ ثم اخبر سبحانه ان محمدا عليه السلام لو تقول عليه لعاقبه بما ذكر (ص) الاقاويل جمع اقوال واقوال جمع قول فهو جمع الجمع انتهى * وقوله سبحانه لاخذنا منه باليمين قال ابن عباس المعنى لاخذنا منه بالقوة اي لنلنا منه عقابه بقوة منا وقيل معناه لاخذنا بيده اليمنى على جهة الهوان كما يقال لمن يسجن او يقام لعقوبة خذوا بيده او بيمينه والوتين نياط القلب قاله ابن عباس وهو عرق غليظ تصادفه شفرة الناحر فمعنى الآية لا ذهبنا حياته معجلا والحاجز المانع والضمير فى قوله وانه لتذكرة عائد على القرءان وقيل على النبي صلى الله عليه وسلم (ص) وانه لحسرة ضمير انه

يعود على التكذيب المفهوم من مكذبين انتهى وقال الفخر الضمير فى قوله وانه لحسرة فيه وجهان احدهما انه يعود على القرءان اي هو على الكافرين حسرة اما يوم القيامة اذا رأوا ثواب المصدقين به او فى الدنيا اذا رأوا دولة المومنين والثانى قال مقاتل وان تكذيبهم بالقرءان لحسرة عليهم يدل عليه قوله ان منكم مكذبين انتهى ثم امر تعالى نبيه بالتسبيح باسمه العظيم ولما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوها فى ركوعكم



تفسير سورة سال سائل وهي مكية بلا خلاف

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله عز وجل سال سائل بعذاب قرأ جمهور السبعة سأل بهمزة محققة قالوا والمعنى دعا داع والاشارة الى من قال من قريش اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء الآية وقولهم عجل لنا قطنا ونحو ذلك وقال بعضهم المعنى بحث باحث واستفهم مستفهم قالوا والاشارة الى قول قريش متى هذا الوعد وما جرى مجراه قاله الحسن وقتادة والباء على هذا التاويل فى قوله بعذاب بمعنى عن وقرأ نافع وابن عامر سال سائل ساكنة الالف واختلف القراء بها فقال بعضهم هي سأل المهموزة الا ان الهمزة سهلت وقال بعضهم هي لغة من يقول سلت اسال ويتساولان وهي لغة مشهورة وقال بعضهم فى الآية هي من سال يسيل اذا جرى وليست من معنى السؤال قال زيد بن

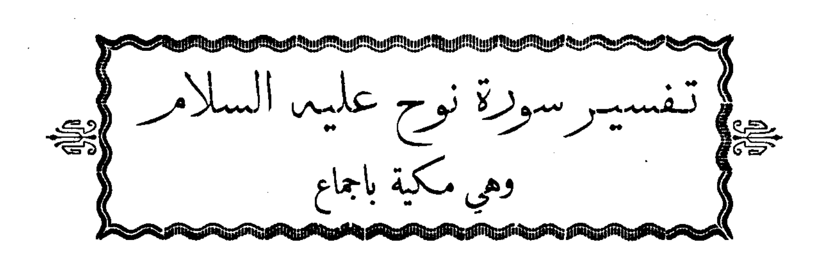
ثابت وغيره فى جهنم واد يسمى سائلا والاخبار هنا عنه وقرأ ابن عباس سال سيل بسكون الياء وسؤال الكفار عن العذاب حسب قراءة الجماعة انما كان على انه كذب فوصفه الله تعالى بانهِ واقع وعيدا لهم * وقوله للكافرين قال بعض النحاة اللام بمعنى على وروي انه كذلك فى مصحف ابي على الكافرين والمعارج فى اللغة الدرج فى الاجرام وهي هنا مستعارة فى الرتب والفضائل والصفات الحميدة قاله ابن عباس وقتادة وقال الحسن هي المراقى فى السماء قال عياض فى مشارق الانوار قوله صلى الله عليه وسلم فعرج بى الى السماء اي ارتقي بى والمعراج الدرج وقيل سلم تعرج فيه الارواح وقيل هو احسن شيء لا تتمالك النفس اذا رأته ان تخرج واليه يشخص بصر الميت من حسنه وقيل هو الذى تصعد فيه الاعمال وقيل قوله ذى المعارج معارج الملائكة وقيل ذى الفواضل انتهى * وقوله تعالى تعرج الملائكة معناه تصعد والروح عند الجمهور هو جبريل عليه السلام وقال مجاهد الروح ملائكة حفظة للملائكة الحافظين لبنى ءادم لاتراهم الملائكة كما لانرى نحن الملائكة وقال بعض المفسرين هو اسم جنس لارواح الحيوان * وقوله سبحانه فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة قال ابن عباس وغيره هو يوم القيامة ثم اختلفوا فقال بعضهم قدره فى الطول قدر خمسين الف سنة وقال بعضهم بل قدره فى الشدة والاول هو الظاهر وهو ظاهر قوله صلى الله عليه وسلم ما من رجل لا يؤدى زكاة ماله الاجعل له صفائح من نار يوم القيامة تكوى بها جبهته وظهره وجنباه فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة قال ابو سعيد الخدري قيل يا رسول الله ما اطول يوما مقداره خمسون الف سنة فقال والذى نفسى بيده انه ليخف على المومن حتى يكون اخف عليه من صلاة مكتوبة قال ابن المبارك اخبرنا معمر عن قتادة عن زرارة بن اوفى عن ابى هريرة قال يقصر يومئذ على المومن حتى

يكون كوقت الصلاة انتهى قال (ع) وقد ورد فى يوم القيامة انه كالف سنة وهذا يشبه ان يكون فى طوائف دون طوائف (ت) قال عبد الحق فى العاقبة له اعلم رحمك الله ان يوم القيامة ليس طوله كما عهدت من طول الايام * بل هو ءالاف من الاعوام * يتصرف فيه هذا الانام * على الوجوه والاقدام * حتى ينفذ فيهم ما كتب لهم وعليهم من الاحكام * وليس يكون خلاصه دفعة واحدة ولا فراغهم فى مرة واحدة بل يتخلصون ويفرغون شيأ بعد شيء لكن طول ذلك اليوم خمسون الف سنة فيفرغون بفراغ اليوم ويفرغ اليوم بفراغهم فمن الناس من يطول مقامه وحبسه الى ءاخر اليوم ومنهم من يكون انفصاله فى ذلك اليوم فى مقدار يوم من ايام الدنيا او فى ساعة من ساعاته او فى اقل من ذلك ويكون رايحا فى ظل كسبه وعرش ربه ومنهم من يومر به الى الجنة بغير حساب ولا عذاب كما ان منهم من يومر به الى النار فى اول الامر من غير وقوف ولا انتظار او بعد يسير من ذلك انتهى * وقوله سبحانه فاصبر صبرا جميلا امر للنبي صلى الله عليه وسلم بالصبر على اذى قومه والصبر الجميل الذى لا يلحقه عيب ولا تشك ولا قلة رضى ولا غير ذلك والامر بالصبر الجميل محكم فى كل حالة اعنى لا نسخ فيه وقيل ان الآية نزلت قبل الامر بالقتال فهي منسوخة (ت) ولو قيل هذا خطاب لجنس الانسان فى شأن هول ذلك اليوم ما بعد * وقوله تعالى انهم يرونه بعيدا يعنى يوم القيامة والمهل عكر الزيت قاله ابن عباس وغيره فهي لسوادها وانكدار انوارها تشبه ذلك والمهل ايضا ما اذيب من فضة ونحوها قاله ابن مسعود وغيره والعهن الصوف وقيل هو الصوف المصبوغ اي لون كان والحميم فى هذا الموضع القريب والولي والمعنى ولا يسئله نصرة ولا منفعة ولا يجدها عنده وقال قتادة المعنى ولا يسئله عن حاله لانها ظاهرة قد بصر كل احد حالة الجميع وشغل بنفسه قال الفخر قوله

تعالى يبصرونهم تقول بصرني زيد كذا وبصرني بكذا فاذا بنيت الفعل للمفعول
وحذفت الجار قلت بصرت زيدا وهكذا معنى يبصرونهم وكانه لما قال ولا
يسئل حميم حميما قيل لعله لا يبصره فقال يبصرونهم ولكن لا شتغالهم بانفسهم
لا يتمكنون من تساؤلهم انتهى وقرأ ابن كثير بخلاف عنه ولا يسئل على بناء
الفعل للمفعول فالمعنى ولا يسئل احضاره لان كل مجرم له سيما يعرف بها كما ان
كل مومن له سيما خير والصاحبة هنا الزوجة والفصيلة هنا قرابة الرجل *
وقوله تعالى كلا انها لظى رد لما ودوه اي ليس الامر كذلك ولظى طبقة من
طبقات جهنم والشوى جلد الانسان وقيل جلد الراس * تدعوا من ادبر
وتولى يريد الكفار قال ابن عباس وغيره تدعوهم باسمائهم واسماء ءابائهم وجمع
اي جمع المال واوعى جعله في الاوعية اي جمعوه من غير حل ومنعوه من حقوق
الله وكان عبد الله بن عكيم لا يربط كيسه ويقول سمعت الله تعالى يقول وجمع
فاوعى * وقوله تعالى ان الانسان عموم لاسم الجنس لكن الاشارة هنا الى
الكفار والهلع فزع واضطراب يعترى الانسان عند المخاوف وعند المطامع *
وقوله تعالى اذا مسه الآية مفسر للهلع * وقوله تعالى الا المصلين اي الا
المومنين الذين امر الآخرة عليهم اوكد من امر الدنيا والمعنى ان هذا المعنى فيهم
يقل لانهم يجاهدونه بالتقوى * وقوله الذين هم على صلاتهم دائمون اي
مواظبون وقد قال عليه السلام احب العمل الى الله ما دام عليه صاحبه (ت)
وقد تقدم في سورة قد افلح ما جاء في الخشوع قال الغزالي فينبغي لك ان
تفهم ما تقرأه في صلاتك ولا تغفل في قراءتك عن امره سبحانه ونهيه ووعده
ووعيده ومواعظه واخبار انبيائه وذكر منته واحسانه فلكل واحد حق فالرجاء
حق الوعد والخوف حق الوعيد والعزم حق الامر والنهي والاتعاظ حق
الموعظة والشكر حق ذكر المنة والاعتبار حق ذكر اخبار الانبياء قال الغزالي

وتكون هـذه المعانى بحسب درجات الفهم ويكون الفهم بحسب وفور العلم وصفاء القلب ودرجات ذلك لا تنحصر فهذا حق القراءة وهو حق الاذكار والتسبيحات ايضا ثم يراعى الهيئة فى القراءة فيرتل ولا يسرد فان ذلك ايسر للتأمل ويفرق بين نغماته فى ءايات الرحمة وءايات العذاب والوعد والوعيد والتحميد والتعظيم انتهى من الاحياء وروى ابن المبارك فى رقائقه قال اخبرنا ابن لهيعة عن يزيد بن ابى حبيب ان ابا الخير حدثه قال سألنا عقبة بن عامر الجهني عن قوله عز وجل الذين هم على صلاتهم دائمون اهم الذين يصلون ابدا قال لا ولكنه الذى اذا صلى لم يلتفت عن يمينه ولا عن شماله ولا خلفه انتهى * وقوله سبحانه والذين فى اموالهم حق معلوم قال ابن عباس وغيره هذه الآية فى الحقوق التى فى المال سوى الزكاة وهي ما ندبت اليه الشريعة من المواساة وهذا هو الاصح فى هذه الآية لان السورة مكية وفرض الزكاة وبيانها انما كان بالمدينة وباقى الآية تقدم تفسير نظيره * وقوله سبحانه والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون جمع الامانة من حيث انها متنوعة فى الاموال والاسرار وفيما بين العبد وربه فيما امره به ونهاه عنه والعهد كل ما تقلده الانسان من قول او فعل او مودة اذا كانت هذه الاشياء على منهاج الشريعة فهو عهد ينبغى رعيه وحفظه * وقوله سبحانه والذين هم بشهاداتهم قائمون معناه فى قول جماعة من المفسرين انهم يحفظون ما يشهدون فيه ويتقنونه ويقومون بمعانيه حتى لا يكون لهم فيه تقصير وهذا هو وصف من يمتثل قول النبي صلى الله عليه وسلم على مثل الشمس فاشهد وقال ءاخرون معناه الذين اذا كانت عندهم شهادة ورأوا حقا يدرس او حرمة لله تنتهك قاموا لله بشهادتهم * وقوله تعالى فمال الذين كفروا قبلك مهطعين الآية نزلت بسبب ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلى عند الكعبة احيانا ويقرأ القرءان فكان كثير من الكفار يقومون من

مجالسهم مسرعين اليه يستمعون قراءته ويقول بعضهم لبعض شاعر وكاهن ومفتر وغير ذلك وقبلك معناه فيما يليك والمهطع الذى يمشى مسرعا الى شيء قد اقبل ببصره عليه وعزين جمع عزة والعزة الجمع اليسير كانهم كانوا ثلاثة ثلاثة واربعة اربعة وفى حديث ابى هريرة قال خرج النبي صلى الله عليه وسلم على اصحابه وهم حلق متفرقون فقال مالى اراكم عزين * وقوله تعالى ايطمع كل امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم نزلت لان بعض الكفار قال ان كانت ثم آخرة وجنة فنحن اهلها لان الله تعالى لم ينعم علينا فى الدنيا بالمال والبنين وغير ذالك الا لرضاه عنا * وقوله تعالى كلا رد لقولهم وطمعهم اي ليس الامر كذلك ثم اخبر تعالى عن خلقهم من نطفة قذرة واحال فى العبارة على علم الناس اي فمن خلق من ذلك فليس بنفس خلقه يعطى الجنة بل بالايمان والاعمال الصالحة وروى ابن المبارك فى رقائقه قال اخبرنا مالك بن مغول قال سمعت ابا ربيعة يحدث عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلكم يحب ان يدخل الجنة قالوا نعم جعلنا الله فداءك قال فاقصروا من الامل وثبتوا آجالكم بين ابصاركم واستحيوا من الله حق الحياء قالوا يا رسول الله كلنا نستحي من الله قال ليس كذلك الحياء ولكن الحياء من الله ان لا تنسوا المقابر والبلى ولا تنسوا الجوف وما وعى ولا تنسوا الرأس وما حوى ومن يشتهي كرامة الآخرة يدع زينة الدنيا هنالك استحيى العبد من الله هنالك اصاب ولاية الله انتهى وقد روينا اكثر هذا الحديث من طريق ابى عيسى الترمذي وباقى الآية تقدم تفسير نظيره والاجداث القبور والنصب ما نصب للانسان فهو يقصده مسرعا اليه من علم او بناء وقال ابو العالية الى نصب يوفضون معناه الى غايات يستبقون ويوفضون معناه يسرعون وخاشعة اي ذليلة منكسرة



تفسير سورة نوح عليه السلام
وهي مكية باجماع

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله سبحانه انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر قومك من قبل ان ياتيهم عذاب اليم هذا العذب الذى توعدوا به الاظهر انه عذاب الدنيا ويحتمل ان يكون عذاب الآخرة * وقوله من ذنوبكم قال قوم من زائدة وهذا نحو كوفي واما الخليل وسيبويه فلا يجوز عندهم زيادة من فى الموجب وقال قوم هي للتبميض قال (ع) وهذا القول عندى ابين الاقوال هنا وذلك انه لو قال يغفر لكم ذنوبكم لعم هذا اللفظ ما تقدم من الذنوب وما تأخر عن ايمانهم والاسلام انما يجب ما قبله * وقوله سبحانه ويوخركم الى اجل مسمى كانّ نوحا عليه السلام قال لهم ءامنوا يبن لنا انكم ممن قضي له بالايمان والتاخير وان بقيتم على كفركم فسيبين انكم ممن قضي عليه بالكفر والمعاجلة ثم تبين هذا المعنى ولاح بقوله تعالى ان اجل الله اذا جاء لا يوخر وجواب لو مقدر يقتضيه المعنى كانه قال فما كان احزمكم او اسرعكم الى التوبة لو كنتم تعلمون * وقوله تعالى قال رب انى دعوت قومى ليلا ونهارا الآية هذه المقالة قالها نوح عليه السلام بعد طول عمره وياسه من قومه * واستغشوا ثيابهم معناه جعلوها اغشية على رءوسهم * وقوله يرسل السماء الآية روي ان قوم نوح كانوا قد اصابتهم قحوط وازمة فلذلك بدأهم فى وعده بامر المطر ومدرارا من الدر وروى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق

مخرجا ومن كل هم فرجا ورزقه من حيث لا يحتسب رواه ابو داود واللفظ له والنساءي وابن ماجه ولفظ النساءي من اكثر من الاستغفار انتهى من السلاح * وقوله ما لكم لا ترجون لله وقارا قال ابو عبيدة وغيره ترجون معناه تخافون قالوا والوقار بمعنى العظمة فكانّ الكلام على هذا التاويل وعيد وتخويف وقال بعض العلماء ترجون على بابها وكانه قال ما لكم لا تجعلون رجاء كم لله ووقارا يكون على هذا التاويل منهم كانه يقول تؤدة منكم وتمكنا فى النظر * وقوله وقد خلقكم اطوارا قال ابن عباس وغيره هي اشارة الى التدريج الذى للانسان فى بطن امه وقال جماعة هي اشارة الى العبرة فى اختلاف خَلق الوان الناس وخُلقهم ومللهم والاطوار الاحوال المختلفة * وقوله سبحانه وجعل القمر فيهن نورا الآية قال عبد الله بن عمرو بن العاصى وابن عباس ان الشمس والقمر اقفاؤهما الى الارض واقبال نورهما وارتفاعه فى السماء وهذا الذى يقتضيه لفظ السراج * وانبتكم من الارض استعارة من حيث خلق ءادم عليه السلام من الارض * ونباتا مصدر جاء على غير الصدر التقدير فنبتم نباتا والاعادة فيها بالدفن والاخراج هو بالبعث وظاهر الآية ان الارض بسيطة غير كرية واعتقاد احد الامرين غير قادح فى الشرع بنفسه اللهم الا ان يترتب على القول بالكرية نظر فاسد واما اعتقاد كونها بسيطة فهو ظاهر كتاب الله تعالى وهو الذى لا يلحق عنه فساد البتة واستدل ابن مجاهد على صحة ذلك بماء البحر المحيط بالمعمور فقال لو كانت الارض كرية لما استقر الماء عليها والسبل الطرق والفجاج الواسعة وقول نوح واتبعوا من لم يزده ماله الآية المعنى اتبعوا اشرافهم وغواتهم وخسارا معناه خسرانا وكبارا بناء مبالغة نحو حسان وقرئ شاذا كبارا بكسر الكاف قال ابن الانبارى جمع كبير * وودا وما عطف عليه اسماء اصنام وروى البخاري وغيره عن ابن عباس انها كانت اسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا

اوحى الشيطان الى قومهم ان انصبوا الى مجالسهم التى كانوا يجلسون انصابا وسموها باسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى اذا هلك اولائك وتُنُسِّخ العلمُ عبدت قال ابن عباس ثم صارت هذه الاوثان التى فى قوم نوح فى العرب بعد انتهى * وقوله وقد اضلوا كثيرا هو اخبار نوح عن الاشراف ثم دعا الله عليهم ان لا يزيدهم الاضلالا وقال الحسن اراد بقوله وقد اضلوا الاصنام المذكورة * وقوله تعالى مما خطيئاتهم اغرقوا ابتداء اخبار من الله تعالى لمحمد عليه السلام وما فى قوله مما زائدة فكانه قال من خطيئاتهم وهي لابتداء الغاية (ص) مما خطيئاتهم من للسبب (ع) لابتداء الغاية وما زائدة للتوكيد انتهى فادخلوا نارا يعنى جهنم وقول نوح رب لاتذر على الارض من الكافرين ديارا قال قتادة وغيره لم يدع نوح بهذه الدعوة الا من بعد ان اوحي اليه انه لن يومن من قومك الا من قد آمن وديارا اصله ديوار من الدوران اي من يجيء ويذهب * وقوله رب اغفر لى ولوالدي قال ابن عباس لم يكفر لنوح اب ما بينه وبين ءادم عليه السلام وقرأ ابي بن كعب ولابوي وبيته المسجد فيما قاله ابن عباس وجمهور المفسرين وقال ابن عباس ايضا بيته شريعته ودينه استعار لها بيتا كما يقال قبة الاسلام وفسطاط الدين وقيل اراد سفينته * وقوله وللمومنين والمومنات تعميم بالدعاء لمومنى كل امة وقال بعض العلماء ان الذى استجاب لنوح عليه السلام فاغرق بدعوته اهل الارض الكفار لجدير ان يستجيب له فيرحم بدعوته المومنين والتبار الهلاك

تفسير سورة الجن وهي مكية باجماع

* بسم الله الرحمن الرحيم *

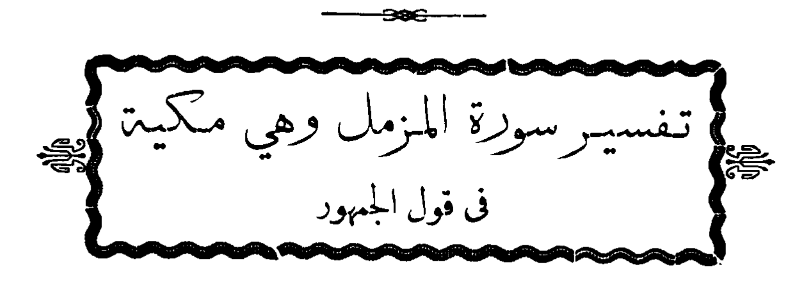
قوله عز وجل قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن هؤلاء النفر من الجن هم الذين صادفوا النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ ببطن نخلة فى صلاة الصبح وقد تقدم قصصهم فى سورة الاحقاف وقول الجن انا سمعنا الآيات هو خطاب منهم لقومهم * وقرءانا عجبا معناه ذا عجب لان العجب مصدر يقع من سامع القرءان لبراعته وفصاحته ومضمناته * وقوله وانه تعالى جد ربنا قال الجمهور معناه عظمة ربنا وروي عن انس انه قال كان الرجل اذا قرأ البقرة وءال عمران جد فى اعيننا اي عظم وعن الحسن جد ربنا غناه وقال مجاهد ذكره وقال بعضهم جلاله ومن فتح الالف من قوله وانه تعالى اختلفوا فى تاويل ذلك فقال بعضهم هو عطف على انه استمع فيجيء على هذا قوله تعالى وانه تعالى مما امر ان يقول النبي انه اوحي اليه وليس هو من كلام الجن وفى هذا قلق وقال بعضهم بل هو عطف على الضمير فى به كانه يقول فئامنا به وبانه تعالى وهذا القول ابين فى المعنى لكن فيه من جهة النحو العطف على الضمير المخفوض دون اعادة الخافض وذلك لا يحسن (ت) بل هو حسن اذ قد اتى فى النظم والنثر الصحيح مثبتا وقرأ عكرمة تعالى جد ربنا بفتح الجيم وضم الدال وتنوينه ورفع الرب كانه يقول تعالى عظيم هو ربنا فربنا بدل والجد العظيم فى اللغة وقرأ ابو الدرداء تعالى ذكر ربنا وروي عنه تعالى جلال ربنا * وقوله تعالى وانه كان يقول سفيهنا لا خلاف ان هذا من قول الجن والسفيه المذكور قال جمهور

من المفسرين هو ابليس لعنه الله وقال ءاخرون هو اسم جنس لكل سفيه منهم ولا محالة ان ابليس صدر فى السفاهة وهذا القول احسن والشطط التعدى وتجاوز الحد بقول او فعل (ص) شططا ابو البقاء نعت لمصدر محذوف اي قولا شططا انتهى ثم قال اولائك النفر وانا ظننا قبل ايماننا ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا فى جهة الالوهية وما يتعلق بذلك * وقوله تعالى وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن الآية من القراء من كسر الهمزة من انه ومنهم من فتحها والكسر اوجه والمعنى فى الآية ما كانت العرب تفعله فى اسفارها من ان الرجل اذا اراد المبيت بواد صاح باعلى صوته يا عزيز هذا الوادى انى اعوذ بك من السفهاء الذين فى طاعتك ويعتقد بذلك ان الجني يحميه ويمنعه قال قتادة فكانت الجن تحتقر بنى ءادم وتزدريهم لما ترى من جهلهم فكانوا يزيدونهم مخافة ويتعرضون للتخيل لهم ويغوونهم فى ارادتهم فهذا هو الرهق الذى زادته الجن بنى ءادم وقال مجاهد وغيره بنو ءادم هم الذين زادوا الجن رهقا وهي الجراءة والطغيان وقد فسر قوم الرهق بالاثم * وقوله وانهم ظنوا يريد به بنى ءادم * وقوله كما ظننتم مخاطبة لقومهم من الجن وقولهم ان لن يبعث الله احدا يحتمل معنيين احدهما بعث الحشر من القبور والآخر بعث ءادمي رسولا وذكر المهدوي تاويلا ثالثا ان المعنى وان الجن ظنوا كما ظننتم ايها الانس فهي مخاطبة من الله تعالى قال الثعلبي وقيل ان قوله وانه كان رجال من الانس الآية ابتداء اخبار من الله تعالى ليس هو من كلام الجن انتهى فهو وفاق لما ذكره المهدوي وقولهم وانا لمسنا السماء قال جمهور المتأولين معناه التمسنا والشهب كواكب الرجم والحرس يحتمل ان يريد الرمي بالشهب وكرر المعنى بلفظ مختلف ويحتمل ان يريد الملائكة ومقاعد جمع مقعد وقد تقدم بيان ذلك فى سورة الحجر وقولهم فمن يستمع الآن الآية قطع على ان كل من استمع الآن احرقه شهاب

فليس هنا بعد سمع انما الاحراق عند الاستماع وهذا يقتضى ان الرجم كان فى الجاهلية ولكنه لم يكن بمستاصل فلما جاء الاسلام اشتد الامر حتى لم يكن فيه ولا يسير سماحة ورصدا نعت لشهاب ووصفه بالمصدر وقولهم وانا لا ندرى اشر اريد بمن فى الارض الآية معناه لا ندرى ايومن الناس بهذا النبي فيرشدوا ام يكفرون به فينزل بهم الشر وعبارة الثعلبي وانا لا ندرى اشر اريد بمن فى الارض حين حرست السماء ومنعنا السمع ام اراد بهم ربهم رشدا انتهى * وقولهم وانا منا الصالحون الى ءاخر قولهم ومنا القاسطون هو من قول الجن وقولهم ومنا دون ذلك اي غير صالحين (ص) دون ذلك قيل بمعنى غير ذلك وقيل دون ذلك فى الصلاح فدون فى موضع الصفة لمحذوف اي ومنا قوم دون ذلك انتهى والطرائق السير المختلفة والقدد كذلك هي الاشياء المختلفة كانه قد قد بعضها من بعض وفصل قال ابن عباس وغيره طرائق قددا اهواء مختلفة وقولهم وانا ظننا اي تيقنا فالظن هنا بمعنى العلم ان لن نعجز الله فى الارض الآية وهذا اخبار منهم عن حالهم بعد ايمانهم بما سمعوا من نبينا محمد صلى الله عليه وسلم والهدى يريدون به القرءان والبخس النقص والرهق تحميل ما لا يطاق وما يثقل قال ابن عباس البخس نقص الحسنات والرهق الزيادة فى السيئات * وقوله تعالى فمن اسلم فاؤلائك تحروا رشدا الوجه فيه ان يكون مخاطبة من الله تعالى لنبيه محمد عليه السلام ويؤيده ما بعده من الآيات وتحروا معناه طلبوا باجتهادهم * وقوله سبحانه وان لو استقاموا على الطريقة الآية قال ابن عباس وقتادة ومجاهد وابن جبير الضمير فى قوله استقاموا عائد على القاسطين والمعنى لو استقاموا على طريقة الاسلام والحق لا نعمنا عليهم وهذا المعنى نحو قوله تعالى ولو ان اهل الكتاب ءامنوا واتقوا الآية الى قوله لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم والقاسط الظالم والماء الغدق هو الماء الكثير

ولنفتنهم معناه لنختبرهم قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث يكون الماء فثم المال وحيث المال فثم الفتنة ونزع بهذه الآية وقال الحسن وجماعة من التابعين كانت الصحابة رضي الله عنهم سامعين مطيعين فلما فتحت كنوز كسرى وقيصر على الناس ثارت الفتن ونسلكه ندخله وصعدا معناه شاقا وقال ابن عباس وابو سعيد الخدري صعدا جبل فى النار وان المساجد لله قيل اراد البيوت التى للعبادة والصلاة فى كل ملة وقال الحسن اراد بها كل موضع يسجد فيه اذ الارض كلها جعلت مسجدا لهذه الامة وروي ان هذه الآية نزلت بسبب تغلب قريش على الكعبة حينئذ فقيل للنبي صلى الله عليه وسلم المواضع كلها لله فاعبده حيث كنت قال (ع) والمساجد المخصوصة بينة التمكن فى كونها لله تعالى فيصلح ان تفرد للعبادة وكل ما هو خالص لله تعالى وان لا يتحدث بها فى امور الدنيا ولا يجعل فيها لغير الله نصيب * وقوله تعالى وانه لما قام عبد الله يحتمل ان يكون خطابا من الله تعالى ويحتمل ان يكون اخبارا عن الجن وعبد الله هو محمد صلى الله عليه وسلم والضمير فى كادوا يحتمل ان يكون لكفار قريش وغيرهم فى اجتماعهم على رد امره صلى الله عليه وسلم وقيل الضمير للجن والمعنى انهم كادوا يتقصفون عليه لاستماع القرءان وقال ابن جبير معنى الآية انها قول الجن لقومهم يحكون لهم والعبد محمد عليه السلام والضمير فى كادوا لاصحابه الذين يطيعون له ويقتدون به فى الصلاة فهم عليه لبد واللبد الجماعات شبهت بالشيء المتلبد وقال البخاري قال ابن عباس لبدا اعوانا انتهى ويدعوه معناه يعبده وقيل عبد الله فى الآية المراد به نوح وقرأ جمهور السبعة قال انما ادعوا ربى وقرأ حمزة وعاصم وابو عمرو بخلاف عنه قل ثم امر الله تعالى محمدا عليه السلام بالتبرى من القدرة وانه لايملك لاحد ضرا ولا نفعا والملتحد الملجأ الذى يمال اليه ومنه الالحاد وهو الميل * وقوله الا بلاغا قال قتادة التقدير لا املك

الا بلاغا اليكم فاما الايمان او الكفر فلا املكه وقال الحسن ما معناه انه استثناء منقطع والمعنى لن يجيرني من الله احد الا بلاغا فانى ان بلغت رحمني بذلك اي بسبب ذلك * وقوله تعالى ومن يعص الله يريد بالكفر بدليل تابيد الخلود * وقوله تعالى قل ان ادرى اقريب ما توعدون يعني عذابهم الذى وعدوا به والامد المدة والغاية * وقوله تعالى الا من ارتضى من رسول معناه فانه يظهره على ما شاء مما هو قليل من كثير ثم يبث تعالى حول ذلك الملك الرسول حفظة رصدا لابليس وحزبه من الجن والانس * وقوله تعالى ليعلم ان قد ابلغوا الآية قال ابن جبير ليعلم محمد ان الملائكة الحفظة الرصد النازلين بين يدي جبريل وخلفه قد ابلغوا رسالات ربهم وقال مجاهد معناه ليعلم من كذب او اشرك ان الرسل قد بلغت وقيل المعنى ليعلم الله تعالى رسله مبلغة خارجة الى الوجود لان علمه بكل شيء قد تقدم والضمير فى احاط واحصى لله سبحانه لا غير



تفسير سورة المزمل وهي مكية
فى قول الجمهور

الا قوله ان ربك يعلم الى ءاخر السورة فمدني وقال جماعة هي مكية كلها

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله عز وجل يا ايها المزمل نداء للنبي صلى الله عليه وسلم قال السهيلي المزمل اسم مشتق من حالته التى كان عليها عليه السلام حين الخطاب وكذلك المدثر وفى خطابه بهذا الاسم فائدتان احداهما الملاطفة فان العرب اذا قصدت

ملاطفة المخاطب وترك معاتبته سموه باسم مشتق من حالته كقوله عليه السلام لعلي حين غاضب فاطمة قم ابا تراب اشعارا له انه غير عاتب عليه وملاطفة له والفائدة الثانية التنبيه لكل متزمل راقد ليله لينتبه الي قيام الليل وذكر الله فيه لان الاسم المشتق من الفعل يشترك فيه مع المخاطب كل من عمل بذلك العمل واتصف بتلك الصفة انتهى والتزمل الالتفاف فى الثياب قال جمهور المفسرين وهو فى البخاري وغيره ان النبي صلى الله عليه وسلم لما جاءه الملك فى غار حراء وحاوره بما حاوره به رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى خديجة فقال زملونى زملونى فنزلت يا ايها المدثر وعلى هذا نزلت يا ايها المزمل * وقوله تعالى قم الليل الا قليلا قال جمهور العلماء هو امر ندب وقيل كان فرضا وقت نزول الآية وقال بعضهم كان فرضا على النبي صلى الله عليه وسلم خاصة وبقي كذلك حتى توفي وقيل غير هذا * وقوله تعالى نصفه يحتمل ان يكون بدلا من قوله قليلا (ص) الا قليلا استثناء من الليل ونصفه قيل بدل من الليل وعلى هذا يكون استثناء الا قليلا منه اي قم نصف الليل الا قليلا منه والضمير فى قوله او انقص منه او زد عليه عائد على النصف وقيل نصفه بدل من قوله الا قليلا قال ابو البقاء وهو اشبه بظاهر الآية انتهى قال (ع) وكيف ما تقلب المعنى فانه امر بقيام نصف الليل او اكثر شيأ او اقل شيأ فالاكثر عند العلماء لا يزيد على الثلثين والاقل لا ينحط عن الثلث ويقوى هذا حديث ابن عباس فى مبيته فى بيت ميمونة قال فلما انتصف الليل او قبله بقليل او بعده بقليل قام رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (ع) ويلزم على هذا البدل الذى ذكرناه ان يكون نصف الليل قد وقع عليه الوصف بقليل وقد يحتمل عندى قوله الا قليلا ان يكون استثناء من القيام فنجعل الليل اسم جنس ثم قال الا قليلا اي الا الليالي التى تخل بقيامها لعذر وهذا النظر يحسن مع القول بالندب جدا

قال (ص) وهذا النظر خلاف ظاهر الآية انتهى والضمير فى منه وعليه عائدان على النصف * وقوله سبحانه ورتل معناه فى اللغة تمهل وفرق بين الحروف لتبين والمقصد ان يجد الفكر فسحة للنظر وفهم المعانى وبذلك يرق القلب ويفيض عليه النور والرحمة قال ابن كيسان المراد تفهمه تاليا له وروي فى صحيح الحديث ان قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت بينة مترسلة لو شاء احد ان يعد الحروف لعدها قال الغزالي فى الاحياء واعلم ان الترتيل والتؤدة اقرب الى التوقير والاحترام واشد تاثيرا فى القلب من الهدرمة والاستعجال والمقصود من القراءة التفكر والترتيل معين عليه وللناس عادات مختلفة فى الختم واولى ما يرجع اليه فى التقديرات قول النبي صلى الله عليه وسلم وقد قال عليه السلام من قرأ القرءان فى اقل من ثلاث لم يفقهه وذلك لان الزيادة عليها تمنع الترتيل المطلوب وقد كره جماعة الختم فى يوم وليلة والتفصيل فى مقدار القراءة انه ان كان التالى من العبّاد السالكين طريق العمل فلا ينبغى له ان ينقص من ختمتين فى الاسبوع وان كان من السالكين باعمال القلب وضروب الفكر او من المشغولين بنشر العلم فلا باس ان يقتصر فى الاسبوع على ختمة وان كان نافذ الفكر فى معانى القرءان فقد يكتفى فى الشهر بمرة لحاجته الى كثرة الترديد والتأمل انتهى وروى ابن المبارك فى رقائقه قال حدثنا اسماعيل عن ابى المتوكل الناجى ان النبي صلى الله عليه وسلم قام ذات ليلة بئاية من القرءان يكررها على نفسه انتهى * وقوله تعالى انا سنلقى عليك قولا ثقيلا يعنى القرءان واختلف لم سماه ثقيلا فقال جماعة من المفسرين لما كان يحل برسول الله صلى الله عليه وسلم من ثقل الجسم حتى انه كان اذا اوحي اليه وهو على ناقته بركت به وحتى كادت فخذه ان ترض فخذ زيد ابن ثابت رضي الله عنه وقيل لثقله على الكفار والمنافقين باعجازه ووعده

ووعيده ونحو ذلك وقال حذاق العلماء معناه ثقيل المعاني من الامر بالطاعات والتكاليف الشرعية من الجهاد ومزاولة الاعمال الصالحات دائما قال الحسن ان الهذ خفيف ولكن العمل ثقيل (ت) والصواب عندي ان يقال اما ثقله باعتبار النبي صلى الله عليه وسلم فهو ما كان يجده عليه السلام من الثقل المحسوس واما ثقله باعتبار سائر الامة فهو ما ذكر من ثقل المعاني وقد زجر مالك سائلا سأله عن مسئلة وقال يا ابا عبد الله انها مسئلة خفيفة فغضب مالك وقال ليس في العلم خفيف اما سمعت قول الله تعالى انا سنلقى عليك قولا ثقيلا فالعلم كله ثقيل انتهى من المدارك لعياض * وقوله سبحانه ان ناشئة الليل قال ابن جبير وغيره هي لفظة حبشية نشأ الرجل اذا قام من الليل فناشئة على هذا جمع ناشئ اي قائم واشد وطأ معناه ثبوتا واستقلالا بالقيام وقرأ ابوعمرو وابن عامر وجماعة كابن عباس وابن الزبير وغيرهم وطاء بكسر الواو ممدودا على وزن فعال على معنى المواطأة والموافقة وهو ان يواطئ قلبه لسانه والمواطأة هي الموافقة فهذه مواطأة صحيحة لخلو البال من اشغال النهار وبهذا المعنى فسر اللفظ مجاهد وغيره قال الثعلبي واختار هذه القراءة ابو عبيد وقال جماعة ناشئة الليل ساعاته كلها لانها تنشأ شيأ بعد شيء وقيل في تفسير ناشئة الليل غير هذا وقرأ انس بن مالك واصوب قيلا فقيل له انما هو اقوم فقال اقوم واصوب واحد * وقوله تعالى ان لك في النهار سبحا طويلا اي تصرفا وترددا في امورك ومنه السباحة في الماء وتبتل معناه انقطع اليه انقطاعا هذا لفظ ابن عطاء على ما نقله الثعلبي انتهى واما (ع) فقال معناه انقطع من كل شيء الا منه وافزع اليه قال زيد بن اسلم التبتل رفض الدنيا ومنه بتل الحبل وتبتيلا مصدر على غير الصدر قال ابو حيان وحسنه كونه فاصلة انتهى قال ابن العربي في احكامه فالتبتل المامور به في الآية الانقطاع الى الله تعالى باخلاص العبادة وهو اختيار

البخاري والتبتل المنهي عنه فى الحديث هو سلوك مسلك النصارى فى ترك النكاح والترهب فى الصوامع انتهى والوكيل القائم بالامر الذى توكل اليه الاشياء * وقوله واهجرهم هجرا جميلا منسوخ بآية السيف * وقوله سبحانه وذرنى والمكذبين اولى النعمة الآية وعيد بين والمعنى لاتشغل بهم فكرك وكِلْهم الي والنعمة غضارة العيش وكثرة المال والمشار اليهم كفار قريش اصحاب القليب ببدر ولدينا بمنزلة عندنا والانكال جمع نكل وهو القيد من الحديد ويروى انها قيود سود من النار والطعام ذو الغصة شجرة الزقوم قاله مجاهد وغيره وقال ابن عباس شوك من نار يعترض فى حلوقهم وكل مطعوم هنالك فهو ذو غصة وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية فصعق والرجفان الاهتزاز والاضطراب من فزع وهول والمهيل اللين الرخو الذى يذهب بالريح وقال البخاري كثيبا مهيلا رملا سائلا انتهى * وقوله تعالى انا ارسلنا اليكم الآية خطاب للعالم لكن المواجهون قريش وشاهدا عليكم نحو قوله وجئنابك على هؤلاء شهيدا والوبيل الشديد الردى * وقوله تعالى فكيف تتقون معناه كيف تجعلون وقاية لانفسكم ويوما مفعول بتتقون وقيل هو مفعول بكفرتم ويكون كفرتم بمعنى جحدتم فتتقون على هذا من التقوى اي تتقون عذاب الله ويجوز ان يكون يوما ظرفا والمعنى تتقون عقاب الله يوما وعبارة الثعلبي فكيف تتقون ان كفرتم اي كيف تتحصنون من عذاب يوم يشيب فيه الطفل لهوله ان كفرتم ثم ذكر نحو ما تقدم انتهى وحكى (ص) عن بعض الناس جواز ان يكون يوما ظرفا اي فكيف لكم بالتقوى فى يوم القيامة ان كفرتم فى الدنيا (ت) وهذا هو مراد (ع) قال ابو حيان وشيبا مفعول ثان ليجعل وهو جمع اشيب انتهى * وقوله تعالى السماء منفطر به اي ذات انفطار والانفطار التصدع والانشقاق والضمير فى به قال منذر وغيره عائد على اليوم

وكـذا قال (ص) ان ضمير بِهِ يعود على اليوم والباء سببية او ظرفية انتهى وفي صحيح مسلم من رواية عبد الله بن عمرو وذكر صلى الله عليه وسلم بعث النار من كل الف تسعمائـة وتسعة وتسعون الى النار وواحـد الى الجنـة قال فـذلك يوم يجعل الولدان شيبا وذلك يوم يكشف عن ساق الحديث انتهى وقيل عائد على الله اي منفطر بامره وقدرته والضمير في قوله وعده الظاهر انـه يعود على الله تعالى * وقوله تعالى ان هذه تذكرة الآية الاشارة بهـذه تحتمل الى ما ذكر من الانكال والجحيم والاخذ الوبيل وتحتمل ان تكون الى السورة بجملتها وتحتمل ان تكون الى ءايات القرءان بجملتها * وقوله سبحانـه فمن شاء اتخـذ الى ربـه سبيلا ليس معناه اباحة الامر وضده بل الكلام يتضمن الوعد والوعيد والسبيل هنا سبيل الخير والطاعة * وقوله سبحانه ان ربك يعلم انك تقوم الآيـة المعنى ان الله تعالى يعلم انك تقوم انت وغيرك من امتك قياما مختلفا مرة يكثر ومرة يقل ومرة ادنى من الثلثين ومرة ادنى من النصف ومرة ادنى من الثلث وذلك لعدم تحصيل البشر لمقادير الزمان مع عذر النوم وتقدير الزمان حقيقة انما هو لله تعالى واما البشر فلا يحصى ذلك فتاب الله عليهم اي رجع بهم من الثقل الى الخفة وامرهم بقراءة ما تيسر ونحو هـذا تعطى عبارة الفراء ومنذر فانهما قالا تحصوه تحفظوه وهـذا التاويل هـو على قراءة الخفض عطفا على الثلثين وهي قراءة ابي عمرو ونافع وابن عامر واما من قرأ ونصفه وثلثه بالنصب عطفا على ادنى وهي قراءة باقي السبعة فالمعنى عندهم ان الله تعالى قـد علم انهم يقدرون الزمان على نحو ما امر بـه تعالى في قوله نصفه او انقص منه قليلا او زد عليه فلم يبق الا قوله ان لن تحصوه فمعناه لن يطيقوا قيامه لكثرته وشدته فخفف الله عنهم فضلا منه لا لعلة جهلهم بالتقدير واحصاء الاوقات ونحو هـذا تعطى عبارة الحسن وابن جبير فانهما قالا تحصوه تطيقوه

وعبارة الثعلبي ومن قرأ بالنصب فالمعنى وتقوم نصفه وثلثه قال الفراء وهو الاشبه بالصواب لانه قال اقل من الثلثين ثم ذكر تفسير القلة لا تفسير اقل من القلة انتهى ولو عبر الفراء بالارجح لكان احسن ادبا وعن عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من تعار من الليل فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير الحمد لله وسبحان الله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله ثم قال اللهم اغفر لى اودعا استجيب له فان توضأ ثم صلى قبلت صلاته رواه الجماعة الا مسلما وتعار بتشديد الراء معناه استيقظ انتهى من السلاح * وقوله تعالى فاقرءوا ما تيسر من القرءان قال الثعلبي اي ما خف وسهل بغير مقدار من القراءة والمدة وقيل المعنى فصلوا ما تيسر فعبر بالقراءة عنها (ت) وهذا هو الاصح عند ابن العربي انتهى قال (ع) قوله فاقرءوا ما تيسر من القرءان هو امر ندب فى قول الجمهور وقال جماعة هو فرض لابد منه ولو خمسين ءاية وقال الحسن وابن سيرين قيام الليل فرض ولو قدر حلب شاة الا ان الحسن قال من قرأ مائة ءاية لم يحاجه القرءان واستحسن هذا جماعة من العلماء قال بعضهم والركعتان بعد العشاء مع الوتر داخلتان فى امتثال هذا الامر ومن زاد زاده الله ثوابا (ت) ينبغى للعاقل المبادرة الى تحصيل الخيرات قبل هجوم صولة الممات قال الباجي فى سنن الصالحين له قالت بنت الربيع بن خثيم لابيها يا ابت ما لى ارى الناس ينامون وانت لاتنام قال ان اباك يخاف البيات قال الباجي رحمه الله تعالى ولى فى هذا المعنى

قد افلح القانت فى جنح الدجى * يتلو الكتاب العربي النيرا
فقائما وراكعا وساجدا * مبتهلا مستعبرا مستغفرا
له حنين وشهيق وبكا * يبل من ادمعه ترب الثرى

انا لسفـر نبتغي نيـل الهـدى * ففي السرى بغيتنـا لا في الكرا
من ينصب الليـل ينـل راحتـه * عند الصباح يحمد القوم السرى

انتهى والضرب في الارض هو السفر للتجارة ابتغاء فضل الله سبحانه فذكر الله سبحانه اعـذار بني ءادم التي هي حائلة بينهم وبين قيام الليـل ثم كرر سبحانه الامر بقراءة ماتيسر منه تاكيدا والصلاة والزكاة هنا هما المفروضتان فمن قال ان القيام من الليل غير واجب قال معني الآية خذوا من هذا النفل بما تيسر وحافظوا علي فرائضكم ومن قال ان شيأ من القيام واجب قال قد قرنه الله بالفرائض لانه فرض واقراض الله تعالى هو اسلاف العمل الصالح عنده وقرأ جمهور الناس هو خيرا على ان يكون هو فصلا قال بعض العلماء الاستغفار بعد الصلاة مستنبط من هـذه الآية ومن قوله تعالى كانوا قليلا من الليل مـا يهجعون وبالاسحار هم يستغفرون قال (ع) وعهدت ابى رحمه الله يستغفر الله اثر كل مكتوبة ثلاثا بعقب السلام ويأثر في ذلك حديثا فكان هذا الاستغفار من التقصير وتقلب الفكر اثناء الصلاة وكان السلف الصالح يصلون الى طلوع الفجر ثم يجلسون للاستغفار (ت) وما ذكره (ع) رحمه الله عن ابيه رواه مسلم وابو داود والترمذي والنساءي وابن ماجه عن ثوبان قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثا وقال اللهم انت السلام ومنك السلام تباركت ذا الجلال والاكرام قال الوليد فقلت للاوزاعي كيف الاستغفار قال تقول استغفر الله استغفر الله استغفر الله وفي روايـة لمسلم من حديث عائشة ياذا الجلال والاكرام انتهى من سلاح المومن

تفسير سورة المدثر وهي مكية باجماع

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله عز وجل يا ايها المدثر قم فانذر الآية اختلف فى اول ما نزل من القرءان فقال الجمهور هو اقرأ باسم ربك وهذا هو الاصح وقال جابر وجماعة هو يا ايها المدثر (ص) والتدثر لبس الدثار وهو الثوب الذى فوق الشعار والشعار الثوب الذى يلي الجسد ومنه قوله عليه السلام الانصار شعار والناس دثار انتهى * وقوله تعالى قم فانذر بعثة عامة الى جميع الخلق * وربك فكبر اي فعظم * وثيابك فطهر قال ابن زيد وجماعة هو امر بتطهير الثياب حقيقة وذهب الشافعي وغيره من هذه الآية الى وجوب غسل النجاسات من الثياب وقال الجمهور هذه الالفاظ استعارة فى تنقية الافعال والنفس والعرض وهذا كما تقول فلان طاهر الثوب ويقال للفاجر دنس الثوب قال ابن العربي فى احكامه والذى يقول انها الثياب المجازية اكثر وكثيرا ما تستعمله العرب قال ابو كبشة

ثياب بني عوف طهارى نقية * واوجههم عند المشاهد غُرّان

يعنى بطهارة ثيابهم سلامتهم من الدناءات وقال غيلان بن سلمة الثقفي

فاني بحمد الله لا ثوب فاجر * لبست ولا من غدرة اتقنع

وليس يمتنع ان تحمل الآية على عموم المراد فيها بالحقيقة والمجاز على ما بيناه فى اصول الفقه واذا حملناها على الثياب المعلومة فهي تتناول معنيين احدهما تقصير الاذيال فانها اذا ارسلت تدنست وتقصير الذيل انقى لثوبه واتقى لربه والمعنى الثاني غسلها من النجاسة فهو ظاهر منها صحيح فيها انتهى قال الشيخ ابو

الحسن الشاذلي رضي الله عنه رأيت النبي صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال يا علي طهر ثيابك من الدنس تحظ بمدد الله فى كل نفس فقلت وما ثيابى يا رسول الله فقال ان الله كساك حلة المعرفة ثم حلة المحبة ثم حلة التوحيد ثم حلة الايمان ثم حلة الاسلام فمن عرف الله صغر لديه كل شيء ومن احب الله هان عليه كل شيء ومن وحد الله لم يشرك به شيأ ومن آمن بالله امن من كل شيء ومن اسلم لله قل ما يعصيه وان عصاه اعتذر اليه واذا اعتذر اليه قبل عذره قال ففهمت حينئذ معنى قوله عز وجل وثيابك فطهر انتهى من التنوير لابن عطاء الله * والرجز يعنى الاصنام والاوثان وقال ابن عباس الرجز السخط يعنى اهجر ما يؤدى اليه ويوجبه واختلف فى معنى قوله تعالى ولاتمنن تستكثر فقال ابن عباس وجماعة معناه لا تعط عطاء لتعطَى اكثر منه فكانه من قولهم منّ اذا اعطى قال الضحاك وهذا خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم ومباح لامته لكن لا اجر لهم فيه وقال الحسن بن ابى الحسن معناه ولاتمنن على الله بجدك تستكثر اعمالك ويقع لك بها اعجاب قال (ع) وهذا من المن الذى هو تعديد اليد وذكرها وقال مجاهد معناه ولا تضعف تستكثر ما حملناك من اعباء الرسالة وتستكثر من الخير وهذا من قولهم حبل منين اي ضعيف * ولربك فاصبر اي لوجه ربك وطلب رضاه فاصبر على اذى الكفار وعلى العبادة وعن الشهوات وعلى تكاليف النبوة قال ابن زيد وعلى حرب الاحمر والاسود ولقد حمل امرا عظيما صلى الله عليه وسلم والناقور الذى ينفخ فيه وهو الصور قاله ابن عباس وعكرمة وهو فاعول من النقر قال ابو حباب القصاب أمّنا زُرارة بن اوفى فلما بلغ فاذا نقر فى الناقور خرميتا قال الفخر قوله تعالى فذلك يومئذ يوم عسير اي على الكافرين لانهم يناقشون غير يسير اي بل كثير شديد فاما المومنون فانه عليهم يسير لانهم لا يناقشون قال ابن عباس ولما قال تعالى على الكافرين غير

يسير دل على انه يسير على المومنين وهذا هو دليل الخطاب ويحتمل ان يكون
انما وصفه تعالى بالعسر لانه فى نفسه كذلك للجميع من المومنين والكافرين الا
انه يكون هول الكفار فيه اكثر واشد وعلى هذا القول يحسن الوقف على قوله
يوم عسير انتهى * وقوله تعالى ذرنى ومن خلقت وحيدا الآية لا خلاف بين
المفسرين ان هذه الآية نزلت فى الوليد بن المغيرة المخزومي فروي انه كان
يلقب الوحيد اي لانه لا نظير له فى ماله وشرفه فى بيته فذكر الوحيد فى جملة
النعم التى اعطي وان لم يثبت هذا فقوله تعالى خلقت وحيدا معناه منفردا قليلا
ذليلا والمال الممدود قال مجاهد وابن جبير هو الف دينار وقال سفيان بلغنى انه
اربعة ١٠الاف وقاله قتادة وقيل عشرة ١٠الاف دينار قال (ع) وهذا مد فى
العدد وقال عمر بن الخطاب المال الممدود الرّيع المستغل مشاهرة * وبنين
شهودا اي حضورا قيل عشرة وقيل ثلاثة عشر قال الثعلبي اسلم منهم ثلاثة
خالد بن الوليد وهشام وعمارة قالوا فما زال الوليد بعد نزول هذه الآية فى
نقصان من ماله وولده حتى هلك انتهى * ومهدت له تمهيدا قال سفيان
المعنى بسطت له العيش بسطا * وقوله تعالى كلا ردع وزجر له على امنيته
وارهقه معناه اكلفه بمشقة وعسر وصَعود عقبة فى نار جهنم روى ذلك ابو سعيد
الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم كلما وضع عليها شيء من الانسان ذاب
ثم يعود والصَعود فى اللغة العقبة الشاقة * وقوله تعالى مخبرا عن الوليد انه فكر
وقدر الآية روى جمهور من المفسرين ان الوليد سمع من القرءان ما اعجبه
ومدحه ثم سمع كذلك مرارا حتى كاد ان يقارب الاسلام وقال والله لقد
سمعت من محمد كلاما ما هو من كلام الانس ولا هو من كلام الجن ان له
لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه يعلو وما يعلى
فقالت قريش صبأ الوليد والله لتصبأن قريش فقال ابو جهل انا اكفيكموه فجاءه

ابو جهل وجماعة حتى غضب الوليد وقال تزعمون ان محمدا مجنون فهل رأيتموه يخنق قط قالوا لا قال تزعمون انه شاعر فهل رأيتموه ينطق بشعر قط قالوا لا قال تزعمون انه كاهن فهل رأيتموه يتكهن قط قالوا لا قال تزعمون انه كذاب فهل جربتم عليه شيأ من الكذب قط قالوا لا وكانوا يسمونه قبل النبوة الامين لصدقه فقالت قريش ما عندك فيه فتفكر فى نفسه فقال ما ارى فيه شيأ مما ذكرتموه فقالوا هو ساحر فقال اما هـذا فيشبه والفاظ الرواة هنا متقاربة المعانى من رواية الزهري وغيره * وقوله تعالى فقتل كيف قدر قال الثعلبي وغيره قتل معناه لعن انتهى * وبسر اي قطب ما بين عينيه واربد وجهه ثم ادبر عن الهدى بعد ان اقبل اليه وقال ان هـذا الاسحر يوثر اي يروى اي يرويه محمد عن غيره * وسقر هي الدرك السادس من النار لا تبقى على من التي فيها ولا تذر غاية من العذاب الا وصّلته اليه * وقوله تعالى لواحة للبشر قال ابن عباس وجمهور الناس معناه مغيرة للبشرات ومحرقة للجلود مسودة لها فالبشر جمع بشرة وقال الحسن وابن كيسان لواحة بناء مبالغة من لاح يلوح اذا ظهر فالمعنى انها تظهر للناس وهم البشر من مسيرة خمسمائة عام وذلك لعظمها وهولها وزفيرها * وقوله تعالى عليها تسعة عشر لا خلاف بين العلماء انهم خزنة جهنم المحيطون بامرها الذين اليهم جماع امر زبانيتها وروي ان قريشا لما سمعت هذا كثر لغطهم فيه وقالوا ولو كان هـذا حقا فان هـذا العدد قليل وقال ابو جهل هؤلاء تسعة عشر وانتم الدهم اي الشجعان افيعجز عشرة منا عن رجل منهم الى غير هـذا من اقوالهم السخيفة * وقوله تعالى وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة تبيين لفساد اقوال قريش اي انا جعلناهم خلقا لا قبل لاحد من الناس بهم وجعلنا عدتهم هذا القدر فتنة للكفار ليقع منهم من التعاطى والطمع فى المغالبة ما وقع وليستيقن اهل الكتاب التوراة والانجيل ان هذا القرءان من

عند الله اذهم يجدون هذه العدة فى كتبهم المنزلة قال هذا المعنى ابن عباس
وغيره وبورود الحقائق من عند الله عز وجل يزداد كل ذى ايمان ايمانا ويزول
الريب عن المصدقين من اهل الكتاب ومن المومنين * وقوله سبحانه وليقول
الذين فى قلوبهم مرض الآية نوع من الفتنة لهذا الصنف المنافق او الكافر اي
حاروا ولم يهتدوا لمقصد الحق فجعل بعضهم يستفهم بعضا عن مراد الله بهذا
المثل استبعادا ان يكون هذا من عند الله قال الحسين بن الفضل السورة مكية
ولم يكن بمكة نفاق وانما المرض فى هذه الآية الاضطراب وضعف الايمان ثم
قال تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو اعلاما بان الامر فوق ما يتوهم وان الخبر
انما هو عن بعض القدرة لا عن كلها (ت) صوابه ان يقول عن بعض المقدورات
لا عن كلها وهذا هو مراده الا تراه قال فى قوله تعالى ولا يحيطون بشيء من
علمه قال يعنى بشيء من معلوماته لان علمه تعالى لا يتجزأ فافهم راشدا
والسموات كلها عامرة بانواع من الملائكة كلهم فى عبادة متصلة وخشوع دائم
لا فترة فى شيء من ذلك ولا دقيقة واحدة قال مجاهد والضمير فى قوله وما
هي للنار المذكورة اي يذكر بها البشر فيخافونها فيطيعون الله وقال بعضهم
قوله وما هي يرادبها الحال والمخاطبة والنذارة واقسم تعالى بالقمر وما بعده تنبيها
على النظر فى ذلك والفكر المؤدى الى تعظيمه تعالى وتحصيل معرفته تعالى مالك
الكل وقوام الوجود ونور السموات والارض لا اله الا هو العزيز القهار وادبر
الليل معناه ولى واسفر الصبح اضاء وانتشر ضوءه قال ابن زيد وغيره الضمير
فى قوله انها لاحدى الكبر لجهنم ويحتمل ان يكون الضمير للنذارة وامر الآخرة
فهو للحال والقصة (ص) والكبر جمع كبرى وفى (ع) جمع كبيرة ولعله وهم
من الناسخ انتهى * وقوله سبحانه نذيرا للبشر قال الحسن لا نذير ادهى من
النار وقال ابن زيد نذيرا للبشر هو محمد صلى الله عليه وسلم * وقوله سبحانه

لمن شاء منكم ان يتقدم او يتأخر قال الحسن هو وعيد نحو قوله فمن شاء فليومن ومن شاء فليكفر ثم قوى سبحانه هذا المعنى بقوله كل نفس بما كسبت رهينة اذ لزم بهذا القول ان المقصر مرتهن بسوء عمله وقال الضحاك المعنى كل نفس حقت عليها كلمة العذاب ولا يرتهن تعالى احدا من اهل الجنة ان شاء الله * وقوله تعالى الا اصحاب اليمين استثناء ظاهره الانفصال تقديره لكن اصحاب اليمين فى جنات (ص) فى جنات اي هم فى جنات فيكون خبر مبتدإ محذوف (م) واعربه ابو البقاء حالا من الضمير فى يتساءلون انتهى قال ابن عباس اصحاب اليمين هنا الملائكة وقال الضحاك هم الذين سبقت لهم من الله الحسنى وقال الحسن وابن كيسان هم المسلمون المخلصون ليسوا بمرتهنين (ت) واسند ابو عمر بن عبد البر عن علي بن ابى طالب فى قوله تعالى كل نفس بما كسبت رهينة الا اصحاب اليمين قال اصحاب اليمين اطفال المسلمين انتهى من التمهيد * وقولهم ما سلككم اي ما ادخلكم فيحتمل ان يكون من قول اصحاب اليمين الآدميين او من قول الملائكة * وقوله تعالى قالوا يعنى الكفار لم نك من المصلين الآية وفى نفي الصلاة يدخل الايمان بالله والمعرفة به والخشوع له ولم نك نطعم المسكين يشمل الصدقة فرضا كانت او نفلا والخوض مع الخائضين عرفه فى الباطل والتكذيب بيوم الدين كفر صراح حتى اتانا اليقين يعنى الموت قاله المفسرون قال (ع) وعندى ان اليقين صحة ما كانوا يكذبون به من الرجوع الى الله والدار الآخرة وقد تقدم ذكر احاديث الشفاعة قال الفخر واحتج اصحابنا بهذه الآية على ان الكفار يعذبون بترك فروع الشريعة والاستقصاء فيه قد ذكرناه فى المحصول انتهى * وقوله تعالى فى صفة الكفار المعرضين كانهم حمر مستنفرة اثبات لجهلهم لان الحمر من جاهل الحيوان جدا وفى حرف ابن مسعود حمر نافرة قال ابن عباس وابو هريرة وجمهور من اللغويين

القسورة الاسد وقيل غير هذا بل يريد كل امرئ منهم اي من هؤلاء ان يوتى صحفا منشرة اي يريد كل انسان منهم ان ينزل عليه كتاب من الله ومنشرة اي منشورة غير مطوية * وقوله كلا رد على ارادتهم اي ليس الامر كذلك ثم قال بل لا يخافون الآخرة المعنى هذه هي العلة والسبب فى اعراضهم فكان جهلهم بالآخرة سبب امتناعهم من الهدى حتى هلكوا ثم اعاد تعالى الرد والزجر بقوله كلا واخبر ان هـذا القول والبيان وهـذه المحاورة بجملتها تذكرة فمن شاء ووفقه الله لذلك ذكر معاده فعمل له ثم اخبر سبحانه ان ذكر الانسان معاده وجريه الى فلاحه انما هو كله بمشيئة الله تعالى وليس يكون شيء الا بها وقرأ ابو عمرو وعاصم وابن كثير يذكرون بالياء من تحت * وقوله سبحانـه هو اهل التقوى واهل المغفرة خبر جزم معناه ان الله عز وجل اهل بصفاته العلى ونعمه التى لا تحصى لان يتقى ويطاع امره ويحذر عصيانه وانه بفضله وكرمه اهل ان يغفر لعباده اذا اتقوه روى ابن ماجه عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية هو اهل التقوى واهل المغفرة فقال قال الله تعالى انا اهل ان اتقى فلا يجعل معي اله آخر فمن اتقانى فلم يجعل معي الها آخر فانا اهل ان اغفر له واخرجه ابو عيسى الترمذي بمعناه وقال حديث حسن انتهى

تفسير سورة القيامة وهي مكية باجماع

* بسم الله الرحمـن الرحيم *

قوله عز وجل لا اقسم بيوم القيامة ولا اقسم بالنفس اللوامة هذه قراءة الجمهور

وقرأ ابن كثير لاقسم بيوم القيامة ولاقسم فقيل على قراءة الجمهور لا زائدة
وقال الفراء لانفي لكلام الكفار وزجر لهم ورد عليهم وجمهور المتأولين على ان الله
تعالى اقسم بيوم القيامة وبالنفس اللوامة اقسم سبحانه بيوم القيامة تنبيها منه
على عظمه وهوله قال الحسن النفس اللوامة هي اللوامة لصاحبها فى ترك الطاعة
ونحو ذلك فهي على هذا ممدوحة ولذلك اقسم الله بها وقال ابن عباس وقتادة
اللوامة هي الفاجرة اللوامة لصاحبها على ما فاته من سعي الدنيا واعراضها وعلى
هذا التاويل يحسن نفي القسم بها والنفس فى الآية اسم جنس قال (ع) وكل
نفس متوسطة ليست بالمطمئنة ولا بالامارة بالسوء فانها لوامة فى الطرفين مرة
تلوم على ترك الطاعة ومرة تلوم على فوت ما تشتهى فاذا اطمأنت خلصت
وصفت قال الثعلبي وجواب القسم محذوف تقديره لتبعثن دل عليه قوله ايحسب
الانسان الن نجمع عظامه اي للاحياء والبعث والانسان هنا الكافر المكذب
بالبعث انتهى والبنان الاصابع ونسوي بنانه معناه نتقنها سوية قاله القتبي
وهذا كله عند البعث وقال ابن عباس وجمهور المفسرين المعنى بل نحن قادرون
ان نسوي بنانه اي نجعل اصابع يديه ورجليه شيأ واحدا كخف البعير او كحافر
الحمار لايمكنه ان يعمل بها شيأ فني هذا توعد ما والقول الاول اجرى مع
رصف الكلام * بل يريد الانسان ليفجر امامه معناه ان الانسان انما يريد
شهواته ومعاصيه ليمضي فيها ابدا راكبا رأسه ومطيعا امله ومسوفا توبته قال
البخاري ليفجر امامه يقول سوف اتوب سوف اعمل انتهى قال الفخر قوله
ليفجر امامه فيه قولان الاول ليدوم على فجوره فيما يستقبله من الزمان لا ينزع
عنه فعن ابن جبير يقدم الذنب ويؤخر التوبة يقول سوف اتوب سوف اتوب
حتى ياتيه الموت على شر احواله واسوإ اعماله القول الثاني يفجر امامه اي
يكذب بما امامه من البعث والحساب لان من كذب حقا كان مفاجرا والدليل

على هذا القول قوله تعالى يسئل ايان يوم القيامة اي متى يكون ذلك تكذيبا له
انتهى وسؤال الكفار ايان هو على معنى التكذيب والهزء وايان بمعنى متى وقرأ نافع
وعاصم بخلاف برق البصر بفتح الراء بمعنى لمع وصار له بريق وحار عند الموت
وقرأ ابو عمرو وغيره بكسرها بمعنى شخص والمعنى متقارب قال مجاهد هذا عند
الموت وقال الحسن هذا فى يوم القيامة قال ابو عبيدة وجماعة من اللغويين
الخسوف والكسوف بمعنى واحد وقال ابن ابى اويس الكسوف ذهاب بعض
الضوء والخسوف ذهاب جميعه وروى عروة وسفيان ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال لا تقولوا كسفت الشمس ولكن قولوا خسفت وقرأ ابن مسعود وجمع
بين الشمس والقمر واختلف فى معنى الجمع بينهما فقال عطاء يجمعان
فيقذفان فى النار وقيل فى البحر فيصيرا نار الله العظمى وقيل يجمع الضوءان
فيذهب بهما قال الثعلبي وقال علي وابن عباس يجعلان فى نور الحجب انتهى *
يقول الانسان يومئذ اين المفر اي اين الفرار كلا لا وزر اي لا ملجأ والمستقر
موضع الاستقرار * وقوله تعالى ينبؤا الانسان يومئذ بما قدم واخر اي يعلم بكل
ما فعل ويجده محصلا وقال ابن عباس وابن مسعود بما قدم فى حياته وما اخر
من سُنة بعد مماته * وقوله تعالى بل الانسان على نفسه بصيرة قال ابن عباس
وغيره اي للانسان على نفسه من نفسه بصيرة رقباء يشهدون عليه وهم
جوارحه وحفظته ويحتمل ان يكون المعنى بل الانسان على نفسه شاهد ودليله
قوله تعالى كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا قال الثعلبي قال ابان بن ثعلب
البصيرة والبينة والشاهد بمعنى انتهى ونحوه للهروي قال (ع) والمعنى على هذا
التاويل الثانى ان فى الانسان وفى عقله وفطرته حجة وشاهدا مبصرا على
نفسه * ولو القى معاذيره اي ولو اعتذر عن قبيح افعاله فهو يعلمها قال الجمهور
والمعاذير هنا جمع معذرة وقال الضحاك والسدي هي الستور بلغة اليمن يقولون

للستر المعذار * وقوله تعالى لا تحرك به لسانك الآية قال كثير من المفسرين وهو في صحيح البخاري عن ابن عباس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة وكان مما يحرك شفتيه مخافة ان يذهب عنه ما يوحى اليه فنزلت الآية بسبب ذلك واعلمه تعالى انه يجمعه له في صدره * وقوله وقرءانه يحتمل ان يريد وقراءته اي تقرأه انت يا محمد * وقوله فاذا قرأناه اي قرأه الملك الرسول عنا فاتبع قرآنه قال البخاري قال ابن عباس فاتبع اي اعمل به وقال البخاري ايضا قوله انا علينا جمعه وقرءانه اي تاليف بعضه الى بعض فاذا قرأناه فاتبع قرءانه اي ما جمع فيه فاعمل بما امرك وانته عما نهاك انتهى * وقوله تعالى ثم ان علينا بيانه قال قتادة وجماعة معناه ان نبينه لك وقال البخاري ان نبينه على لسانك * وقوله تعالى كلا بل تحبون العاجلة اي الدنيا وشهواتها قال الغزالي في الاحياء اعلم ان رأس الخطايا المهلكة هو حب الدنيا ورأس اسباب النجاة هو التجافي بالقلب عن دار الغرور وقال رحمه الله اعلم انه لاوصول الى سعادة لقاء الله سبحانه في الآخرة الا بتحصيل محبته والانس به في الدنيا ولا تحصل المحبة الا بالمعرفة ولا تحصل المعرفة الا بدوام الفكر ولا يحصل الانس الا بالمحبة ودوام الذكر ولا تتيسر المواظبة على الذكر والفكر الا بانقلاع حب الدنيا من القلب ولا ينقلع ذلك الا بترك لذات الدنيا وشهواتها ولا يمكن ترك المشتهيات الا بقمع الشهوات ولا تنقمع الشهوات بشيء كما تنقمع بنار الخوف المحرقة للشهوات انتهى وقرأ ابن كثير وغيره يحبون ويذرون بالياء على ذكر الغائب ولما ذكر سبحانه الآخرة اخبر بشيء من حال اهلها فقال وجوه يومئذ ناضره اي ناعمة والنضرة النعمة وجمال البشرة قال الحسن وحق لها ان تنضّر وهي تنظر الى خالقها * وقوله تعالى الى ربها ناظرة حمل جميع اهل السنة هذه الآية على انها متضمنة رؤية المومنين لله عز وجل بلا تكييف ولا تحديد كما

هو معلوم موجود لايشبه الموجودات كذلك هو سبحانه مرءي لايشبه المرءيات في شيء فانه ليس كمثله شيء لا اله الا هو وقد تقدم استيعاب الكلام على هذه المسئلة وما فى ذلك من صحيح الاحاديث والباسرة العابسة المغمومة النفوس والبسور اشد العبوس وانما ذكر تعالى الوجوه لانه فيها يظهر ما فى النفس من سرور اوغم والمراد اصحاب الوجوه والفاقرة المصيبة التى تكسر فقار الظهر وقال ابو عبيدة هي من فقرت البعير اذا وسمت انفه بالنار * وقوله تعالى كلا اذا بلغت زجر وتذكير ايضا بموطن من مواطن الهول وهي حالة الموت الذى لا محيد عنه وبلغت يريد النفس والتراقى جمع ترقوة وهي عظام اعلى الصدر ولكل احد ترقوتان لكن جمع من حيث ان النفس المرادة اسم جنس والتراقى هي موازية للحلاقيم فالامر كله كناية عن حال الحشرجة ونزع الموت يسره الله علينا بمنه وجعله لنا راحة من كل شر واختلف فى معنى قوله تعالى وقيل من راق فقال ابن عباس وجماعة معناه من يرقى ويطب ويشفى ونحو هذا مما يتمناه اهل المريض وقال ابن عباس ايضا وسليمان التيمي ومقاتل هذا القول للملائكة والمعنى من يرقى بروحه اي يصعد بها الى السماء املائكة الرحمة ام ملائكة العذاب * وظن انه الفراق اي ايقن وهذا يقين فيما لم يقع بعد ولذلك استعملت فيه لفظة الظن * وقوله تعالى والتفت الساق بالساق قال ابن المسيب والحسن هي حقيقة والمراد ساقا الميت عند تكفينه اي لفهما الكفن وقيل هو التفافهما من شدة المرض وقيل غير هذا * وقوله تعالى فلا صدق ولا صلى الآية قال جمهور المتأولين هذه الآية كلها انما نزلت فى ابي جهل قال (ع) ثم كادت هذه الآية ان تصرح به فى قوله يتمطى فانها كانت مشيته وقوله فلا صدق ولا صلى تقديره فلم يصدق ولم يصل فلا فى الآية نفى لاعاطفة (ص) قوله فلا صدق فيه دليل على ان لا تدخل على الماضى فتنفيه كقول الراجز

ان تغفر اللهم تغفر جما * واي عبد لك لا الما

انتهى وصدق معناه برسالة الله ودينه وذهب قوم الى انه من الصدقة والاول اصوب ويتمطى معناه يمشى المَطيطاء وهي مشية بتبختر وهي ماخوذة من المَطا وهو الظهر لانه يتثنى فيها زاد (ص) وقيل اصله يتمطط اي بتمدد فى مشيه ومد منكبيه انتهى * وقوله اولى لك وعيد * فاولى وعيد ثان وكرر ذلك تاكيدا ومعنى اولى لك الازدجار والانتهار والعرب تستعمل هذه الكلمة زجرا ومنه فاولى لهم طاعة ويروى ان النبي صلى الله عليه وسلم لبب ابا جهل يوما فى البطحاء وقال له ان الله يقول لك اولى لك فاولى فنزل القرءان على نحوها وفى شعر الخنساء

هممت بنفسي كل الهموم * فاولى لنفسي اولى لها

وقوله تعالى ايحسب توبيخ وسدى معناه مهملا لا يومر ولا ينهى ثم قرر تعالى احوال ابن ءادم فى بدايته التى اذا تأملت لم ينكر معها جواز البعث من القبور عاقل والعلقة القطعة من الدم * فخلق فسوى اي فخلق الله منه بشرا مركبا من اشياء مختلفة فسواه شخصا مستقلا والزوجين النوعين ثم وقف تعالى توقيف توبيخ بقوله اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى روي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأ هذه الآية قال بلى وروي انه كان يقول سبحانك اللهم وبحمدك بلى انظر سنن ابى داود

تفسير سورة الانسان قيل مكية
وقيل مدنية

وقال الحسن وعكرمة منها ءاية مكية وهي قوله تعالى ولا تطع منهم ءاثما او كفورا والباقى مدني

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله تعالى هل اتى على الانسان الآية هل فى كلام العرب قد تجيء بمعنى قد حكاه سيبويه لكنها لا تخلو من تقرير وبابها المشهور الاستفهام المحض والتقرير احيانا قال ابن عباس هل بمعنى قد والانسان يراد به ءادم وقال اكثر المتأولين هل تقرير والانسان اسم جنس اي اذا تأمل كل انسان نفسه علم بانه قد مرحين من الدهر عظيم لم يكن فيه شيأ مذكورا وهذا هو القوي ان الانسان اسم جنس وان الآية جعلت عبرة لكل احد من الناس ليعلم ان الخالق له قادر على اعادته (ص) لم يكن شيأ مذكورا فى موضع حال من الانسان او فى موضع صفة لحين والعائد عليه محذوف اي لم يكن فيه انتهى * وقوله تعالى انا خلقنا الانسان الآية الانسان هنا اسم جنس بلا خلاف وامشاج معناه اخلاط قيل هو امشاج ماء الرجل بماء المرأة ونقل الفخر ان الامشاج لفظ مفرد وليس بجمع بدليل انه وقع صفة للمفرد وهو قوله نطفة انتهى نبتليه اي نختبره بالايجاد والكون فى الدنيا وهو حال من الضمير فى خلقنا كانه قال مختبرين له بذلك * وقوله تعالى فجعلناه سميعا بصيرا عطف جملة نعم على جملة نعم وقيل المعنى فلنبتليه جعلناه سميعا بصيرا وهديناه يحتمل ان يكون بمعنى ارشدناه ويحتمل ان يكون بمعنى

اريناه وليس الهدى فى هـذه الآية بمعنى خلق الهدى والايمان وعبارة الثعلبي هديناه السبيل بينا له وعرفناه طريق الهدى والضلال والخير والشر كقوله وهديناه النجدين انتهى * وقوله تعالى اما شاكرا واما كفورا حالان وقسمتهما اما والابرار جمع بار قال الحسن هم الذين لا يوذون الذر ولا يرضون الشر قال قتادة نعم قوم يمزج لهم بالكافور ويختم لهم بالمسك قال الفراء يقال ان فى الجنة عينا تسمى كافورا * وقوله تعالى عينا قيل هو بدل من قوله كافورا وقيل هو مفعول بقوله يشربون اي ماء هذه العين من كأس عطرة كالكافور وقيل نصب عينا على المدح او باضمار اعنى * قوله تعالى يشرب بها بمنزلة يشربها فالباء زائدة قال الثعلبي قال الواسطي لما اختلفت احوالهم فى الدنيا اختلفت اشربتهم فى الآخرة انتهى قال (ص) وقيل الباء فى بها للالصاق والاختلاط اي يشرب بها عباد الله الخمر كما تقول شربت الماء بالعسل انتهى * وقوله تعالى يفجرونها معناه يفتقونها ويقودونها حيث شاءوا من منازلهم وقصورهم فهي تجرى عند كل احد منهم ورد بهذا الاثر وقيل عين فى دار النبي صلى الله عليه وسلم تفجر الى دور الانبياء والمومنين قال (ع) وهـذا قول حسن ثم وصف تعالى حال الابرار فقال يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا اي ممتدا متصلا شائعا * وقوله تعالى على حبه يحتمل ان يعود الضمير على الطعام وهو قول ابن عباس ويحتمل ان يعود على الله تعالى قاله ابو سليمان الداراني * وقوله واسيرا قال الحسن ما كان اسراهم الا مشركين لان فى كل ذى كبد رطبة اجرا (ت) وفى العتبية سئل مالك عن الاسير فى هـذه الآية امسلم هوام مشرك فقال بل مشرك وكان ببدر اسارى فانزلت فيهم هـذه الآية قال ابن رشد والاظهر حمل الآية على كل اسير مسلما كان او كافرا انتهى يعني وان كان سبب نزولها ما ذكر فهي عامة فى كل اسير الى يوم القيامة وقال ابو سعيد الخدري قال النبي

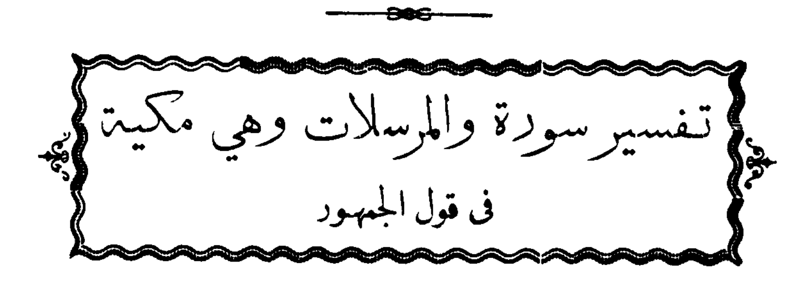
صلى الله عليه وسلم مسكينا قال فقيرا ويتيما قال لااب له واسيرا قال المملوك والمسجون واسند القشيري فى رسالته عن مالك عن نافع عن ابن عمر عن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل شيء مفتاح ومفتاح الجنة حب المساكين والفقراء الصُّبَّر هم جلساء الله يوم القيامة انتهى وروى الترمذي عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اللهم احينى مسكينا وامتنى مسكينا واحشرنى فى زمرة المساكين يوم القيامة فقالت عائشة لم يا رسول الله قال انهم يدخلون الجنة قبل اغنيائهم باربعين خريفا يا عائشة لا تردى المسكين ولو بشق تمرة يا عائشة احبى المساكين وقربيهم فان الله يقربك يوم القيامة قال ابو عيسى هذا حديث غريب انتهى * وقوله انما نطعمكم الآية قال مجاهد وابن جبير ما تكلموا به ولكنه علمه الله من قلوبهم فاثنى عليهم ليرغب فى ذلك راغب ووصف اليوم بعبوس تجوز والقمطرير هو فى معنى العبوس والاربداد تقول اقمطر الرجل اذا جمع ما بين عينيه غضبا وقال ابن عباس يعبس الكافر يومئذ حتى يسيل ما بين عينيه كالقطران وعبر ابن عباس عن القمطرير بالطويل وعبر عنه غيره بالشديد وذلك كله قريب فى المعنى والنضرة جمال البشرة وذلك لايكون الا مع فرح النفس وقرة العين * وقوله بما صبروا عام فى الصبر عن الشهوات وعلى الطاعات والشدائد وفى هذا يدخل كل ما خصص المفسرون من صوم وفقر ونحوه * وقوله سبحانه لايرون فيها شمسا الآية عبارة عن اعتدال هوائها وذهاب ضرري الحر والقر والزمهرير اشد البرد والقطوف جمع قطف وهو العنقود من النخل والعنب ونحوه والقوارير الزجاج * وقوله تعالى من فضة يقتضى انها من زجاج ومن فضة وذلك متمكن لكونه من زجاج فى شفوفه ومن فضة فى جوهره وكذلك فضة الجنة شفافة قال القرطبي فى تذكرته وذلك ان لكل قوم من تراب ارضهم قواريرا وان تراب الجنة فضة

فهي قوارير من فضة قاله ابن عباس انتهى * وقوله تعالى قدروها تقديرا اي
على قدرريهم قاله مجاهـد او على قـدر الاكف قاله الربيع وضمير قدروها يعود
اما على الملائكة او على الطائفين او على المنعمين * وقوله سبحانـه عينـا فيها
تسمى سلسبيلا عينا بدل من كأس او من عين على القول الثاني وسلسبيلا قيل
هو اسم بمعنى السلس المنقاد الجرية وقال مجاهـد حـديدة الجرية وقال ءاخرون
سلسبيلا صفة لقوله عينا وتسمى بمعنى توصف وتشهر وكونه مصروفا مما يؤكـد
كونه صفة للعين لا اسما * وقوله تعالى حسبتهم لؤلؤا منثورا قال الامام الفخر
وفى كيفية التشبيه وجوه احدها انهم شبهوا فى حسنهم وصفاء الوانهم وانبثاثهم
فى مجالسهم ومنازلهم فى انواع الخدمة باللؤلؤ المنثور ولو كانوا صفا لشبهوا باللؤلؤ
المنظوم الاترى انـه تعالى قال ويطوف عليهم ولدان فاذا كانوا يطوفـون كانوا
متناثرين الثاني ان هذا من التشبيه العجيب لان اللؤلؤ اذا كان متفرقا يكون
احسن فى المنظر لوقوع شعاع بعضه على بعض الثالث انهم شبهوا باللؤلؤ الرطب
اذا نثر من صدفه لانه احسن واجمل انتهى * وقوله تعالى واذا رأيت ثَم قال
الفراء التقدير واذا رأيت ما ثم رأيت نعيما فحذفت ما وكررت الرؤية مبالغة وملكا
كبيرا وهو ان ادناهم منزلة ينظر فى ملكه مسيرة الف عام يرى اقصاه كما يرى ادناه
وخرجه الترمذي وفى الترمذي ايضا من رواية ابى سعيد قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ادنى اهل الجنة الذى له ثمانون الف خادم واثنتان وسبعون زوجة
وتنصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية الى صنعاء انتهى وقال
سفيان الملك الكبير هو استيذان الملائكة وتسليمهم عليهم وتعظيمهم لهم قال
الثعلبي قال محمد بن علي الترمذي يعنى ملك التكوين اذا ارادوا شيأ كان انتهى
(ت) وجميع ما ذكر داخل فى الملك الكبير وقرأ نافع وحمزة عاليهم وقرأ الباقون
عاليهم بالنصب والمعنى فوقهم قال الثعلبي وتفسير ابن عباس قال اما رأيت الرجل

عليه ثياب يعلوها افضل منها انتهى وقرأ حمزة والكسائي خضر واستبرق بالخفض فيهما وباقي الآية بين * وقوله سبحانه انا نحن نزلنا عليك القرءان الآية تثبيت للنبي صلى الله عليه وسلم وتقوية لنفسه على اذى قريش والآثم هنا هو الكفور واللفظ ايضا يقتضي نهي الامام عن طاعة آثم من العصاة اوكفور بالله ثم امره تعالى بذكر ربه دأبا بكرة واصيلا ومن الليل بالسجود والتسبيح الذي هو الصلاة ويحتمل ان يريد قول سبحان الله قال ابن زيد وغيره كان هذا فرضا ثم نسخ وقال آخرون هو محكم على وجه الندب وقال ابن العربي في احكامه اما قوله تعالى وسبحه ليلا طويلا فانه عبارة عن قيام الليل وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعله كما تقدم وقد يحتمل ان يكون هذا خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد الجميع ثم نسخ عنا وبقي عليه صلى الله عليه وسلم والاول اظهر انتهى * وقوله ان هؤلاء يعنى كفار قريش يحبون العاجلة يعنى الدنيا واعلم ان حب الدنيا رأس كل خطيئة وفى الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ازهد فى الدنيا يحبك الله وازهد فيما عند الناس يحبك الناس رواه ابن ماجه وغيره باسانيد حسنة قال ابن الفاكهاني قال القاضى ابو الوليد ابن رشد واما الباعث على الزهد فخمسة اشياء احدها انها فانية شاغلة للقلوب عن التفكر فى امر الله تعالى والثانى انها تنقص عند الله درجات من ركن اليها والثالث ان تركها قربة من الله تعالى وعلومرتبة عنده فى درجات الآخرة والرابع طول الحبس والوقوف فى القيامة للحساب والسؤال عن شكر النعيم والخامس رضوان الله تعالى والامن من سخطه وهو اكبرها قال الله عز وجل ورضوان من الله اكبر قال ابن الفاكهاني ولو لم يكن فى الزهد فى الدنيا الاهذه الخصلة التي هي رضوان الله تعالى لكان ذلك كافيا فنعوذ بالله من ايثار الدنيا على ذلك وقد قيل من سمي باسم الزهد فقد سمي بالف اسم ممدوح هذا مع

ما للزاهدين من راحة القلب والبدن فى الدنيا والآخرة فالزهاد هم الملوك فى الحقيقة وهم العقلاء لايثارهم الباقي على الفانى وقد قال الشافعية لو اوصي لاعقل الناس صرف الى الزهاد انتهى من شرح الاربعين حديثا ولفظ ابي الحسن الماوردي وقد قيل العاقل من عقل عن الله امره ونهيه حتى قال اصحاب الشافعي فيمن اوصى بثلث ماله لاعقل الناس انه يكون مصروفا للزهاد لانهم انقادوا للعقل ولم يغتروا بالامل انتهى والأسر الخلقة واتساق الاعضاء والمفاصل وعبارة البخاري اسرهم شدة الخلق وكل شيء شددته من قتب او غبيط فهو ما سور والغبيط شيء يركبه النساء شبه المحفة انتهى قال (ع) ومن اللفظة الاسار وهو القيد الذى يشد به الاسير ثم توعدهم سبحانه بالتبديل وفى الوعيد بالتبديل احتجاج على منكرى البعث اي من هذه قدرته فى الايجاد والتبديل فكيف تتعذرعليه الاعادة وقال الثعلبي بدلنا امثالهم تبديلا قال ابن عباس يقول اهلكناهم وجئنا باطوع لله منهم انتهى * وقوله تعالى ان هذه تذكرة القول فيها كالتى فى سورة المزمل * وقوله سبحانه فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا كلام واضح لا يفتقر الى تفسير جعلنا الله ممن اهتدى بانواره وعمت عليه بركته فى افعاله واقواله قال الباجي قال بعض اهل داود الطاءي قلت له يوما انك قد عرفت فاوصنى قال فدمعت عيناه ثم قال يا اخي انما الليل والنهار مراحل يرحلها الناس مرحلة مرحلة حتى تنتهي بهم الى اخر سفرهم فان استطعت ان تقدم من اول مرحلة زادا لما بين يديك فافعل فان انقطاع السفر قريب والامر اعجل من ذلك فتزود لسفرك واقض ما انت قاض من امرك فكان بالامر قد بغتك ثم قام وتركنى انتهى من سنن الصالحين * وقوله تعالى وما تشاءون الا ان يشاء الله نفي لقدرتهم على الاختراع وايجاد المعانى فى نفوسهم ولا يرد هذا وجود مالهم من الاكتساب وقرأ عبد الله وما تشاءون الا ما شاء الله * وقوله تعالى عليما

حكيما معناه يعلم مـا ينبغى ان ييسر عبده اليه وفى ذلك حكمة لا يعلمها الاهو سبحانـه



تفسير سورة والمرسلات وهي مكية في قول الجمهور

وقيل فيها من المدني قوله تعالى واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون قال ابن مسعود نزلت هـذه السورة ونحن مع النبي صلى الله عليه وسلم بحراء الحديث

* بسم الله الرحمـن الرحيم *

قـوله تعالى والمرسلات عرفا يعنى الرياح يتبع بعضها بعضا قاله ابن عباس وابن مسعود ومجاهد وقتادة وقيل المرسلات الملائكة وقيل جماعات الانبياء وعرفا معناه افضالا مـن الله تعالى ويحتمل ان يريد بقوله عرفا اي متتابعة ويحتمل ان يريد بالامر المعروف ويحتمل ان يكون عرفا بمعنى والمرسلات الرياح التى يعرفها الناس ويعهدونها ثم عقب بذكر الصنف الضار منها وهي العاصفات الشديدة القاصفة للشجر وغيره واختلف فى قوله والناشرات فقال ابن مسعود والحسن ومجاهد وقتادة هي الرياح تنشر رحمة الله ومطره وقيل الملائكة وقيل غير هذا والفارقات قال ابن عباس وغيره هي الملائكة تفرق بين الحق والباطل والحلال والحرام وقيل هي ءايات القرءان واما الملقيات ذكرا فهي فى قول الجمهور الملائكة وقال ءاخرون هي الرسل والذكر الكتب المنزلة والشرائع ومضمناتها والمعنى ان الذكر يلقى باعذار وانذار * وقوله تعالى انما توعدون لواقع

هو الجواب الذى وقع عليه القسم والاشارة الى البعث واحوال القيامة والطمس محو الاثر فطمس النجوم ذهاب ضوءها وفرج السماء هو بانفطارها وانشقاقها * واذا الرسل اقتت اي جمعت لميقات يوم معلوم وقرأ ابو عمرو وحده وقتت والواو هي الاصل لانها من الوقت والهمزة بدل قال الفراء كل واو انضمت وكانت ضمتها لازمة جاز ان تبدل منها همزة انتهى * وقوله تعالى لايى يوم اجلت تعجيب وتوقيف على عظم ذلك اليوم وهوله ثم فسر ذلك بقوله ليوم الفصل يعنى بين الخلق فى منازعتهم وحسابهم ومنازلهم من جنة او نار ومن هذه الآية انتزع القضاة الآجال فى الحكومات ليقع فصل القضاء عند تمامها ثم عظم تعالى يوم الفصل بقوله وما ادراك ما يوم الفصل على نحو قوله وما ادراك ما الحاقة وغير ذلك ثم اثبت الويل للمكذبين والويل هو الحرب والحزن على نوائب تحدث بالمرء ويروى انه واد فى جهنم * وقوله عز وجل الم نهلك الاولين ثم نتبعهم الآخرين الآية قرأ الجمهور نتبعهم بضم العين على استيناف الخبر وروي عن ابى عمرو نتبعهم بجزم العين عطفا على نهلك وهي قراءة الاعرج فمن قرأ الاولى جعل الاولين الامم التى تقدمت قريشا باجمعها ثم اخبر انه يتبع الآخرين من قريش وغيرهم سنن اولائك اذا كفروا وسلكوا سبيلهم ومن قرأ الثانية جعل الاولين قوم نوح وابراهيم ومن كان معهم والآخرين قوم فرعون وكل من تأخر وقرب من مدة النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال كذلك نفعل بالمجرمين اي فى المستقبل فيدخل هنا قريش وغيرها واما تكرار قوله تعالى ويل يومئذ للمكذبين فى هذه السورة فقيل ذلك لمعنى التاكيد فقط وقيل بل فى كل ءاية منها ما يقتضى التصديق فجاء الوعيد على التكذيب بذلك الذى فى الآية والماء المهين معناه الضعيف والقرار المكين الرحم وبطن المرأة والقدر المعلوم هو وقت الولادة ومعناه معلوم عند الله وقرأ نافع والكسائي فقدرنا

بتشديد الدال والباقون بتخفيفها وهما بمعنى من القدرة والقدر ومن التقدير والتوقيت (ت) وفى كلام (ع) تلفيف وقال غيره فقدرنا بالتشديد من التقدير وبالتخفيف من القدرة وهو حسن * وقوله القادرون يُرجح قراءة الجماعة الا ان ابن مسعود روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه فسر القادرون بالمقدرين والكفات الستر والوعاء الجامع للشيء باجماع تقول كفت الرجل شعره اذا جمعه بخرقة والارض تكفت الاحياء على ظهرها وتكفت الاموات فى بطنها وخرج الشعبي الى جنازة فنظر الى الجبانة فقال هذه كفات الموتى ثم نظر الى البيوت فقال وهذه كفات الاحياء قال (ع) ولما كان القبر كفاتا كالبيت قطع من سرق منه والرواسى الجبال والشوامخ المرتفعة والفرات الصافى العذب والضمير فى قوله انطلقوا هو للمكذبين الذين لهم الويل ثم بين المنطلق اليه قال عطاء الظل الذى له ثلاث شعب هو دخان جهنم وقال ابن عباس هذه المخاطبة تقال يومئذ لعبدة الصليب اذا اتبع كل احد ما كان يعبد فيكون المومنون فى ظل الله ولا ظل الا ظله ويقال لعبدة الصليب انطلقوا الى ظل معبودكم وهو الصليب له ثلاث شعب ثم نفى تعالى عنه محاسن الظل والضمير فى انها لجهنم ترمى بشرر كالقصر اي مثل القصور من البنيان قاله ابن عباس وجماعة من المفسرين وقال ابن عباس ايضا القصر خشب كنا فى الجاهلية ندخره للشتاء وقرأ ابن عباس كالقصر بفتح الصاد جمع قصرة وهي اعناق النخل والابل وقال ابن عباس جذور النخل واختلف فى الجمالات فقال جمهور من المفسرين هي جمع جمال كرجال ورجالات وقال ءاخرون اراد بالصفر السود وقال جمهور الناس بل الصفر الفاقعة لانها اشبه بلون الشرر وقال ابن عباس الجمالات حبال السفن وهي الحبال العظام اذا جمعت مستديرة بعضها الى بعض وقرأ ابن عباس جمالة بضم الجيم من الجملة لامن الجمل ثم خاطب تعالى نبيه عليه السلام بقوله هذا

يوم لا ينطقون الآية وهذا فى موطن خاص اذ يوم القيامة هو مواطن * وقوله تعالى هذا يوم الفصل جمعناكم مخاطبة للكفار يومئذ ثم وقفهم بقوله فان كان لكم كيد فكيدون اي ان كان لكم حيلة او مكيدة تنجيكم فافعلوها ثم ذكر سبحانه حالة المتقين وما اعدلهم والظلال فى الجنة عبارة عن تكاثف الاشجار وجودة المبانى والافلا شمس توذى هناك حتى يكون ظل يجير من حرها * وقوله تعالى كلوا وتمتعوا استيناف خطاب لقريش على معنى قل لهم يا محمد وهذه صيغة امر معناها التهديد والوعيد ومن جعل هذه الآية مدنية قال هي فى المنافقين * وقوله تعالى واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون قال قتادة والجمهور هذه حال كفار قريش فى الدنيا يدعوهم النبي صلى الله عليه وسلم فلا يجيبون وذكر الركوع عبارة عن جميع الصلاة وقيل هي حكاية حال المنافقين فى الآخرة يوم يدعون الى السجود فلا يستطيعون على ما تقدم قاله ابن عباس وغيره * وقوله تعالى فباي حديث بعده يومنون يؤيد ان الآية كلها فى قريش والمراد بالحديث هنا القرءان وروي عن يعقوب انه قرأ تومنون بالتاء من فوق على المواجهة ورويت عن ابن عامر

تفسير سورة عم يتساءلون وهي مكية باجماع

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله عز وجل عم يتساءلون اصل عم عن ما ادغمت النون فى الميم لاشتراكهما فى الغنة فبقي عما فى الخبر وفى الاستفهام ثم حذفوا الالف فى الاستفهام فرقا بينه وبين الخبر

ثم من العرب من يخفف الميم فيقول عم وهـذا الاستفهام بعم استفهام توقيف وتعجيب والنبأ العظيم قال ابن عباس وقتادة هو الشرع الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وقال مجاهد هو القرءان خاصة وقال قتادة ايضا هو البعث من القبور والضمير فى يتساءلون لكفار قريش ومن نحا نحوهم واكثر النحاة ان قوله عن النبأ العظيم متعلق بيتساءلون وقال الزجاج الكلام تام فى قوله عم يتساءلون ثم كان مقتضى القول ان يجيب مجيب فيقول يتساءلون عن النبأ العظيم وله امثلة فى القرءان اقتضاها ايجاز القرءان وبلاغته واختلافهم هو شك بعض وتكذيب بعض وقولهم سحر وكهانة الى غير ذلك من باطلهم * وقوله تعالى كلا سيعلمون رد على الكفار فى تكذيبهم ووعيد لهم فى المستقبل وكرر عليهم الزجر والوعيد تاكيدا والمعنى سيعلمون عاقبة تكذيبهم ثم وقفهم تعالى ودلهم على ءاياته وغرائب مخلوقاته وقدرته التى توجب للناظر فيها الاقرار بالبعث والايمان بالله تعالى (ت) وفى ضمن ذلك تعديد نعمه سبحانه التى يجب شكرها والمهاد الفراش الممهد وشبه الجبال بالاوتاد لانها تمنع الارض ان تميد بهم * وخلقناكم ازواجا اي انواعا والسبات السكون وسبت الرجل معناه استراح وروينا فى سنن ابى داود عن معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم يبيت على ذكر الله طاهرا فيتعارّ من الليل فيسأل الله تعالى خيرا من امور الدنيا والآخرة الا اعطاه الله اياه وروى ابو داود عن بعض ءال ام سلمة قال كان فراش النبي صلى الله عليه وسلم نحوا مما يوضع الانسان فى قبره وكان المسجد عند رأسه انتهى ولباسا مصدر وكانّ الليل كذلك من حيث يغشى الاشخاص فهي تلبسه وتتدرعه والنهار معاشا على حذف مضاف او على النسب والسبع الشداد السموات والسراج الشمس والوهاج الحار المضطرم الاتقاد المتعالى اللهب قال ابن عباس وغيره المعصرات السحائب القاطرة وهو

ماخوذ من العصر لان السحاب ينعصر فيخرج منه الماء وهذا قول الجمهور والثجاج السريع الاندفاع كما يندفع الدم من عروق الذبيحة ومنه قوله صلى الله عليه وسلم وقد قيل له ما افضل الحج فقال العج والثج اراد التضرع الى الله تعالى بالدعاء الجهير وذبح الهدي والفافا اي ملتفة الاغصان والاوراق ويوم الفصل هو يوم القيامة والافواج الجماعات يتلو بعضها بعضا وفتحت السماء بتشديد التاء قراءة نافع وابي عمرو وابن كثير وابن عامر والباقون دون تشديد * وقوله تعالى فكانت ابوابا قيل معناه تتشقق حتى يكون فيها فتوح كالابواب فى الجدرات وقيل انها تتقطع السماء قطعا صغارا حتى تكون كالواح الابواب والقول الاول احسن وقد قال بعض اهل العلم تنفتح فى السماء ابواب للملائكة من حيث ينزلون ويصعدون * وقوله تعالى فكانت سرابا عبارة عن تلاشيها بعد كونها هباء منبثا ومرصادا موضع الرصد وقيل مرصادا بمعنى راصد والاحقاب جمع حقب وهي المدة الطويلة من الدهر غير محدودة وقال ابن عباس وابن عمر الحقب ثمانون سنة وقال ابو امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه ثلاثون الف سنة وقد اكثر الناس فى هذا واللازم ان الله تعالى اخبر عن الكفار انهم يلبثون احقابا كلما مرحقب جاء غيره الى غير نهاية نجانا الله من سخطه قال الحسن ليس للاحقاب عدة الا الخلود فى النار * وقوله سبحانه لا يذوقون فيها بردا الآية قال الجمهور البرد فى الآية مس الهواء البارد اي لايمسهم منه ما يستلذ وقال ابو عبيدة وغيره البرد فى الآية النوم والعرب تسميه بذلك لانه يبرد سورة العطش وقال ابن عباس البرد الشراب البارد المستلذ وقال قتادة وجماعة الغساق هو ما يسيل من اجسام اهل النار من صديد ونحوه * وقوله تعالى وفاقا معناه لاعمالهم وكفرهم ولا يرجون قال ابو عبيدة وغيره معناه لا يخافون وقال غيره الرجاء هنا على بابه وكذابا مصدر لغة فصيحة

يمانية وعن ابن عمر قال ما نزلت فى اهل النار ءاية اشد من قوله تعالى فذوقوا فلن نزيدكم الاعذابا ورواه ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم والحدائق هي البساتين عليها حلق وحظائر وجدرات البخاري وكواعب اي نواهد انتهى والدهاق المترعة فيما قال الجمهور وقيل الصافية وقال مجاهد متتابعة وعبارة البخاري وقال ابن عباس دهاقا ممتلئة انتهى وكذابا مصدر وهو الكذب * وقوله عطاء حسابا اي كافيا قاله الجمهور من قولهم احسبني هذا الامر اي كفاني ومنه حسبي الله وقال مجاهد حسابا معناه بتقسيط فالحساب على هذا بموازنة اعمال القوم اذ منهم المكثر من الاعمال والمقل ولكل بحسب عمله * وقوله تعالى لايملكون الضمير للكفار اي لايملكون من افضاله واجماله سبحانه ان يخاطبوه بمعذرة ولا غيرها وهذا ايضا فى موطن خاص * وقوله تعالى يوم يقوم الروح اختلف فى الروح المذكور هنا فقال الشعبي والضحاك هو جبريل عليه السلام وقال ابن مسعود هو ملك عظيم اكبر الملائكة خلقة يسمى الروح وقال ابن زيد هو القرءان وقال مجاهد الروح خلق على صورة بنى ءادم ياكلون ويشربون وقال ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم الروح خلق غير الملائكة هم حفظة للملائكة كما الملائكة حفظة لنا وقيل الروح اسم جنس لارواح بنى ءادم والمعنى يوم تقوم الارواح فى اجسادها اثر البعث ويكون الجميع من الانس والملائكة صفا ولا يتكلم احد منهم هيبة وفزعا الا من اذن له الرحمن من ملك اونبي وكان اهلا ان يقول صوابا فى ذلك الموطن وقال البخاري صوابا حقا فى الدنيا وعمِل به انتهى وفى قوله فمن شاء اتخذ الى ربه مئابا وعد ووعيد وتحريض والعذاب القريب هو عذاب الآخرة اذ كل آت قريب وقال ابو هريرة وعبد الله بن عمر ان الله تعالى يحضر البهائم يوم القيامة فيقتص لبعضها من بعض ثم يقول لها بعد ذلك كوني ترابا فيعود جميعها ترابا فعند ذلك يقول الكافر ياليتني كنت ترابا (ت)

واعلم رحمك الله انى لم اقف على حديث صحيح فى عودها ترابا وقد نقل الشيخ ابو العباس القسطلاني عن الشيخ ابى الحكم بن ابى الرجال انكار هذا القول وقال ما نفث روح الحياة فى شيء ففني بعد وجوده وقد نقل الفخر هنا عن قوم بقاءها وان هذه الحيوانات اذا انتهت مدة اعراضها جعل الله كل ما كان منها حسن الصورة ثوابا لاهل الجنة وما كان قبيح الصورة عقابا لاهل النار انتهى والمعول عليه فى هذا النقل فان صح فيه شيء عن النبي صلى الله عليه وسلم وجب اعتقاده وصير اليه والا فلا مدخل للعقل هنا والله اعلم

تفسير سورة والنازعات وهي مكية باجماع

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله عز وجل والنازعات غرقا قال ابن عباس وابن مسعود النازعات الملائكة تنزع نفوس بنى ءادم وغرقا على هذا القول اما ان يكون مصدرا بمعنى الاغراق والمبالغة فى الفعل واما ان يكون كما قال علي وابن عباس تغرق نفوس الكفرة فى نار جهنم وقيل غير هذا واختلف فى الناشطات فقال ابن عباس ومجاهد هي الملائكة تنشط النفوس عند الموت اي تحلها كحل العقال وتنشط بامر الله الى حيث شاء وقال ابن عباس ايضا الناشطات النفوس المومنة تنشط عند الموت للخروج (ت) زاد الثعلبي عنه وذلك انه ليس مومن يحضره الموت الا عرضت عليه الجنة قبل ان يموت فيرى فيها اشباها من اهله وازواجه من الحور العين فهم يدعونه اليها فنفسه اليهم نشيطة ان تخرج فتاتيهم انتهى وقيل غير هذا واختلف فى السابحات هنا فقيل هي النجوم وقيل هي الملائكة لانها

تتصرف فى الآفاق بامر الله وقيل هي الخيل وقيل هي السفن وقيل هي الحيتان ودواب البحر والله اعلم واختلف فى السابقات فقيل هي الملائكة وقيل الرياح وقيل الخيل وقيل النجوم وقيل المنايا تسبق الآمال واما المدبرات فهي الملائكة قولا واحدا فيما علمت تدبر الامور التى سخرها الله لها وصرفها فيها كالرياح والسحاب وغير ذلك والراجفة النفخة الاولى والرادفة النفخة الاخيرة وقال ابن زيد الراجفة الموت والرادفة الساعة وفى جامع الترمذي عن ابي بن كعب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذهب ثلثا الليل قام فقال يا ايها الناس اذكروا الله اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه جاء الموت بما فيه الحديث قال ابو عيسى هـذا حديث حسن انتهى وقد اتى بـه (ع) هنا وقال اذا ذهب ربع الليل والصواب مـا تقدم ثم اخبر تعالى عن قلوب تجف فى ذلك اليوم اي ترتعد خوفا وفرقا من العذاب واختلف فى جواب القسم اين هو فقال الزجاج والفراء هو محذوف دل عليه الظاهر تقديره لتبعثن ونحوه وقال ءاخرون هـو موجـود فى جملة قوله تعالى يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة قلوب يومئذ واجفة كانه قال لتجفن قلوب قوم يوم كذا * وقوله تعالى يقولون أئنـا لمردودون فى الحافرة حكاية حالهم فى الدنيا والمعنى هم الذين يقولون والحافرة قال مجاهـد والخليل هي الارض حافرة بمعنى محفورة والمراد القبور والمعنى ائنا لمردودون احياء فى قبورنا وقيل غير هذا ونخرة معناه بالية وقرأ حمزة ناخرة بالف والناخرة المصوتة بالريح المجوفة وحكي عن ابى عبيدة وغيره ان الناخرة والنخرة بمعنى واحد وقولهم تلك اذا كرة خاسرة اي اذ هي الى النار لتكذيبهم بالبعث وقال الحسن خاسرة معناه عندهم كاذبة اي ليست بكائنة ثم اخبر تعالى عن حال القيامة فقال انمـا هي زجرة واحـدة اي نفخة فى الصور فاذا هم بالساهرة وهي ارض المحشر * وقوله هل لك الى ان تزكى استدعاء

حسن والتزكى التطهر من النقائص والتلبس بالفضائل ثم فسر له موسى التزكي
الذى دعاه اليه بقوله واهديك الى ربك فتخشى والعلم تابع للهدى والخشية
تابعة للعلم انما يخشى الله من عباده العلماء والآية الكبرى العصا واليد قاله
مجاهد وغيره وادبر كناية عن اعراضه وقيل حقيقة قام موليا عن مجالسة موسى
فحشر اي جمع اهل مملكته وقول فرعون انا ربكم الاعلى نهاية فى السخافة
والمخرقة قال ابن زيد نكال الآخرة اي الدار الآخرة والاولى يعنى الدنيا اخذه
الله بعذاب جهنم وبالغرق وقيل غير هذا ثم وقفهم سبحانه مخاطبة منه تعالى
للعالم والمقصد الكفار فقال ءانتم اشد خلقا الآية والسمك الارتفاع الثعلبي
والمعنى أأنتم ايها المنكرون للبعث اشد خلقا ام السماء اشد خلقا ثم بين كيف
خلقها اي فالذى قدر على خلقها قادر على احيائكم بعد الموت نظيره او ليس
الذى خلق السموات والارض الآية انتهى واغطش معناه اظلم * وقوله تعالى
والارض بعد ذلك دحاها متوجه على ان الله خلق الارض ولم يدحها ثم استوى
الى السماء وهي دخان فخلقها وبناها ثم دحا الارض بعد ذلك ودحوها بسطها
وباقى الآية بين والطامة الكبري هي يوم القيامة قاله ابن عباس وغيره * فاما
من طغى اي تجاوز الحد وءاثر الحياة الدنيا على الآخرة لتكذيبه بالآخرة ومقام
ربه هو يوم القيامة وانما المراد مقامه بين يديه والهوى هو شهوات النفس وما
جرى مجراها المذمومة * وقوله تعالى يسئلونك عن الساعة يعنى قريشا قال
البخاري عن غيره ايان مرساها متى منتهاها ومرسى السفينة حيث تنتهى
انتهى ثم قال تعالى لنبيه على جهة التوقيف فيم انت من ذكراها اى من ذكر
تحديدها ووقتها اي لست من ذلك فى شيء انما انت منذر وباقى الآية بين
قال الفخر قوله تعالى كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها تفسير هذه
الآية هو كما ذكر فى قوله كانهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار

والمعنى ان ما انكروه سيرونه حتى كانهم كانوا ابـدا فيه وكانهم لم يلبثوا فى الدنيا الاساعة من نهار يريد لم يلبثوا الاعشية او ضحى يومها انتهى

تفسير سورة عبس وهي مكية باجماع

* بسم الله الرحمـن الرحيم *

قوله تعالى عبس وتولى ان جاءه الاعمى سببها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو بعض صناديد قريش ويقرأ عليه القرءان ويقول له هل ترى بما اقول بأسا فكان ذلك الرجل يقول لا والدُّمى يعنى الاصنام اذ جاء ابن ام مكتوم فقال يا رسول الله استدننى وعلمنى مما علمك الله فكان فى ذلك كله قطع لحديث النبي صلى الله عليه وسلم مع الرجل فلما شغب عليه ابن ام مكتوم عبس صلى الله عليه وسلم واعرض عنه فنزلت الآية قال سفيان الثوري فكان بعد ذلك اذا رأى ابن ام مكتوم قال مرحبا بمن عاتبنى فيه ربى عز وجل وبسط له رداءه واستخلفه على المدينة مرتين (ت) والكافر المشار اليه فى الآيـة هو الوليد بن المغيرة قاله ابن اسحاق انتهى ثم اكد تعالى عتب نبيه بقوله اما من استغنى اي بماله فانت له تصدى اي تتعرض * وقوله وهـو يخشى اي يخشى الله فانت عنه تلهى اي تشتغل تقول لهيت عن الشيء الهى اذا اشتغلت عنه وليس من اللهو وهذه الآية السبب فيها هذا ثم هي بعد تتناول من شاركهم فى هذه الاوصاف فحملة الشرع والعلم مخاطبون بتقريب الضعيف من اهل الخير وتقديمه على الشريف العارى من الخير مثل ما خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم فى

هـذه السورة قال عياض وليس فى قوله تعالى عبس وتولى الآية مـا يقتضى اثبات ذنب للنبي صلى الله عليه وسلم او انـه خالف امر ربـه سبحانه وانما فى الآية الاعلام بحال الرجلين وتوهين امر الكافر والاشارة الى الاعراض عنه انتهى قال السهيلي وانظر كيف نزلت الآية بلفظ الاخبار عن الغائب فقال عبس وتولى ولم يقل عبست وتوليت وهـذا يشبه حال العاتب المعرض ثم اقبل عليه بمواجهة الخطاب فقال وما يدريك لعله يزكى الآية علما منه سبحانه انه لم يقصد بالاعراض عن ابن ام مكتوم الا الرغبة فى الخير ودخول ذلك المشرك فى الاسلام اذ كان مثله يسلم باسلامه بشر كثير فكلم نبيه حين ابتدأ الكلام بما يشبه كلام المعرض عنه العاتب له ثم واجهه بالخطاب تانيسا له عليه السلام انتهى ثم قال تعالى كلا يا محمد ليس الامر كما فعلت ان هـذه السورة او القراءة او المعاتبة تذكرة وعبارة الثعلبي ان هـذه السورة وقيل هـذه الموعظة وقال مقاتل ءايات القرءان تذكرة اي موعظة وتبصرة للخلق فمن شاء ذكره اي اتعظ بـءاي القرءان وبما وعظتك وادبتك فى هذه السورة انتهى (ص) ذكره ذكّر الضمير لان التذكرة هي الذكر انتهى * وقوله تعالى فى صحف متعلق بقوله انها تذكرة وهذا يؤيد ان التذكرة يرادبها جميع القرءان والصحف هنا قيل انه اللوح المحفوظ وقيل صحف الانبياء المنزلة قال ابن عباس السفرة هم الملائكة لانهم كتبة يقال سفرت اي كتبت ومنه السفر وقال ابن عباس ايضا الملائكة سفرة لانهم يسفرون بين الله وبين انبيائه وفى البخاري سفرة الملائكة واحدهم سافر سفرت اصلحت بينهم وجعلت الملائكة اذا نزلت بوحي الله عز وجل وتاديته كالسفير الذى يصلح بين القوم انتهى قال (ع) ومن اللفظة قول الشاعر

ومـا ادع السفـارة بين قـومى * ومـا اسعى بغش ان مشيت

والصحف على هذا صحف عند الملائكة او اللوح * وقوله تعالى قتل الانسان

ما اكفره دعاء على اسم الجنس وهو عموم يراد به الانسان الكافر ومعنى قتل اي هو اهل ان يدعى عليه بهذا وقال مجاهد قتل معناه لعن وهذا تحكم (ت) ليس بتحكم وقد تقدم نحوه عن غير واحد * وقوله تعالى ما اكفره يحتمل معنى التعجب ويحتمل الاستفهام توبيخا وقيل الآية نزلت فى عتبة بن ابى لهب وذلك انه غاضب اباه فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فاسلم ثم ان اباه استصلحه واعطاه مالا وجهزه الى الشام فبعث عتبة الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال انى كافر برب النجم اذا هوى فدعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم وقال اللهم ابعث عليه كلبك حتى ياكله ثم ان عتبة خرج فى سفرة فجاء الاسد فاكله من بين الرفقة * وقوله تعالى من اي شيء خلقه استفهام على معنى التقرير على تفاهة الشيء الذى خلق الانسان منه فقدره اي جعله بقدر وحد معلوم ثم السبيل يسره قال ابن عباس وغيره هي سبيل الخروج من بطن امه وقال الحسن ما معناه ان السبيل هي سبيل النظر المؤدى الى الايمان * وقوله فاقبره معناه امر ان يجعل له قبر وفى ذلك تكريم له ليلا يطرح كسائر الحيوان * وقوله تعالى ثم اذا شاء يريد اذا بلغ الوقت الذى قد شاءه وهو يوم القيامة وانشره معناه احياه * وقوله تعالى كلا لما يقض اي لم يقض ما امره ثم امر الله تعالى الانسان بالعبرة والنظر الى طعامه والدليل فيه وكيف يسره له بهذه الوسائط والحب جمع حبة بفتح الحاء وهو كل ما يتخذه الناس ويربونه والحبة بكسر الحاء كل ما ينبت من البزور لا يحفل به ولا هو بمتخذ والقضب قيل هي الفصفصة وهذا عندى ضعيف لان الفصفصة للبهائم وهي داخلة فى الاب والذى اقول به ان القضب هنا هو كل ما يقضب لياكله ابن ءادم غضا من النبات كالبقول والهليون ونحوه فانه من المطموم جزء عظيم ولا ذكر له فى الآية الا فى هذه اللفظة والحديقة الشجر الذى قد احدق بجدار ونحوه والغلب الغلاظ الناعمة والاب

المرعى والكلا قاله ابن عباس وغيره وقد توقف فى تفسيره ابو بكر وعمر رضى الله عنهما ومتاعا نصب على المصدر والمعنى تتمتعون بـه انتم وانعامكم فابن ءادم فى السبعة المذكورة والانعام فى الاب والصاخة اسم من اسماء يوم القيامة (ص) قال الخليل الصاخة صيحة تصخ الآذان صخا اي تصمها لشدة وقعتها انتهى * وقوله تعالى يوم يفر المرء من اخيه الآية قال جمهور الناس انما ذلك لشدة الهول كل يقول نفسى نفسى وقيل فرارهم خوفا من المطالبات لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه عن اللقاء مع غيره ثم ذكر تعالى اختلاف الوجوه من المومنين الواثقين برحمة الله حين بدت لهم تباشيرها ومن الكفار حين علاها قترها ومسفرة معناه نيرة بادضوءها وسرورها والغبرة التى على الكفرة هي من العبوس كما يرى على وجه المهموم والميت والمريض شبه الغبار (ص) والقترسواد كالدخان ابو عبيدة هو الغبار انتهى ثم فسر سبحانه اصحاب هـذه الوجوه المغبرة بانهم الكفرة الفجـرة

تفسير سورة التكوير وهي مكية باجماع

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله سبحانه اذا الشمس كورت الآية هـذه كلها اوصاف يوم القيامة وتكوير الشمس هو ان تداركما يـدار كور العمامة ويذهب بها الى حيث شاء الله تعالى وعبر المفسرون عن ذلك بعبارات فمنهم من قال ذهب نورها قاله قتادة ومنهم من قال رمي بها قاله الربيع بن خثيم وغير ذلك مما هو اسماء توابع لتكويرها

وانكدار النجوم هو انقضاضها وهبوطها من مواضعها وقال ابن عباس انكدرت
تغيرت من قولهم ماء كدر والعشار جمع عُشَراء وهي الناقة التى قد مر لحملها
عشرة اشهر وهي انفس ما عند العرب وانما تعطل عند اشد الاهوال * واذا
البحار سجرت قال ابي بن كعب وابن عباس وغيرهما معناه اضرمت نارا كما
يسجر التنور ويحتمل ان يكون المعنى ملئت وقيدت فتكون اللفظة ماخوذة
من ساجور الكلب وقرأ ابن كثير وابو عمرو سجرت بتخفيف الجيم والباقون
بتشديدها وتزويج النفوس هو تنويعها لان الازواج هي الانواع والمعنى جعل
الكافر مع الكافر والمومن مع المومن وكل شكل مع شكله رواه النعمان بن
بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم وقاله عمر بن الخطاب وابن عباس وقال هذا
نظير قوله تعالى وكنتم ازواجا ثلاثة وفى الآية على هذا حض على خليل الخير
فقد قال عليه السلام المرء مع من احب وقال فلينظر احد كم من يخالل وعبارة
الثعلبي قال النعمان بن بشير قال النبي صلى الله عليه وسلم واذا النفوس زوجت
قال الضرباء كل رجل مع كل قوم كانوا يعملون عمله انتهى وقال مقاتل بن سليمان
معناه زوجت نفوس المومنين بزوجاتهن من الحور وغيرهن * وقوله تعالى واذا
المو·ودة سئلت المو·ودة اسم معناه المثقل عليها بالتراب وغيره حتى تموت وكان
هذا صنيع بعض العرب ببناتهم يدفنونهن احياء وقرأ الجمهور سئلت وهذا
على جهة التوبيخ للعرب الفاعلين ذلك واستدل ابن عباس بهذه الآية على ان
اولاد المشركين فى الجنة لان الله قد انتصر لهم ممن ظلمهم * واذا الصحف
نشرت قيل هي صحف الاعمال وقيل هي الصحف التى تتطاير بالايمان والشمائل
والكشط التقشير وذلك كما يكشط جلد الشاة حين تسلخ وكشط السماء هو
طيها كطي السجل وسعرت معناه اضرمت نارها وازلفت الجنة معناه قربت
ليدخلها المومنون الثعلبي قربت لاهلها حتى يرونها نظيره وازلفت الجنة للمتقين

غير بعيد علمت نفس عند ذلك ما احضرت من خير او شر وهو جواب لقوله اذا الشمس وما بعدها انتهى * وقوله تعالى فلا اقسم بالخنس لا اما زائدة واما ان تكون ردا لقول قريش فى تكذيبهم نبوة نبينا محمد عليه السلام ثم اقسم تعالى بالخنس الجوار الكنس وهي فى قول الجمهور الدراري السبعة الشمس والقمر وزحل وعطارد والمريخ والزهرة والمشترى وقال علي المراد الخمسة دون الشمس والقمر وذلك ان هذه الكواكب تخنس فى جريها اي تتقهقر فيما ترى العين وهي جوار فى السماء وهي تكنس فى ابراجها اي تستتر الثعلبي وقال ابن زيد تخنس اي تتأخر عن مطالعها كل سنة وتكنس بالنهار اي تستتر فلا ترى انتهى وعسعس الليل فى اللغة اذا كان غير مستحكم الاظلام قال الخليل عسعس الليل اذا اقبل وادبر وقال الحسن وقع القسم باقباله وقال ابن عباس وغيره بل وقع بادباره وقال المبرد اقسم باقباله وادباره معا وعبارة الثعلبي قال الحسن عسعس الليل اقبل بظلامه وقال ءاخرون ادبر بظلامه ثم قال والمعنيان يرجعان الى معنى واحد وهو ابتداء الظلام فى اوله وادباره فى ءاخره انتهى وتنفس الصبح اتسع ضوءه والضمير فى انه للقرءان والرسول الكريم فى قول الجمهور هو جبريل عليه السلام وقال ءاخرون هو النبي صلى الله عليه وسلم فى الآية كلها والقول الاول اصح وكريم صفة تقتضى رفع المذام ومكين معناه له مكانة ورفعة وقال عياض فى الشفا فى قوله تعالى مطاع ثم امين اكثر المفسرين على انه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم انتهى قال (ع) واجمع المفسرون على ان قوله تعالى وما صاحبكم يراد به النبي صلى الله عليه وسلم والضمير فى رءاه لجبريل عليه السلام وهذه الرؤية التى كانت بعد امر غار حراء وقيل هي الرؤية التى رءاه عند سدرة المنتهى * وقوله تعالى وما هو على الغيب بضنين بالضاد بمعنى ببخيل تبليغ ما قيل له كما يفعل الكاهن حين يعطى حلوانه وقرأ ابن كثير وابو عمرو

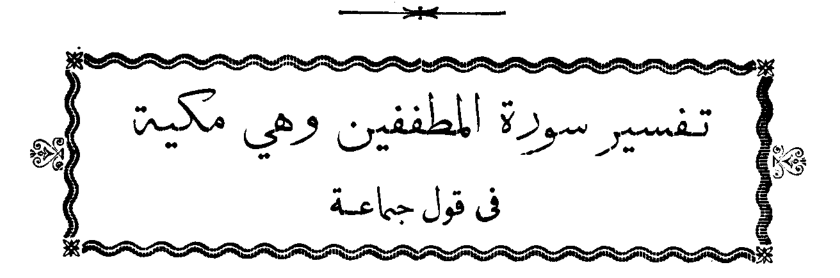
والكساءي بظنين بالظاء اي بمتهم ثم نفى سبحانه عن القرءان ان يكون كلام شيطان على ما قالت قريش ورجيم اي مرجوم * وقوله تعالى فاين تذهبون توقيف وتقرير والمعنى اين المذهب لاحد عن هذه الحقائق والبيان الذى فيه شفاء ان هو الاذكر اي تذكرة (ت) روى الترمذي عن ابن عمر قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من سره ان ينظر الى يوم القيامة كانه رأي عين فليقرأ اذا الشمس كورت واذا السماء انفطرت واذا السماء انشقت قال ابو عيسى هذا حديث حسن انتهى

تفسير سورة الانفطار وهي مكية باجماع

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله تعالى اذا السماء انفطرت اي انشقت واذا الكواكب انتثرت اي تساقطت واذا البحار فجرت قيل فجر بعضها الى بعض ويحتمل ان يكون تفجرت من اعاليها ويحتمل ان يكون تفجير تفريغ من قيعانها فيذهب الله ماءها حيث شاء وبكل قيل وبعثرة القبور نبشها عن الموتى * وقوله سبحانه علمت نفس هو جواب اذا ونفس هنا اسم جنس وقال كثير من المفسرين فى معنى قوله ما قدمت واخرت انها عبارة عن جميع الاعمال من طاعة او معصية * يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأها فقال غره جهله فسبحان الله ما ارحمه بعباده قال الثعلبي قال اهل الاشارة انما قال بربك الكريم دون سائر اسمائه تعالى وصفاته كانه لقنه جوابه حتى يقول غرنى كرمك انتهى

وقرأ الجمهور فعدلك وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا نظر الى الهلال قال ءامنت بالذى خلقك فسواك فعدلك وقرأ حمزة والكسائي وعاصم بتخفيف الدال والمعنى عدل اعضاءك بعضها ببعض اي وازن بينها * وقوله تعالى فى اي صورة ما شاء ركبك ذهب الجمهور الى ان فى متعلقة بركبك اي فى صورة حسنة او قبيحة او سليمة او مشوهة ونحو هذا وما فى قوله ما شاء ركبك زائدة فيها معنى التاكيد قال ابو حيان كلا ردع وزجر انتهى والدين هنا يحتمل ان يريد الشرع ويحتمل ان يريد الجزاء والحساب وباقى الآية واضح لمتأمله * وقوله تعالى يصلونها يوم الدين اي يوم الجزاء * وقوله تعالى وما هم عنها بغائبين قال جماعة معناه ما هم عنها بغائبين فى البرزخ وذلك انهم يرون مقاعدهم من النار غدوة وعشية فهم لم يزالوا مشاهدين لها نسأل الله العافية فى الدارين بجوده وكرمه ثم عظم تعالى قدر هول ذلك اليوم بقوله وما ادراك ما يوم الدين ثم ما ادراك ما يوم الدين الآية



تفسير سورة المطففين وهي مكية في قول جماعة

وقال ابن عباس وغيره هي مدنية وعنه نزل بعضها بمكة ونزل امر التطفيف بالمدينة

* بسم الله الرحمن الرحيم *

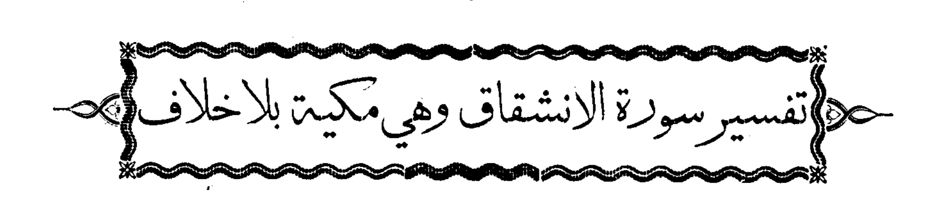
قوله تعالى ويل للمطففين الآية المطفف الذى ينقص الناس حقوقهم والتطفيف النقصان اصله من الشيء الطفيف وهو النزر والمطفف انما ياخذ بالميزان او

بالمكيال شيأ خفيفا واكتالوا على الناس معناه قبضوا منهم وكالوهم معناه قبّضوهم ويخسرون معناه ينقصون * وقوله سبحانـه الا يظن بمعنى يعلم ويتحقق وقال (ص) الا يظن ذكر ابو البقاء ان لا هنا هي النافية دخلت عليها همزة الاستفهام وليست ألا التى للتنبيه والاستفتاح لان مـا بعـد الا التنبيهية مثبت وهو هنا منفى انتهى وقيام الناس لرب العالمين يومئـذ يختلف الناس فيه بحسب منازلهم وروي انه يخفف عن المومن حتى يكون على قدر الصلاة المكتوبة وفى هذا القيام هو الجام العرق للناس كما صرح بـه النبي صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح والناس ايضا فيه مختلفون بالتخفيف والتشديد قال ابن المبارك فى رقائقه اخبرنا سليمان التيمي عن ابى عثمان النهدي عن سلمان قال تدنى الشمس من الناس يوم القيامة حتى تكون من رءوسهم قاب قوس او قاب قوسين فتعطى حر عشر سنين وليس على احد يومئـذ طحربة ولا ترى فيه عورة مومن ولا مومنة ولا يضر حرها يومئذ مومنا ولا مومنة واما الآخرون او قال الكفار فتطبخهم فانما تقول اجوافهم غق غق قال نعيم الطحربة الخرقة انتهى ونحو هذا للمحاسبي قال فى كتاب التوهم فاذا وافى الموقف اهل السموات السبع والارضين السبع كسيت الشمس حر عشر سنين ثم ادنيت من الخلائق قاب قوس او قاب قوسين فلا ظل فى ذلك اليوم الا ظل عرش رب العالمين فكم بين مستظل بظل العرش وبين واقف لحر الشمس قد اصهرته واشتد فيها كربه وقلقه فتوهم نفسك فى ذلك الموقف فانك لامحالة واحـد منهم انتهى اللهم عاملنا برحمتك وفضلك فى الدارين فانـه لا حول لنا ولا قوة الا بك * وقوله تعالى كلا ان كتاب الفجار يعنى الكفار وكتابهم يراد به الذى فيه تحصيل امرهم وافعالهم ويحتمل عندى ان يكون المعنى وعدادهم وكتاب كونهم هو فى سجين اي هنالك كتبوا فى الازل واختلف فى سجين ما هو والجمهور ان سجينا بناء

مبالغة من السجن قال مجاهد وذلك فى صخرة تحت الارض السابعة * وقوله تعالى وما ادراك ما سجين تعظيم لامر هـذا السجين وتعجيب منه ويحتمل ان يكون تقرير استفهام اي هـذا مما لم تكن تعلمه قبل الوحي وكتاب مرقوم على القول الاول مرتفع على خبران وعلى القول الثانى مرتفع على انـه خبر مبتدإ محذوف تقديره هو كتاب مرقوم ويكون هـذا الكلام مفسرا لسجين ما هو ومرقوم معناه مكتوب لهم بشر وباقى الآية بين ثم اوجب ان ما كسبوا من الكفر والعتو قد رانَ على قلوبهم اي غطى عليها فهم مع ذلك لا يبصرون رشدا يقال رانت الخمر على قلب شاربها وران الغشي على قلب المريض وكذلك الموت قال الحسن وقتادة الرين الذنب على الذنب حتى يموت القلب وروى ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الرجل اذا اذنب نكتت نكتة سوداء فى قلبه ثم كذلك حتى يتغطى فذلك الران الذى قال الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون قال الفخر قال ابو معاذ النحوي الرين سواد القلب من الذنوب والطبع ان يطبع على القلب وهواشـد مـن الرين والاقفال اشد مـن الطبع وهـو ان يقفل على القلب انتهى والضمير فى قوله تعالى انهم عـن ربهم للكفار اي هم محجوبون لا يرون ربهم قال الشافعي لما حجب الله قوما بالسخط دل على ان قوما يرونه بالرضى قال المحاسبي رحمه الله فى كتاب توبيخ النفس وينبغى للعبد المومن اذ ارأى القسوة من قلبه ان يعلم انها من الرين فى قلبه فيخاف ان يكون الله تعالى لما حجب قلبه عنهبالرين والقسوة ان يحجبه غـدا عـن النظر اليه قال تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون احداهما تتلو الاخرى ليس بينهما معنى ثالث فان اعترض للمريد خاطر من الشيطان ليقتطعه عن الخوف من الله تعالى حتى تحل بـه هاتان العقوبتان فقال انما نزلتا فى الكافرين فليقل فان الله لم يؤمن منهما كثيرا من

المومنين وقد حذر سبحانه المومنين ان يعاقبهم بما يعاقب به الكافرين فقال تعالى واتقوا النار التى اعدت للكافرين الى غير ذلك من الآيات انتهى ولما ذكر الله تعالى امر كتاب الفجار عقب ذلك بذكر كتاب ضدهم ليبين الفرق بين الصنفين واختلف فى الموضع المعروف بعليين ما هو فقال ابن عباس السماء السابعة تحت العرش وروي ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال الضحاك هو سدرة المنتهى وقال ابن عباس ايضا عليون الجنة * وقوله تعالى يشهده المقربون يعنى الملائكة قاله ابن عباس وغيره وينظرون معناه الى ما عندهم من النعيم والنضرةُ النعمة والرونق والرحيق الخمر الصافية ومختوم يحتمل انه يختم على كئوسه التى يشرب بها تهمما وتنظفا والظاهر انه مختوم شربه بالرائحة المسكية حسبما فسره قوله ختامه مسك قال ابن عباس وغيره خاتمة شربه مسك وقرأ الكساءي خاتَمه مسك ثم حرض تعالى على الجنة بقوله وفى ذلك فليتنافس المتنافسون * وقوله تعالى ومزاجه من تسنيم المزاج الخلط قال ابن عباس وغيره تسنيم اشرف شراب فى الجنة وهو اسم مذكر لماء عين فى الجنة وهي عين يشرب بها المقربون صرفا ويمزج رحيق الابرار بها وهذا المعنى فى صحيح البخاري وقال مجاهد ما معناه ان تسنيما مصدر من سَنّمت اذا علوت ومنه السنام فكانه عين قد عليت على اهل الجنة فهي تنحدر وقاله مقاتل وجمهور المتأولين ان منزلة الابرار دون منزلة المقربين وان الابرار هم اصحاب اليمين وان المقربين هم السابقون * وقوله يشرب بها بمعنى يشربها * وقوله سبحانه ان الذين اجرموا كانوا يعنى فى الدنيا يضحكون من المومنين روي ان هذه الآية نزلت فى صناديد قريش وضعفة المومنين والضمير فى مروا للمومنين ويحتمل ان يكون للكفار واما ضمير يتغامزون فهو للكفار لا يحتمل غير ذلك وفاكهين اي اصحاب فكاهة ونشاط وسرور باستخفافهم بالمومنين واما الضمير فى رأوا وفى قالوا فقال

الطبري وغيره هو للكفار وقال بعضهم بل المعنى بالعكس وانما المعنى واذا رأى المومنون الكفار قالوا ان هؤلاء لضالون وما ارسل المومنون حافظين على الكفار وهذا كله منسوخ على هذا التاويل (ت) والاول اظهر * وقوله تعالى على الارائك ينظرون اي الى اعدائهم فى النار قال كعب لاهل الجنة كوى ينظرون منها وقال غيره بينهم جسم عظيم شفاف يرون معه حالهم (ت) قال الهروي قوله تعالى على الارائك ينظرون قال احمد بن يحيى الاريكة السرير فى الحجلة ولا يسمى منفردا اريكة وسمعت الازهري يقول كل ما اتكئ عليه فهو اريكة انتهى هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون اي جزاء ما كانوا يفعلون وهل ثوب تقرير وتوقيف للنبي صلى الله عليه وسلم وامته



تفسير سورة الانشقاق وهي مكية بلا خلاف

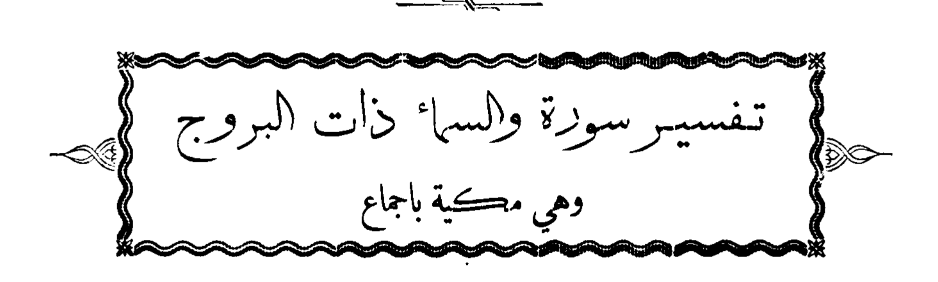
* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله تعالى اذا السماء انشقت الآية هذه اوصاف يوم القيامة واذنت معناه استمعت وسمعت امر ربها ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ما اذن الله لشيء اذنه لنبي يتغنى بالقرءان وحقت قال ابن عباس معناه وحق لها ان تسمع وتطيع ويحتمل ان يريد وحق لها ان تنشق لشدة الهول وخوف الله تعالى ومد الارض هي ازالة جبالها حتى لا يبقى فيها عوج ولا امت وفى الحديث تمد مد الاديم والقت ما فيها يعني من الموتى قاله الجمهور وخرج الختلي ابو القاسم اسحاق بن ابراهيم فى كتاب الديباج له بسنده عن نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله

عليه وسلم فى قوله عز وجل اذا السماء انشقت واذنت لربها وحقت قال فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اول من تنشق عنه الارض فاجلس جالسا فى
قبرى فيفتح لى باب الى السماء بحيال رأسى حتى انظر الى العرش ثم يفتح لى
باب من تحتى حتى انظر الى الارض السابعة حتى انظر الى الثرى ثم يفتح لى
باب عن يمينى حتى انظر الى الجنة ومنازل اصحابى وان الارض تحركت تحتى
فقلت ما لك ايتها الارض قالت ان ربى امرنى ان القي ما فى جوفى وان اتخلى
فاكون كما كنت اذ لا شيء في فذلك قول الله عز وجل والقت ما فيها وتخلت
واذنت لربها وحقت اي سمعت واطاعت وحق لها ان تسمع وتطيع الحديث
انتهى من التذكرة وتخلت معناه خلت عما كان فيها لم تتمسك منهم بشيء *
يا ايها الانسان انك كادح الآية الكادح العامل بشدة واجتهاد والمعنى انك
عامل خيرا او شرا وانت لامحالة ملاقيه اي فكن على حذر من هذه الحال
واعمل صالحا تجده واما الضمير فى ملاقيه فقال الجمهور هو عائد على الرب
تعالى وقال بعضهم هو عائد على الكدح (ت) وهو ظاهر الآية والمعنى ملاق
جزاءه والحساب اليسير هو العرض ومن نوقش الحساب هلك كذا فى الحديث
الصحيح وعن عائشة هو ان يعرف ذنوبه ثم يتجاوز عنه ونحوه فى الصحيح عن
ابن عمر انتهى وفى الحديث عن عائشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول فى بعض صلاته اللهم حاسبنى حسابا يسيرا فلما انصرف قلت يا رسول
الله ما الحساب اليسير قال ان ينظر فى كتابه ويتجاوز عنه انه من نوقش الحساب
يا عائشة يومئذ هلك وكل ما يصيب المومن يكفر الله عنه حتى الشوكة تشوكه
قال صاحب السلاح رواه الحاكم فى المستدرك وقال صحيح على شرط مسلم
انتهى وروى ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من حاسب نفسه فى
الدنيا هون الله عليه حسابه يوم القيامة قال عز الدين بن عبد السلام فى اختصاره

لرعاية المحاسبي اجمع العلماء على وجوب محاسبة النفس فيما سلف من الاعمال وفيما يستقبل منها فالكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله انتهى * وينقلب الى اهله اي الذين اعدهم الله له فى الجنة واما الكافر فروي ان يده تدخل من صدره حتى تخرج من وراء ظهره فياخذ كتابه بها * ويدعوا ثبورا معناه يصيح منتحبا واثبوراه واحزناه ونحو هذا والثبور اسم جامع للمكاره كالويل * وقوله تعالى انه كان فى اهله يريد فى الدنيا مسرورا اي تملكه ذلك لا يدرى الا السرور باهله دون معرفة ربه * وقوله تعالى انه ظن ان لن يحور معناه ان لن يرجع الى الله مبعوثا محشورا قال ابن عباس لم اعلم ما معنى يحور حتى سمعت امرأة اعرابية تقول لبنية لها حورى اي ارجعى (ص) بلى ايجاب بعد النفي اي بلى ليحورن اي ليرجعن انتهى * وقوله تعالى فلا اقسم بالشفق لا زائدة وقيل لا رد على اقوال الكفار والشفق الحمرة التى تعقب غيبوبة الشمس مع البياض التابع لها فى الاغلب ووسق معناه جمع وضم ومنه الوَسْق اي الأصْوُع المجموعة والليل يَسِق الحيوان جملة اي يجمعها ويضمها وكذلك جميع المخلوقات التى فى الارض والهواء من البحار والجبال والرياح وغير ذلك واتساق القمر كماله وتمامه بدرا والمعنى امتلا من النور وقرأ نافع وابو عمرو وابن عامر لتركبن بضم الباء والمعنى لتركبن الشدائد الموت والبعث والحساب حالا بعد حال وعن تجيء بمعنى بعد كما يقال ورث المجد كابرا عن كابر وقيل غير هذا وقرأ حمزة والكسائي وابن كثير لتركبن بفتح الباء على معنى انت يا محمد فقيل المعنى حالا بعد حال من معالجة الكفار وقال ابن عباس سماء بعد سماء فى الاسراء وقيل هي عدة بالنصر اي لتركبن امر العرب قبيلا بعد قبيل كما كان وفى البخاري عن ابن عباس لتركبن طبقا عن طبق حالا بعد حال هكذا قال نبيكم صلى الله عليه وسلم انتهى ثم قال تعالى فما لهم لا يومنون

اي ما حجتهم مع هذه البراهين الساطعة ويوعون معناه يجمعون من الاعمال والتكذيب كانهم يحملونها فى اوعية تقول وعيت العلم واوعيت المتاع وممنون معناه مقطوع



تفسير سورة والسماء ذات البروج

وهي مكية باجماع

* بسم الله الرحمن الرحيم *

الجمهور ان البروج هي المنازل التى عرفتها العرب وقد تقدم الكلام عليها واليوم الموعود هو يوم القيامة باتفاق كما جاء فى الحديث وانما اختلف الناس فى الشاهد والمشهود اختلافا كثيرا فقال ابن عباس الشاهد الله والمشهود يوم القيامة وقال الترمذي الشاهد الملائكة الحفظة والمشهود اي عليه الناس وقال ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة (ت) ولو صح لوجب الوقوف عنده * وقوله تعالى قتل اصحاب الاخدود معناه فعل الله بهم ذلك لانهم اهل له فهو على جهة الدعاء بحسب البشر لا ان الله يدعو على احد وقيل عن ابن عباس معناه لعن وهذا تفسير بالمعنى وقال الثعلبي قال ابن عباس كل شيء فى القرآن قتل فهو لعن انتهى وقيل هو اخبار بان النار قتلتهم قاله الربيع بن انس (ص) وجواب القسم محذوف اي والسماء ذات البروج لتبعثن وقال المبرد الجواب ان بطش ربك لشديد وقيل الجواب قتل واللام محذوفة اي لقتل واذا كان قتل هو الجواب فهو خبر انتهى وصاحب الاخدود مذكور فى

السير وغيرها وحديثه فى مسلم مطول وهو مالك دعا المومنين بالله الى الرجوع عن دينهم الى دينه وخدّ لهم فى الارض اخاديد طويلة واضرم لهم نارا وجعل يطرح فيها من لم يرجع عن دينه حتى جاءت امرأة معها صبي فتقاعست فقال لها الطفل يا امّه اصبرى فانك على الحق فاقتحمت النار * وقوله النار بدل من الاخدود وهو بدل اشتمال قال (ع) وقال الربيع بن انس وابو اسحاق وابو العالية بعث الله على اولائك المومنين ريحا فقبضت ارواحهم او نحو هذا وخرجت النار فاحرقت الكافرين الذين كانوا على حافتي الاخدود وعلى هذا يجيء قتل خبراً لادعاء * وقوله تعالى ان الذين فتنوا المومنين والمومنات الآية فتنوهم اي احرقوهم (ت) قال الهروي قوله تعالى فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق اي لهم عذاب لكفرهم وعذاب باحراقهم المومنين انتهى قال (ع) ومن قال ان هذه الآيات الاواخر فى قريش جعل الفتنة الامتحان والتعذيب ويقوى هذا التاويل بعض التقوية قوله تعالى ثم لم يتوبوا لان هذا اللفظ فى قريش اشبه منه فى اولائك والبطش الاخذ بقوة * وقوله انه هو يبدئى ويعيد قال الضحاك وابن زيد معناه يبدئى الخلق بالانشاء ويعيدهم بالحشر وقال ابن عباس ما معناه ان ذلك عام فى جميع الاشياء فهي عبارة على انه يفعل كل شيء اي يبدئى كل مايبدأ ويعيد كل ما يعاد وهذان قسمان يستوفيان جميع الاشياء والجنود الجموع وفرعون وثمود فى موضع خفض على البدل من الجنود ثم ترك القول بحاله واضرب عنه الى الاخبار بان هؤلاء الكفار بمحمد وشرعه لا حجة لهم ولا برهان بل هو تكذيب مجرد سببه الحسد ثم توعدهم سبحانه بقوله والله من ورائهم محيط اي عذاب الله ونقمته من ورائهم اي ياتى بعد كفرهم وعصيانهم وقرأ الجمهور فى لوح محفوظ بالخفض صفة للوح وقرأ نافع محفوظ بالرفع اي محفوظ فى القلوب لا يدركه الخطأ والتبديل

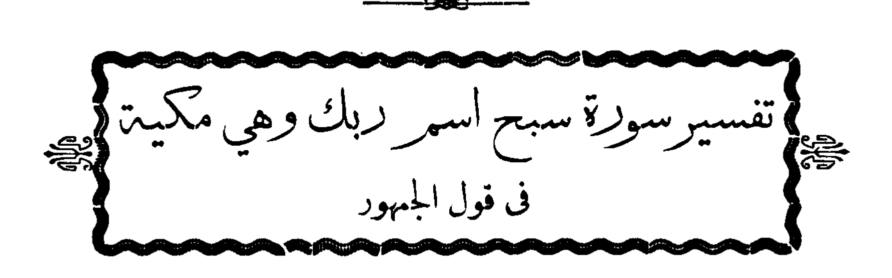
تفسير سورة والسماء والطارق وهي مكية بلا خلاف

* بسم الله الرحمن الرحيم *

اقسم الله تعالى بالسماء المعروفة فى قول الجمهور وقيل السماء هنا هو المطر والطارق الذى ياتى ليلا ثم فسر تعالى هذا الطارق بانه النجم الثاقب واختلف فى النجم الثاقب فقال الحسن بن ابى الحسن ما معناه انه اسم جنس لانها كلها ثاقبة اي ظاهرة الضوء يقال ثُقب النجم اذا اضاء وقال ابن زيد اراد نجما مخصوصا وهو زحل وقال ابن عباس اراد الجدي وقال ابن زيد ايضا هو الثريا وجواب القسم فى قوله ان كل نفس الآية وان هي المخففة من الثقيلة واللام فى لما لام التاكيد الداخلة على الخبر هذا مذهب حذاق البصريين وقال الكوفيون ان بمعنى ما النافية واللام بمعنى الا فالتقدير ما كل نفس الا عليها حافظ ومعنى الآية فيما قال قتادة وغيره ان على كل نفس مكلفة حافظا يحصى اعمالها ويعدها للجزاء عليها وقال ابو امامة قال النبي صلى الله عليه وسلم فى تفسير هذه الآية ان لكل نفس حفظة من الله يذبون عنها كما يذب عن قصعة العسل الذباب ولو وكل المرء الى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين * وقوله تعالى فلينظر الانسان مم خلق توقيف لمنكرى البعث على اصل الخلقة الدال على ان البعث جائز ممكن ثم بادر اللفظ الى الجواب اقتضابا واسراعا الى اقامة الحجة فقال خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب قال الحسن وغيره معناه من بين صلب كل واحد من الرجل والمرأة وترائبه وقال جماعة من بين صلب

الرجل وترائب المرأة والتَريبَة من الانسان ما بين الترقوة الى الثدي قال ابو عبيدة معلق الحلي الى الصدر وقيل غير هذا * وقوله تعالى انه على رجعه لقادر قال ابن عباس وقتادة المعنى ان الله على رد الانسان حيا بعد موته لقادر وهذا اظهر الاقوال هنا وابينها ودافق قال كثير من المفسرين هو بمعنى مدفوق والعامل فى يوم الرجعُ من قوله على رجعه * وتبلى السرائر معناه تختبر وتكشف بواطنها وروى ابو الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم ان السرائر التى يبتليها الله من العباد التوحيد والصلاة والزكاة والغسل من الجنابة قال (ع) وهذه معظم الامر وقال قتادة الوجه فى الآية العموم فى جميع السرائر ونقل ابن العربي فى احكامه عن ابن مسعود ان هذه المذكورات من الصلاة والزكاة والوضوء والوديعة كلها امانة قال واشد ذلك الوديعة تمثل له اي لمن خانها على هيئتها يوم اخذها فترمى فى قعر جهنم فيقال له اخرجها فيتبعها فيجعلها فى عنقه فاذا اراد ان يخرج بها زلت منه فيتبعها فهو كذلك دهر الداهرين انتهى (ت) قال ابو عبيد الهروي قوله تعالى يوم تبلى السرائر الواحدة سريرة وهي الاعمال التى اسرها العباد انتهى والرجع المطر وماؤه وقال ابن عباس الرجع السحاب فيه المطر قال الحسن لانه يرجع بالرزق كل عام وقال غيره لانه يرجع الى الارض والصدع النبات لان الارض تتصدع عنه والضمير فى انه للقرآن وفصل معناه جزم فصل الحقائق من الاباطيل والهزل اللعب الباطل ثم اخبر تعالى عن قريش انهم يكيدون فى افعالهم واقوالهم بالنبي عليه السلام واكيد كيدا وهذا على مامر من تسمية العقوبة باسم الذنب ورويدا معناه قليلا قاله قتادة وهذه حال هذه اللفظة اذا تقدمها شيء تصفه كقولك سيرا رويدا او تقدمها فعل يعمل فيها كهذه واما اذا ابتدأت بها فقلت رويدا يا فلان فهي بمعنى الامر بالتماهل (ص) رويدا ابو البقاء نعت لمصدر محذوف اي امهالا رويدا ورويدا تصغير رود وانشد ابو عبيدة

يمشي ولا تكلم البطحاء مشيته * كأنه ثمل يمشي على رود
اي على مهل ورفق انتهى


تفسير سورة سبح اسم ربك وهي مكية
في قول الجمهور

* بسم الله الرحمن الرحيم *

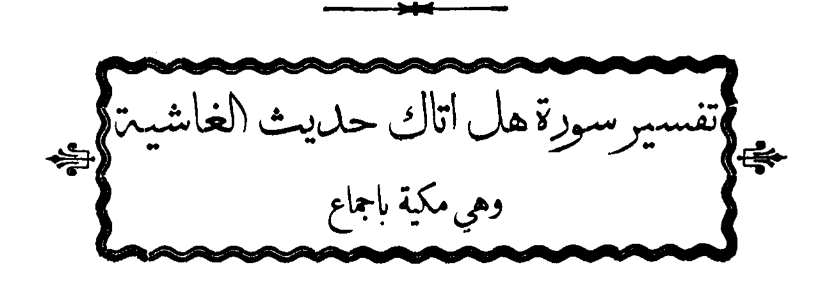
سبح في هذه الآية بمعنى نزه وقدس وقل جل سبحانه عن النقائص والغير جميعا وروى ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأ هذه الآية قال سبحان ربي الاعلى وكان ابن مسعود وابن عمر وابن الزبير يفعلون ذلك ولما نزلت قال النبي صلى الله عليه وسلم اجعلوها في سجودكم وعن سلمة بن الاكوع قال ما سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يستفتح دعاء الا استفتحه بسبحان ربي الاعلى الوهاب رواه الحاكم في المستدرك وقال صحيح الاسناد انتهى من سلاح المومن * وسوى معناه عدل واتقن * وقوله فهدى عام لوجوه الهدايات في الانسان والحيوان وقال الفراء معناه هدى واضل والعموم في الآية اصوب والمرعى النبات والغثاء ما يبس وجف وتحطم من النبات وهو الذي يحمله السيل والاحوى قيل هو الاخضر الذي عليه سواد من شدة الخضرة والغضارة فتقدير الآية الذي اخرج المرعى احوى اي اسود من خضرته وغضارته فجعله غثاء عند يبسه فاحوى حال وقال ابن عباس المعنى فجعله غثاء احوى اي اسود لان الغثاء اذا قدم واصابته الامطار اسود وتعفن فصار

احوى فهذا صفة * وقوله تعالى سنقرئك فلا تنسى قال الحسن وقتادة ومالك ابن انس هذه الآية فى معنى قوله تعالى لا تحرك به لسانك الآية وعده الله ان يقرئه واخبره انه لا ينسى نسيانا لا يكون بعده ذكر وقيل بل المعنى انه امره تعالى بان لا ينسى على معنى التثبيت والتاكيد وقال الجنيد معنى لا تنسى لا تترك العمل بما تضمن من امر ونهي * وقوله تعالى الا ما شاء الله قال الحسن وغيره معناه مما قضى الله بنسخه ورفع تلاوته وحكمه وقال ابن عباس الا ما شاء الله ان ينسيكه ليسن به على نحو قوله عليه السلام انى لا انسى او انسى لاسن قال (ع) ونسيان النبي صلى الله عليه وسلم ممتنع فيما امر بتبليغه اذ هو معصوم فاذا بلغه ووعي عنه فالنسيان جائز على ان يتذكر بعد ذلك او على ان يسن او على النسخ * وقوله تعالى ونيسرك لليسرى معناه نذهب بك نحو الامور المستحسنة فى دنياك وءاخرتك من النصر والظفر ورفعة الرسالة وعلو المنزلة يوم القيامة والرفعة فى الجنة ثم امره تعالى بالتذكير قال بعض الحذاق قوله تعالى ان نفعت الذكرى اعتراض بين الكلامين على جهة التوبيخ لقريش ثم اخبر تعالى انه سيذكر من يخشى الله والدار الآخرة وهم العلماء والمومنون كل بقدر ما وفق له ويتجنب الذكرى ونفعها من سبقت له الشقاوة * وتزكى معناه طهر نفسه ونماها بالخير ومن الاربعين حديثا المسندة لابى بكر محمد بن الحسين الآجري الامام المحدث قال فى ءاخرها وحديث تمام الاربعين حديثا وهو حديث كبير جامع لكل خير حدثنا ابو بكر جعفر بن محمد الفريابي املاء فى شهر رجب سنة سبع وتسعين ومائتين قال حدثنا ابراهيم بن هشام بن يحيى الغساني قال حدثنى ابى عن جدى عن ابى ادريس الخولاني عن ابى ذر قال دخلت المسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس فجلست اليه فقال يا اباذر للمسجد تحية وتحيته ركعتان قم فاركعهما قال فلما ركعتهما جلست اليه فقلت يا رسول الله انك

امرتني بالصلاة فما الصلاة قال خير موضوع فاستكثر اواستقلل الحديث وفيه
قلت يا رسول الله كم كتابا انزل الله عز وجل قال مائة كتاب واربعة كتب
انزل الله على شثت خمسين صحيفة وعلى خانوخ ثلاثين صحيفة وعلى ابراهيم
عشر صحائف وانزل على موسى قبل التوراة عشر صحائف وانزل التوراة
والانجيل والزبور والفرقان قال قلت يا رسول الله ما كانت صحف ابراهيم قالت
كانت امثالا كلها ايها الملك المسلط المبتلى المغرور انى لم ابعثك لتجمع الدنيا
بعضها على بعض ولكني بعثتك لترد عنى دعوة المظلوم فانى لا اردها ولو من
كافر وكان فيها امثال وعلى العاقل ان تكون له ساعة يناجى فيها ربه وساعة
يحاسب فيها نفسه وساعة يفكر فى صنع الله عز وجل اليه وساعة يخلو فيها
لحاجته من المطعم والمشرب وعلى العاقل ان لا يكون ظاعنا الا لثلاث تزود
لمعاد اومئونة لمعاش اولذة فى غير محرم وعلى العاقل ان يكون بصيرا بزمانه
مقبلا على شانه حافظا للسانه ومن حسب كلامه من عمله قل كلامه الا فيما
يعنيه قال قلت يا رسول الله فما كانت صحف موسى قال كانت عبرا كلها عجبت
لمن ايقن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن ايقن بالقدر ثم هو ينصب وعجبت
لمن رأى الدنيا وتقلبها باهلها ثم اطمأن اليها وعجبت لمن ايقن بالحساب غدا ثم لا
يعمل قال قلت يا رسول الله فهل فى ايدينا شيء مما كان فى ايدى ابراهيم
وموسى مما انزل الله عز وجل عليك قال نعم اقرأ يا اباذر قد افلح من تزكى
وذكر اسم ربه فصلى بل توثرون الحيوة الدنيا الى ءاخر هذه السورة يعنى ان
ذكر هذه الآيات لفى صحف ابراهيم وموسى قال قلت يا رسول الله فاوصنى
قال أوصيك بتقوى الله عز وجل فانه رأس امرك قال قلت يا رسول الله زدنى
قال عليك بتلاوة القرءان وذكر الله عز وجل فانه ذكر لك فى السماء ونور لك
فى الارض قال قلت يا رسول الله زدنى قال واياك وكثرة الضحك فانه يميت

القلب ويذهب بنور الوجه قال قلت يا رسول الله زدنى قال عليك بالجهاد فانه رهبانية امتى قال قلت يا رسول زدنى قال عليك بالصمت الا من خير فانه مطردة للشيطان وعون لك على امر دينك انتهى * وقوله تعالى وذكر اسم ربه اي وحده وصلى له الصلوات المفروضة وغيرها وقال ابو سعيد الخدري وغيره هذه الآية نزلت فى صبيحة يوم الفطر فتزكى ادى زكاة الفطر وذكر اسم ربه فى طريق المصلى وصلى صلاة العيد ثم اخبر تعالى الناس انهم يوثرون الحياة الدنيا وسبب الايثار حب العاجل والجهل ببقاء الآخرة وفضلها وروينا فى كتاب الترمذي عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استحيوا من الله حق الحياء قال فقلنا يا رسول الله انا نستحي والحمد لله قال ليس ذلك ولكن الاستحياء من الله حق الحياء ان تحفظ الرأس وما وعى وتحفظ البطن وما حوى ولتذكر الموت والبلى ومن اراد الآخرة ترك زينة الدنيا فمن فعل ذلك فقد استحي من الله حق الحياء انتهى قال الغزالي وايثار الحياة الدنيا طبع غالب على الانسان ولذلك قال تعالى بل توثرون الحيوة الدنيا ثم بين سبحانه ان الشر قديم فى الطباع وان ذلك مذكور فى الكتب السالفة فقال ان هذا لفى الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى انتهى من الاحياء * وقوله تعالى ان هذا قال ابن زيد الاشارة بهذا الى هذين الخبرين افلاح من تزكى وايثار الناس للدنيا مع فضل الآخرة عليها وهذا هو الارجح لقرب المشار اليه وعن ابي بن كعب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ فى الوتر بسبح اسم ربك الاعلى وقل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد فاذا سلم قال سبحان الملك القدوس ثلاث مرات يمد صوته فى الثالثة ويرفع رواه ابو داود والنساءي وهذا لفظه ورواه الدارقطني فى سننه ولفظه فاذا سلم قال سبحان الملك القدوس ثلاث مرات يمدبها صوته فى الاخيرة ويقول رب الملائكة والروح انتهى من السلاح قال

النووي وروينا فى سنن ابى داود والترمذي والنسائي عن علي رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول فى ءاخر وتره اللهم اني اعوذ برضاك من سخطك واعوذ بمعافاتك من عقوبتك واعوذ بك منك لا احصى ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك قال الترمذي حديث حسن انتهى



تفسير سورة هل اتاك حديث الغاشية

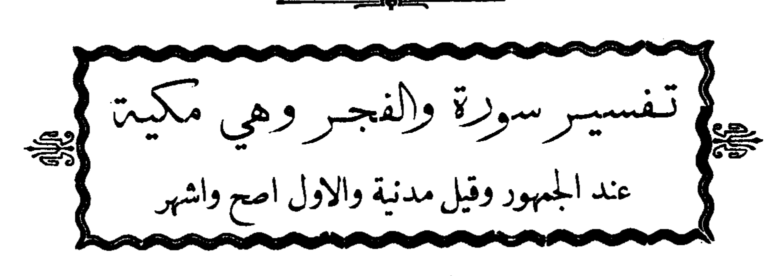
وهي مكية باجماع

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قال بعض المفسرين هل بمعنى قد وقال الحذاق هي على بابها توقيف فائدته تحريك نفس السامع الى تلقى الخبر والغاشية القيامة لانها تغشى العالم كله بهولها والوجوه الخاشعة هي وجوه الكفار وخشوعها ذلها وتغيرها بالعذاب * وقوله سبحانه عاملة ناصبة قال الحسن وغيره لم تعمل لله فى الدنيا فاعملها وانصبها فى النار والنصب التعب وقال ابن عباس وغيره المعنى عاملة فى الدنيا ناصبة فيها على غير هدى فلا ثمرة لعملها الا النصب وخاتمته النار قالوا والآية فى القسيسين وكل مجتهد فى كفر وقرأ ابو بكر عن عاصم وابو عمرو تصلى بضم التاء والباقون بفتحها والآنية التى قد انتهى حرها كما قال تعالى وبين حميم آن وقال ابن زيد ءانية حاضرة والضريع قال الحسن وجماعة هو الزقوم وقال ابن عباس وغيره الضريع شبرق النار وقال النبي صلى الله عليه وسلم الضريع شوك فى النار (ت) وهذا ان صح فلا يعدل عنه وقيل غير هذا ولما ذكر تعالى وجوه اهل النار عقب ذلك

بذكر وجوه اهل الجنة ليبين الفرق وقوله تعالى لسعيها يريد لعملها فى الدنيا وطاعتها والمعنى لثواب سعيها والتنعيم عليه ووصف سبحانه الجنة بالعلو وذلك يصح من جهة المسافة والمكان ومن جهة المكانة والمنزلة ايضا * لاتسمع فيها لاغية قيل المعنى كلمة لاغية وقيل جماعة لاغية اوفئة لاغية واللغو سقط القول قال الفخر قوله تعالى فيها سرر مرفوعة اي عالية فى الهواء وذلك لاجل ان يرى المومن اذا جلس عليها جميع ما اعطاه الله تعالى فى الجنة من النعيم والملك قال خارجة بن مصعب بلغنا ان بعضها فوق بعض فترتفع ما شاء الله فاذا جاءولي الله ليجلس عليها تطامنت له فاذا استوى عليها ارتفعت الى حيث شاء الله سبحانه انتهى * واكواب موضوعة اي باشربتها معدة والنمرقة الوسادة والزرابي واحدها زربية وهي كالطنافس لها خمل قاله الفراء وهي ملونات ومبثوثة معناه كثيرة متفرقة ثم وقفهم سبحانه على مواضع العبرة فى مخلوقاته والابل فى هذه الآية هي الجمال المعروفة هذا قول الجمهور وفى الجمل ءايات وعبر لمن تأمل وكان شريح القاضى يقول لاصحابه اخرجوا بنا الى الكناسة حتى ننظر الى الابل كيف خلقت وقال المبرد الابل هنا السحاب لان العرب قد تسميها بذلك اذ تاتى ارسالا كالابل ونصبت معناه اثبتت قائمة فى الهواء وظاهر الآية ان الارض سطح لاكرة وهو الذى عليه اهل العلم وقد تقدم الكلام على هذا المعنى ثم نفى ان يكون النبي صلى الله عليه وسلم مصيطرا على الناس اي قاهرا جابرا لهم مع تكبر متسلطا عليهم وقوله تعالى الامن تولى وكفر قال بعض المتأولين الاستثناء متصل والمعنى الامن تولى فانك مصيطر عليه فالآية على هذا لا نسخ فيها وقال ءاخرون الاستثناء منفصل والمعنى لست عليهم بمصيطر لكن من تولى وكفر فيعذبه الله وهي ءاية موادعة منسوخة

بالسيف (١) وهذا هو القول الصحيح لان السورة مكية والقتال انما نزل بالمدينة (ص) وقرأ زيد بن اسلم الا من تولى حرف تنبيه واستفتاح انتهى وقال ابن العربي فى احكامه روى الترمذي وغيره ان النبي صلى الله عليه وسلم قال امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله ثم قرأ فذكر انما انت مذكر لست عليهم بمصيطر مفسرا معنى الآية وكاشفا خفاء الخفاء عنها المعنى اذا قال الناس لا اله الا الله فلست بمسلط على سرائرهم وانما عليك الظاهر وكل سرائرهم الى الله تعالى وهذا الحديث صحيح المعنى والله اعلم انتهى وايابهم مصدر من آب يئوب اذا رجع



تفسير سورة والفجر وهي مكية

عند الجمهور وقيل مدنية والاول اصح واشهر

* بسم الله الرحمن الرحيم *

الفجر هنا عند الجمهور هو المشهور المعروف الطالع كل يوم وقال ابن عباس

---

(١) قال الاستاذ الامام فى تفسير هذه الآية مانصه قال بعض المولعين بالنسخ والتغيير ان هذه الآية نسخت بآيات الجهاد كأن الجهاد شرع فى الاسلام لقهر النفوس على الاعتقاد وخفي على القائل ان القهر لا يحدث ايمانا وان الاكراه لا اثر له فى الدين وان الجهاد ينقطع وجوبه متى خضع المحارب لاداء الجزية مع بقائه على دينه ان كان يهوديا او نصرانيا او مجوسيا فى رأي الاكثر ومن البديهي انه لا حاجة الى القول بالنسخ فان النبي عليه السلام ليس بمسيطر على قلوب الناس سواء كان محاربا لهم او مسالما انتهى كتبه مصححه

وغيره الفجر الذى اقسم الله به صلاة الصبح وقيل غير هذا واختلف فى الليالى العشر فقيل العشر الاول من رمضان وقيل العشر الاواخر منه وقيل عشر ذى الحجة وقيل غير هـذا والله اعلم بما اراد فان صح عن النبي صلى الله عليه وسلم شيء فى هـذا صير اليه واختلف فى الشفع والوتر ما هما على اقوال كثيرة وروى عمران بن حصين عن النبي صلى الله عليه وسلم انـه قال هي الصلوات منها الشفع ومنها الوتر وسرى الليل هـو ذهابـه وانقراضه هـذا قول الجمهور وقيل المعنى اذا يسرى فيه * هل فى ذلك قسم لذى حجر اي هل فى هـذه الاقسام مقنع لذى عقل ثم وقف تعالى على مصارع الامم الخالية وعاد قبيلة بلا خلاف واختلف فى ارم فقال مجاهـد هي القبيلة بعينها وقال ابن اسحاق ارم هو ابو عاد كلها وقال الجمهور ارم مدينة لهم عظيمة كانت على وجه الدهر باليمن واختلف فى قوله تعالى ذات العماد فمن قال ارم مدينة قال العماد اعمدة الحجارة التى بنيت بها وقيل القصور العالية والابراج يقال لها عماد ومن قال ارم قبيلة قال العماد اما اعمدة بنيانهم واما اعمدة بيوتهم التى يرحلون بها قاله جماعة والضمير فى مثلها يعود اما على المدينة واما على القبيلة * وجابوا الصخر معناه خرقوه ونحتوه وكانوا فى واديهم قد نحتوا بيوتهم فى حجارة وفرعـون هو فرعون موسى واختلف فى اوتاده فقيل ابنيته العالية وقيل جنوده الذين بهم يثبت ملكه وقيل المراد اوتاد اخبية عساكره وذكرت لكثرتها قاله ابن عباس وقال مجاهد كان يوتد الناس باوتاد حديد يقتلهم بذلك يضربها فى ابدانهم حتى تنفذ الى الارض وقيل غير هذا والصب مستعمل فى السوط وانما خص السوط بان يستعار للعذاب لانه يقتضى من التكرار والترداد ما لا يقتضيه السيف ولا غيره وقال بعض اللغويين السوط هنا مصدر من ساط يسوط اذا خلط فكانه قال خلط عذاب (ص) قال ابن الانباري ان ربك لبالمرصاد هـو جواب القسم وقيل محذوف وقيل الجواب هل فى ذلك

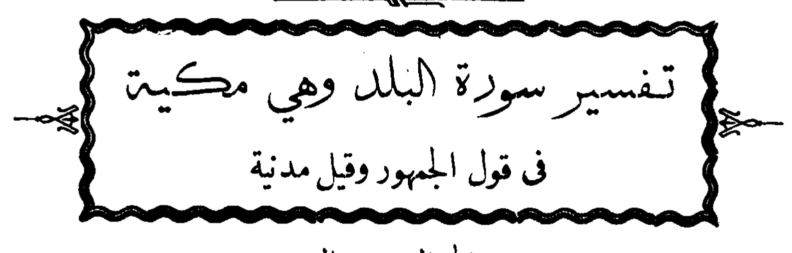
وهل بمعنى ان وليس بشيء انتهى والمرصاد والمرصد موضع الرصد قاله بعض اللغويين اي انه تعالى عند لسان كل قائل ومرصد لكل فاعل واذا علم العبد ان مولاه له بالمرصاد ودامت مراقبته فى الفؤاد حضره الخوف والحذر لامحالة واعلموا ان الله يعلم ما فى انفسكم فاحذروه قال ابو حامد فى الاحياء وبحسب معرفة العبد بعيوب نفسه ومعرفته بجلال ربه وتعاليه واستغنائه وانه لا يسئل عما يفعل تكون قوة خوفه فاخوف الناس لربه اعرفهم بنفسه وبربه ولذا قال صلى الله عليه وسلم انا اخوفكم لله ولذلك قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء ثم اذا كملت المعرفة اورثت الخوف واحتراق القلب ثم يفيض اثر الحرقة من القلب على البدن فتنقمع الشهوات وتحترق بالخوف ويحصل فى القلب الذبول والخشوع والذلة والاستكانة ويصير العبد مستوعب الهم بخوفه والنظر فى خطر عاقبته فلا يتفرغ لغيره ولا يكون له شغل الا المراقبة والمحاسبة والمجاهدة والضنة بالانفاس واللحظات ومواخذة النفس فى الخطرات والخطوات والكلمات ثم قال واعلم انه لا تنقمع الشهوات بشيء كما تنقمع بنار الخوف انتهى * وقوله سبحانه فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه الآية ذكر تعالى فى هذه الآية ما كانت قريش تقوله وتستدل به على اكرام الله واهانته لعبده وجاء هذا التوبيخ فى الآية لجنس الانسان اذ قد يقع بعض المومنين فى شيء من هذا المنزع وابتلاه معناه اختبره ونعمه اي جعله ذا نعمة * وقدر بتخفيف الدال بمعنى ضيق ثم قال تعالى كلا ردا على قولهم ومعتقدهم اي ليس اكرام الله تعالى واهانته كذلك وانما ذلك ابتلاء فحق من ابتلي بالغنى ان يشكر ويطيع ومن ابتلي بالفقر ان يشكر ويصبر واما اكرام الله فهو بالتقوى واهانته فبالمعصية وطعام فى هذه الآية بمعنى اطعام ثم عدد عليهم جدهم فى اكل التراث لانهم كانوا لا يورثون النساء ولا صغار الاولاد وانما كان ياخذ المال من يقاتل ويحمى الحوزة واللم الجمع واللف

قال الحسن هو ان ياخذ فى الميراث حظه وحظ غيره والجم الكثير الشديد ومنه قول الشاعر

ان تغفر اللهم تغفر جما * واي عبد لك لا الما

ومنه الجم من الناس ودك الارض تسويتها * وقوله تعالى وجاء ربك معناه جاء امره وقضاؤه وقال منذر بن سعيد معناه ظهوره للخلق هنالك ليس مجيء نقلة وكذلك مجيء الصاخة ومجيء الطامة والملك اسم جنس يريد به جميع الملائكة وصفا اي صفوفا حول الارض يوم القيامة على ما تقدم فى غير هذا الموضع وجيء يومئذ بجهنم روي فى قوله تعالى وجيء يومئذ بجهنم انها تساق الى المحشر بسبعين الف زمام يمسك كل زمام سبعون الف ملك فيخرج منها عنق فينتقي الجبابرة من الكفار فى حديث طويل باختلاف الفاظ * وقوله تعالى يومئذ يتذكر الانسان معناه يتذكر عصيانه وما فاته من العمل الصالح وقال الثعلبي يومئذ يتذكر الانسان اي يتعظ ويتوب وانى له الذكرى انتهى * وقوله يا ليتني قدمت لحياتي قال الجمهور معناه لحياتي الباقية يريد فى الآخرة * فيومئذ لا يعذب عذابه احد اي لا يعذب كعذاب الله احد فى الدنيا ولا يوثق كوثاقه احد ويحتمل المعنى ان الله تعالى لا يكل عذاب الكافر يومئذ الى احد وقرأ الكسائي بفتح الذال والثاء اي لا يعذب كعذاب الكافر احد من الناس ثم عقب تعالى بذكر نفوس المومنين وحالهم فقال يا ايتها النفس المطمئنة الآية والمطمئنة معناه الموقنة غاية اليقين الاترى قول ابراهيم عليه السلام ولكن ليطمئن قلبي فهي درجة زائدة على الايمان واختلف فى هذا النداء متى يقع فقال جماعة عند خروج روح المومن وروي فى ذلك حديث وفى عبادي اي فى عداد عبادي الصالحين وقال قوم النداء عند قيام الاجساد من القبور فقوله ارجعي الى ربك معناه بالبعث وادخلي فى عبادي اي فى الاجساد وقيل النداء

هو الآن للمومنين وقال ٠اخرون هذا النداء انما هو فى الموقف عند ما ينطلق باهل النار الى النار (ت) ولا مانع ان يكون النداء فى جميع هذه المواطن ولما تكلم ابن عطاء الله فى مراعاة احوال النفس قال رب صاحب ورد عطله عن ورده او الحضور فيه مع ربه هم التدبير فى المعيشة وغيرها من مصالح النفس وانواعُ وساوس الشيطان فى التدبير لاتنحصر ومتى اعطاك الله سبحانه الفهم عنه عرفك كيف تصنع فاني عبد توفر عقله واتسع نوره نزلت عليه السكينة من ربه فسكنت نفسه عن الاضطراب ووثقت بولي الاسباب فكانت مطمئنة اي خامدة ساكنة مستسلمة لاحكام الله ثابتة لاقداره وممدودة بتاييده وانواره فاطمأنت لمولاها لعلمها بانه يراها او لم يكف بربك انه على كل شيء شهيد فاستحقت ان يقال لها يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية وفى الآية خصائص عظيمة لها منها ترفيع شأنها بتكنيتها ومدحها بالطمانينة ثناء منه سبحانه عليها بالاستسلام اليه والتوكل عليه والمطمئن المنخفض من الارض فلما انخفضت بتواضعها وانكسارها اثنى عليها مولاها ومنها قوله راضية اي عن الله فى الدنيا باحكامه ومرضية فى الآخرة بجوده وانعامه وفى ذلك اشارة للعبد انه لا يحصل له ان يكون مرضيا عند الله فى الآخرة حتى يكون راضيا عن الله فى الدنيا انتهى من التنوير



تفسير سورة البلد وهي مكية

فى قول الجمهور وقيل مدنية

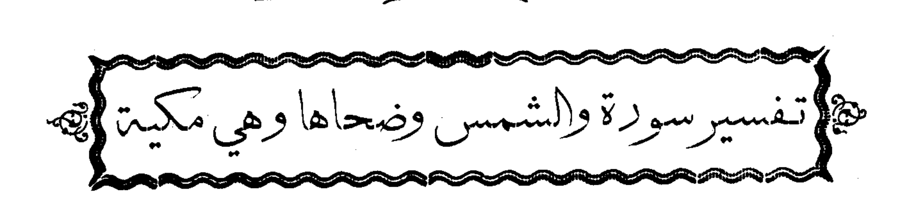
* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله تعالى لا اقسم بهذا البلد الكلام فى لا تقدم فى لا اقسم والبلد هو

مكة * وقوله تعالى وانت حل قال ابن عباس وجماعة معناه وانت حلال بهذا البلد يحل لك فيه قتل من شئت وكان هذا يوم فتح مكة وعلى هذا يتركب قول من قال السورة مدنية نزلت عام الفتح وقال ءاخرون المعنى وانت حال ساكن بهذا البلد * وقوله تعالى ووالد وما ولد قال مجاهد هو ءادم وجميع ولده وقال ابن عباس ما معناه ان الوالد والولد هنا على العموم فهي اسماء جنس يدخل فيها جميع الحيوان والقسم واقع على قوله لقد خلقنا الانسان فى كبد قال الجمهور الانسان اسم جنس والكبد المشقة والمكابدة اي يكابد امر الدنيا والآخرة وروي ان سبب نزول هذه الآية رجل من قريش يقال له ابو الاشد وقيل نزلت فى عمرو بن عبدود وقال مقاتل نزلت فى الحارث بن عامر بن نوفل اذنب فاستفتى النبي صلى الله عليه وسلم فامره بالكفارة فقال لقد اهلكت مالا فى الكفارة والنفقات مذ تبعت محمدا وكان كل واحد منهم قد ادعى انه انفق مالا كثيرا على افساد امر النبي صلى الله عليه وسلم او فى الكفارات على ما تقدم * وقوله اهلكت مالا لبدا اي انفقت مالا كثيرا ومن قال ان المراد اسم الجنس غير معين جعل قوله ايحسب ان لم يره احد بمعنى ايظن الانسان ان ليس عليه حفظة يرون اعماله ويحصونها الى يوم الجزاء قال السهيلي وهذه الآية وان نزلت فى ابي الاشد فان الالف واللام فى الانسان للجنس فيشترك معه فى الخطاب كل من ظن ظنه وفعل مثل فعله وعلى هذا اكثر القرءان ينزل فى السبب الخاص بلفظ عام يتناول المعنى العام انتهى وخرج مسلم عن ابي برزة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزول قدما العبد يوم القيامة حتى يسأل عن اربع عن عمره فيما افناه وعن جسده فيما ابلاه وعن علمه ماذا عمل به وعن ماله من اين اكتسبه وفيم انفقه وخرجه ايضا الترمذي وقال فيه حديث حسن صحيح انتهى وقرأ الجمهور لبدا اي كثيرا متلبدا بعضه فوق بعض ثم عدد تعالى على

الانسان نعمه فى جوارحه والنجدين قال ابن عباس والناس هما طريقا الخير والشر اي عرضنا عليه طريقها وليست الهداية هنا بمعنى الارشاد وقال الضحاك النجدان ثديا الام وهذا مثال والنجد الطريق المرتفع * وقوله تعالى فلا اقتحم العقبة الآية قوله فلا هو عند الجمهور تحضيض بمعنى الا اقتحم والعقبة فى هذه الآية على عرف كلام العرب استعارة لهذا العمل الشاق على النفس من حيث هو بذل مال تشبيه بعقبة الجبل واقتحم معناه دخلها وجاوزها بسرعة وضغط وشدة ثم عظم تعالى امر العقبة فى النفوس بقوله وما ادراك ما العقبة ثم فسر اقتحام العقبة بقوله فك رقبة الآية وهذا على قراءة من قرأ فك رقبة بالرفع على المصدر واما من قرأ فك رقبة او اطعم على الفعل ونصب الرقبة وهي قراءة ابى عمرو فليس يحتاج ان يقدر وما ادراك ما اقتحام بل يكون التعظيم للعقبة نفسها ويجيء فك بدلا من اقتحم ومبينا له وفك الرقبة هو عتقها من ربقة الاسر اوالرق وفى الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم من اعتق نسمة مومنة اعتق الله بكل عضو منها عضوا منه من النار والمسغبة المجاعة والساغب الجائع وذا مقربة معناه ذا قرابة لتجتمع الصدقة والصلة وذا متربة معناه مدقعا قد لصق بالتراب وهذا ينحوالى ان المسكين اشد فاقة من الفقير قال سفيان هم المطروحون على ظهر الطريق قعودا على التراب لا بيوت لهم وقال ابن عباس هو الذى يخرج من بيته ثم يقلب وجهه الى بيته مستيقنا انه ليس فيه الا التراب * وقوله تعالى ثم كان معطوف على قوله اقتحم والمعنى ثم كان وقت اقتحامه العقبة من الذين ءامنوا * وقوله تعالى وتواصوا بالصبر معناه على طاعة الله وبلائه وقضائه وعن الشهوات والمعاصى والمرحمةُ قال ابن عباس كل ما يؤدى الى رحمة الله تعالى وقال ءاخرون هو التراحم والتعاطف بين الناس وفى ذلك قوام الناس ولو لم يتراحموا جملة لهلكوا والميمنة فيما روي عن يمين العرش

وهو موضع الجنة ومكان المرحومين من الناس والمشأمة الجانب الاشأم وهو الايسر وفيه جهنم وهو طريق المعذبين وموصدة معناه مطبقة مغلقة



* بسم الله الرحمن الرحيم *

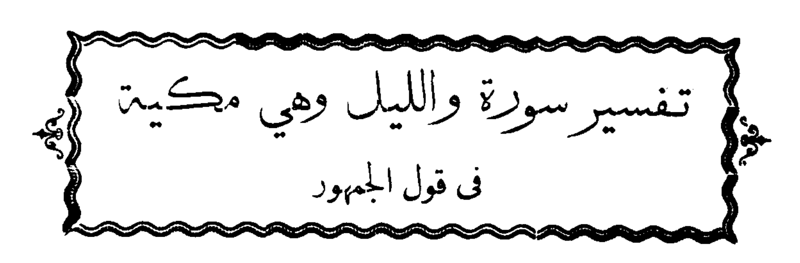
اقسم الله تعالى بالشمس اما على التنبيه منها على الاعتبار المؤدى الى معرفة الله تعالى واما على تقدير ورب الشمس والضحى بالضم والقصر ارتفاع ضوء الشمس واشراقه قاله مجاهد وقال مقاتل ضحاها حرها كقوله فى طه ولا تضحى والضحاء بفتح الضاد والمد ما فوق ذلك الى الزوال والقمر يتلو الشمس من اول الشهر الى نصفه فى الغروب تغرب هي ثم يغرب هو ويتلوها فى النصف الآخر بنحو آخر وهو ان تغرب هي فيطلع هو وقال الحسن تلاها معناه تبعها دأبا فى كل وقت لانه يستضيء منها فهو يتلوها لذلك وقال الزجاج وغيره تلاها فى المنزلة من الضياء والقدر لانه ليس فى الكواكب شيء يتلو الشمس فى هذا المعنى غير القمر * وقوله والنهار ظاهر هذه السورة والتى بعدها ان النهار من طلوع الشمس وكذلك قال الزجاج فى كتاب الانواء وغيره واليوم من طلوع الفجر ولا يختلف ان نهايتهما مغيب الشمس والضمير فى جلاها يحتمل ان يعود على الشمس ويحتمل ان يعود على الارض او على الظلمة وان كان لم يجر لذلك ذكر فالمعنى يقتضيه قاله الزجاج وجلى معناه كشف وضوى والفاعل بجلى على هذه التاويلات النهار ويحتمل ان يكون الفاعل الله تعالى كانه قال والنهار اذ جلى الله

الشمس فاقسم بالنهار فى اكمل حالاته ويغشى معناه يغطى والضمير للشمس على تجوز فى المعنى او للارض * وقوله تعالى وما بناها وكل ما بعده من نظائره فى السورة يحتمل ان تكون ما فيه بمعنى الذى قاله ابو عبيدة اي ومن بناها وهو قول الحسن ومجاهد فيجيء القسم بالله تعالى ويحتمل ان تكون ما فى جميع ذلك مصدرية قاله قتادة والمبرد والزجاج كانه قال والسماء وبنائها وطحا بمعنى دحا (ت) قال الهروي قوله تعالى والارض وما طحاها اي بسطها فاوسعها ويقال طحا به الامر اي اتسع به فى المذهب انتهى والنفس التى اقسم بها سبحانه اسم جنس وتسويتها اكمال عقلها ونظرها الثعلبي فسواها اي عدل خلقها انتهى * وقوله سبحانه فالهمها فجورها وتقواها اي عرفها طرق ذلك وجعل لها قوة يصح معها اكتساب الفجور او اكتساب التقوى وجواب القسم فى قوله قد افلح والتقدير لقد افلح زاد (ص) وحذفت اللام للطول انتهى والفاعل بزكى يحتمل ان يكون الله تعالى قاله ابن عباس وغيره ويحتمل ان يكون الانسان قاله الحسن وغيره وزكاها اي طهرها ونماها بالخيرات ودساها معناه اخفاها وحقرها وصغر قدرها بالمعاصى والبخل بما يجب واصل دسى دسس ومنه قول الشاعر

ودسست عمرا فى التراب فاصبحت * حلائله منه ارامل ضيعا

(ت) قال الشيخ ابو عبد الرحمن السلمي ومن عيوب النفس الشفقة عليها والقيام بتعهدها وتحصيل مآربها ومداواتها الاعراض عنها وقلة الاشتغال بها كذلك سمعت جدى يقول من كرمت عليه نفسه هان عليه دينه انتهى من تاليفه فى عيوب النفس وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأ هذه الآية قال اللهم ءات نفسى تقواها وزكها انت خير من زكاها انت وليها ومولاها قال صاحب الكلم الفارقية والحكم الحقيقية النفس الزكية زينتها نزاهتها

وعافيتها عفتها وطهارتها ودعها وغناها ثقتها بمولاها وعلمها بانـه لا ينساها انتهى
ولما ذكر تعالى خيبة من دسى نفسه ذكر فرقة فعلت ذلك ليعتبر بهم وينتهي
عن مثل فعلهم والطغوى مصدر وقال ابن عباس الطغوى هنا العذاب كذبوا به
حتى نزل بهم ويؤيده قوله تعالى فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية وقال جمهور من
المتأولين الباء سببية والمعنى كذبت ثمود نبيها بسبب طغيانها واشقاها هو قدار
ابن سالف وقد تقدم قصصهم (ت) وناقة الله وسقياها قيل نصب بفعل مضمر
تقديره احفظوا او ذروا وقال (ص) ناقة الله الجمهور بنصب ناقة على التحذير
اي احذروا ناقة الله وهو مما يجب اضمار عامله انتهى ودمدم معناه انزل العذاب
مقلقلا لهم مكررا ذلك وهي الدمدمة الثعلبي قال مؤرج الدمدمة اهلاك
باستيصال انتهى وكذلك قال ابو حيان وقال الهروي قال الازهري فدمدم
عليهم ربهم اي اطبق عليهم العذاب وقيل فدمدم عليهم اي غضب عليهم
انتهى * وقوله تعالى فسواها اي فسوى القبيلة فى الهلاك لم ينج منهم احد
وقرأ نافع وابن عامر فلا يخاف عقباها والمعنى فلا درك على الله تعالى في فعله
بهم وهذا قول ابن عباس والحسن ويحتمل ان يكون الفاعل بيخاف صالحا
عليه السلام اي لا يخاف عقبى هذه الفعلة بهم اذ كان قد انذرهم وقرأ الباقون
ولا يخاف بالواو فتحتمل الوجهين وتحتمل هذه القراءة وجها ثالثا ان يكون
الفاعل بيخاف المنبعث قاله الزجاج والضحاك والسدي وغيرهم وتكون الواو
واو الحال كانه قال انبعث لعقرها وهو لا يخاف عقبى فعله



تفسير سورة والليل وهي مكية في قول الجمهور

* بسم الله الرحمن الرحيم *

اقسم تعالى بالليل اذا غشي الارض وجميع ما فيها وبالنهار اذا تجلى اي ظهر وضوى الآفاق وقال (ص) يغشى مفعوله محذوف فيحتمل ان يكون النهار كقوله يغشى الليل النهار او الشمس كقوله تعالى والليل اذا يغشاها وقيل الارض وما فيها انتهى * وقوله تعالى وما خلق الذكر والانثى يحتمل ان تكون ما بمعنى الذى ويحتمل ان تكون مصدرية والذكر والانثى هنا عام وقال الحسن المراد ادم وحواء والسعي العمل فاخبر تعالى مقسما ان اعمال العباد شتى اي مفترقة جدا بعضها فى رضى الله وبعضها فى سخطه ثم قسم تعالى الساعين فقال فاما من اعطى واتقى الآية ويروى ان هذه الآية نزلت فى ابى بكر الصديق رضي الله عنه * وقوله تعالى وصدق بالحسنى قيل هي لا اله الا الله وقيل هي الخلف الذى وعد الله به وقيل هي الجنة وقال كثير من المتأولين الحسنى الاجر والثواب مجملا والعسرى الحال السيئة فى الدنيا والآخرة ومن جعل بخل فى المال خاصة جعل استغنى فى المال ايضا لتعظم المذمة ومن جعل بخل عاما فى جميع ما ينبغى ان يبذل من قول او فعل قال استغنى عن الله ورحمته بزعمه وظاهر قوله وما يغنى عنه ماله ان الاعطاء والبخل المذكورين انما هما فى المال * وقوله تعالى اذا تردى قال قتادة وغيره معناه تردى فى جهنم وقال مجاهد تردى معناه هلك من الردى وخرج البخاري وغيره عن علي رضي الله عنه قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فى بقيع الغرقد فى جنازة فقال ما منكم من احد اوما من

نفس منفوسة الا وقد كتب مكانها من الجنة والنار والا قد كتبت شقية او سعيدة فقالوا يا رسول الله افلا نتكل على كتابنا وندع العمل فمن كان منا من اهل السعادة فسيصير الى اهل السعادة ومن كان منا من اهل الشقاء فسيصير الى عمل اهل الشقاء قال اما اهل السعادة فييسرون لعمل اهل السعادة واما اهل الشقاوة فييسرون لعمل اهل الشقاوة ثم قرأ فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى الى قوله للعسرى وفى رواية لما قيل له افلا نتكل على كتابنا قال لا بل اعملوا فكل ميسر لما خلق له الحديث وخرجه الترمذي ايضا انتهى قال ابن العربي فى احكامه وسأل شابان رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا العمل فيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير ام فى شيء مستانف فقال بل فيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير قالا ففيم العمل اذن قال اعملوا فكل ميسر لعمله الذى خلق له قالا فالآن نجد ونعمل انتهى وقال قوم معنى تردى اي باكفانه من الرداء ومنه قول الشاعر

نصيبك مما تجمع الدهر كله ٭ رداءان تلوى فيهما وحنوط

ثم اخبر تعالى ان عليه هدى الناس جميعا اي تعريفهم بالسبل كلها وليست هذه الهداية بالارشاد الى الايمان ولو كان ذلك لم يوجد كافر قال البخاري تلظى توهج وقال الثعلبيّ تتوقد وتتوهج انتهى ٭ وقوله سبحانه لا يصلاها الا الاشقى المعنى لا يصلاها صلي خلود ومن هنا ضلت المرجئة لانها اخذت نفي الصلي مطلقا ولم يختلف اهل التاويل ان المراد بالاتقى الى ءاخر السورة ابو بكر الصديق ثم هي تتناول كل من دخل فى هذه الصفات وباقى الآية بين ثم وعده تعالى بالرضى فى الآخرة وهذه عدة لابى بكر رضي الله عنه

تفسير سورة والضحى وهي مكية بلا خلاف

* بسم الله الرحمن الرحيم *

تقدم تفسير الضحى بانه سطوع الضوء وعظمه وقال قتادة الضحى هنا النهار كله وسجى معناه سكن واستقر ليلا تاما وقيل معناه اقبل وقيل معناه ادبر والاول اصح وعليه شواهد وقال البخاري قال مجاهد اذا سجى استوى وقال غيره اظلم وسكن انتهى وقرأ الجمهور ما ودعك بشد الدال من التوديع وقرئ بالتخفيف بمعنى ما تركك وقال البخاري ما ودعك ربك بالتشديد والتخفيف ما تركك انتهى * وقلى ابغض نزلت بسبب ابطاء الوحي مدة وللآخرة يعنى الدار الآخرة خير لك من الدنيا ولسوف يعطيك ربك فترضى قيل هي ارجى ءاية فى القرءان لانه صلى الله عليه وسلم لا يرضى وواحد من امته فى النار وروي انه عليه السلام قال لما نزلت اذن لا ارضى واحد من امتى فى النار قال عياض وهذه ءاية جامعة لوجوه الكرامة وانواع السعادة فى الدارين انتهى (ت) وفى صحيح مسلم من رواية عبد الله بن عمرو بن العاصى ان النبي صلى الله عليه وسلم تلا قول الله عز وجل فى ابراهيم عليه السلام رب انهن اضللن كثيرا من الناس فمن تبعنى فانه منى ومن عصانى فانك غفور رحيم وقول عيسى عليه السلام ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم فرفع يديه وقال اللهم امتى امتى وبكى فقال الله جل ثناؤه يا جبريل اذهب الى محمد فقل له انا سنرضيك فى امتك ولا نسوءك انتهى مختصرا ثم وقف تعالى نبيه على المراتب التى درجه عنها بانعامه فقال الم يجدك يتيما فءاوى * وقوله تعالى ووجدك ضالا فهدى اختلف الناس فى تاويله والضلال يختلف فمنه البعيد

ومنه القريب فالبعيد ضلال الكفار وهذا قد عصم الله منه نبيه فلم يعبد صلى الله
عليه وسلم صنما قط ولا تابع الكفار على شيء مما هم عليه من الباطل وانما ضلاله
صلى الله عليه وسلم هو كونه واقفا لا يميز المهيع بل يدبر وينظر وقال الترمذي
وعبد العزيز بن يحيى ضالا معناه خامل الذكر لا يعرفك الناس فهداهم اليك
ربك والصواب انه ضلال من توقف لا يدرى كما قال عز وجل ما كنت
تدرى ما الكتاب ولا الايمان وقال الثعلبي قال بعض المتكلمين اذا وجدت
العرب شجرة مفردة فى فلاة سموها ضالة فيهتدى بها الى الطريق اي
فوجدتك وحيدا ليس معك نبي غيرك فهديت بك الخلق الي انتهى قال
عياض قال الجنيد المعنى ووجدك متحيرا فى بيان ما انزل اليك فهداك لبيانه
لقوله وانزلنا اليك الذكر الآية قال عياض ولا اعلم احدا من المفسرين قال فيها
ضالا عن الايمان وكذلك فى قصة موسى عليه السلام قوله فعلتها اذا وانا من
الضالين اي المخطئين وقال ابن عطاء ووجدك ضالا اي محبا لمعرفتي والضال
المحب كما قال تعالى انك لفى ضلالك القديم اي محبتك القديمة انتهى والعائل
الفقير فاغنى اي بالقناعة والصبر ثم وصاه تعالى بثلاث وصايا بازاء هذه النعم
الثلاث والسائل هنا قال ابو الدرداء هو السائل عن العلم وقيل هو سائل المال
وقال ابراهيم بن ادهم نعم القوم السؤال يحملنا زادنا الى الآخرة * وقوله تعالى
واما بنعمة ربك فحدث قال مجاهد وغيره معناه بث القرءان وبلغ ما ارسلت به
قال عياض وهذا الامر يعم الامة انتهى وقال ءاخرون بل هو عموم فى جميع
النعم وفى سنن ابى داود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اعطوا الاجير حقه
قبل ان يجف عرقه واعطوا السائل وان جاء على فرس قال البغوي فى المصابيح
هذا حديث مرسل انتهى

تفسير سورة الم نشرح وهي مكية باجماع

* بسم الله الرحمن الرحيم *

عدد الله تعالى على نبيه نعمه عليه فى ان شرح صدره للنبوءة وهيأه لها وذهب الجمهور الى ان شرح الصدر المذكور انما هو تنويره بالحكمة وتوسيعه لتلقى ما يوحى اليه وقال ابن عباس وجماعة هذه اشارة الى شرحه بشق جبريل عنه فى وقت صغره وفى وقت الاسراء اذ التشريح شق اللحم والوزر الذى وضعه الله عنه هو عند بعض المتأولين الثقل الذى كان يجده صلى الله عليه وسلم فى نفسه من اجل ما كانت قريش فيه من عبادة الاصنام فرفع الله عنه ذلك الثقل بنبوته وارساله وقال ابو عبيدة وغيره المعنى خففنا عنك اثقال النبوءة واعناك على الناس وقيل الوزر هنا الذنوب نظير قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وقد تقدم بيانه الثعلبي وقيل معناه عصمناك من احتمال الوزر انتهى وانقض معناه جعله نقضا اي هزيلا من الثقل قال عياض ومعنى انقض اي كاد ينقضه انتهى ورفعنا لك ذكرك اي نوهنا باسمك قال (ع) ورفع الذكر نعمة على الرسول وكذلك هو جميل حسن للقائمين بامور الناس وخمول الاسم والذكر حسن للمنفردين للعبادة والمعنى فى هذا التعديد انا قد فعلنا جميع هذا بك فلا تكترث باذى قريش فان الذى فعل بك هذه النعم سيظفرك بهم قال عياض وروى ابو سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اتانى جبريل فقال ان ربى وربك يقول اتدرى كيف رفعت ذكرك قلت الله تعالى اعلم قال اذا ذكرت ذكرت معى انتهى ثم قوى سبحانه رجاءه بقوله فان مع العسر يسرا وكرر تعالى ذلك مبالغة وذهب كثير من العلماء الى ان مع كل عسر يسرين بهذه الآية من حيث

ان العسر معرف للعهد واليسر منكر فالاول غير الثانى وقد جاء فى هذا التاويل حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لن يغلب عسر يسرين ثم امر تعالى نبيه اذا فرغ من شغل من اشغال النبوة والعبادة ان ينصب فى ءاخر والنصب التعب والمعنى ان يدأب على ما امر به ولا يفتر وقال ابن عباس اذا فرغت من فرضك فانصب فى التنفل عبادة لربك ونحوه عن ابن مسعود وعن مجاهد فاذا فرغت من العبادة فانصب فى الدعاء * وقوله تعالى والى ربك فارغب امر بالتوكل على الله عز وجل وصرف وجوه الرغبات اليه لا الى سواه

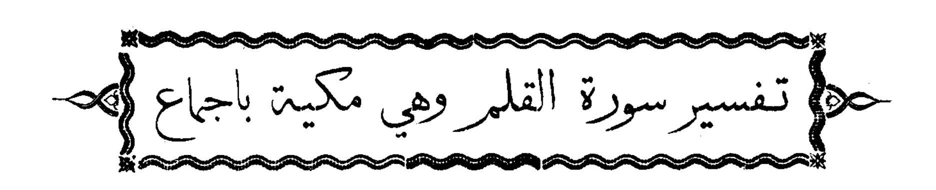
تفسير سورة والتين وهي مكية

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قال ابن عباس وغيره التين والزيتون المقسم بهما هما المعروفان وقال السهيلي اقسم تعالى بطور تينا وطور زيتا وهما جبلان عند بيت المقدس وكذلك طور سيناء ويقال ان سيناء هي الحجارة والطور عند اكثر الناس هو الجبل وقال الماوردي ليس كل جبل يقال له طور الا ان تكون فيه الاشجار والثمار والا فهو جبل فقط انتهى وطور سينين جبل بالشام والبلد الامين مكة والقسم واقع على قوله تعالى لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم اي فى احسن تقويم ينبغي له وقال بعض العلماء بالعموم اي الانسان احسن المخلوقات تقويما ولم يرقوم الحنث على من حلف بالطلاق ان زوجته احسن من الشمس محتجين بهذه الآية وحسن التقويم يشمل جميع محاسن الانسان الظاهرة والباطنة من حسن صورته

وانتصاب قامتـه وكمال عقله وحسن تمييزه والانسان هنا اسم جنس وتقـدير
الكلام فى تقويم احسن تقويم لان احسن صفة لابدان تجرى على موصوف *
ثم رددناه اسفل سافلين قال قتادة وغيره معناه بالهرم وذهول العقل وهـذه
عبرة منصوبة وعبارة الثعلبي فى احسن تقويم قيل اعتداله واستواء شبابه وهو
احسن ما يكون ثم رددناه اسفل سافلين بالهرم كما قال الى ارذل العمر والسافلون
الهرمى والزمنى والذين حبسهم عـذرهم عن الجهاد فى عهد النبي صلى الله عليه
وسلم فانزل الله عـذرهم واخبرهم ان لهم اجرهم الذى عملوا قبل ان تـذهب
عقولهم انتهى وفى البخاري عنه صلى الله عليه وسلم اذا مرض العبد او سافر
كتب الله له مثل ما كان يعمل مقيما صحيحا وهكذا قال فى الذين حبسهم العذر
انتهى قال (ص) الا الذين قيل منقطع بناء على ان معنى اسفل سافلين بالهرم
وذهول العقل وقيل متصل بناء على ان معناه فى النار على كفره انتهى قال (ع)
وفى حـديث عـن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بلـغ المومن
خمسين سنة خفف الله حسابه فاذا بلغ ستين رزقـه الانابة اليه فاذا بلغ سبعين
احبه اهل السماء فاذا بلغ ثمانين كتبت حسناته وتجاوز الله عن سيئاته فاذا بلغ
تسعين غفرت ذنوبه وشفع فى اهل بيته وكان اسير الله فى ارضه فاذا بلغ مائة
ولم يعمل شيأ كتب له مثل مـا كان يعمل فى صحتـه ولم تكتب عليه سيئـة وفى
حديث ان المومن اذا رد الى ارذل العمر كتب له خير ما كان يعمل فى قوته
وذلك اجر غير ممنون ثم قال سبحانه الزاما للحجة وتوبيخا للكافر فما يكذبك
ايها الانسان اي فما يحملك ان تكذب بعد هذه الحجة بالدين وقال قتادة المعنى
فمن يكذبك يا محمد فيما تخبر به من الجزاء والحساب وهو الدين بعد هذه العبر
ويحتمل ان يريد بالدين جميع دينه وشرعـه وروي عن قتادة ان النبي صلى الله
عليـه وسلم كان اذا قرأ اليس الله باحكم الحاكمين قال بلى وانا على ذلك مـن

الشاهدين قال ابن العربي فى احكامه روى الترمذي وغيره عن ابى هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا قرأ احدكم اليس الله باحكم الحاكمين فليقل بلى وانا على ذلك من الشاهدين ومن رواية عبد الله اذا قرأ احدكم او سمع اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى فليقل بلى انتهى (ت) وهـذان الحديثان وان كان قد ضعفهما ابن العربي فهما مما ينبغي ذكرهما فى فضائل الاعمال والله الموفق بفضله



تفسير سورة القلم وهي مكية باجماع

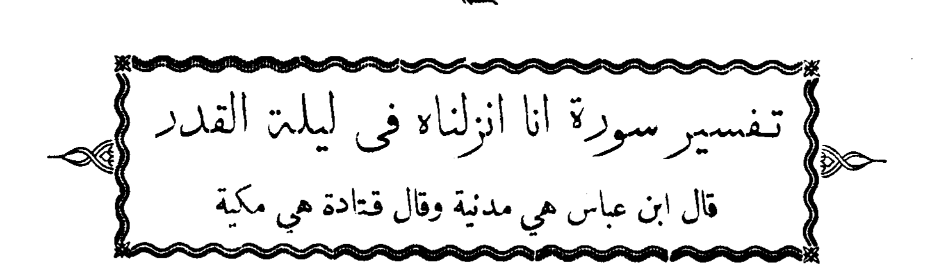
* بسم الله الرحمـن الرحيم *

قوله تعالى اقرأ باسم ربك هو اول ما نزل من كتاب الله تعالى نزل صدر هذه الآية الى قوله ما لم يعلم فى غار حراء حسب ما ثبت فى صحيح البخاري وغيره ومعنى قوله اقرأ باسم ربك اي اقرأ هـذا القرءان باسم ربك اي مبتـدئا باسم ربك ويحتمل ان يكون المقروء الذى امر بقراءتـه هو باسم ربك الذى خلق كانـه قيل له اقرأ هذا اللفظ والعلق جمع علقة وهي القطعة اليسيرة من الدم والانسان هنا اسم جنس ثم قال تعالى اقرأ وربك الاكرم على جهة التانيس كانه يقول امض لما امرت به وربك ليس كهذه الارباب بل هو الاكرم الذى لا يلحقه نقص ثم عدد تعالى نعمة الكتابة بالقلم على الناس وهي من اعظم النعم * وعلم الانسان ما لم يعلم قيل هو ءادم وقيل هو اسم جنس وهو الاظهر * وقوله تعالى كلا ان الانسان ليطغى الى ءاخر السورة نزلت فى ابى جهل وذلك انـه طغى لغناه وكثرة من يغشى ناديه فناصب رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهاه

عن الصلاة فى المسجد وقال لئن رأيت محمدا يسجد عند الكعبة لاطأن عنقه فيروى ان النبي صلى الله عليه وسلم رد عليه القول وانتهره وعبارة الداودي فتهدده النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابو جهل اتهددنى اما والله انى لاكثر اهل الوادى ناديا فنزلت الآية انتهى وكلا رد على ابى جهل ويتجه ان تكون بمعنى حقا والضمير فى رءاه للانسان المذكور كانه قال ان رأى نفسه غنيا وهي رؤية قبيلة ولذلك جاز ان يعمل فعل الفاعل فى نفسه كما تقول وجدتنى وظننتنى ثم حقر تعالى غنى هـذا الانسان وحاله بقوله ان الى ربك الرجعى اي بالحشر والبعث يوم القيامة وفى هذا الخبر وعيد للطاغين من الناس ثم صرح بذكر الناهى لمحمد عليه السلام ولا خلاف ان الناهي ابو جهل وان العبد المصلي هو محمد عليه السلام * وقوله تعالى الم يعلم بان الله يرى اكمال للتوبيخ والوعيد بحسب التوقيفات الثلاث يصلح مع كل واحد منها (ت) وفى قوله تعالى الم يعلم بان الله يرى ما يثير الهمم الراكدة * ويسيل العيون الجامدة * ويبعث على الحياء والمراقبة قال الغزالي اعلم ان الله مطلع على ضميرك ومشرف على ظاهرك وباطنك فتأدب ايها المسكين ظاهرا وباطنا بين يديه سبحانه واجتهد ان لا يراك حيث نهاك ولا يفقدك حيث امرك ولا تدع عنك التفكر فى قرب الاجل * وحلول الموت القاطع للامل * وخروج الامر من الاختيار * وحصول الحسرة والندامة بطول الاغترار * انتهى ثم توعده تعالى ان لم ينته ليوخذن بناصيته فيجر الى جهنم ذليلا تقول العرب سفعت بيدى ناصية الفرس والرجل اذا جذبتها مذللة وقال بعض العلماء بالتفسير معناه لتحرقن من قولهم سفعته النار واكتفى بذكر الناصية لدلالتها على الوجه والرأس والناصية مقدم شعر الرأس ثم ابدل النكرة من المعرفة فى قوله ناصية كاذبة ووصفها بالكذب والخطإ من حيث هي صفات لصاحبها * فليدع ناديه اي اهل مجلسه والنادى

والندي المجلس ومنه دار الندوة وقال البخاري قال مجاهد ناديه عشيرته * وقوله سندع الزبانية اي ملائكة العذاب ثم قال تعالى لنبيه عليه السلام كلا لا تطعه اي لا تلتفت الى نهيه وكلامه واسجد لربك واقترب اليه بسجودك وفى الحديث اقرب ما يكون العبد من ربه اذا سجد فاكثروا من الدعاء فى السجود فقمن ان يستجاب لكم وروى ابن وهب عن جماعة من اهل العلم ان قوله واسجد خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وان قوله واقترب خطاب لابى جهل اي ان كنت تجترئ حتى ترى كيف تهلك (ت) والتاويل الاول اظهر يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد وعن ربيعة بن كعب الاسلمي قال كنت ابيت مع النبي صلى الله عليه وسلم فأتيه بوضوئه وحاجته فقال لى سل فقلت اسألك مرافقتك فى الجنة قال او غير ذلك قلت هو ذاك قال فاعنى على نفسك بكثرة السجود رواه الجماعة الا البخاري ولفظ الترمذي كنت ابيت عند باب النبي صلى الله عليه وسلم فاعطيه وضوءه فاسمعه الهوي من الليل يقول سمع الله لمن حمده واسمعه الهوي من الليل يقول الحمد لله رب العالمين قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح وليس لربيعة فى الكتب الستة سوى هذا الحديث انتهى من السلاح وروي ان ابا جهل جاء والنبي صلى الله عليه وسلم يصلى فهم بان يصل اليه ويمنعه من الصلاة ثم كع وولى ناكصا على عقبيه متقيا بيديه فقيل له ما هذا فقال لقد عرض بيني وبينه خندق من نار وهول واجنحة فيروى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لودنا مني لاخذته الملائكة عيانا (ت) ولما لم ينته عدو الله اخذه الله يوم بدر وامكن منه وذكر الوائلي الحافظ فى كتاب الابانة له من حديث مالك ابن مغول عن نافع عن ابن عمر قال بينا انا اسير بجنبات بدر اذ خرج رجل من الارض فى عنقه سلسلة يمسك طرفها اسود فقال يا عبد الله اسقني فقال ابن

عمر لا ادرى اعرف اسمي او كما يقول الرجل يا عبد الله فقال لى الاسود لا تسقه فانه كافر ثم اجتذبه فدخل الارض قال ابن عمر فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرته فقال او قد رأيته ذلك عدو الله ابو جهل بن هشام وهو عذابه الى يوم القيامة انتهى من التذكرة للقرطبي وقد ذكرت هذه الحكاية عن ابى عمر بن عبد البر باتم من هذا عند قوله تعالى فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا الآية



تفسير سورة انا انزلناه في ليلة القدر

قال ابن عباس هي مدنية وقال قتادة هي مكية

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله تعالى انا انزلناه الضمير فى انزلناه للقرءان قال الشعبي وغيره المعنى انا ابتدأنا انزال هذا القرءان اليك فى ليلة القدر وقد روي ان نزول الملك فى حراء كان فى العشر الاواخر من رمضان فيستقيم هذا التاويل وقال ابن عباس وغيره انزله الله تعالى ليلة القدر الى سماء الدنيا جملة ثم نجمه على محمد صلى الله عليه وسلم عشرين سنة وليلة القدر خصها الله تعالى بفضل عظيم وجعلها افضل من الف شهر لا ليلة قدر فيها قاله مجاهد وغيره وخصت هذه الامة بهذه الفضيلة لما رأى النبي صلى الله عليه وسلم اعمار امته وتقاصرها وخشي ان لا يبلغوا من الاعمال مثل الذى بلغ غيرهم فى طول العمر فاعطاه الله عز وجل ليلة القدر خير من الف شهر قال ابن العربي فى احكامه وقد روي مالك هذا الحديث فى الموطأ

ثبت ذلك من رواية ابن القاسم وغيره انتهى ثم فخمها سبحانه بقوله وما ادراك ما ليلة القدر قال ابن عيينة فى صحيح البخاري ما كان فى القرءان وما ادراك فقد اعلمه وما قال وما يدريك فانه لم يعلمه وذكر ابن عباس وغيره انها سميت ليلة القدر لان الله تعالى يقدر فيها الآجال والارزاق وحوادث العام كلها ويدفع ذلك الى الملائكة لتمتثله قال (ع) وليلة القدر مستديرة فى اوتار العشر الاواخر من رمضان هذا هو الصحيح المعول عليه وهي فى الاوتار بحسب الكمال والنقصان فى الشهر فينبغي لمرتقبها ان يرتقبها من ليلة عشرين فى كل ليلة الى ءاخر الشهر وصح عن ابي بن كعب وغيره انها ليلة سبع وعشرين ثم اخبر تعالى ان ليلة القدر خير من الف شهر وهي ثمانون سنة وثلاثة اعوام وثلث عام وفى الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم من قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه والروح هو جبريل عليه السلام وقيل هو صنف حفظة للملائكة قال الفخر وذكروا فى الروح اقوالا احدها انه ملك عظيم لو التقم السموات والارض كان ذلك له لقمة واحدة وقيل الروح طائفة من الملائكة لايراهم الملائكة الا ليلة القدر كالزهاد الذين لا نراهم الا يوم العيد وقيل خلق من خلق الله يأكلون ويشربون ويلبسون ليسوا من الملائكة ولا من الانس ولعلهم خدم اهل الجنة وقيل الروح اشرف الملائكة وقال ابن ابي نجيح الروح هم الحفظة الكرام الكاتبون والاصح ان الروح هاهنا هو جبريل وتخصيصه بالذكر لزيادة شرفه انتهى * وقوله تعالى باذن ربهم من كل امر الثعلبي اي بكل امر قدره الله وقضاه فى تلك السنة الى قابل قاله ابن عباس ثم تبتدئ فتقول سلام هي ويحتمل ان يريد من كل فتنة سلامة انتهى قال (ع) وعلى التاويل الاول يجيء سلام خبر ابتداء مستانفا اي سلام هي هذه الليلة الى اول يومها ثم ذكر ما تقدم وقال الشعبي ومنصور سلام بمعنى التحية اي تسلم الملائكة على المومنين

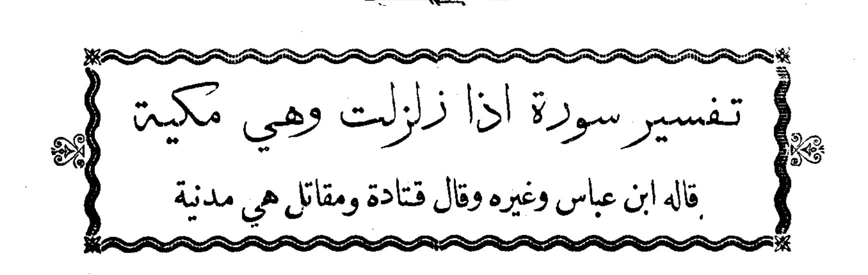
تفسير سورة لم يكن وهي مكية

في قول الجمهور وقيل مدنية والاول اشهر

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله تعالى لم يكن الذين كفروا وفي حرف ابن مسعود لم يكن المشركون واهل الكتاب منفكين * وقوله تعالى منفكين معناه منفصلين متفرقين تقول انفك الشيء عن الشيء اذا انفصل عنه واما انفك التي هي من اخوات كان فلا مدخل لها هنا قال مجاهد وغيره لم يكونوا منفكين عن الكفر والضلال حتى جاءتهم البينة واوقع المستقبل موقع الماضي في تاتيهم والبينات محمد صلى الله عليه وسلم وشرعه قال الثعلبي والمشركين يعني من العرب وهم عبدة الاوثان انتهى وقال الفراء وغيره لم يكونوا منفكين عن معرفة صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والتوكف لامره حتى جاءتهم البينة فتفرقوا عند ذلك ويتجه في معنى الآية قول ثالث بارع المعنى وذلك ان يكون المراد لم يكن هؤلاء القوم منفكين من امر الله ونظره لهم حتى يبعث اليهم رسولا تقوم عليهم به الحجة وتتم على من آمن به النعمة فكانه قال ما كانوا ليتركوا سدى والصحف المطهرة القرآن في صحفه قاله قتادة والضحاك وقال الحسن الصحف المطهرة في السماء فيها كتب اي احكام كتب وقيمة معناه قائمة معتدلة آخذة للناس بالعدل ثم ذم تعالى اهل الكتاب في انهم لم يتفرقوا في امر محمد صلى الله عليه وسلم الا من بعد ما رأوا الآيات الواضحة وكانوا من قبل متفقين على نبوته وصفته وحنفاء جمع حنيف وهو المستقيم وذكر الزكاة مع ذكر بني اسرائيل يقوي قول من قال

السورة مدنية لان الزكاة انما فرضت بالمدينة ولان النبي صلى الله عليه وسلم انما دفع الى مناقضة اهل الكتاب بالمدينة وقرأ الجمهور وذلك دين القيمة على معنى الجماعة والفرقة القيمة وقال (ص) قراءة الجمهور وذلك دين القيمة على تقدير الامة القيمة اي المستقيمة او الكتب القيمة وقرأ عبد الله وذلك الدين القيمة بتعريف الدين ورفع القيمة صفة والهاء فيه للمبالغة او على تاويل ان الدين بمعنى الملة انتهى والبريئة جميع الخلق لان الله تعالى برأهم اي اوجدهم بعد العدم * وقوله تعالى رضي الله عنهم قيل ذلك فى الدنيا فرضاه عنهم هو ما اظهره عليهم من امارات رحمته ورضاهم عنه هو رضاهم بجميع ما قسم لهم من جميع الارزاق والاقدار قال بعض الصالحين رضى العباد عن الله رضاهم بما يرد من احكامه ورضاه عنهم ان يوفقهم للرضى عنه وقال سري السقطي اذا كنت لا ترضى عن الله فكيف تطلب منه ان يرضى عنك وقيل ذلك فى الآخرة وخص تعالى بالذكر اهل الخشية لانها رأس كل بركة وهي الآمرة بالمعروف والناهية عن المنكر



تفسير سورة اذا زلزلت وهي مكية

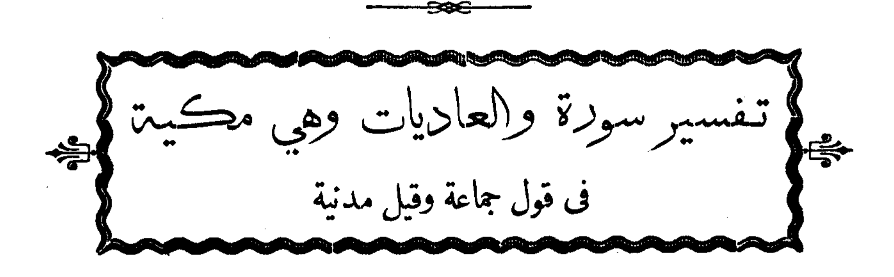
قاله ابن عباس وغيره وقال قتادة ومقاتل هي مدنية

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله تعالي اذا زلزلت الارض قد تقدم معنى الزلزلة والاثقال الموتى قاله ابن عباس وقيل اخرجت موتاها وكنوزها وقول الانسان مالها هو على معني

التعجب من هول ما يرى قال الجمهور الانسان هنا الكافر وقيل عام فى المومن والكافر واخبار الارض قال ابن مسعود وغيره هي شهادتها بما عمل عليها من عمل صالح وفاسد ويؤيد هـذا التاويل قوله صلى الله عليه وسلم فانه لايسمع مدى صوت المؤذن انس ولا جن ولا شيء الاشهد له يوم القيامة (ت) وخرج الترمذي فى جامعه عن ابى هريرة قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هـذه الآية يومئذ تحدث اخبارها قال اتدرون ما اخبارها قالوا الله ورسوله اعلم قال فان اخبارها ان تشهد على كل عبد وامة بما عمل على ظهرها تقول عمل علي يوم كذا كذا فهذه اخبارها قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح انتهى وكذا رواه ابو بكر بن الخطيب وفيه عمل علي فى يوم كذا وكذا وفى يوم كذا وكذا * وقوله تعالى بان ربك اوحى لها الباء باء السبب وقال ابن عباس وغيره المعنى اوحى اليها قال (ص) المشهور ان اوحى يتعدى بالى وعدي هنا باللام مراعاة للفواصل وقال ابو البقاء لها بمعنى اليها انتهى * وقوله سبحانه يومئذ يصدر الناس اشتاتا بمعنى ينصرفون من موضع ورودهم مختلفى الاحوال قال الجمهور ورودهم بالموت وصدورهم هو القيام الى البعث والكل سائر الى العرض ليرى عمله ويقف عليه وقيل الورود هو ورود المحشر والصدر اشتاتا هو صدر قوم الى الجنة وقوم الى النار ليروا جزاء اعمالهم * وقوله جلت عظمته فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره الآية كان النبي صلى الله عليه وسلم يسمى هذه الآية الجامعة الفاذة ويروى انه لما نزلت هذه السورة بكى ابو بكر وقال يا رسول الله او اسأل عن مثاقيل الذر فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا ابا بكر ما رأيته فى الدنيا مما تكره فبمثاقيل ذر الشر ويدخر لك الله مثاقيل ذر الخير الى الآخرة قال الداودي بينما عمر بن الخطاب بطريق مكة ليلا اذا ركب مقبلين من جهة فقال لبعض من معه سلهم من اين اقبلوا فقال له احدهم من الفج العميق نريد البلد العتيق

فاخبر عمر بذلك فقال اوقعوا فى هذا قل لهم فما اعظم ءاية فى كتاب الله واحكم ءاية فى كتاب الله واعدل ءاية فى كتاب الله وارجى ءاية فى كتاب الله واخوف ءاية فى كتاب الله فقال له قائلهم اعظم ءاية فى كتاب الله ءاية الكرسي واحكم ءاية فى كتاب الله ان الله يامر بالعدل والاحسان واعدل ءايـة فى كتاب الله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وارجى ءايـة فى كتاب الله ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويوت من لدنه اجرا عظيما واخوف ءاية فى كتاب الله من يعمل سوءا يجز به فاخبر عمر بذلك فقال لهم عمر افيكم ابن ام عبد فقالوا نعم وهو الذى كلمك قال عمر كُنَيْف(١) ملئى علما آثرنا به اهل القادسية على انفسنا قال الداودي ومعنى اعظم ءاية يريد فى الثواب انتهى



تفسير سورة والعاديات وهي مكية فى قول جماعة وقيل مدنية

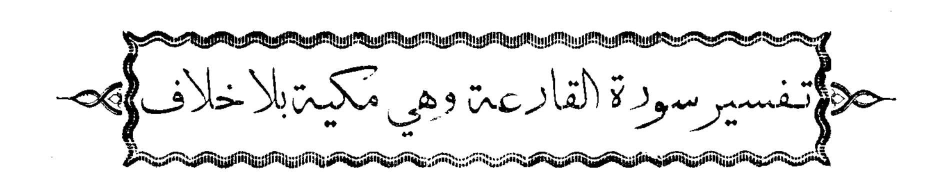
* بسم الله الرحمن الرحيم *

قال ابن عباس وغيره المراد بالعاديات الخيل لانها تعدو بالفرسان وتضبح باصواتها وعن ابن مسعود وعلي ان العاديات هنا الابل لانها تضبح فى عدْوها قال علي رضي الله عنه والقسم بالابل العاديات من عرفة ومن المزدلفة اذا دفع

(١) كُنَيْف لقب ابن مسعود لقبه به عمر رضي الله عنهما تشبيها بوعاء الراعي والتصغير للتعظيم والمدح اه مصححه

الحاج وبابل غزوة بـدر والضبح تصويت جهير عنـد العدو قال الداودي وهـو الصوت الذى يسمع من اجوافها وقت الركض انـتهى * وقوله تعالى فالموريات قـدحا قال علي وابن مسعود هي الابل وذلك بانها فى عـدوها ترجم الحصباء بالحصباء فـتـتطاير منهـا النار فـذلك القدح وقال ابن عباس هى الخيـل وذلك بحوافرها فى الحجارة وقال ابن عباس ايضا وجماعة الكلام عام يدخل فى القسم كل من يظهر بقدحه نارا (ص) قدحا ابو البقاء مصدر موكد لان الموري هو القادح انتهى فالمغيرات صبحا قال علي وابن مسعود هي الابل من مزدلفة الى منى وفى بـدر وقال ابن عباس وجماعة كثيرة هي الخيل واللفظة مـن الغارة فى سبيل الله وغير ذلك من سير الامم وعرف الغارات انها مع الصباح والنقع الغبار الساطع المثار والضمير فى به ظاهره انه للصبح المذكور ويحتمل ان يكون للمكان والموضع الذى يقتضيه المعنى ومشهور اثارة النقع هو للخيل وقال علي هو هنا للابل * فوسطن به جمعا قال علي وابن مسعود هي الابل وجمعا هي المزدلفة وقال ابن عباس وجماعة هي الخيل والمراد جمع من الناس هم المغزوون والقسم واقع على قوله ان الانسان لربه لكنود وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اتدرون ما الكنود قالوا لا يا رسول الله قال هو الكفور الذى ياكل وحـده ويمنع رفده ويضرب عبده وقد يكون فى المومنين الكفور بالنعمة فتقـدير الآية ان الانسان لنعمة ربه لكنود وارض كنود لا تنبت شيأ والكـنود العاصى بلغـة كندة ويقال للبخيـل كنود وفى البخاري عن مجاهـد الكنود الكـفور انتهى * وقوله تعالى وانـه على ذلك لشهيـد يحتمل الضمير ان يعود على الله تعالى وقاله قتادة ويحتمل ان يعود على الانسان انـه شاهد على نفسه بـذلك وهذا قول مجاهد وغيره * وانه لحب الخير اي وان الانسان لحب الخير والمعنى من اجل حب الخير لشديد اي بخيل بالمال ضابط له والخير هنا المال ويحتمل

ان يراد هنا الخير الدنيوي من مال وصحة وجاه عند الملوك ونحوه لان الكفار والجهال لا يعرفون غير ذلك واما الحب فى خير الآخرة فممدوح مرجو له الفوز وقال الفراء معنى الآية ان الانسان لشديد الحب للخير ولما تقدم الخير قبل شديد حذف من آخره لانه قد جرى ذكره ولرءوس الآي انتهى * وقوله تعالى افلا يعلم توقيف اي افلا يعلم مئاله ومصيره فيستعدله * وحصل ما فى الصدور اي ميز وابرز ما فيها ليقع الجزاء عليه ويفسر هذا قوله صلى الله عليه وسلم يبعثون على نياتهم وفى قوله تعالى ان ربهم بهم يومئذ لخبير وعيد (ص) والعامل فى يومئذ لخبير على تضمينه معنى لَمُجازٍ لانه تعالى خبير دائما انتهى



تفسير سورة القارعة وهي مكية بلا خلاف

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قال الجمهور القارعة القيامة نفسها والفراش الطير الذى يتساقط فى النار ولا يزال يتقحم على المصباح وقال الفراء هو صغير الجراد الذى ينتشر فى الارض والهواء وفى البخاري كالفراش المبثوث كغوغاء الجراد يركب بعضه بعضا كذلك الناس يومئذ يجول بعضهم فى بعض انتهى والمبثوث هنا معناه المتفرق جمعه وجملته موجودة متصلة والعهن هو الصوف والنفش خلخلة الاجزاء وتفريقها عن تراصيها * وقوله تعالى فامه هاوية قال كثير من المفسرين المراد بالام نفس الهاوية وهذا كما يقال للارض ام الناس لانها تؤويهم وقال ابو صالح وغيره

المراد ام رأسه لانهم يهوون على رءوسهم وروى المبرد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لرجل لا ام لك فقال يا رسول الله تدعونى الى الهدى وتقول لا ام لك فقال عليه السلام انما اردت لا نار لك قال الله تعالى فامه هاوية



تفسير سورة التكاثر وهي مكية

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله تعالى الهاكم التكاثر اي شغلكم المباهاة والمفاخرة بكثرة المال والاولاد والعدد وهذا هِجِّيرى ابناء الدنيا العرب وغيرهم لا يتخلص منه الا العلماء المتقون قال الفخر فالالف واللام فى التكاثر ليس للاستغراق بل للمعهود السابق فى الذهن وهو التكاثر فى الدنيا ولذاتها وعلائقها فانه هو الذى يمنع عن طاعة الله وعبوديته ولما كان ذلك مقررا فى العقول ومتفقا عليه فى الاديان لاجرم حسن دخول حرف التعريف عليه فالآية دالة على ان التكاثر والتفاخر بما ذكر مذموم انتهى* وقوله تعالى حتى زرتم المقابر اي حتى متم فدفنتم فى المقابر وهذا خبر فيه تقريع وتوبيخ وتحسر وفى الحديث الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم يقول ابن ءادم مالى مالى وهل لك يابن ءادم من مالك الا ما اكلت فافنيت او لبست فابليت او تصدقت فامضيت قال (ص) قرأ الجمهور الهاكم على الخبر وابن عباس بالمد والكسائي فى رواية بهمزتين ومعنى الاستفهام التوبيخ والتقرير انتهى قال الفخر اعلم ان اهم الامور واولاها بالرعاية ترقيق القلب وازالة حب الدنيا منه

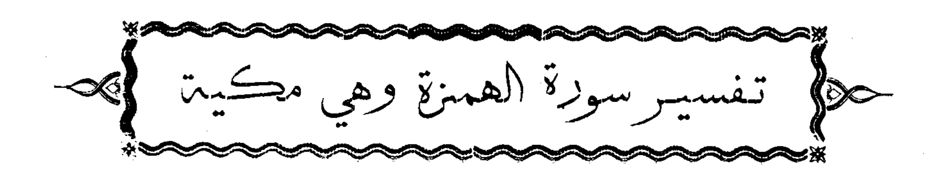
ومشاهدة القبور تورث ذلك كما ورد به الخبر انتهى * وقوله تعالى كلا سوف تعلمون زجر ووعيد ثم كرر تاكيدا وياخذ كل انسان من هذا الزجر والوعيد المكرر على قدر حظه من التوغل فيما يكره هذا تاويل الجمهور وقال علي كلا سوف تعلمون فى القبر ثم كلا سوف تعلمون فى البعث قال الفخر وفى الآية تهديد عظيم للعلماء فانها دالة على انه لو حصل اليقين لتركوا التكاثر والتفاخر فهذا يقتضى ان من لا يترك التكاثر والتفاخر ان لا يكون اليقين حاصلا له فالويل للعالم الذى لا يكون عاقلا ثم الويل له انتهى * وقوله تعالى كلا لو تعلمون علم اليقين جواب لو محذوف تقديره لازدجرتم وبادرتم انقاذ انفسكم من الهلكة واليقين اعلى مراتب العلم ثم اخبر تعالى الناس انهم يرون الجحيم وقال ابن عباس هذا خطاب للمشركين والمعنى على هذا التاويل انها رؤية دخول وصلي وهو عين اليقين لهم وقال ءاخرون الخطاب للناس كلهم فهي كقوله تعالى وان منكم الا واردها فالمعنى ان الجميع يراها ويجوز الناجى ويتكردس فيها الكافر (ص) لترون ابن عامر والكساءي بضم التاء والباقون بفتحها انتهى * وقوله تعالى ثم لترونها عين اليقين تاكيد فى الخبر وعين اليقين حقيقته وغايته ثم اخبر تعالى ان الناس مسئولون يومئذ عن نعيمهم فى الدنيا كيف نالوه ولم ءاثروه وتتوجه فى هذا اسئلة كثيرة بحسب شخص شخص وهي منقادة لمن اعطي فهما فى كتاب الله عز وجل وقد قال صلى الله عليه وسلم لاصحابه والذى نفسى بيده لتسئلن عن نعيم هذا اليوم الحديث فى الصحيح اذ ذبح لهم ابو الهيثم ابن التَيِّهان شاة واطعمهم خبزا ورطبا واستعذب لهم ماء وعن ابى هريرة فى حديثه فى مسير النبي صلى الله عليه وسلم وابى بكر وعمر الى بيت ابى الهيثم واكلهم الرطب واللحم وشربهم الماء وقوله صلى الله عليه وسلم هذا هو النعيم الذى تسئلون عنه يوم القيامة وان ذلك كبر على اصحابه وان رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال اذا اصبتم مثل هـذا وضربتم بايـديكم فقولوا بسم الله وعلى بركة الله واذا
شبعتم فقولوا الحمد لله الذى اشبعنا وارونا وانعم علينا وافضل فان هذا كفاف
بذاك هذا مختصر رواه الحاكم فى المستدرك انتهى من سلاح المومن قال الداودي
وعن الحسن وقتادة ثلاث لا يسئل الله عنهن ابن ءادم وما عداهن فيه
الحساب والسؤال الا ما شاء الله كسوة يوارى بها سوءته وكسرة يشد بها
صلبه وبيت يكنه من الحر والبرد انتهى

تفسير سورة والعصر وهي مكية

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

قال ابن عباس العصر الدهر وقال مقاتل العصر هي صلاة العصر وهي الوسطى
اقسم الله بها وقال ابي بن كعب سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن والعصر
فقال اقسم ربكم بـءاخر النهار والانسان هنا اسم جنس والخسر النقصان وسوء
الحال ومن كان من المومنين فى مدة عمره فى التواصى بالحق والصبر والعمل
بحسب الوَصاة فلا خسر معه وقد جمع الخير كله



* بسم الله الرحمن الرحيم *

تقدم تفسير ويل والهمزة الذى يهمز الناس بلسانه اي يعيبهم ويغتابهم واللمزة قريب فى المعنى من هذا وقد تقدم بيانه فى قوله تعالى ولا تلمزوا انفسكم وفى قوله والذين يلمزون المطوعين وغيره قيل نزلت هذه الآية فى الاخنس بن شريق وقيل فى جميل بن عامر ثم هي تتناول كل من اتصف بهذه الصفات * وعدده معناه احصاه وحافظ على عدده ان لا ينتقص وقال الداودي وعدده اي استعده انتهى لينبذن ليطرحن (ص) نار الله خبر مبتدإ محذوف اي هي نار الله انتهى * والتى تطلع على الافئدة اي التى يبلغ احراقها والمها القلوب * وموصدة اي مطبقة مغلقة * فى عمد جمع عمود وقرأ ابن مسعود موصدة بعمد ممددة وقال ابن زيد المعنى فى عمد حديد مغلولين بها والكل من نار عافانا الله من ذلك

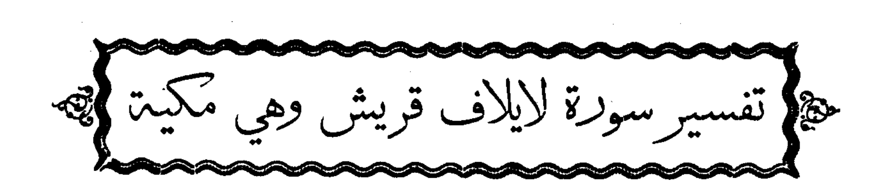
تفسير سورة ألم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل

وهي مكية باجماع

* بسم الله الرحمن الرحيم *

هذه السورة تنبيه على العبرة فى اخذ الله تعالى لابرهة امير الحبشة حين قصد الكعبة ليهدمها وكان صاحب فيل يركبه وقصته شهيرة فى السير فيها تطويل واختصارها ان ابرهة بنى فى اليمن بيتا واراد ان يرد اليه حج العرب فذهب اعرابي واحدث فى ذلك البيت فغضب ابرهة واحتفل فى جموعه وركب الفيل وقصد مكة فلما قرب منها فرت قريش الى الجبال والشعاب من معرة الجيش ثم تهيأ ابرهة لدخول مكة وهيأ الفيل فاخذ نفيل بن حبيب باذن الفيل وكان اسمه محمودا فقال له ابرك محمود فانك فى حرم الله وارجع من حيث جئت راشدا فبرك الفيل بذى الغميس فبعثوه فابى فضربوا رأسه بالمعول وراموه بمحاجنهم فابى فوجهوه راجعا الى اليمن فقام يهرول فبعث الله عليهم طيرا جماعات جماعات سودا من البحر عند كل طائر ثلاثة احجار فى منقاره ورجليه كل حجر فوق العدسة ودون الحمصة ترميهم بها فماتوا فى طريقهم متفرقين وتقطع ابرهة انملة انملة حتى مات وحمى الله بيته والابابيل الجماعات تجيء شيأ بعد شيء قال ابو عبيدة لا واحد له من لفظه قال الفخر وفى تضليل معناه فى تضييع وابطال يقال ضلل كيده اذا جعله ضالا ضائعا ونظيره قوله تعالى وما كيد الكافرين الا فى ضلال انتهى. والعصف ورق الحنطة وتبنه والمعنى صاروا طحينا

ذاهبا كورق حنطة اكلته الدواب وراثته فجمع لهم المهانة والحسة والتلف قال الفخر وقيل المعنى كعصف صالح للاكل والمعنى جعلهم كتبن تاكله الدواب وهو قول عكرمة والضحاك انتهى ومن كتاب وسائل الحاجات وآداب المناجات للامام ابى حامد الغزالي رحمه الله تعالى قال وقد بلغنا عن غير واحد من الصالحين وارباب القلوب انه من قرأ فى ركعتي الفجر فى الاولى الفاتحة والم نشرح وفى الثانية الفاتحة والم تر قصرت يد كل عدو عنه ولم يجعل لهم اليه سبيل قال الامام ابو حامد وهذا صحيح لاشك فيه انتهى



تفسير سورة لايلاف قريش وهي مكية

* بسم الله الرحمن الرحيم *

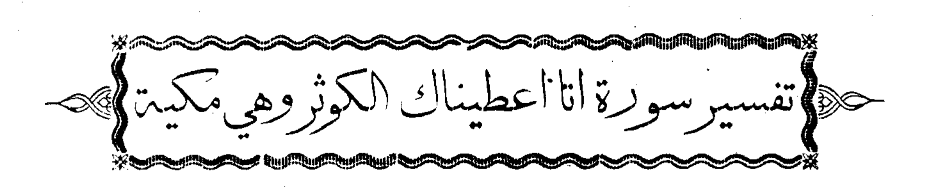
قريش ولد النضر بن كنانة والتقرش التكسب والمعنى ان الله تعالى جعل قريشا يالفون رحلتين فى العام واحدة فى الشتاء واخرى فى الصيف قال ابن عباس كانوا يرحلون فى الصيف الى الطائف حيث الماء والظل ويرحلون فى الشتاء الى مكة قال الخليل معنى الآية لان فعل الله بقريش هذا ومكنهم من الفهم هذه النعمة فليعبدوا رب هذا البيت * وقوله تعالى من جوع معناه ان اهل مكة قاطنون بواد غير ذى زرع عرضة للجوع والجدب لولا فضل الله عليهم

تفسير سورة ارأيت الذى وهي مكية

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله سبحانه ارأيت الذى يكذب بالدين الآية توقيف وتنبيه لتتذكر نفس السامع كل من تعرفه بهذه الصفة والدين الجزاء * ودع اليتيم دفعه بعنف اما عن اطعامه والاحسان اليه واما عن حقه وماله وهو اشد ويروى ان هذه الآية نزلت فى بعض المضطربين فى الاسلام بمكة لم يحققوا فيه وفتنوا فافتتنوا وربما كان يصلى بعضهم احيانا مع المسلمين مدافعة وحيرة فقال تعالى فيهم فويل للمصلين الآية ونقل الثعلبي عن ابن عباس وغيره ان الآية نزلت فى العاص بن وائل انتهى وقال السهيلي قال اهل التفسير نزل اول السورة بمكة فى ابى جهل وهو الذى يكذب بالدين ونزل آخرها بالمدينة فى عبد الله بن ابي ابن سلول واصحابه وهم الذين يراءون ويمنعون الماعون انتهى قال سعد بن ابى وقاص سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن الذين هم عن صلاتهم ساهون فقال هم الذين يؤخرونها عن وقتها يريد والله اعلم تاخير ترك واهمال والى هذا نحا مجاهد وقال عطاء بن يسار الحمد لله الذى قال عن صلاتهم ولم يقل فى صلاتهم * وقوله تعالى الذين هم يراءون بيان ان صلاة هؤلاء ليست لله تعالى بايمان وانما هي رياء للبشر فلا قبول لها * وقوله تعالى ويمنعون الماعون وصف لهم بقلة النفع لعباد الله وتلك شر خصلة وقال على وابن عمر الماعون الزكاة وقال ابن

مسعود وابن عباس وجماعة هو ما يتعاطاه الناس كالفاس والدلو والآنية والمقص ونحوه وسئل النبي صلى الله عليه وسلم ما الشيء الذى لا يحل منعه فقال الماء والنار والملح وروته عائشة رضي الله عنها وفى بعض الطرق زيادة الابرة والخمير قال البخاري الماعون المعروف كله وقال بعض العرب الماعون الماء وقال عكرمة اعلاه الزكاة المفروضة وادناه عارية المتاع انتهى

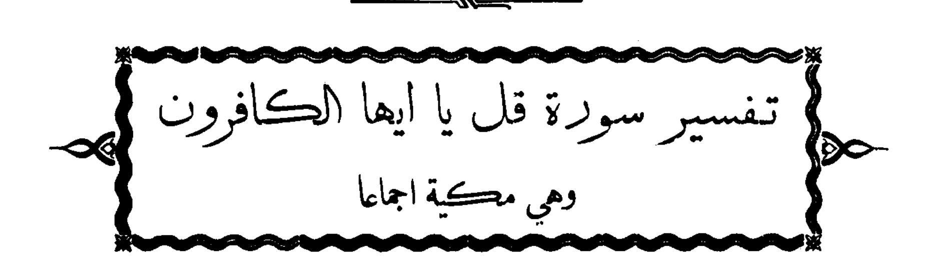


تفسير سورة انا اعطيناك الكوثر وهي مكية

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قال جماعة من الصحابة والتابعين الكوثر نهر فى الجنة حافتاه قباب من لؤلؤ مجوف وطينه مسك وحصباؤه ياقوت ونحو هذا من صفاته وان اختلفت الفاظ رواته وقال ابن عباس الكوثر الخير الكثير قال ابن جبير النهر الذى فى الجنة هو من الخير الذى اعطاه الله اياه (ت) وخرج مسلم عن انس قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بين اظهرنا اذ اغفى اغفاءة ثم رفع رأسه متبسما فقال نزلت علي آنفا سورة فقرأ انا اعطيناك الكوثر الى آخرها ثم قال اتدرون ما الكوثر قلنا الله ورسوله اعلم قال فانه نهر وعدنيه ربى عليه خير كثير هو حوض ترد عليه امتي يوم القيامة الحديث انتهى وخرج ابن ماجه من حديث ثوبان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اول من يرد علي الحوض فقراء المهاجرين الدنس ثيابا الشعث رؤسا الذين لا ينكحون المتنعمات ولا تفتح لهم ابواب السدد قال الراوى فبكى عمر بن عبد العزيز حتى اخضل لحيته حين بلغه الحديث وقال

لاجرم انى لا اغسل ثوبى الذى يلى جسدى حتى يتسخ ولا ادهن رأسى حتى يشعث وخرجه ابو عيسى الترمذي عن ثوبان عن النبي صلى الله عليه وسلم بمعناه ونقل صاحب التذكرة عن انس بن مالك قال اول من يرد الحوض على النبي صلى الله عليه وسلم الذابلون الناحلون السائحون الذين اذا اجنهم الليل استقبلوه بالحزن انتهى من التذكرة وروى ابو داود فى سننه عن ابى حمزة عن زيد بن ارقم قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلنا منزلا فقال ما انتم جزء من مائة الف جزء ممن يرد علي الحوض قال قلت كم كنتم يومئذ قال سبعمائة اوثمانمائة انتهى * وقوله تعالى فصل لربك وانحر امر بالصلاة على العموم والنحر نحر الهدي والنسك والضحايا على قول الجمهور * وقوله تعالى ان شانئك هو الابتر رد على مقالة بعض سفهاء قريش كابى جهل وغيره قال عكرمة وغيره مات ولد للنبي صلى الله عليه وسلم فقال ابو جهل بتر محمد فنزلت السورة وقال تعالى ان شانئك هو الابتر اي المقطوع المبتور من رحمة الله والشانئ المبغض قال الداودي كل شانئ لرسول الله صلى الله عليه وسلم فهو ابتر ليس له يوم القيامة شفيع ولا حميم يطاع انتهى



تفسير سورة قل يا ايها الكافرون

وهي مكية اجماعا

* بسم الله الرحمن الرحيم *

روي فى سبب نزول هذه السورة عن ابن عباس وغيره ان جماعة من صناديد

قريش قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم دع ما انت فيه ونحن نمولك ونملكك علينا وان لم تفعل هذا فلتعبد ءالهتنا ونعبد الهك حتى نشترك فحيث كان الخير نلناه جميعا وروي ان هذه الجماعة المذكورة هم الوليد بن المغيرة والعاصى بن وائل وامية بن خلف وابي بن خلف وابو جهل وابناء الحجاج ونظراؤهم ممن لم يكتب له الاسلام وحتم بشقاوته فاخبرهم صلى الله عليه وسلم عن امر الله عز وجل انه لايعبد ما يعبدون وانهم غير عابدى ما يعبد ولما كان قوله لا اعبد محتملا ان يراد به الآن ويبقى المستانف منتظرا ما يكون فيه من عبادته جاء البيان بقوله ولا انا عابد ما عبدتم اي ابدا ثم جاء قوله ولا انتم عابدون ما اعبد الثانى حتما عليهم انهم لا يومنون به ابدا كالذى كشف الغيب ثم زاد الامر بيانا وتبريا منهم قوله لكم دينكم ولي دين وقال بعض العلماء فى هذه الالفاظ مهادنة ماوهي منسوخة(١)

---

(١) قال العلامة الآلوسي فى تفسير هذه الآية والاولى ان تفسر بمالا تكون عليه منسوخة لان النسخ خلاف الظاهر فلا يصار اليه الا عند الضرورة انتهى وقال الحافظ ابن القيم فى البدائع ما حاصله قد غلط فى السورة خلائق وظنوا انها منسوخة لاعتقادهم ان هذه الآية اقتضت التقرير لهم على دينهم وظن ءاخرون انها مخصوصة بمن يقرون على دينهم وهم اهل الكتاب وكلا القولين غلط محض فلا نسخ فى السورة ولا تخصيص بل هي محكمة عمومها نص محفوظ وهي من السور التى يستحيل دخول النسخ فيها والآية اقتضت البراءة المحضة وان ما انتم عليه من الدين لا اوافقكم عليه فانه دين باطل فهو مختص بكم لانشرككم فيه ولا تشركوننا فى ديننا الحق فاين الاقرار حتى يدعى النسخ او التخصيص افترى اذا جوهدوا بالسيف كما جوهدوا بالحجة لا يصح ان يقال لهم لكم دينكم ولي دين انتهى مصححه

تفسير سورة النصر وهي مدنية باجماع

* بسم الله الرحمن الرحيم *

روت عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة واسلمت العرب جعل يكثر ان يقول سبحانك اللهم وبحمدك استغفرك واتوب اليك يتأول القرءان فى هذه السورة وقال لها مرة ما اراه الاحضور اجلى وتأوله عمر والعباس بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم فصدقهما ونزع هذا المنزع ابن عباس وغيره والفتح هو فتح مكة كذا فسره صلى الله عليه وسلم فى صحيح مسلم والافواج الجماعة اثر الجماعة (ص) بحمد ربك اي متلبسا فالباء للحال انتهى * وقوله تعالى انه كان توابا بعقب واستغفره ترجية عظيمة للمستغفرين قال ابن عمر نزلت هذه السورة على النبي صلى الله عليه وسلم بمنى فى اوسط ايام التشريق فى حجة الوداع وعاش بعدها ثمانين يوما او نحوها

تفسير سورة تبت يدا ابى لهب وهي مكية باجماع

* بسم الله الرحمن الرحيم *

فى صحيح البخاري وغيره عن ابن عباس لما نزلت وانذر عشيرتك الاقربين ورهطك منهم المخلصين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد الصفا

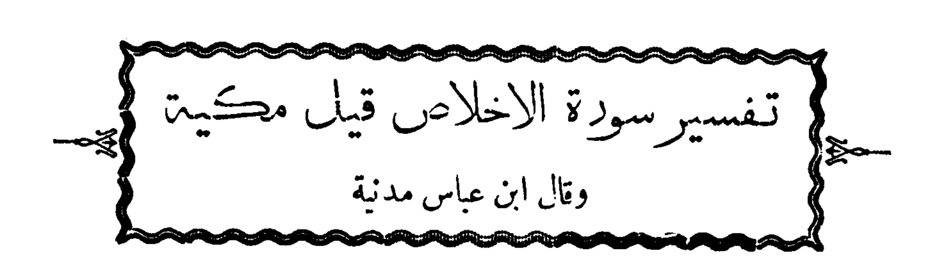
فهتف ياصباحاه فقالوا من هذا فاجتمعوا اليه فقال ارأيتم ان اخبرتكم ان خيلا تخرج من سفح هذا الجبل اكنتم مصدقي قالوا نعم ما جربنا عليك كذبا قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال ابو لهب تبا لك ما جمعتنا الا لهذا ثم قام فنزلت تبت يدا ابي لهب الى ءاخرها وتبت معناه خسرت والتباب الخسران والدمار واسند ذلك الى اليدين من حيث ان اليد موضع الكسب والربح وضم ما يملك ثم اوجب عليه انه قد تب اي حتم ذلك عليه وفى قراءة ابن مسعود وقد تب وابو لهب هو عبد العزى بن عبد المطلب وهو عم النبي صلى الله عليه وسلم ولكن سبقت له الشقاوة قال السهيلي كناه الله بابى لهب لما خلقه سبحانه للهب واليه مصيره الاترا‌ه تعالى قال سيصلى نارا ذات لهب فكانت كنيته بابى لهب تقدمت لما يصير اليه من اللهب انتهى * وقوله سبحانه ما اغنى عنه ماله يحتمل ان تكون ما نافية على معنى الخبر ويحتمل ان تكون ما استفهامية على وجه التقرير اي اين الغَناء الذى لماله وكسبه وما كسب يراد به عرض الدنيا من عقار ونحوه وقيل كسبه بنوه * وقوله سبحانه سيصلى نارا ذات لهب حتم عليه بالنار واعلام بانه يتوفى على كفره نعوذ بالله من سوء القضاء ودرك الشقاء * وقوله تعالى وامرأته حمالة الحطب هي ام جميل اخت ابى سفيان بن حرب وكانت موذية للنبي صلى الله عليه وسلم وللمومنين بلسانها وغاية قدرتها وكانت تطرح الشوك فى طريق النبي صلى الله عليه وسلم وطريق اصحابه ليعقرهم فلذلك سميت حمالة الحطب قاله ابن عباس وقيل هو استعارة لذنوبها قال عياض وذكر عبد بن حميد قال كانت حمالة الحطب تضع العضاه وهي جمر على طريق النبي صلى الله عليه وسلم فكانما يطأها كثيبا اهيل انتهى (ص) وقرئ شاذا ومُرَيْئَتُه بالتصغير والجيد هو العنق اه * وقوله تعالى فى جيدها حبل من مسد قال ابن عباس وجماعة الاشارة الى الحبل حقيقة الذي

ربطت به الشوك والمسد الليف وقيل ليف المقل وفى صحيح البخاري يقال من مسد ليف المقل وهي السلسلة التى فى النار انتهى وروي فى الحديث ان هذه السورة لما نزلت وقرئت بلغت ام جميل فجاءت ابا بكر وهو جالس مع النبي صلى الله عليه وسلم فى المسجد وبيدها فهر حجر فاخذ الله ببصرها وقالت يا ابا بكر بلغنى ان صاحبك هجانى ولو وجدته لضربته بهذا الفهر وانى لشاعرة وقد قلت فيه

مذمما قلينا * ودينه ابينا

فسكت ابو بكر ومضت هي فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد حجبتنى عنها ملائكة فما رأتنى وكفانى الله شرها

*



تفسير سورة الاخلاص قيل مكية

وقال ابن عباس مدنية

* بسم الله الرحمن الرحيم *

روي ان اليهود دخلوا على النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا له يا محمد صف لنا ربك وانسبه فانه وصف نفسه فى التوراة ونسبها فارتعد النبي صلى الله عليه وسلم من قولهم حتى خر مغشيا عليه ونزل جبريل بهذه السورة * واحد معناه واحد فرد من جميع جهات الوحدانية ليس كمثله شيء وهو ابتداء والله ابتداء ثان واحد خبره والجملة خبر الاول وقيل هو ابتداء والله خبره واحد بدل منه وقرأ عمر بن الخطاب وغيره قل هو الله الواحد الصمد والصمد فى كلام العرب

السيد الذى يصمد اليه فى الامور ويستقل بها وانشدوا

لقد بكر الناعى بخير بنى اسد * بعمرو بن مسعود وبالسيد الصمد

وبهذا تتفسر هذه الآية لان الله تعالى جلت قدرته هو موجد الموجودات واليه تصمد وبه قوامها سبحانه وتعالى * وقوله تعالى لم يلد ولم يولد رد على اشارة الكفار فى النسب الذى سألوه وقال ابن عباس تفكروا فى كل شيء ولا تتفكروا فى ذات الله قال (ع) لان الافهام تقف دون ذلك حسيرة * وقوله سبحانه ولم يكن له كفؤا احد معناه ليس له ضد ولا ند ولا شبيه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير والكفؤ النظير وكفؤا خبر كان واسمها احد قال (ص) وحسن تاخير اسمها لوقوعه فاصلة وله متعلق بكفؤا اي لم يكن احد كفؤا له وقدم اهتماما به لاشتماله على ضمير البارى سبحانه انتهى وفى الحديث الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم ان قل هو الله احد تعدل ثلث القرءان قال (ع) لما فيها من التوحيد وروى ابو محمد الدارمي فى مسنده قال حدثنا عبد الله بن مزيد حدثنا حيوة قال اخبرنا ابو عقيل انه سمع سعيد بن المسيب يقول ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من قرأ قل هو الله احدى عشرة مرة بني له قصر فى الجنة ومن قرأها عشرين مرة بني له قصران فى الجنة ومن قرأها ثلاثين مرة بني له ثلاثة قصور فى الجنة فقال عمر بن الخطاب اذن تكثر قصورنا يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله اوسع من ذلك اي فضل الله اوسع من ذلك قال الدارمي ابو عقيل هو زهرة بن معبد وزعموا انه من الابدال انتهى من التذكرة

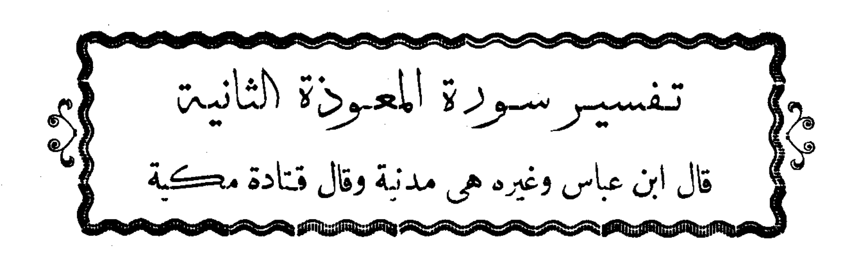
تفسير سورة المعوذة الاولى

قال ابن عباس مدنية وقال قتادة مكية

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله عز وجل قل اعوذ برب الفلق الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد هو وءاحاد امته قال ابن عباس وغيره الفلق الصبح وقال ابن عباس ايضا وجماعة من الصحابة الفلق جب فى جهنم ورواه ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم * وقوله تعالى من شر ما خلق يعم كل موجود له شر واختلف فى الغاسق فقال ابن عباس وغيره الغاسق الليل ووقب اظلم ودخل على الناس وفى الحديث الصحيح عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم اشار الى القمر وقال يا عائشة تعوذى بالله من شر هذا الغاسق اذا وقب قال السهيلي وهذا اصح ما قيل لهذا الحديث الصحيح انتهى ولفظ صاحب سلاح المومن عن عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم نظر الى القمر فقال يا عائشة استعيذى بالله من شر هذا فان هذا الغاسق اذا وقب رواه الترمذي والنساءي والحاكم فى المستدرك واللفظ للترمذي وقال حسن صحيح وقال الحاكم صحيح الاسناد ووقب القمر وقوبا دخل فى الظل الذى يكسفه قاله ابن سيدة انتهى من السلاح * والنفاثات فى العقد السواحر ويقال ان الاشارة اولا الى بنات لبيد ابن الاعصم اليهودي كن ساحرات وهن اللواتى سحرن مع ابيهن رسول الله صلى الله عليه وسلم والنفث شبه النفخ دون تفل ريق وهذا النفث هو على عقد تعقد فى خيوط ونحوها على اسم المسحور فيوذى بذلك قال (ع) وهذا الشأن

فى زماننا موجود شائع فى صحراء المغرب وحدثنى ثقة انه رأى عند بعضهم خيطا احمر قد عقدت فيه عقد على فصلان فمنعت بذلك رضاع امهاتها فكان اذا حل عقدة جرى ذلك الفصيل الى امه فى الحين فرضع اعاذنا الله من شر السحر والسحرة * وقوله تعالى ومن شر حاسد اذا حسد قال قتادة من شر عينه ونفسه يريد بالنفس السعي الخبيث وقال الحسين بن الفضل ذكر الله تعالى الشرور فى هذه السورة ثم ختمها بالحسد ليعلم انه اخس الطبائع



تفسير سورة المعوذة الثانية

قال ابن عباس وغيره هي مدنية وقال قتادة مكية

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله عز وجل قل اعوذ برب الناس ملك الناس اله الناس من شر الوسواس الخناس الوسواس اسم من اسماء الشيطان وقوله الخناس معناه الراجع على عقبه المستتر احيانا فاذا ذكر العبد الله تعالى وتعوذ تذكر فابصر كما قال تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف الآية قال النووي قال بعض العلماء يستحب قول لا اله الا الله لمن ابتلي بالوسوسة فى الوضوء والصلاة وشبههما فان الشيطان اذا سمع الذكر خنس اي تأخر وبعد ولا اله الا الله رأس الذكر ولذلك اختار السادة الجلة من صفوة هذه الامة اهل تربية السالكين وتاديب المريدين قول لا اله الا الله لاهل الخلوة وامروهم بالمداومة عليها وقالوا انفع علاج فى دفع الوسوسة الاقبال على ذكر الله تعالى والاكثار منه وقال السيد الجليل احمد بن ابي

الحواري شكوت الى ابي سليمان الداراني الوسواس فقال اذا اردت ان ينقطع عنك فاي وقت احسست به فافرح فانك اذا فرحت به انقطع عنك لانه ليس شئ ابغض الى الشيطان من سرور المومن وان اغتممت به زادك (ت) وهذا مما يؤيد ما قاله بعض الائمة ان الوسواس انما يبتلى به من كمل ايمانه فان اللص لا يقصد بيتا خربا انتهى (ت) ورأيت فى مختصر الطبري نحو هـذا * وقوله تعالى من الجنة يعني الشياطين ويظهر ان يكون قوله والناس يراد به من يوسوس بخدعة من الشر ويدعو الى الباطل فهو فى ذلك كالشيطان قال احمد بن نصر الداودي وعن ابن جريج من الجنـة والناس قال انهما وسواسان فوسواس من الجنة ووسواس من نفس الانسان انتهى وفى الحديث الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اوى الى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما فقرأ قل هـو الله احـد وقل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس ثم مسح بهما مـا استطاع من جسده يبدأ بهما من رأسه ووجهه وما اقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات صلى الله عليه وعلى ءاله وصحبه وسلم تسليما

يقول العبد الفقير الى الله تعالى عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي لطف الله به فى الدارين قد يسر الله عز وجل فى اتمام تلخيص هذا المختصر * وقد اودعته بحول الله جزيـلا من الدرر * قد استوعبت فيه بحمد الله مهمات ابن عطية واسقطت كثيرا من التكرار ومـا كان من الشواذ فى غاية الوهي وزدت من غيره جواهر ونفائس لا يستغنى عنها مميزة معزوة لمحالها منقولة بالفاظها وتوخيت فى جميع ذلك الصدق والصواب * والى الله ارغب فى جزيـل الثواب * وقـد نبهت بعض تنبيه وعرفت بايام رحلتى فى طلب العلم بعض تعريف عند ختمى لتفسير سورة الشورى فلينظر هنالك والله المسـؤول ان يجعل هذا السعي منا خالصا لوجهه وعملا صالحا يقربنا الى مرضاته ومن وجد فى هذا

الكتاب تصحيفا او خللا فارغب اليه ان يصلحه من الامهات المنقول منها متثبتا فى ذلك لا برأيه وبديهة عقله

فكم من عائب قولا صحيحا * وءافته من الفهم السقيم

وكان الفراغ من تاليفه فى الخامس عشر من ربيع الاول من عام ثلاثة وثلاثين وثمانمائة وانا ارغب الى كل اخ نظر فيه ان يخلص لى وله بدعوة صالحة وهذا الكتاب لا ينبغي ان يخلو عنه متدين ومحب لكلام ربه فانه يطلع فيه على فهم القرءان اجمع فى اقرب مدة وليس الخبر كالعيان هذا مع ما خص به من تحقيق كلام الائمة المحققين رضي الله عنهم نقلته عنهم بالفاظهم متحريا للصواب * ومن الله ارتجى حسن المءاب * وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيئين * وعلى ءاله وصحبه اجمعين * وءاخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين *

خاتمة الطبع

* بسم الله الرحمن الرحيم *

تبارك من بيده الملك وخلق كل شيء فقدره تقديرا * والحمد لله الذى نزّل الفرقان على نبيه ليكون لكافة الناس بشيرا ونذيرا * والصلاة والسلام على من ارسله ربه داعيا اليه باذنه وسراجا منيرا * وانزل عليه ولا ياتونك بمثل الا جئناك بالحق واحسن تفسيرا * سيدنا محمد ممدن العالم * وخلاصة المصطفين من بنى ءادم * وعلى ءاله واصحابه الاماجد الاعيان * الذين بلغوا الينا القرءان العظيم الشان * وحفظوا مبانيه * وفهموا معانيه * وعملوا بمقتضى احكامه * فنالوا رضا الله وغاية اكرامه * ﴿ اما بعد ﴾ فيقول العبد الفقير الى رحمة ربه العلي الكبير * (محمد بن مصطفى ابن الخوجه) المدرس والامام الخطيب بجامع سفير * قد اكملت تصحيح هذا

الكتاب * الذى هو ذخيرة العلماء وكنز الطلاب * بعد ان قابلته بنسخ متعدده * وعارضته على بعض الامهات المتمده * مستعينا بصديقنا وصهرنا الفاضل المكرم * السيد قدور بن محمد الامام الاول بالمسجد الاعظم * وايم الله انه لتفسير جليل * قد فصل مقاصد الذكر الحكيم احسن تفصيل * وحوى عباب المنقول * واشتمل على لباب المعقول * واتى من درر الفرائد * بما يبهر العقول * ومن غرر الفوائد * بما تذعن له الفحول * ولاغرو فمؤلفه العلامة النحرير * والولي الصالح الشهير * فخر مدينة الجزائر * سليل الاماثل الاكابر * سيدى عبد الرحمن الثعالبي قدس الله روحه * واعاد علينا سره وفتوحه * ولما كان هذا التاليف كنزا مخفيا * وقد قصرت عنه يد من اضحى بنفائس الجواهر حفيا * نهض الخيران السيد احمد بن مراد وشقيقه السيد قدور لطبعه * رغبة منهما حفظهما الله تعالى فى تعميم نفعه * وذلك فى مطبعتهما البهيه * الموصوفة بالثعالبيه * وقد تم طبعه فى اخير ذى الحجة الحرام * ختام سنة ١٣٢٧ من هجرة سيد الرسل الكرام * صلى الله عليه وسلم * وشرف ومجد وعظم *

ولما لاح بدر تمامه * وفاح مسك ختامه * واطلع عليه حضرة صاحب الفضيله * والاخلاق الحميدة والاعمال الجليله * العلامة الاشهر * والاستاذ الاكبر * الشيخ السيد ابن زكرى محمد سعيد بن احمد مفتى السادة المالكيه * والمدرس فى القسم العالى من المدرسة الثعالبيه * كتب حرس الله كماله * وبلغه فى الدارين آماله * مانصه

حمدا لمن خلق الانسان من علق * وبه الاستعاذة من شر ماخلق * وصلاة وسلاما على من تحنث ليالي عديدة بغار حراء * سيدنا محمد بن عبد الله

روح الوجود وسر الكون بلامراء * وعلى آله واصحابه * وعترته وانصاره واحزابه * وبعد فان الله جلت نعمته * وعمت الخلائق رحمته * قد حبا رسوله بفضيلة التنزيل * وشرف الوسيطة وزيره جبريل * فاتاه من مرسل بكتاب مجيد * لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد * كتاب كريم * من لدن سميع عليم * بيد انه لا وصم فيه ولا عيب * واليه الرمز بقوله تعالى ذلك الكتاب لا ريب * فيه نور وهدى للمتقين * وطمس لاطلال ضلال المنافقين * قامع الجبارين بساطع برهانه * وناكس رءوس المتكبرين ببالغ سلطانه * فاستنارت امة بمشكاة نوره فاهتدت * وبقيت اخرى فى ظلمات جهلها يكاد البرق يخطف ابصارها فاعتدت * كتاب يهدى حقا للتى هي اقوم * ويبشر المومنين بان لهم من الله فضلا كبيرا فى دار النعم * كتاب مأمون سبيله * ومستعذب لدى اهل الذوق السليم سلسبيله * كتاب صفا للظمآن مورده * وصح لدى كل راو سنده * عن ثقات السلف الصالح * الى هداة الخلق من الخلف الناجح * لله در اقوام مخلصين فى خدمة كتابه * يرجون رحمة ربهم ويخافون سوء عذابه * امالوا عنان العزم صوب ابراز مخدرات اسراره * واستضاءوا فى دياجى المشكلات بمصابيح انواره * فكلما غشيهم موج كالظلال من بحر اعجازه * سلكوا سبيل النجاة برعي حقيقته ومجازه * فهم لنا ادلة على الهدى * وانجم مشرقة للاهتدا * ومن بين اولئك الاعلام * الهداة للانام * الرعاة للذين هم كالانعام * رحالة زمانه لرواية الحديث * كما اشتهر بذلك فى القديم والحديث * امام المتقين * واستاذ المحققين * منهل المعارف واللطائف * سيدى عبد الرحمن الثعالبي ملجأ كل خائف * احسن الله الى روحه الطاهرة فى غرف الجنان * كما احسن هو الى هذه الامة بالجواهر الحسان *

ربى حسن بـه ظـنى حـتى اقـول لحسـان مـدحـه ليتك حسـان * ياواقفا لدى الباب * ادخل بسـلام الى جنـات هـذا الكـتـاب * تراهاذات بهجة ماكان لك ان تجني ثمرتها الا باكتساب * هذا الكتاب * وما ادراك ما الكتاب * كتاب يهون على النفس المصاب * ويخلصها من الشك والارتياب * وكيف لا وهو تفسير جليل * عار عن شبهـات الضلال والتضليل * الا ترى اليه فى كل حال * يصرح بمثل هذا المقال * رب انى اعوذ بك من همزات الشياطـين * ومن نزغات فلسفـة الزاعمـين انهم لسماء الحكمة اساطين * فسلك فيـه مسلك الصواب * فجاء ولله الحمـد تبصرة وذكرى لاولى الالبـاب * رمى صاحـبـه بسهم فاصاب * واتى بالحق المبين وفصـل الخطاب * الا تسمع بتفسير مرونق بحسان الجواهر * مطبوع بحرف شرقى على ورق جيد بالمطبعة الثعالبية فى الجزائر * مطبعة الشقيقين ابني مراد * بلغهما الله فى الدارين حسن المراد * ولا تنس شكـر المصحح * فعمله الجميـل لفضله مرجح * لانه تقدم طبعا على الطبع قطعا * فكمال الطبع موقوف على ﴿الكمال﴾ وضعا * الا ترى الى الصلاة بدون الامام * تنقص درجاتها او تبطل على مذهب كل امام * نسأل الله تعالى للفاضل الامين والاستاذ ابن مصطفى * ان يجزيهما على حسن صنعهما الجزاء الاوفى * بجاه عين الرحمة سيدنا ومولانا محمد وءاله * واصحابـه الاخيار وكل ناسـج على منـواله

الفقير الى ربـه ابن زكرى محمد سعيد بن احمد الزواوي مفتى
السادة المالكية بعاصمة الجزائر وفقه الله ءامين

وتلاه جناب العالم العامل والمفضال الكامل الشيخ السيد عبد الحليم بن علي ابن سمايه المدرس بالجامع الجديد واحد اساتذة المدرسة الثعالبية فقال ادام الله النفع به

الحمد لله الذى منح احبابه من كنز مواهبه بالجواهر الحسان * والبسهم من مطارف المعارف ما يخرس وصفه شقاشق اللسان * وعقد لهم على بساط المكارم منبرا * وتضوعت انفاسهم الزكية بين الورى مسكا وعنبرا * فهم ماهم * تعرفهم بسيماهم * عرف التحقيق * من ادراج كلامهم عبيق * وقول فصل * يفل غرار النصل * وجادة مستقيمة لا تلوى * والنجم ثاقبة لا تهوى * تنبع ينابيع الحكمة من صدورهم صافية من كل كدر * متسلسلة بصفاء التصحيح فى المنقول عن الصادق الامين من الحبر * اعرضوا عن القيل والقال * ونبذوا ظهريا كل ما ادى الى المراء والجدال * قد علموا وان لم يعلموا هم فمن يعلم * ان خير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم * الذى بلغ الرساله * وبيّن طرق الحق من الضلاله * وترك الجدال والمراء مع العالمين * ووقف فى إقامة الحجة على الخلق على ما نطق به الكتاب المبين * ومن استضاء بالانوار النبوية فله اسوة حسنة فى اتباعه * تغنيه عما يخترعه من وساوس ابتداعه * الا وان ذلك هو العقل الذى لا يثبت عليه الامن احكم بحبل من حكمة النبوءة متين * ولا يقف عنده الا من منحه الله بخلق من اخلاق الانبياء والمرسلين * ولذلك كان تفسير هذا الطود الشامخ * واساس العلم الراسخ * السيد الذى اخذ فى مجال الحق باليمين اعلامه * والف فى الفنون المتعددة وضرب فى مغازيها سهامه * وتفجرت بالعلم النافع من بين اصابعه ينابيع الاقلام * وانحى بتنقيحه السنة النبوية على ما ابتدع فيها بباتر حسام * حتى شهدت بغزارة علمه فطاحل

العلماء * وحمد فضله اهل الارض ولا شك انه محمود فى السماء * واعترفوا
بانه قطب زمانه الذى دارت عليه امور دين المتقين * واتخذه القاصى والدانى
واسطة الارشاد فى السلوك الى رب العالمين * والمولى الذى لمن تشخص
عظيم قدره * واضطلاعه بالخلافة النبوية فى نهي الله وامره * ان كان ممن
له حياء ذاب حياء * او كان ممن له شعور طارت نفسه شعاعا وانبثت هباء *
سيدى عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي رضي الله عنه ونفعنا ببركاته *
وجعلنا ممن سلك مسالك كمل الرجال فى سكناته وحركاته * تفسيرا حوى
من نوابغ البيان او ضحها * ومن نقل الاقوال امتنها وارجحها * طوى
كشحه عما ضعف نقله * وافرغ نصحه فيما جزل نفعه وجل فصله *
انتخل التفاسير انتخالا * وروق منها ما صفا مشربه زلالا حلالا *
وضرب بما يشم رائحة البدعة عرض الجدار * وشخص للقارئ اخلاق
الصحابة والسلف الاخيار * اذهم القدوة فى هذه المسالك على التحقيق *
وهم الذين من لم يسر على ءاثارهم فقد ضل سواء الطريق * وهل الامة
المحمدية التى نسئل الله تعالى ان يجعلنا منها الا هؤلاء المتقون * الذين
اثنى عليهم الرب الكريم بقوله تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم
خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون * وهل يطمع ان يعد فى عدادهم * الا
من سدد قوله وفعله بسدادهم * وهل حصل ما حصل هذا السيد الجليل
من المكانة عند الله على ما هو حسن المعتقد * ورفع الكعب بين العباد كما هو
معروف لا ينكره احد * الا باتباع الحق بين الخلق * واطراح الهوى
وسلوك سبل الجد والصدق * وهي وراثة نبوية مقسومة على ذوى الارحام
فى الدين * ممن الزم نفسه قصر طرفه على العمل باقوال وافعال سيد
المرسلين * والعلماء العاملون ورثة الانبياء * وهم الاتقياء والاصفياء والاولياء *

فنسئل الله ان يجزي هذا السيد الجليل * عن الامة المحمدية الجزاء الجزيل * وان يجعلنا ممن سمع ووعى * ولعهد الله حفظ ورعى * وان يجعل سعي اخينا السيد محمد بن مصطفى ابن الخوجة فى تصحيح هذا الكتاب * ومقابلته له بسبع نسخ مع مراجعة بعض الاصول حتى تهذب من تحريف الكتاب * سعيا مشكورا * وذنب الجميع ذنبا مغفورا * انه اهل التقوى واهل المغفرة * وهو الرحيم الرحمن فى الدنيا والآخرة * ولا حول ولاقوة الا بالله العلي العظيم * الهادى بمحض فضله الى الصراط المستقيم *

ثم قرظه بهذه القصيدة اللطيفه * ذو الشيم المرضية الشريفه * ولدنا البار الزكي * والشاب النجيب الذكي * السيد قدور بن محيى الدين * اكثر الله من انداده ٠امين * وهى :

اعز مغتنم نصفو مشاربه * يَحظى به لهج بالعلم مسرور
حقائق فى الجواهر الحسان لها * فى الصدر شرح وفى عين الحجا نور
والخلق من ناهج سبلا مغبتها * حميدة سعيه فى الخير مشكور
مأموله المجد لالهو يثبطه * عن المعالى ولا يثنيه تقصير
وذاهل خابط فى التيه معتسف * وعقله بخسيس الشيء مبهور
فما يحصل من نيل لمأربه * الاكما نقر الماء العصافير
فاين ذا من امام بدر همته * بين النجوم له هدي وتنوير
طلاع انجدة كشاف معضلة * خضم معرفة بالعلم مسجور
فخر الجزائر من له العلى انتسبت * وطارصيت له فى الناس مذكور
نجل ابن مخلوف الثعالبي عابد الـ * ـرحمن من بهجت به الطوامير

فدونـك الدر فى تفسيره نضَدا * والبحـر يقذفـه والدر منشـور

بدت لدى فصل ٠اي الله ٠ايتـه * شمس الضحى بزغت ما دونها سور

تكاد تنطق فى الاوراق احرفـه * اذ رصف الوضع فيها منه تدبير

لولا الطروس لها بالرقم ماسكة * لكان منها مع الارواح تطيير

رقت اساليبـه جمت عجائبـه * لذت اطايبه ما فيه منكـور

وما تظن بقطب يوحه سطعت * وقلبـه مخاص بالحـق مفطـور

ان العصور تنـافست مناقبـه * فمجـده ببقـاء الدهـر مـأثور

وخلدت ذكر بانٍ فى الورى شرفا * ولو مشيده فى الرمس مقبـور

ان غاب تفسيره عن طرفنا زمنا * وكاد تـذهبـه عنـا الاعاصـير

فقـد تصدى له بالنشر مجتهـد * سامى المقام طويل الباع نحـرير

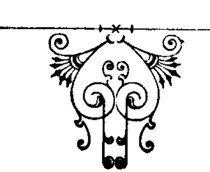
ذ وخبرة احكمت تصحيحه فغدا * له من المسخ والتحريف تحـرير

وقابل الفرع بالاصول فارتجمت * وصح ما سامه من قبل تكسير

هو الكمال ابن مصطفى محمدنا * مسدد الرأي ماضى العزم شمير

حـبر معارفـه بحـر مـآ ثره * غُر وبالفضل فى الآفاق مشهور

دامت مساعيه فى الدنيا ممدّحة * واجره عند رب العرش موفـور



فهرست الجزء الرابع من كتاب الجواهر الحسان
فى تفسير القرءان